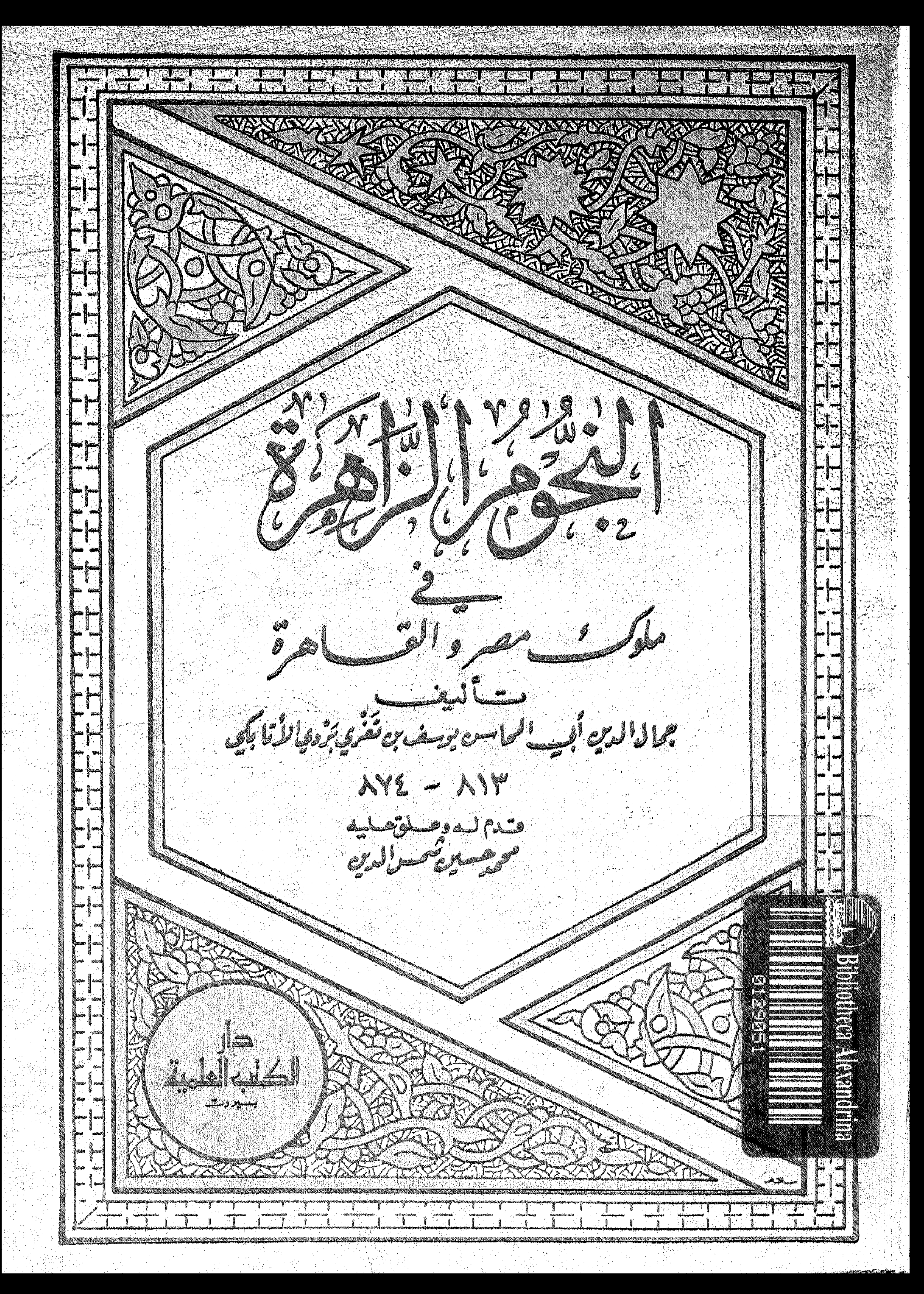
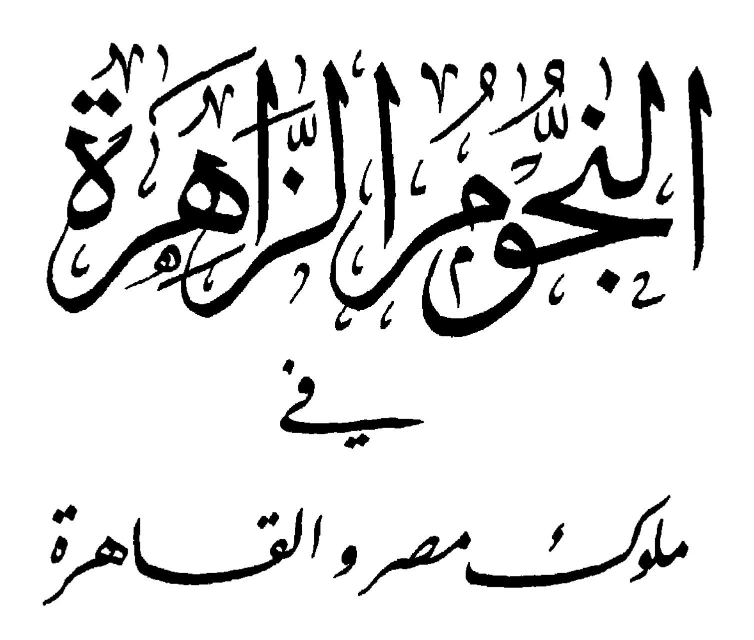


النجوم الزاهرة
في
ملوك مصر والقاهرة
تأليف
جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي
٨١٣ - ٨٧٤
قدم له وعلق عليه
محمد حسين شمس الدين
دار
الكتب العلمية
بيروت
Bibliotheca Alexandrina
0129551



في

ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤

قدم له وعلق عليه

محمد حسين شمس الدين

الجزء الرابع

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت. لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحابته وسلَّم

ذكر ولاية كافور(١) الإخشيذيّ على مصر

الأستاذ(٢) أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيذي، الخادم الأسود الخصِيّ، صاحب مصر والشام والثغور؛ اشتراه سيّده أبو بكر محمد الإخشيذ بثمانية عشر ديناراً من الزيّاتين، وقيل: من بعض رؤساء(٣) مصر، وربّاه وأعتقه؛ ثم رقّاه حتّى جعله من كِبار القوّاد لمّا رأى منه الحزمَ والعقل وحسنَ التدبير. ولمّا مات الإخشيذ في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، أقام كافورٌ هذا أبناءه واحِداً بعد واحد. وكان الذي وَلّى أوّلاً أبا القاسم أُنوجُور بن الإخشيذ ــ ومعنى أُنوجُور بالعربية محمود ــ وقد تقدّم ذلك كلّه. فدام أنوجور في الملك إلى أن مات في يوم السبت لثمانٍ خلَوْن من ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة. ثم بعد موت أنوجور أقام أخاه أبا الحسن

---

(١) ولاة مصر: ٣١٤، وخطط المقريزي: ١/٣٣٠ و٢/٢٦، وحسن المحاضرة: ٢/١٤، والمغرب في حلى المغرب ــ قسم مصر ــ ١/١٩٩، ومعجم زامباور: ١٤٤، وطبقات سلاطين الإسلام: ٦٧، ووفيات الأعيان: ٤/٩٩، وتاريخ دول الإسلام: ١/٣٧٨.

(٢) الأستاذ: من الألقاب العامة التي استعملت منذ العصر العباسي، حيث كان يطلق على الخصيان من الغلمان المعبر عنهم في عصر المماليك بالطواشية. واستمر استعمال هذا اللقب في الدولة الفاطمية، جرياً على عادتها في اتخاذ التقاليد والألقاب العباسية. ومن الشخصيات البارزة في هذا العصر «الأستاذ برجوان» الذي كان وصياً على الحاكم واستبد بالحكم دونه بعد ابن عمار. أما في العصر التركي فكان هذا اللقب يستعمل ليشير إلى رب النعمة، إذ كان يطلقه المملوك على من جلبه وهو طفل أو تعهده وقام بتربيته أو حرره. وقد أطلق أيضاً على الصانع. ولقب «الاسطى» المعروف في أيامنا والذي يطلق على بعض الصناع الحرفيين ما هو إلا تحريف للأستاذ. (انظر الألقاب الإسلامية لحسن الباشا: ١٤٠).

(٣) ذكر ابن خلكان أن الإخشيد اشتراه في سنة ٣١٢هـ بمصر من محمود بن وهب بن عباس. وذكر المقريزي في الخطط: ٢/٢٦: أن الذي جلبه باعه لمحمد بن هاشم ــ أحد المتقبلين للضياع ــ فباعه لابن عباس الكاتب. ثم إن ابن عباس الكاتب أرسله يوماً بهدية إلى الأمير محمد بن طغج الإخشيد، وهو يومئذ أحد قواد تكين، فأخذ كافوراً ورد الهدية.

عليّ بن الإخشيد كما تقدّم ذكر ذلك كلّه في ترجمتهما. وكان كافور هذا هو مدبّر ملكهما. ودخل كافور في أيّام ولايتهما في ضمان البلاد مع الخليفة، ووفّى بما ضَمِنه.

ولمّا مات الإخشيذ آضطربت أحوال الديار المصريّة، فخرج كافورٌ منها بآبني الإخشيذ وتوجّه بهما إلى الخليفة المطيع لله، وأصلح أمرهما معه، والتزم كافور للخليفة بأمر الديار المصريّة، ثم عاد كافور بهما إلى الديار المصريّة. وكان غَلْبُون قد تغلّب على مصر بعد موت الإخشيذ في غَيْبة كافور لمّا توجّه إلى العراق؛ فقدِم كافور إلى مصر وتهيّأ لحرب غلبون المذكور وحاربه وظَفِر به وقتله، وأصلح أحوال الديار المصريّة؛ وآستمر مدبِّرَها إلى أن مات أُنوجُور وتولّى أخوه عليّ؛ ثم مات عليّ أيضاً في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة؛ وآستقل كافور بالأمر وخُطِب له على المنابر وتمّ أمره.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ في تاريخ الإسلام: كافور الإخشيذيّ الحبشيّ الأستاذ السلطان أبو المسك آشتراه الإخشيذ من بعض رؤساء مصر؛ كان أسود بصّاصاً[١]. ثم ساق الذهبيّ نحو ما حكيناه، إلى أن قال: تقدّم عند الإخشيذ صاحِب مصر لعقله ورأيه وسعده إلى أن صار من كِبار القوّاد، وجهّزه الإخشيذ في جيش لحرب سيف الدولة بن حَمْدان. ثم إنه لمّا مات أستاذه صار أَتابَك[٢] ولده أبي القاسم أنوجور وكان صبيّاً؛ فغلب كافورٌ على الأمر، وبقي الاسم لأبي القاسم والدَّسْتُ[٣] لكافور، حتّى قال وكيله: خدمتُ كافوراً وراتبه في اليوم ثلاث عشرة

(١) بصَّ: لمع وتلألأ، فهو بصّاص وهي بصّاصة.

(٢) الأتابك: لفظ مؤلف من الكلمتين التركيتين: «أتا» بمعنى الأب، والشيخ المحترم لسنه؛ واللقب التركي «بك» بمعنى الأمير. وهو في الاصطلاح: مربي الأمير، ومدبر المملكة. ويطلق على أمير أمراء الجيش لقب «أتابك العساكر». وكان سلاطين السلاجقة منذ أيام ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥ ــ ٤٨٥هـ) يطلقون لفظ «أتابك» أو «أطابك» على كبير أمرائهم، يولونه الوصاية والرعاية من بعدهم على سلطان أو أمير قاصر صغير. وكثيراً ما تزوج الأطابك من أم الموصى به، فتصبح العلاقة بين السلطان ووصيّه شبه أبوية. (انظر تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل: ص ١٢، ودائرة المعارف الإسلامية، وصبح الأعشى: ٤/ ١٨، والألقاب الإسلامية: ص ١٢٢).

(٣) الدست هنا كناية عن السلطة. وهو بهذا المعنى شائع الاستعمال في العصر المملوكي.

جِراية، وتوفّي وقد بلغت جرايتُه على يدي في كلّ يوم ثلاثة عشر ألف جراية. قلت: وهو أَتَابَك السلطان أَنُوجُور، أمّا لمّا آستقلّ بالملك فكان أكثر من ذلك.

وقال أبو المظفّر في تاريخه مرآة الزمان: كان كافورٌ شجاعاً مقداماً جَوَاداً يفضُل على الفحول. وقصده المتنبّي ومدحه فأعطاه أموالاً كثيرة، ثم فارقه إلى العِرَاق.

وقال أبو الحسن بن آذن[1] النحويّ: حضرت مع أبي مجلسَ كافور وهو غاصّ بالناس، فقام رجل فدعا له، وقال في دعائه: أدام الله أيّامِ مولانا (بكسر الميم من أيّام) فأنكر كافور والحاضرون ذلك؛ فقام رجل[2] من أوساط الناس فقال: [البسيط]

لا غَرْوَ إن لَحنَ الداعي لسيِّدنا ... أو غُصّ من دَهَشٍ بالريق[3] أو بَهَرِ
ومثل سيِّدنا حالت مهابَتُه ... بين البليغ وبين القول بالحَصَرِ[4]
فإن يكن خَفَضَ الأيام من غَلَطٍ ... في موضع النصب لا من قلّة البصر
فقد تفاءلتُ من هذا لسيّدنا ... والفأل مأثورة عن سيّد البشر
بأنّ أيامه خفضٌ بلا نَصَبٍ ... وأنّ أوقاته صفوٌ بلا كدر

فعجِب الحاضرون من ذلك، وأمر له كافور بجائزة.

وقال أبو جعفر مسلم بن عبيد الله بن طاهر العلويّ النسّابة: ما رأيت أكرم من كافور! كنت أسايره يوماً وهو في مَوْكِب خفيف يريد التنزّه وبين يديه عِدّة جنائب بمراكب ذهبٍ وفِضة وخلفه بغال المراكب، فسقطت مِقرعتُه من يده ولم يرها

(١) كذا بالأصل. وفي طبعة دار الكتب المصرية عن نزهة الألبا لابن الأنباري: «أذين».
(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن حشيش النجيرمي اللغوي الأخباري كاتب كافور، كما في ابن خلكان.
(٣) في الأصل: «في الريق». والتصحيح عن ابن خلكان.
(٤) رواية هذا البيت في ابن خلكان:
فتلك هيبته حالت جلالتها ... بين الأديب وبين القول بالحَصَر

رِكابيَّتُه(١)، فنزلتُ عن دابّتي وأخذتها من الأرض ودفعتها إليه؛ فقال: أيّها الشريف، أعوذ بالله من بلوغ الغاية، ما ظننت أن الزمان يبلّغني حتى تفعل بي أنت هذا(٢)! وكاد يبكي؛ فقلت: أنا صنيعة الأستاذ ووليّه. فلما بلغ باب داره ودّعني؛ فلما سِرْت التفتُّ فإذا بالجنائب والبغال كلّها خلفي؛ فقلت: ما هذا؟ قالوا: أَمَر الأستاذ أن يُحمل مركبهُ كلّه إليك؛ فأدخلته داري؛ وكانت قيمته تزيد على خمسة عشر ألف دينار. وراوي هذه الحكاية مسلم بن عبيد الله المذكور من صالِحي الأشراف.

ووقع له حكاية غريبة نذكرها في ضمن هذه الترجمة، ثمّ نعود إلى ما نحن فيه من ترجمة كافور؛ وهي(٣) أنّه كان لمسلم بن عبيد الله المذكور غلام قد ربّاه من أحسن الغلمان، فرآه بعض القوّاد فبعث إليه ألف دينار مع رجل، وقال له: آشتر لي منه هذا الغلام؛ قال الرجل: فوافيته ــ يعني الشريف مسلم بن عبيد الله ــ في الحمّام ورأيت الغلام عُرْياناً فرأيت منظراً حسناً؛ فقلت في نفسي: لا شكّ أنّ الشريف لا يفوته هذا الغلام، وأدّيت الرسالة؛ فقال الشريف: ما دفع فيه(٤) هذا الثمن إلّا وهو يريد [أن] يَعْصِيَ الله فيه، اِرجع إليه بماله فلا أبيعه. فعدت إليه وأخبرته ونمت تلك الليلة، فرأيت النبيّ ﷺ في المنام، فسلّمت عليه فما ردّ عليّ، وقال: ظننتَ في ولدي مسلم الخنا مع الغلام. اِمضِ إليه وآسأله أن يجعلَك في حلٍّ. فلما طلع الفجر مضيت إليه وأخبرته وبكيت وقبّلت يديه ورجليه وسألته أن يجعلني في حلّ؛ فبكى وقال: أنت في حلّ، والغلام حرّ لوجه الله تعالى.

وأمّا كافور فإنّه لمّا صار قبل سلطنته مدبِّرَ(٥) الممالك المصرية، وعظُم أمرُه،

---

(١) في الأصل: «كاتبه». وما أثبتناه من طبعة دار الكتب المصرية عن مرآة الزمان. والركابية: هم الذين يحملون السلاح حول الخليفة أو السلطان عند ركوبه في المواكب، ولهم زي خاص بهم. وكانوا يسمون أيضاً: صبيان الركب الخاص. وعرفوا في عصر المماليك بالسلاحدارية والطبردارية. (انظر صبح الأعشى: ٣/٤٨٠).

(٢) في المغرب لابن سعيد، عن القرطبي: فقبل كافور يده شكراً وقال له: نعيت إليّ نفسي، فما بعد أن ناولني ولد رسول الله ﷺ سوطي غاية يتشوّف لها! فمات عن قرب.

(٣) في الأصل: «وهو».

(٤) في الأصل: «في».

(٥) مدبر الممالك، ومدبر الدولة، ومدبر أمور السلطنة، ومدبر الجيوش وغيرها: من ألقاب الوزراء وكتّاب =

أَنِف من ذلك خُشْدَاشه(١) الأميرُ أبو شجاع فاتك الروميّ الإخشيذيّ المقدّم ذكره في سنة نيّف وخمسين وثلاثمائة. وكان فاتك يُعرف بالمجنون، وكان الإخشيذ قد آشترى فاتكاً هذا من أستاذه بالرملة كرهاً وأعتقه، وحَظِي عند الإخشيذ، وكان رفيقاً لكافور هذا، وهو الأعظم مع طيش وخِفّة وجُبُورة؛ وكان كافور عاقلاً سَيُوساً؛ فكان كلّما تزايد أمر كافور وعظم، يزيد جنونُ فاتك وحسدُه، فلا يلتفت كافور إليه بل يدرُّ عليه الإحسان ويراعيه إلى الغاية. وكان الفيّوم إقطاعَ فاتك المجنون، فآستأذن فاتك كافوراً أن يتوجّه إلى إقطاعه بالفيّوم ويسكن هناك حتى لا يرى عظمة كافور؛ فأذِنَ له كافور في ذلك وودّعه؛ فخرج فاتك إلى الفيّوم، فلم يصحّ مِزاجُه بها لوخامتها، فعاد بعد مدة مريضاً إلى مصر ليَتَدَاوَى بها.

وكان المتنبّي الشاعر بمصر قد مدح كافوراً بغُرَر القصائد، فسمِع المتنبّي بكرم المجنون فأحبّ أن يمدحه، ولم يجسُر خوفاً من كافور. وكان كافور يكره فاتكاً في الباطن ويخافه، وصار فاتك يُراسل المتنبّي ويسأل عنه إلى أن آتّفق آجتماعهما يوماً بالصحراء وجرت بينهما مفاوضات. فلمّا رجع فاتك إلى داره بعث إلى المتنبّي بهديّة قيمتها ألف دينار، ثم أتبعها بهدايا أُخَر. فآستأذن المتنبّي كافوراً في مدح فاتك، فأذِن له خوفاً من فاتك، وفي النفس شيء من ذلك؛ فمدحه المتنبّي بقصيدته التي أوّلها: [البسيط]

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالُ فَلْيُسْعِدِ النطقُ إن لم تُسْعِدِ الحالُ

= السر وغيرهم في العصر المملوكي. (صبح الأعشى: ٦/٦٩). ولا نعتقد أن استعماله هنا هو بنفس مدلول المصطلح المملوكي، إذ لم يكن معروفاً في العصر الإخشيدي. وإنما استعمله المؤلف بالمعنى العام لكلمة «المدبّر» وهو المشرف على الأمر والناظر في شؤونه، انطلاقاً من السلطة التي حازها كافور بوصايته على أبناء الإخشيد والتفرّد بتسيير أمورهم.

(١) خشداش: (ويقال أيضاً: خوشداش، وخجداش، وخوجداش) هي في المعجم الفارسي «خواجه تاش» من الكلمة الفارسية «خواجه» ومعناها السيّد، ومن المقطع التركي «تاش» ــ وأصله: داش ــ ويدل على المشاركة. فمعنى خواجه تاش لغوياً هو الشريك في السيّد؛ وتطلق هذه الكلمة بصيغها المختلفة على المملوك ينشأ مع مملوك غيره في خدمة سيّد واحد مشترك، فهما مولياه وهما أخوا ولاء له. ولقد كان هؤلاء يتوارثون. ويجمع اللفظ على «خشداشية»، ويقال للمرأة: خشداشة. كما استعمل الجبرتي للجمع صيغة «خشداشين». (انظر تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل: ص ٨٧).

إلى أن قال:

كفـاتكٍ ودخـولُ الكـاف مَنْقَصَـةٌ كالشمس قُلْتُ وما للشمس أمثالُ

فحقّد كافور على المتنبّـي لذلك، وفطَن المتنبّـي بعُدْوانه؛ فخرج من مصر هارباً؛ وكان هذا سبباً لهجو المتنبّـي كافوراً بعد أن كان مدحه بعدّة مدائـح، على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

قال الذهبـيّ: وكان كافورُ يدني الشعراءَ ويُجيزهم، وكان تُقْرَأُ عنده في كلّ ليلة السِّيَرُ وأخبارُ الدولة الأُمَوية والعباسيّة وله ندماء، وكان عظيمَ الحرمة[١] وله حجاب يمتنـع عن الأمراء وله جوارٍ مغنّياتٌ، وله من الغلمان الروم والسُّود ما يتجاوز الوصف؛ زاد ملكه على ملك مولاه الإخشيذ؛ وكان كريماً كثير الخِلَـع والهِبَات، خبيراً بالسياسة، فطِناً ذكيّاً جيّد العقل داهية. كان يُهادي المُعزّ صاحب المغرب ويُظهر ميله إليه، وكذا يُذعِن بالطاعة لبني العبّاس، ويُداري ويخدع هؤلاء وهؤلاء، وتمَّ له الأمر. وكان وزيره أبو الفضل جعفر بن الفرات راغباً في الخير وأهله. ولم يبلُـغ أحد من الخدّام ما بلـغ كافور؛ وكان له نظرٌ في العربيّة والأدب والعلم. وممّن كان في خدمته أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله النَّجيرَميّ[٢] النحويّ صاحب الزَّجَّاج[٣]. وقال إبراهيم بن إسماعيل إمام مسجد الزبير: كان كافور شديدَ الساعد لا يكاد أحد يمدّ قوسه، فإذا جاؤوه برامٍ دعا بقوسه [وقال: آرْمِ عليه][٤]؛ فإن أظهر الرجلُ العجزَ ضحِك وقدّمه وأثبته؛ وإن قوِيَ على مدّها وآستهان بها عبس وسقطت منزلتُه من عنده. ثم ذكر له حكايات تدلّ على أنه كان مُغْرىً بالرمي. قال: وكان يداوم الجلوس غُدْوةً وعَشيَّةً لقضاء حوائـج الناس، وكان يتهجّد ويُمرّغ وجهَه ساجداً ويقول: اللّهم لا تسلّط عليَّ مخلوقاً. إنتهى.

قلت: ونذكر حينئذ أحوال المتنبّـي معه وما مدحه به من القصائد.

---

(١) في تاريخ الإسلام للذهبي: «وكان عظيم الحمية يمتنع من الأسواق».

(٢) في الأصل: «البخترى». وهو تحريف. والتصحيح عن تاريخ الإسلام ومعجم البلدان. وهذه النسبة إلى محلة بالبصرة تسمى «نجيرم».

(٣) هو إبراهيم بن السريّ بن سهل، أبو إسحاق الزجّاج المتوفى سنة ٣١١هـ. كان عالماً بالنحو واللغة.

(٤) زيادة من طبعة دار الكتب المصرية، عن كنز الدرر.

لما فارق المتنبّي سيفَ الدولة بن حَمْدان مُغاضِباً له، قصد كافوراً الإخشيذيّ ودخل مصر ومدحه بقصيدته التي منها: [الطويل]

قواصدُ كافور تـوارِكُ غيـرِه ومن ورد[1] البحرَ آستقلّ السواقِيَا
فجاءت بنا إنسانَ عين زمانه وخلّت بياضاً خلفها ومآقيا

وهو أوّل مديح قاله فيه؛ وكان ذلك في جُمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاثمائة. وقال آبن خِلِّكان: وأنشده أيضاً في شوّال سنة سبع وأربعين وثلاثمائة قصيدته البائية[2] التي يقول فيها: [الطويل]

وأخلاقُ كافورٍ إذا شئتُ مدحَه وإن لم أَشَأْ تُمْلِي عليّ فأكتبُ[3]
إذا ترك الإنسانُ أهلاً وراءَه ويمّم كافوراً فما يتغرّب

ومنها أيضاً:

فإن لم يكن إلاّ أبو المسك أوهُمُ فإنّك أحلَى في فؤادي وأعذَبُ
وكلّ آمرىءٍ يُولِي الجميلَ مُحبّبٌ وكلّ مكانٍ يُنْبِت العِزّ طيّبُ

وآخر شيء أنشده في شوّال سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ــ ولم يلقه بعدها ــ قصيدته البائيّة: [الطويل]

أرَى لِي بقُرْبي منك عيناً قريرةً وإن كان قرباً بالبِعاد يشابُ
وهل نافِعي أن تُرْفَع الحُجْبُ بيننا ودون الذي أمّلتُ منكَ حِجابُ
أُقِلّ سلامي حبَّ ما خَفّ عنكمُ وأسكُت كيما لا يكون جواب

ومنها:

وما أنا بالباغي على الحبّ رِشْوَةً ضعيفُ هوىً يُبْغَى عليه ثوابُ
وما شئت ألا أن أدُلّ عواذلي على أنّ رأيي في هواك صواب
وأُعلِم قوماً خالفوني فشرّقوا وغرّبتُ أنّى قد ظفِرت وخابوا

(١) الرواية المشهورة: «ومن قصد البحر...».
(٢) كذا في ابن خلكان. وفي الأصل: «الثانية».
(٣) كذا في ابن خلكان وديوان المتنبي. وفي الأصل: «وإن لم تشأ تملي عليك وتكتب».

ومنهـــا:

وإنّ مـديـح الناس حقّ وبـاطـلٌ ومـدحـك حقّ ليس فيـه كِـذابُ
إذا نِلتُ منـك الودّ فـالمال هيِّن وكـلّ الذي فـوق التـراب تـراب
ومـا كنتُ لولا أنت إلاّ مهاجـراً لـه كـلَّ يـوم بَلْدةٌ وصِحـابُ
ولكنّـك الـدنيـا إليَّ حبيبـة فمـا عنك لي إلاّ إليك ذَهـاب

وأقام المتنبّي بعد إنشاد هذه القصيدة سنةً لا يَلْقَى كافوراً غضباً عليه، لكنه يركب في خدمته [خوفاً منه][١] ولا يجتمع به؛ وآستعدّ للرحيل في الباطن وجهّز جميع ما يحتاج إليه. وقال في يوم عرفة [سنة خمسين وثلاثمائة][١] قبل مفارقته مصر بيوم واحد قصيدتَه الداليّة التي هجا كافوراً فيها. وفي آخر هذه القصيدة المذكورة يقول: [البسيط]

مَن علّم الأسود المَخْصِيَّ مَكْرُمةً أَقَـومُـه البيض أم آبـاؤه الصِّيـدُ
أم أذنـه في يـد النخّـاس داميـة أم قـدرُه وهـو بـالفَلْسَيْنِ مـردود

ومنهـــا:

وذاك أنّ الفحـول البيض عاجـزةٌ عن الجميل فكيف الخِصْيةُ السُّودُ

وله فيه أهاجٍ كثيرة تضمّنها ديوان شعره. ورَحَل المتنبيّ من مصر إلى عَضُد الدّولة بن بُوَيْه [بشيراز][٢].

وقال آبن زُولاق[٣]: أقام كافور الإخشيذيّ الأستاذ إحدى وعشرين سنةً وشهرين وعشرين يوماً ـ يعني أقام مدبّر مملكة مصر ـ من قِبَل ولدَيْ أستاذه، وهما أُنوجُور وعليّ آبنا الإخشيذ محمد بن طغج، وأقام هو فيها سنتين وأربعة أشهر وسبعة أيّام مَلِكاً مستقلاً بنفسه. قلت: ونذكر ذلك محرّراً بعد ذلك.

---

(١) زيادة عن ابن خلكان.
(٢) زيادة عن ابن خلكان.
(٣) هو أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن، من ولدسليمان بن زولاق. مؤرخ مصري. ولي المظالم في أيام الفاطميين بمصر، وكان يظهر التشيع لهم. توفي سنة ٣٨٧هـ. من كتبه «خطط مصر» و«أخبار قضاة مصر» جعله ذيلاً لكتاب الكندي. (الأعلام: ٢/١٧٨).

قال ابن زولاق: وكان كافور ديّناً كريماً. وسماطه، على ما ذكره صاحب كنز الدّرر(١)، في اليوم(٢): مائتا خروف كِبار، ومائة خروف رمِيس، ومائتان وخمسون إوَزّة، وخمسمائة دَجَاجة، وألف طير من الحمام، ومائة صحن حَلْوَى كلّ صحن عشرة أرطال، ومائتان وخمسون قِرابة أقْسِمَا(٣).

قال: ولما تُوُفّي كافور آجتمع الأولياء وتعاقدوا وتعاهدوا ألّا يختلفوا، وكَتبوا بذلك كتاباً ساعة تُوفّي كافور، وعقدوا الوِلاية لأحمد بن عليّ الإخشيذ، وكان إذ ذاك صبيّاً ابن إحدى عشرة سنة ـ وكافور بعدُ في داره لم يدفن ـ ودُعي له على المنابر بمصر وأعمالها والشامات والحرَمين، ثم من بعده للحسن(٤) بن عبيد الله [بن طغج]. ثم عُقِد للحسن بن عبيد الله المذكور على بنت عمّه فاطمة بنت الإخشيد بوكيل سيّره من الشام؛ وجعل التدبير بمصر فيما يتعلّق بالأموال إلى الوزير أبي الفضل جعفر بن الفُرات، وما يتعلّق بالرجال والعساكر لسمول(٥) الإخشيذي صاحب الحمّام بمصر. وكلّ ذلك كان في يوم الثلاثاء لعشر بَقِين من جُمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة. اِنتهى كلام آبن زُولاق رضي الله عنه.

---

(١) هو كتاب «كنز الدرر وجامع الغرر» لعبد الله بن أيبك الدواداري المتوفى سنة ٧٣٦هـ.

(٢) عبارة كنز الدرر: «بلغ مما كان يعمل في مطبخ كافور لما قوي سلطانه وكثرت أمواله في كل يوم من اللحم ألفان وسبعمائة رطل، وخمسمائة طائر دجاج، وألف طائر حمام، ومائة طائر إوز، وخمسون خروفاً رميساً، ومائة جدي سمين، وعشرون فرخاً سمكاً، وخمسمائة صحن حلوى في كل صحن عشرون رطلاً، ومائتان وخمسون طبقاً فاكهة، وعشرة أفراد نقل، وخمسمائة كوز فقاع كبير، ومائة قرابة سكر وليمون». انظر أيضاً ما نقله ابن إياس عن الذهبي باختلاف عما هنا: بدائع الزهور، الجزء الأول، القسم الأول، ص ١٨٤.

(٣) الأقسما: شراب يصنع من السكر المحلول بالماء والليمون. وقيل هو نقيع الزبيب.

(٤) كذا أيضاً في الكندي، وابن خلكان (ترجمة الحسن بن عبيد الله). وفي ترجمتي جعفر بن حنزابة وجوهر الصقلي ذكره ابن خلكان باسم «الحسين بن عبيد الله». وهو كذلك بالأصل وفي خطط المقريزي وعقد الجمان. وذكره ابن عذاري في البيان المغرب باسم «الحسين بن عبد الله».

(٥) في الأصل: «سموءل». وما أثبتناه عن المقريزي وتاريخ الإسلام للذهبي. وفي ابن خلكان (ترجمة جوهر الصقلي): شمول، بالشين المعجمة.

وأمّا وفاة كافور المذكور فإنّه تُوفّي بمصر في جُمادى الأولى سنة ستّ وخمسين وثلاثمائة، وقيل: سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وقيل: سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة، والأصحّ سنة سبع[١] وخمسين وثلاثمائة، قبل دخول القائد جوهر المُعِزّيّ إلى مصر. وقيل: إنّه لمّا دخل جوهر القائد إلى مصر خرج منها كافور هذا؛ وليس بشيء، والأوّل أصحّ. وملَك بعده أحمد بن عليّ بن الإخشيذ الآتي ذكره. وعاش كافور بضعاً وستين سنة، وكانت إمارته على مصر آثنتين وعشرين سنة، منها آستقلالاً بالملك سنتان وأربعة أشهر، خُطِب له فيها على منابر مصر والشام والحجاز والثغور، مثل طَرَسُوس والمِصّيصة وغيرِهما، وحُمل تابوته إلى القدس فدفن[٢] به؛ وكُتِب على قبره: [البسيط]

ما بالُ قبرِك يا كافورُ مُنْفَرِداً ... بالصَّحْصَح المَرْتِ[٣] بعد العسكر اللَّجِبِ
يدوس قَبرك آحاد الرجال وقد ... كانت أُسُود الشَّرَى تخشاك في الكُتُب

وقال الوليد بن بكر العُمَريّ: وجدت على قبر كافور مكتوباً[٤]: [البسيط]

انظر إلى عِبَر الأيّام ما صنعت ... أفنت أُناساً بها كانوا وما فَنِيَتْ[٥]
دنياهُمُ ضحِكتْ أيّامَ دولتهِمْ ... حتّى إذا فَنِيتْ ناحت[٦] لهم وبكت

* * *

السنة الأولى من ولاية كافور الإخشيذيّ على مصر

وهي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

فيها أُقيم المأتم على الحسين رضي الله عنه في يوم عاشوراء ببغداد على العادة.

---

(١) في ابن خلكان أن الصحيح هو سنة ٣٥٦هـ. وذكر ابن خلكان أن الرواية بوفاته سنة ٣٥٧هـ هي للقضاعي في كتاب الخطط والفرغاني في تاريخه.

(٢) في ابن خلكان أنه «دفن بالقرافة الصغرى بمصر، وقبته مشهورة هناك».

(٣) في الأصل: «المزن» وهو تحريف. والتصحيح عن تاريخ الإسلام للذهبي. والمرت: مفازة لا نبات فيها. والصحصح والصحصاح: الأرض المستوية الواسعة.

(٤) في ابن خلكان أن هذا الشعر كتب على قبره بالقرافة الصغرى، في قبة هناك مشهورة.

(٥) في الأصل: «وما دفنت» والتصحيح عن ابن خلكان.

(٦) في ابن خلكان: «ناحت» بالحاء المهملة.

وفيها ورد الخبر بأنّ ركبَ الشام ومصر والمغرب من الحجّاج أُخذوا وهلك أكثرهم ووصل الأقلّ إلى مصر، وتمزّق الناس كلّ ممزّق، وأخذتهم بنو سُلَيم؛ وكان رَكْباً عظيماً نحو عشرين ألف جَمَل، ومعهم الأمتعة والذهب؛ فمما أُخذ لقاضي طَرَسُوس المعروف بالخواتِيمي [مائة ألف و](١) عشرون ألف دينار.

وفيها قدِم أبو الفوارس محمد بن ناصر الدولة من الأسْر إلى مَيّافارِقين؛ كانت أخت ملك الروم أخذته لتُفادي به أخاها، فنفّذ سيف الدولة أخاها في ثلاثمائة إلى حصن الهَتّاخ(٢)، فلما شاهد بعضهم بعضاً سرّح المسلمون أسيرَهم في خمسة فوارس وسرّح الروم أسيرهم أبا الفوارس في خمسة؛ فالتقيا في وسط الطريق وتعانقا، ثم صار كلّ واحد إلى أصحابه فترجّلوا له وقبّلوا الأرض؛ واحتفل سيف الدولة بن حَمْدان لقدوم ابن أخيه وعمِل الأسمطة الهائلة، وقدّم له الخيل والمماليك والعُدَد التامّة؛ فمن ذلك مائة مملوك بمناطقهم وسيوفهم وخيولهم.

وفيها جاء الخبر بأنّ نائب أنطاكيّة محمد بن موسى الصّلحِيّ أخذ الأموال التي في خزائن أنطاكية وخرج بها كأنّه متوجّه إلى سيف الدولة بن حَمْدان فدخل بلاد الروم مرتدّاً. وقيل: إنه كان عزم على تسليم أنطاكية إلى الروم، فلم يمكنه ذلك لاجتماع أهل البلد على ضبطه، فخشِيَ أن يَنِمّ خبره إلى سيف الدولة فيُتلِفه فهرَب بالأموال.

وفيها قَدِم الغُزاة الخُراسانية من الغزو إلى ميّافارقين، فتلقّاهم

(١) زيادة عن البداية والنهاية وعقد الجمان والمنتظم وتجارب الأمم. وذكر ابن الأثير أن السبب في حمل الحجاج لتلك الأموال معهم أن كثيراً منهم، من أهل الشام والثغور، هربوا خوفاً من الروم بأموالهم وأهليهم وقصدوا مكة ليسيروا منها إلى العراق.

(٢) في الأصل وتاريخ الإسلام: «الهياج». وفي تجارب الأمم: «الهياح» بالحاء المهملة؛ وجميعها تصحيف. والتصحيح عن الأعلاق الخطيرة لابن شداد: ج ٣، ق ١، ص ٣٠٩. وقلعة الهتّاخ (بالتاء المثناة المفتوحة المشددة وخاء معجمة في آخرها) هي قلعة حصينة في ديار بكر بالقرب من ميافارقين. وقلعة الهتاخ الشهيرة هي «عتاق» والآن تدعى «ليجة» في ولاية ديار بكر بتركية (شرفنامه: ١/٢٤٠). وجاء في اللؤلؤ المنثور: ص ٥٢٠: أن العامة تسميها: أنطاخ. (حاشية عن الأعلاق الخطيرة: ص ٨٤٤).

أبو المعالي[١] بن سيف الدولة وبالغ في إكرامهم بالأطعمة والعُلُوفات. وكان رئيس الغزاة المذكورين محمد بن عيسى.

وفيها سار طاغية الروم بجموعه إلى الشام، فعاث وأفسد وأقام به نحو خمسين يوماً؛ فبعث سيف الدولة يستنجد أخاه ناصر الدولة لبعده؛ ووقع لسيف الدولة مع الروم حروب ووقائع كثيرة.

وفيها توفّي محمد بن عمر بن محمد بن سالم، أبو بكر [بن][٢] الجِعَابيّ التميميّ البغداديّ الحافظ قاضي المَوْصِل سمع الكثير ورحل وكان حافظ زمانه. صحِب أبا العباس بن عُقْدة[٣]، وصنّف الأبواب والشيوخ والتاريخ، وكان يتشيّع؛ وروَى عنه الدارقطنيّ وأبو حفص بن شاهين والحاكم أبو عبد الله وآخرون آخرهم وفاةً[٤] أبو نعيم الحافظ. ومولده في صفر سنة أربع وثمانين ومائتين. قال أبو عليّ[٥] الحافظ النيسابوريّ: ما رأيت في المشايخ أحفظَ من عَبْدان[٦]، ولا رأيت في أصحابنا أحفظَ من أبي بكر [بن][٢] الجِعابيّ!.

وفيها توفّي محمد بن الحسين بن عليّ بن الحسن الأنباريّ الشاعر المشهور؛ كان آنتقل إلى نيسابور فسكنها إلى أن مات بها في شهر رمضان. وكان من فحول الشعراء. ومن شعره وقد رأيته لغيره: [مخلّع البسيط]

أبكي وتَبكِي الحمام لكنْ شَتَّانَ ما بينها وبَيْنِي
تبكي بعينٍ بغير دمعٍ وأبكِي بدمع بغير عين

ويعجبني في هذا قول أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز: [الوافر]

---

(١) هو سعد الدولة، أبو المعالي، شريف بن علي بن عبد الله بن حمدان. ملك حمص وحلب وما بينهما بعد أبيه. ومات بعلة الفالج بحلب سنة ٣٨١هـ. (الأعلام: ٨/٢٣٨).

(٢) زيادة عن تذكرة الحفاظ وعقد الجمان وابن الأثير.

(٣) هو أحمد بن محمد بن سعيد، ابن عقدة الكوفي، أبو العباس المتوفى سنة ٣٣٢هـ. (الأعلام: ١/٢٠٧).

(٤) في الأصل: «وفاء». والتصحيح عن تاريخ الإسلام للذهبي.

(٥) هو الحسين بن علي بن يزيد بن داود الحافظ المتوفى سنة ٣٤٩هـ.

(٦) هو عبدان بن أحمد بن موسى الجواليقي الأهوازي، أبو محمد الحافظ المتوفى سنة ٣٠٦هـ.

بكت عيني غداة البَيْن حزناً وأخرى بالبكا بَخِلَتْ علينا
فعاقبتُ التي بخلت بدمع بأن غمّضتها يوم ٱلتقينا

ومما يجيش ببالي أيضاً في هذا المعنى قول القائل، ولم أدر لمن هو غير أنني أحفظه قديماً: [المجتث]

قالت سعادُ أتبكِي بالدمع بعْد الدماءِ
فقلتُ قد شاب دمعِي من طول عُمْر بكائي

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو الحسن(١) عليّ بن الحسن بن عَلّان الحرّاني الحافظ يوم النحر، وأبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن سالم التميميّ [بن] الجِعَابيّ، وأبو الحكم منذر بن سعيد البَلُّوطيّ قاضي الأندلس وعالمها ومفتيها.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وثماني أصابع. مبلغ الزيادة أربع عشرة ذراعاً وتسع عشرة إصبعاً(٢).

* * *

السنة الثانية من ولاية كافور الإخشيذيّ على مصر

وهي سنة ست وخمسين وثلاثمائة.

فيها عمِلت الرافضة المأتَم في يوم عاشوراء ببغداد على العادة.

وفيها مات السلطان معزّ الدولة بن بُوَيْه الآتي ذكره؛ وتولّى مملكة العِراق من بعده ٱبنُه عزّ الدولة بَخْتِيَار بن أحمد بن بويه.

وفيها قَبَض على الملِك ناصِر الدولة الحسنِ بن عبد الله بن حَمْدان ولده

---

(١) في الأصل: «أبو الحسين علي بن الحسين» وهو تحريف. والتصحيح عن شذرات الذهب وتذكرة الحفاظ وتاريخ الإسلام للذهبي.

(٢) في «إغاثة الأمة» للمقريزي: «وأصابع». راجع ما نقلناه عن المقريزي في الجزء الثالث، حوادث سنة ٣٥٢هـ عن ارتفاع الأسعار والغلاء في الدولة الإخشيدية.

أبو تَغْلِب[١]، لأنّ أخلاقَه ساءت وظلَم وقتلَ جماعة وشتَم أولادَه وتزايد أمرُه؛ فقبَض عليه ولدُه المذكور بمَشُورة [رجال] الدولة في جمادى الأولى، وبعثه إلى القلعة[٢] ورتّب له كل ما يحتاج إليه ووسّـع عليه.

وفيها توفي السلطان معزّ الدولة أبو الحسن أحمد بن بُوَيه بن فَنَّا خُسْرُو بن تمام بن كوهي؛ كان أبوه بُوَيه يصطاد السمك وكان ولده هذا ربما آحتطب ــ وقد تقدّم ذكر ذلك كلّه في محلّه في هذا الكتاب ــ فآل أمره إلى المُلْك. وكان قدومه إلى بغداد سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وكان موته بالبطن، فعهِد إلى ولده عزّ الدولة أبـي منصور بَخْتِيَار، وكان الرّفْض في أيّامه ظاهراً ببغداد؛ ويقال: إنه تاب قبل موته وتصدّق وأعتق. قلت: وجميـع بني بُوَيه على هذا المذهب القبيـح غير أنهم لا يُفْشون ذلك خوفاً على المُلْك. ومات معزّ الدولة في سابـع عشر شهر ربيـع الآخر عن ثلاث وخمسين سنة؛ وكانت دولته اثنتين وعشرين سنة. وكان قد ردّ المواريث إلى ذَوِي الأرحام. ويقال: إنه من ذرّيّة سابور[٣] ذي الأكتاف وهو أخو ركن الدولة الحسن، وعماد الدولة عليّ. وكان معزّ الدولة يُعرف بالأقطـع؛ كان أصابته جراح طارت بيده اليسرى وبعض أصابـع اليمنى. وهو عمّ عضد الدولة الآتي ذكره أيضاً.

وفيها توفي عليّ بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهَيْثم، الإمام العلاّمة أبو الفرج الأصبهانيّ الكاتب، مصنّف كتاب «الأغاني» وغيره؛ سمِـع الحديث وتفقّه وبرَع وآستوطن بغداد من صِباه، وكان من أعيان أدبائها؛ كان أخبارياً نسّابة شاعراً ظاهراً بالتشيّـع[٤]. قال أبو عليّ التَّنُوخيّ: كان أبو الفرج يحفظ من الشعر والأغاني

(١) هو الأمير عدّة الدولة، فضل الله أبو تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة الحسن. قتل سنة ٣٦٩هـ بالرملة. (الأعلام: ٥/١٢٠).

(٢) هي قلعة «أَردَمَشْت» كما في الأعلاق الخطيرة لابن شداد ووفيات الأعيان. وفي تاريخ الزمان لابن العبري «قلعة كواشي»، وهما اسمان لقلعة واحدة حصينة قرب جزيرة ابن عمر في شرقي دجلة على جبل الجودي، تحتها دير الزعفران (مراصد الاطلاع: ١/٥٤ و٣/١١٨٤). ومن الأسماء التي أطلقت على قلعة أردمشت: قلعة الصوارة وقلعة السلامة.

(٣) في الأصل: «شابور» بالشين المعجمة.

(٤) كان أبو الفرج الأصبهاني، مـع كونه من صميم بني أمية، على مذهب الشيعة. فقد قال التنوخي عنه: ــ ومن المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهاني. وقال ابن شاكر في عيون التواريـخ عنه: إنه كان =

والأخبار والمُسْندات والأنساب ما لم أر قطُّ مثلَه، ويحفَظ سِوَى ذلك من علوم أخر، منها: اللغة والنحو والمغازِي والسِّيَر. قلت: وكتاب الأغاني في غاية الحسن. وكان منقطعاً إلى الوزير المهلّبِيّ وله فيه غُرَر مديح، وله فيه من جملة قصيدة يهنّئه بمولود من سُرِّيّة [روميّة][1]: [الكامل]

إِسْعَدْ بمولودٍ أتاك مباركاً ... كالبدر أشرقَ جُنْحَ ليلٍ مُقْمِرِ
سعدُ لوقتِ سعادةٍ جاءت به ... أمٌّ حَصَانٌ[2] من بنات الأصفرِ
متبحبح[3] في ذِرْوَتَيْ شرف العُلا ... بين[4] المهلّب منتماه وقَيْصَر
شمس الضحى قُرِنت إلى بدر الدُّجَى ... حتى إذا آجتمعا[5] أتت بالمُشْتَرِي

وشعره كثير ومحاسنه مشهورة. ولادته في سنة أربع وثمانين ومائتين، وهي السنة التي مات فيها البُحترِيّ الشاعر. ومات في يوم الأربعاء رابعَ عشر ذي الحجة.

وفيها توفّي سيف الدولة أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن حَمْدان بن حَمْدون بن الحارث بن لُقمان بن راشد بن المُثنّى بن رافِع بن الحارِث بن غُطَيف بن محربة[6] بن حارثة بن مالك بن عُبيد بن عَدِيّ بن أُسَامة بن مالك بن بكر بن حَبيب بن عمرو[7] بن غَنْم بن تَغْلِب التغلَبيّ، ومولده في يوم الأحد سابعَ عشرَ ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثمائة، وقيل: سنة إحدى وثلاثمائة قال أبو منصور الثعالبي: «كان بنو حَمْدان ملوكاً، و[أمراء][8]؛ أوجههم للصباحة، وألسنتُهم للفصاحة،

= ظاهر التشيّع. وقال ابن الأثير في تاريخه: وكان أبو الفرج شيعياً، وهذا من العجب. (الأغاني: ٣٤/١، المقدمة، طبعة الهيئة المصرية).

(١) زيادة عن المرجع السابق، ص ٣٧.
(٢) الحَصَان: العَفيفة.
(٣) أي متمكن. وفي الأصل: «متبجح». والتصحيح عن المرجع السابق.
(٤) في الأصل: «شرف الوزير ابن المهلب...» وما أثبتناه عن المرجع السابق.
(٥) في الأصل: «اجتمعت». وما أثبتناه عن المرجع السابق.
(٦) كذا في ابن خلكان وعقد الجمان. وفي الأصل: «محرية بن جارية».
(٧) في الأصل: «عمر بن غنم» وما أثبتناه عما سبق.
(٨) زيادة عن يتيمة الدهر: ١٥/١.

وأيديهم للسماحة، وعقولُهم للرّجاحة؛ وسيف الدولة مشهور بسيادتهم، وواسِطة قِلادتهم[١]. وحضرته مقصِد الوفود، ومطلَع الجود؛ وقِبْلة الآمال، ومحطّ الرحال؛ ومَوسِم الأدباء، وحَلْبة الشعراء». وكان سيف الدولة ملكاً شجاعاً مِقداماً كريماً شاعراً فصيحاً ممدَّحاً. وقَصَده الشعراء من الآفاق، ومدحه المتنبيّ بغُرر المدائح. ومن شعر سيف الدولة في قوس قُزَح: [الطويل]

وساقٍ صبيح للصَّبُوح دعـوتُـهُ ... فقـام وفي أجفانـه سِنَـةُ الغَمْضِ
يـطوف بكاسـات العُقـار كـأنجمٍ ... فمن بين مُنْقَضٍّ علينـا ومـنفضٍّ
وقد نشرتْ أيدي الجَنُوب مَطارفاً ... على الجوّ دُكناً والحواشي على الأرض
يـطرّزها قـوسُ السحاب بـأصفـرٍ ... على أحمرٍ في أخضر إثر[٢] مبْيَضٍّ
كـأذيال خَـوْد أقبلت في غلائـلٍ ... مُصَبّغـةٍ والبعض أقصرُ من بعض

قال آبن خلّكان: وهذا من التشبيهات الملوكِيّة التي لا يكاد يحضُر مثلُها للسوقة. ويحكى أنّ آبن عمّه أبا فِراسٍ الأمير الشاعر كان يوماً بين يَدَيْ سيف الدولة في نفر من ندمائه؛ فقال لهم سيف الدولة: أيّكم يُجيز قولي؟ وليس له إلاّ سيّدي (يعني آبن عمّه أبا فِراس المذكور) وقال: [مجزوء الخفيف]

لـك جِـسـمـي تُـعِـلُّهُ ... فـدَمِـي لِـمْ تُـحِـلُّهُ

فآرتجل أبو فراس وقال:

[قـال][٣] إن كنتَ مـالِكـاً ... فَـلِـيَ الأمـرُ كـلُّهُ

فاستحسنه وأعطاه ضَيْعة بأعمال مَنْبِج تُغِلّ ألفي دينار في كلّ سنة. ومن شعر سيف الدولة أيضاً: [الطويل]

تجنّى عليَّ الـذنبَ والذنبُ ذنبُـهُ ... وعـاتبني ظلماً وفي شِقّـه العَتْبُ
وأعـرض لمّـا صار قلبـي بكفّـهِ ... فهلّا جفاني حين كانَ لِيَ القلبُ
إذا بَـرِم المـولى بخـدمـة عبـده ... تجنّى له ذنباً وإن لم يكن ذنبُ

ولـه: [مجزوء الوافر]

---

(١) ترك المؤلف بعد هذا حوالي خمسة أسطر لم ينقلها عن اليتيمة.
(٢) في ابن خلكان ويتيمة الدهر: «تحت مبيض».
(٣) في الأصل: «أنا». والتصحيح عن ابن خلكان.

أُقبِّله على جَزَعٍ كشرب الطائر الفزِعِ
رأى ماءً فأطمعه وخاف عواقب الطمَعِ
فصادف خُلسَة فدَناً ولم يلتذّ بالجُرَعِ

وأما ما قيل في سيف الدولة من المديح فكثير يضيق هذا المحلّ عن ذكر شيء منه. وكانت وفاته يوم الجمعة في ثالث ساعة، وقيل: رابع ساعة، لخمس بَقيْنَ من صفر بحلب. ونُقِل إلى ميّافارقين ودُفِن في تربة أمّه وهي داخل البلد. وكان مرضه بعُسْر البول. وكان قد جَمَع من نَفْض الغُبار الذي يجتمع عليه في غَزَواته شيئاً، وجعله لَبِنة بقدر الكفّ، وأوصَى أن يُوضع خدُّه عليها في لَحْده، فنُفِّذت وصيّتُه في ذلك. وكان مَلكَ حلب في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة؛ انتزعها من يد أحمد بن سعيد الكلابيّ صاحِب الإخشيذ، وكان قبل ذلك ملك واسط وتلك النواحي.

وفيها تُوفّي جعفر بن محمد بن الحارث الشيخ أبو محمد المراغي المحدّث المشهور؛ كان فاضلاً راوية للشعر. قال: أنشدني منصور بن إسماعيل الفقيه: [مجزوء الكامل]

لِي حِيلةٌ فيمن يَنُمّ وليس في الكذّاب حِيلهْ
من كان يخلُق ما يقول فحيلتِي فيه قليله

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وأربع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة اثنتا عشرة ذراعاً وسبع عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة من ولاية كافور الإخشيذيّ على مصر

وهي سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وهي التي مات فيها كافور المذكور حسب ما تقدّم ذكره.

فيها عمِلت الرافضة مأتم الحسين بن عليّ في بغداد على العادة في كلّ سنة في يوم عاشوراء.

وفيها لم يحجّ أحد من الشام ولا من مصر.

وفيها في ذي القعدة أقبل تقفور عظيم الروم بجيوشه إلى الشام فخرج من دَرْبَنْد[١] ونازل أنطاكيّة فلم يلتفتوا إليه؛ فقال: أرحَلُ وأُخرِّب الشام ثم أعود إليكم من الساحل؛ ورحل ونازل مَعَرّة مَصْرِين[٢] فأخذها وغدَر بهم وأسرَ منهم أربعة آلاف وستمائة نَسَمة. ثم نزل على مَعَرّة النُّعمان[٣] فأحرق جامعها؛ وكان الناس قد هربوا في كلّ وجه إلى الحصون والبراريّ والجبال. ثم سار إلى كَفَرْطاب[٤] وشَيْزَر[٥]، ثم إلى حَمَاةَ وحِمْص وخرج من بقِي بها فأمّنهم ودخلها وصلّى في البيعَة وأخذ منها رأس يحيى بن زكريا، وأحرق الجامع. ثمّ سار إلى عِرْقة[٦] فآفتتحها، ثم سار إلى طَرَابلُس فأخذ ربَضَها. وأقام في الشام أكثر من شهرين ورجع؛ فأرضاه أهل أنطاكية بمال عظيم.

وفيها تزوّج عزّ الدولة بَخْتِيَار بن معزّ الدولة أحمد بن بُوَيه بآبنة عسكر الروميّ الكرديّ على صداق مائة ألف دينار.

وفيها قُتِل أبو فراس [الحارث[٧]] بن أبي العلاء سعيد بن حمدان التغلَبِيّ العدويّ، الأمير الشاعر الفصيح؛ تقدّم بقية نسبه في ترجمة آبن عمّه سيف الدولة بن حَمْدان؛ ومولده بمَنْبِج في سنة عشرين وثلاثمائة؛ وكان يتنقّل في بلاد الشام في دولة آبن عمّه سيف الدولة بن حَمْدان؛ وكان من الشُّجْعان والشعراء المُفْلِقين؛ وديوان شعره موجود. ومن شعره قصيدة: [الوافر]

---

(١) الدربَنْد أو باب الأبواب؛ وفي النصوص القديمة «الباب والأبواب»، وكثيراً ما يشار إليه باسم «الباب» فحسب. وهو الاسم العربي الذي يطلق على ممر وحصن في الطرف الشرقي من القوقاز. ويقال له «دربند» بالفارسية، وقد تحول الاسم تحت التأثير التركي إلى «الباب الحديدي». ويقال أيضاً: الدربندات» وهي أفمام وديان شرقي القوقاز. (انظر دائرة المعارف الإسلامية: ٥١٢/٥).

(٢) معرّة مصرين: بليدة وكورة بنواحي حلب ومن أعمالها، بينهما نحو خمسة فراسخ. (معجم البلدان).

(٣) معرة النعمان: مدينة قديمة مشهورة من أعمال حمص، بين حلب وحماة. (معجم البلدان).

(٤) كفرطاب: بليدة بين المعرة وحلب. (المرجع السابق).

(٥) شيزر: قلعة قرب المعرّة، بينها وبين حماة يوم. (المرجع السابق).

(٦) عرقة (بكسر العين): بلدة شرقي طرابلس الشام. وهي آخر عمل دمشق في سفح جبل. (المرجع السابق).

(٧) زيادة عن ابن خلكان.

رأيتُ الشيبَ لاح فقلت أهلاً ... وودّعت الغَوَايةَ والشبابا
وما إن شِبتُ من كِبَرٍ ولكِن ... لَقِيتُ من الأحبّة ما أشابا

وله أيضاً: [السريع]

مَن يتمنَّ العمر فليدَّرِعْ ... صبراً على فَقْد أحِبّائه
ومَن يُؤَجَّل يَرَ في نفسه ... ما يتمنّاه لأعدائهِ

وفيها توفّي حمزة بن محمد بن عليّ بن العبّاس، الحافظ أبو القاسم الكنانيّ المصريّ؛ سَمِع الكثير ورحَل وطوّف وجمعَ وصنّف، وروَى عنه آبن مَنْدَه والدارقُطْنيّ والحافظ عبد الغني [بن سعيد الأَزْديّ][1] وغيرُهم. وقال آبن منده: سمِعت حمزة بن محمد الحافظ يقول: كنت أكتب الحديث فلا أكتب «وسلّم»؛ فرأيت النبيّ ﷺ في المنام، فقال [لي][1]: «أما تختم الصلاة عليّ في كتابك»!

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أحمد بن الحسن[2] بن إسحاق بن عُتْبة الرَّازي بمصر، وأبو سعيد أحمد بن محمد بن رُمَيح[3] النَّسَوِيّ، وحمزة بن محمد أبو القاسم الكِنانيّ بمصر، وأبو العباس عبد الله بن الحُسَين النَّضْرِيّ[4] المَرْوَزِيّ في شعبان عن سبع وتسعين سنة، وعمر بن جعفر البَصْريّ الحافظ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عليّ بن مُحْرِم المحتسِب، وأبو سليمان محمد بن الحُسَين الحَرّانيّ، وأبو عليّ محمد [بن محمد بن عبد الحميد بن خالد بن إسحاق][5] بن آدَم الفَزَاريّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراع واحدة وإحدى وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعَ عَشْرةَ ذراعاً وأربعَ عشرةَ إصبعاً.

---

(١) زيادة عن تذكرة الحفاظ.
(٢) في شذرات الذهب: «أحمد بن الحسين».
(٣) في الأصل: «أحمد بن محمد بن سعيد بن رميح» وما أثبتناه عن تذكرة الحفاظ والذهبي والشذرات.
(٤) في الأصل: «البصري» وهو تصحيف. والتصحيح عن الذهبي وشذرات الذهب.
(٥) زيادة عن الذهبي وشذرات الذهب.

ذكر ولاية أحمد[(١)] بن عليّ بن الإخشيد على مصر

هو أحمد بن عليّ بن الإخشيد محمد بن طُغْج بن جُفّ، الأمير أبو الحسن[(٢)] التُّرْكيّ الفَرْغانيّ المصريّ. ولِي سلطنةَ مصر بعد موت مولى جَدّه كافور الإخشيذيّ في العشرين من جُمادَى الأولى سنةَ سبع وخمسين وثلاثمائة وهو يومَ مات[(٣)] كافور، وسنّه يوم ولِيَ إحدَى عشرةَ[(٤)] سنةً؛ وصار الحسن[(٥)] بن عبيد الله بن طُغْج ـ أعني ابن عمّ أبيه ـ [خليفَته][(٦)]، وأبو الفضل جعفر بن الفُرَات [وزيرَه][(٦)]، ومعهما أيضاً سمول[(٧)] الإخشيذيّ مدبِّر العساكر. فأساء أبو الفضل جعفر بن الفرات السيرة وقبض على جماعة وصادرهم، منهم يعقوب بن كِلِّس[(٨)] الآتي ذكرهُ؛ فهرَبَ يعقوب بن كِلِّس المذكور إلى المغرب، وهو من[(٩)] أكبر أسباب حركة المعزّ، وإرسال جوهر القائد إلى الديار المصريّة. ولما زاد أمر آبن الفرات آختلف عليه الجند وآضطربت أمور الديار المصريّة على ما سنذكره بعد أن نذكر مقالة آبن خلكان إن شاء الله تعالى.

---

(١) ولاة مصر: ٣١٥، وخطط المقريزي: ١/٣٣٠، وحسن المحاضرة: ٢/١٥، والمغرب ـ قسم مصر: ١/١٩٩، ومعجم زامباور: ١٤٤، وطبقات سلاطين الإسلام: ٦٧.

(٢) في الكندي والمقريزي وحسن المحاضرة: «أبو الفوارس» وهو الصحيح. وأبو الحسن هو والده، كما جاء في المغرب لابن سعيد، قسم مصر، ص ١٤٩.

(٣) في الأصل: «وهو يوم مات فيه كافور».

(٤) كذا أيضاً في المقريزي وابن خلكان. وفي حسن المحاضرة: «اثنتان وعشرون سنة».

(٥) راجع ص ١١، حاشية (٤).

(٦) زيادة عن المقريزي وعقد الجمان.

(٧) راجع ص ١١، حاشية (٥).

(٨) ترجمته في الإشارة إلى من نال الوزارة لابن الصيرفي: ص ١٩.

(٩) في الأصل: «هو أحد أكبر».

قال آبن خلّكان: «وكان عُمْر أبـي الفوارس أحمد بن عليّ بن الإخشيذ يوم وليَ إحدَى عشرةَ سنة، وجعل الجندُ[١] خليفتَه في تدبير أموره أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طُغْـج بن جفّ، وهو آبن عمّ أبيه، وكان صاحب الرملة من بلاد الشام، وهو الذي مدحه المتنبّي بقصيدته التي أوّلها: [الطويل]:

أنا[٢] لائمي إن كنتُ وقتَ اللوائم عَلِمتُ بما بـي بين تلك المَعَالِم

وقال في مخلصها:

إذا صُلْتُ لم أترُكْ مَصالًا[٣] لفاتكٍ وإن قلتُ لم أتـرك مقالاً لعـالم
وإلّا فخـانتني القـوافي وعـاقني عن آبن عُبيـد الله ضَعْفُ العزائم

ومنهـا:

أرى دون مـا بين الفُرَاتِ وبُـرْقةٍ ضِراباً يُمَشِّي الخيلَ فوقَ الجَمَاجِم
وطـعنَ غَـطَاريـفٍ كـأنّ أكفّـهم عـرفْنَ الرُّدَيْنِيَّـاتِ قبـلَ المعـاصِم
حَمَتْه على الأعداء من كل جانبٍ سيوفُ بني طُغْـج بن جُفّ القماقمِ
هم المحسِنون الكَرّ في حَوْمة الوغَى وأحسنُ منه كرُّهم في المكـارم
وهم يُحْسنون العفوَ عن كلّ مذنبٍ ويحتملون الغُـرْم عن كـلّ غـارِم

قال: ولمّا تقرّر الأمر على هذه القاعدة تزوج الحسن بن عبيد الله فاطمة آبنة عمّه الإخشيذ، ودعوا له على المنابر بعد أبـي الفوارس أحمد بن عليّ صاحب الترجمة. قال: والحسن بالشام. وآستمرّ الحال على ذلك إلى ليلة الجمعة لثلاثَ عشرةَ خلت من شعبان من سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة، ودخل إلى مصر راياتُ المغاربة الواصلين صُحْبةَ القائد جوهر المُعِزّي، وآنقرضت الدولة الإخشيذيّة من مصر. وكانت مدّتها أربعاً وثلاثين سنة وعشرةَ أشهر وأربعةً وعشرين يوماً. وكان قد قَدِم الحسن بن عبيد الله من الشام منهزماً من القَرَامطة لمّا آستولَوْا على الشام.

---

(١) في الأصل: «وجعلوا الجند».
(٢) في الأصل: «أيا لائمي». والتصحيح عن ابن خلكان.
(٣) في الأصل: «محالًا» وهو تحريف. والتصحيح عن ابن خلكان.

ودخل الحسن على ٱبنة عمّه التي تزوّجها وحكَمَ بمصر وتصرّف وقبض على الوزير جعفر بن الفُرَات وصادره وعذّبه؛ ثم سار إلى الشام في مستهلّ شهر ربيع الآخر من سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة. ولمّا سيَّر القائد جوهرٌ جعفرَ بن فَلَاح إلى الشام وملك البلاد أَسَر ٱبنُ فلاح المذكور أبا محمد الحسن بن عُبَيد الله بن طُغْج وسيّره إلى مصر مع جماعة من الأمراء إلى جوهر القائد، ودخلوا إلى مصر في جُمَادَى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة. وكان الحسن بن عبيد الله قد أساء إلى أهل مصر في مدّة ولايته عليهم، فلمّا وصلوا إلى مصر تركوهم وقوفاً مشهورين[١] مقدار خمس[٢] ساعات، والناس ينظرون إليهم، وشمت بهم مَنْ في نفسه منهم شيء؛ ثم أنزلوا إلى مضرَب القائد جوهر وجُعِلوا مع المعتقلين من آل الإخشيذ. ثمّ في السابع عشرَ من جُمَادَى الأولى أرسل القائد جوهر ولدَه جعفراً إلى مولاه المعزّ ومعه هدايا عظيمة تَجِلّ عن الوصف، وأرسل معه المأسورين الواصلين من الشام، وفيهم الحسن بن عبيد الله، وحُمِلوا في مركب بالنيل وجوهر ينظرهم، وٱنقلب المركب، فصاح الحسن بن عبيد الله على القائد جوهر: يا أبا الحسن، أتريد أن تُغرقنا! فاعتذر إليه وأظهر له التوجّع، ثم نقلوا إلى مركب آخر». ٱنتهى كلام ٱبن خلّكان بٱختصار. ولم يذكر ٱبن خلّكان أمر أحمد بن عليّ بن الإخشيذ ــ أعني صاحب الترجمة ــ وأظنّ ذلك لصغر سنّه.

وقال غير ٱبن خلكان في أمر ٱنقراض دولة بني الإخشيذ وجهاً آخر، وهو أن الجند لمّا ٱختلفوا على الوزير أبي الفضل بن الفُرَات وطلَب منه الأتراك الإخشيذيّة والكافوريّة ما لا قدرةَ له به من المال، ولم تُحمل إليه أموال الضمانات[٣]، قاتلوه ونُهبت داره ودُور جماعة من حواشيه. ثم كتب جماعة منهم إلى المعزّ العُبيديّ بالمغرب يستدعونه ويطلبون منه إنفاذ العساكر إلى مصر؛ وفي أثناء ذلك قدِم الحسن بن عبيد الله بن طُغْج من الشام منهزماً من القَرَامطة، ودخل على ٱبنة عمّه،

(١) وصف من الشهرة، وهي الفضيحة.

(٢) في ابن خلكان: «سبع ساعات».

(٣) في الأصل: «ومنعوه طلب الحقوق التي في وجهه الضمان». وما أثبتناه عبارة ابن خلكان.

وقَبَض على الوزير أبـي الفضل جعفر بن الفُرَات لسوء سيرته ولشكوى الجند منه(١)؛ فعذّبه وصادره؛ وتولّى الحسن بن عُبَيد الله تدبيرَ مصر بنفسه ثلاثة أشهر، وآستوزر كاتبَه الحسنَ بن جابِر الرِّيَاحيّ(٢)؛ ثم أطلَق الوزيرَ جعفر بن الفرات من محبِسه بوساطة الشريف أبـي [جعفر](٣) مسلم الحسيني، وفوّض إليه أمر مصر ثانياً؛ كلُّ ذلك وأحمدُ بن عليّ صاحب الترجمة ليس له من الأمر إلّا مجرّد الاسم فقط. ثم سافر الحسن بن عبيد الله بن طُغْـج من مصر إلى الشام في مستهلّ شهر ربيـع الآخر سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة، وبعد مسيره بمدّة يسيرة في جُمَادى الآخرة من السنة وصَل الخبر بمسير عسكر المعزّ صُحبة جوهر القائد الروميّ إلى مصر؛ فجمـع الوزير جعفر بن الفرات [أنصاره](٤) وآستشارهم فيما يعتمد(٥)؛ فآتّفق الرأي على أمرٍ فلم يتمّ. وقدِم جوهر القائد إلى الديار المصريّة بعد أمور نذكرها في ترجمته إن شاء الله تعالى؛ وزالت دولة بني الإخشيذ من مصر وآنقطع الدعاء منها لبني العباس. وكانت مدّة دولة الإخشيذ وبنيه بمصر أربعاً وثلاثين سنة وأربعة وعشرين يوماً(٦)؛ منها دولة أحمد بن عليّ هذا ــ أعني أيام سلطته بمصر ــ سنة واحدة وثلاثة أشهر إلّا ثلاثة أيام. وكانت مدّة الدعاء لبني العباس بمصر منذ آبتدأت دولة بني العبّاس إلى أن قدِم القائد جوهر المُعِزّيّ وخطب بآسم مولاه المعزّ مَعَدّ العُبَيديّ الفاطميّ مائتي سنة وخمساً وعشرين سنة. ومنذ(٧) آفتتحت مصر إلى أن آنتقل كرسي الإمارة منها إلى القائد جوهر ثلاثمائة سنة وتسعاً وثلاثين سنة. آنتهت ترجمة أحمد بن عليّ آبن الإخشيذ.

* * *

(١) في الأصل: «عليه».
(٢) في الأصل: «الزنجاني» وما أثبتناه عن ابن خلكان.
(٣) زيادة عن ابن خلكان.
(٤) زيادة يقتضيها السياق.
(٥) في الأصل: «يعتهد».
(٦) تقدم للمؤلف نقلاً عن ابن خلكان أن مدة الدولة الإخشيدية كانت أربعاً وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً.
(٧) في الأصل: «ومن منذ».

السنة التي حكم في بعضها أحمد بن عليّ بن الإخشيذ على مصر

وكانت ولايته في جُمادى الأولى من السنة الماضية، غير أننا ذكرنا تلك السنة في ترجمة كافور، ونذكر هذه السنة في ولاية أحمد هذا، على أنّ القائد جوهراً حكم في آخرها؛ وليس ما نحن فيه من ذكر السنين على التحرير، وإنّما المقصود ذكر الحوادث على أيّ وجه كان. وهذه السنة هي ثمان وخمسين وثلاثمائة.

فيها عمِلت الرافضة المأتم في يوم عاشوراء ببغداد وزادوا في النَّوْح وتعليق المُسُوح، ثم عيّدوا يوم الغَدِير[١].

وفيها كان القحط ببغداد وأُبيع الكرّ بتسعين ديناراً.

وفيها ملَك جوهر القائد العُبَيديّ مصرَ وخطَب لبني عُبَيد المغاربة، وانقطع الدعاء لبني العبّاس من مصر، حسب ما ذكرناه في ترجمة أحمد بن عليّ ابن الإخشيذ هذا.

وفيها حجّ بالناس من العِراق الشريف أبو أحمد[٢] المُوسَوِيّ والد الرضيّ والمرتضى.

وفيها ولِيَ إمرة دِمَشق الحسن بن عبيد الله بن طُغْج [ابن][٣] أخي الإخشيذ،

(١) عيد الغدير في ليلة الثامن عشر من ذي الحجة. والغدير هو غدير خم بين مكة والمدينة. لما رجع النبي ﷺ من مكة عام حجة الوداع ووصل إلى هذا المكان خطب خطبته المشهورة بخطبة الوداع، وآخى عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه وقال: «عليّ مني كهارون من موسى. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله...» وللشيعة تعلق كبير بهذا اليوم، ويعتبرونه عيداً من الأعياد الإسلامية. (ابن خلكان: ٥/٢٣٠). وقد ابتدأ الاحتفال بعيد الغدير منذ العام ٣٥٢هـ. قال ابن الأثير (حوادث سنة ٣٥٢هـ): وفيها في ثامن عشر ذي الحجة أمر معز الدولة بإظهار الزينة في البلد، وأشعلت النيران بمجلس الشرطة، وأظهر الفرح، وفتحت الأسواق بالليل كما يفعل ليالي الأعياد، فعل ذلك فرحاً بعيد الغدير، وضربت الدبادب والبوقات، وكان يوماً مشهوداً. انظر أيضاً المقريزي: ١/٣٨٨، والخطط التوفيقية: ٢/٩٦.

(٢) هو الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم، كما في وفيات الأعيان.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

فأقام بها شهوراً ثم رحل في شعبان، وآستناب بها سمول الكافوريّ؛ ثم سار الحسن إلى الرملة فآلتقى مع آبن فَلاح مقدِّمة جوهر القائد في ذي الحجة بالرملة؛ فانهزم جيشه. وأُخذ أسيراً وحُمِل إلى المغرب، حسب ما ذكرناه في ترجمة أحمد بن عليّ الإخشيذ صاحب الترجمة.

وفيها عصي جُنْد حَلَب على آبن سيف الدولة، فجاء من ميّافَارقين ونازل حلَب، وبقِي القتال عليها مدّة.

وفيها آستولى الرُّعَيلِيّ على أنطاكيَة، وهو رجل غير أمير وإنّما هو من الشُّطّار، وانضم عليه جماعة فقَوِيَ أمره بهم؛ فجاءت الروم ونزلوا على أنطاكيَة وأخذوها في ليلة واحدة؛ وهرَب الرعيليّ من باب[1] البحر هو وخمسة آلاف إنسان ونجَوْا إلى الشام؛ وكان أخذها في ذي الحجة من هذه السنة، وأسر الرومُ أهلها وقتلوا جماعة كثيرة.

وفيها جاء القائد جعفر[2] بن فَلَاح مقدّمة القائد جوهر العُبَيدي المعزّي إلى الشام؛ فحاربه أميرها الشريف آبن أبي يَعْلَى، فانهزم الشريف وأسره جعفر بن فلاح وتملّك دِمشق.

وفيها توفّي ناصر الدولة الحسن بن أبي الهَيْجاء عبد الله بن حَمْدان ــ تقدّم بقيّة نسبه في ترجمة أخيه سيف الدولة ــ كان ناصر الدولة صاحب المَوْصِل

---

(١) باب البحر: أحد أبواب أنطاكية الخمسة. ومن أبوابها: باب فارس، وباب مسلم. (انظر معجم البلدان: ١/٢٦٨).

(٢) هو جعفر بن فلاح بن أبي مرزوق الكتامي، أبو علي ــ وقيل أبو الفضل ــ أحد قواد المعز الفاطمي المشهورين. وهو من زعماء الكتاميين ورجالهم الذين شادوا بناء الدولة الفاطمية. وكان ابنه أبو الحسن علي بن جعفر بن فلاح من كبار وزراء الدولة الفاطمية بعد ذلك، وكان يلقب بوزير الوزراء ذي الرياستين الأمر المظفر قطب الدولة. قتل بظاهر دمشق عند نهر يزيد في مواجهة مع الحسن الأعصم القرمطي في ذي القعدة سنة ٣٦٠هـ. (وفيات الأعيان: ١/٣٦١، واتعاظ الحنفا: ص ١٥٥، حاشية: ٥، والإشارة إلى من نال الوزارة لابن منجب الصيرفي: ص ٣٠ ــ ٣٢، والبيان المغرب: ١/٢٢١، والحلة السيراء: ١/٣٠٤).

ونواحيها، وكان أخوه سيف الدولة يتأدّب معه، وكان هو أيضاً شديدَ المحبة لسيف الدولة. فلما مات سيف الدولة تغيّرت أحواله لحزنه عليه، وساءت أخلاقه وضَعُف عقله؛ فقبضَ عليه آبنه أبو تَغْلِب الغَضَنْفَر بمشورة الأمراء وحبسه مكرّماً ــ حسب ما ذكرناه ــ فلم يزل محبوساً إلى أن مات في شهر ربيع الأوّل. وقيل: إنّ ناصر الدولة هذا كان وقع بينه وبين أخيه سيف الدولة وَحْشة؛ فكتب إليه سيف الدولة، وكان هو الأصغر وناصر الدولة الأكبر، يقول: [الطويل]

رَضِيتُ لك العُلْيا وقد كنتَ أهلها ... وقلتُ لهم: بيني وبين أخي فَرْقُ
ولم يكُ بي عنها نُكُول وإنّما ... تجافيتُ عن حقّي فتمّ لك الحقُّ
ولا بدّ لي من أن أكون مُصَلِّيًا ... إذا كنتُ أرضى أن يكونَ لك السبقُ

وفيها توفّي سابور بن أبي طاهر القَرْمَطِيّ في ذي الحجة؛ كان طالَبَ قبل موته عمُومتَه بتسليم الأمر إليه فحبسوه، فأقام في الحبس أيّاماً ثم خرج من الحبس؛ وعَمِل في ذي الحجة ببغداد «غديرَ خُمّ» على ما جرت به العادة، ثم مات بعد مدّة يسيرة.

وفيها توفّي أحمد بن الراضي بالله بعد أن طالت علّته بمرض البواسير.

وفيها توفّي محمد بن أحمد بن جعفر الشيخ أبو بكر البَيْهَقي؛ كان من كِبار مشايخ نيسابور في زمانه. سئل عن الفُتوّة، فقال: هي حُسْن الخُلُق وبَذْل المعروف.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حَمْدان التَّغْلِبيّ صاحب المَوْصِل وكان أسنّ من سيف الدولة، والحسن بن محمد بن أحمد بن كَيْسان الحَرْبيّ، وأبو القاسم زيد بن عليّ بن أبي بلال الكُوفيّ، ومحمد بن معاوية الأُمَوِيّ القُرْطُبيّ في شهر رجب.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاثُ أذرع وثلاثَ عشرةَ إصبعاً. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وتسعُ أصابع.

ذكر ولاية جوهر[1] القائد الروميّ المِعزّيّ على مصر

هو أبو الحسن جوهر بن عبد الله القائد المُعِزّي المعروف بالكاتب، مولى المعزّ لدين الله أبي تَميم مَعَدّ العُبَيديّ الفاطميّ. كان خَصِيصاً عند أستاذه المُعِزّ، وكان من كِبار قوّاده[2]؛ ثم جهّزه أستاذُه المعزّ إلى أخذ مصر بعد موت الأستاذ كافور الإخشيدي؛ وأرسل معه العساكر وهو المقدّم على الجميع؛ وكان رحِيله من إفريقيّة في يوم السبت رابعَ عشرَ شهر ربيع الأوّل سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة؛ وتسلّم مصر في يوم الثلاثاء ثامنَ عشرَ شعبان من السنة. على ما سنحكيه.

ولمّا دخلَ مصرَ صعِد المنبرَ يوم الجمعة خطيباً وخطَب ودعا لمولاه المعزّ بإفريقيّة، وذلك في نصف[3] شهر رمضان سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة المذكورة. وكان المعزّ لما ندَب جوهراً هذا إلى التوجّه إلى الديار المصريّة أصحبه من الأموال والخزائن ما لا يُحصَى، وأطلق يَده في جميع ذلك، وأفرغ الذهب في صور[4] الأرحاء، وحملها على الجمال لعظم ذلك في قلوب الناس. وقال في رحيله من

(١) ترجمته وأخباره في: وفيات الأعيان: ٣٧٥/١، وخطط المقريزي: ٣٧٧/١، وخطط علي مبارك: ١٩٢/٣، واتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا للمقريزي، وتهذيب ابن عساكر: ٤١٦/٣، وابن الأثير وابن خلدون وغيرها.

(٢) عظم محل جوهر عند سيّده منذ عام ٣٤٧هـ، وصار في رتبة الوزارة، ثم صيّره قائد جيوشه. (خطط المقريزي، وخطط علي مبارك).

(٣) في ابن خلكان: «يوم الجمعة لعشر بقين من شعبان» ومثله في البيان المغرب، وفيه: «وكان الخطيب أبو محمد الشمشاطي».

(٤) عبارة المقريزي: «في هيئة الأرحية».

القَيْرَوَان شاعرُ الأندلُس محمد[١] بن هانىء قصيدته المشهورة في جوهر، وهي: [الطويل]

رأيتُ بعيني فوق ما كنتُ أسمعُ وقد راعني يومٌ من الحَشْرِ أَرْوعُ
غـداةَ كـأنّ الأفقَ سُـدَّ بمثله[٢] فعاد غُرُوب الشمس من حيث تطلُـعُ
فلم أدر إذ[٣] ودّعتُ كيف أودّع ولم أدرِ إذ شَيّعت كـيف أشـيِّـع
ألا إنّ هذا حَشْدُ من لم يَذُق له غِرارَ الكَرَى جفنٌ ولا بات يَهْجَـعُ
إذا حـلّ في أرض بناهـا مدائنـا وإن سارعن أرضٍ غدت[٤] وهي بلْقـعُ
تَحُـلّ بيـوتُ المـال حيثُ محلُّه وجَمُّ العَـطَايا والـرِّوَاق المُـرَفَّـعُ
وكبَّـرت الفُـرْسـانُ لله إذ بـدا وظَـلَّ السـلاحُ المنتَضَى يتقعقـعُ
وعَبَّ عُبَابُ الموكِب الفخم حَوْلَه وزفّ[٥] كما زفّ الصباح المُلَمَّـعُ
رحلت إلى الفُسطاط أوّلَ رحلةٍ بأيمُنِ فالٍ في الذي أنت تجمـعُ[٦]
فإن يـك في مصرٍ ظمـاء لمَـوْرِدٍ فقد جاءهم نِيلٌ سِوَى النِّيل يَهْرَعُ[٧]
ويَمّمهم مـن لا يُغَـارُ بنعمـة فيَسْلُبُهم لكـن يـزيـد فيُـوسِـع

ولما آستولَى على مصر أرسل جوهرٌ هذا يُهَنّىء مولاه المعزّ بذلك؛ فقال آبن هانىء المذكور أيضاً في ذلك: [الطويل]

---

(١) سيترجم له في حوادث سنة ٣٦٢هـ.
(٢) كذا في المقريزي وديوانه. وفي الأصل: «لمثله» وفي قوله: «فعاد غروب الشمس من حيث تطلع» إشارة إلى كثرة الجند بحيث أظلمت الدنيا بسبب تحركهم نحو الشرق. وفي ضخامة تلك الحملة يروي المقريزي (اتعاظ الحنفا: ٧١) على لسان أحد المصريين الذي قال فيها إنها «مثل جمع عرفات كثرة وعدة».
(٣) في الأصل: «إن» وما أثبتناه عن المقريزي وديوانه.
(٤) في ديوانه: «ثوت».
(٥) كذا في ديوانه. وفي الأصل: «ورفّ كما رفّ». وفي خطط المقريزي: «ورقّ كما رقّ». وزفّ: لمع.
(٦) كذا في الأصل والمقريزي. ورواية الديوان:
رحـلت إلى الفـسـطاط أيمـن رحـلة بـأيمـن فـأل بـالـذي أنـت مجـمـع
(٧) كذا في ديوانه والمقريزي. وفي الأصل: «مشرع».

يقول بنو العبّاس هل[1] فُتِحت مصرُ فقل لبني العبّاس قد قُضيَ الأمرُ
وقد جاوز الإسكندريّة جوهرٌ تصاحبه[2] البُشْرَى ويقدُمه النصرُ

ذكر دخول جوهر إلى الديار المصريّة وكيف ملكَها

قال غير واحد: كان قد آنخرم نظام مصر بعد موت كافور الإخشيديّ لمّا قام على مصر أحمد بن عليّ بن الإخشيذ وهو صغير، فصار ينوب عنه آبن عمّ أبيه الحسن بن عبيد الله بن طغج، والوزير يومئذ جعفر بن الفُرات؛ فقلّت الأموال على الجند، فكتب جماعة منهم إلى المعزّ لدين الله معدّ وهو بالمغرب يطلبون منه عسكراً ليسلّموا إليه مصر؛ فجهّز المعزّ جوهراً هذا بالجيوش والسلاح في نحو ألف فارس أو أكثر، فسار جوهر حتّى نزل بجيوشه إلى تَرُوجَة[3] بقرب الإسكندريّة، وأرسل إلى أهل مصر فأجابوه بطلب الأمان وتقرير أملاكهم لهم؛ فأجابهم جوهرٌ إلى ذلك وكتَبَ لهم العهد[4]. فعلم الإخشيذيّة بذلك، فتأهّبوا لقتال جوهرٍ المذكور؛ فجاءتهم من عند جوهر الكتبُ والعهود بالأمان؛ فآختلفت كلمتهم؛ ثم آجتمعوا على قتاله وأمّروا عليهم آبن الشويزاني[5]، وتوجّهوا لقتاله نحو الجيزة وحفِظوا الجسور؛ فوصل جوهر إلى الجيزة، ووقع بينهم القتال في حادي عشر شعبان ودام القتال

---

(١) كذا في ديوانه. وفي الأصل والمقريزي وابن خلكان وعلي مبارك: «قد فتحت».

(٢) كذا أيضاً في خطط المقريزي. وفي الديوان وابن خلكان: «تطالعه». وفي هذا البيت إشارة إلى الترحاب الذي لاقى به أهل الإسكندرية العساكر الفاطمية. وقد كان جوهر ومولاه المعزّ يعلمان مدى تعلق المصريين بهم في تلك الفترة، ويدل على ذلك أن دعاة المعز وجواسيسه بمصر ــ حين أرسلوا إليه بأن المصريين على هواه ــ أنفذ إليهم أعلاماً وقال: «فرقوها على من يبايع من الجند. وأمرهم إذا قربت العساكر المعزيّة أن ينشروها، فلما قربت العساكر من الإسكندرية فعلوا ذلك. (انظر اتعاظ الحنفا: ٦٦، وكتاب المعز لدين الله لحسن إبراهيم حسن وطه شرف: ص ٨٤).

(٣) هذه القرية كانت موجودة لغاية القرن التاسع الهجري، حيث وردت في كتاب التحفة السنية لابن الجيعان ص ١٢٤ طبع بولاق، وقد درست مساكنها. ومحلها كوم تروجة بحوض تروجة بأراضي ناحية زاوية صقر بمركز أبي المطامير بمديرية البحيرة. (م. رمزي).

(٤) نصّ كتاب العهد أورده المقريزي في اتعاظ الحنفا: ص ٦٧ ــ ٧٠؛ ثم إن جوهراً أكد هذا العهد بعهد آخر أرسله إلى الشريف أبي جعفر مسلم بن محمد، نفس المصدر، ص ٧٢. وذكره ابن خلكان باسم: الشريف أبو جعفر مسلم بن عبد الله الحسيني.

(٥) في ابن خلكان: «نحرير الشويزاني». وفي مخطوطة أخرى من الوفيات: «الشونيزاني».

بينهم مدّة، ثم سار جوهر إلى مُنْية الصيّادِين(١) وأخذ مخاضة منية شَلَقان(٢)؛ ووصل إلى جوهر طائفة من العسكر في مراكب، فقال جوهر للأمير جعفر بن فَلَاح: لهذا اليوم أرادك(٣) المعزّ لدين الله! فعَبَر عُرْياناً في سَرَاوِيل وهو في مركب(٤) ومعه الرجال خوضاً، والتقى مع المصريين(٥) ووقع القتال بينهم وثبت كلٌّ من الفريقين، فقُتِل كثير من الإخشيذيّة وانهزم الباقون بعد قتال شديد. ثم أرسلوا يطلبون الأمان من جوهر فأمّنهم، وحضر رسوله ومعه بَنْد وطاف بالأمان ومنع من النهب؛ فسكن الناس وفُتِحت الأسواق ودخل جوهر من الغد إلى مصر في طبوله وبنوده وعليه ثوبُ دِيباج مذهّب، ونزل بالمُنَاخ، وهو موضع القاهرة اليوم؛ واختطها وحفر أساس(٦) القصر في الليلة، وبات المصريّون في أمن؛ فلمّا أصبحوا حضروا لهنائه(٧) فوجدوه قد حفر أساس القصر في الليل، وكان فيه زَوْرَات غير معتدلة؛ فلمّا شاهد ذلك جوهرٌ لم يُعجبه؛ ثم قال: قد حُفِر في ليلة مباركة وساعة سعيدة [فلا أغيّره](٨)، ثم تركه.

---

(١) ذكر ابن الجيعان في كتابه: التحفة السنية (ص ١٤٦، طبع بولاق) أنها من صفقة «بشتيل» — إحدى قرى مركز امبابة — وتسمى اليوم «ميت النصارى»، وهي مشتركة في السكن من ناحيتي أمبوبة ووراق الحضر بمركز امبابة. (م. رمزي).

(٢) منية شلقان: هي التي تعرف اليوم باسم شلقان، وهي قرية واقعة شرقي القناطر الخيرية بمركز قليوب. (م. رمزي).

(٣) كذا في ابن خلكان. وفي الأصل: «حباك».

(٤) في طبعة دار الكتب: «موكب» وهو تحريف.

(٥) الواقع أن المواجهة العسكرية لم تكن بين المصريين وجيش الفاطميين، وإنما كانت بين هؤلاء وجماعة من الجنود الإخشيدية والكافورية الذين عزّ عليهم أن يستولي جوهر على مصر بهذه السهولة وأن يزول نفوذهم بين عشية وضحاها بدخول الجيوش الشيعية المغربية هذه البلاد. ولما كانت الجندية مصدر رزقهم ونفوذهم وهيبتهم، عولوا على الوقوف في وجه الفاطميين وامتنعوا عن الالتزام بما جاء في عهد جوهر. وهذا يدل على أن الذين قاوموا الحكم الفاطمي لم يكونوا من المصريين الذين حنقوا على الكافورية والإخشيدية وأفتوا بقتالهم وقتلهم على لسان أبي الطاهر قاضي مصر السنّي. (انظر المعز لدين الله: ص ٨٩، واتعاظ الحنفا: ص ٧١).

(٦) في الأصل: «وحفر أساسها من القصر». وما أثبتناه عبارة المقريزي في خططه.

(٧) كذا بالأصل. وفي خطط علي مبارك وصبح الأعشى: «للتهنئة» وفي ابن خلكان: «للهناء».

(٨) زيادة عن ابن خلكان.

ثم كتب جوهر إلى مولاه المعزِّ يبشره بالفتح، وبعث إليه برؤوس القتلى؛ وقطَع خطبة بني العباس ولبسَ السواد، ولبِس الخطباء البياض؛ وأمر أن يقال في الخطبة: «اللهمّ صلِّ على محمد المصطفى، وعلى عليّ المرتضى؛ و[على](١) فاطمة البَتُول، وعلى الحسن والحسين سِبْطَي الرسول؛ [الذين أذهب الله عنهم الرِّجْسَ وطهَّرهم تطهيراً(١)]. وصلِّ على الأئمة الطاهرين آباء أمير المؤمنين، المعزّ لدين الله». ففُعِل ذلك؛ وآنقطعت دعوة بني العباس في هذه السنة من مصر والحجاز واليمن والشام. ولم تزل الدعوةُ لبني عُبَيد في هذه الأقطار من هذه السنة إلى سنة خمس وستين وخمسمائة، مائتي سنة وثماني سنين، على ما يأتي ذكره في خلافة المستضيء العباسيّ.

وكان الخليفة في هذه الأيّام عند آنقطاع خطبة بني العباس من مصر المطيع لله الفضل. ومات المطيع ومن بعده سبعةُ خلفاء من بني العباس ببغداد حتى آنقرضت دولةُ بني عُبَيد من مصر على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب، والخليفة يوم ذاك المستضيء العباسيّ، على ما يأتي ذلك في محلّه إن شاء الله تعالى.

ثمّ في شهر ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة أَذَّنوا بمصر بـ«حيّ على خير العمل»(٢). وآستمرّ ذلك.

ثمّ شرع جوهر في بناء جامعه بالقاهرة المعروف بجامع الأزهر، وهو أوّل جامع بنته الرافضة بمصر؛ وفرغ من بنائه في شهر رمضان سنة إحدى وستين وثلاثمائة بعد أن كان آبتنى القاهرة؛ كما سيأتي ذكر بنائها في هذه الترجمة أيضاً.

---

(١) زيادة عن ابن خلكان وعقد الجمان وشذرات الذهب.

(٢) قال ابن خلكان: «... وخطب عبد السميع بن عمر العباسي الخطيب، وذكر أهل البيت وفضائلهم، ودعا للقائد، وجهر القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم، وقرأ سورة الجمعة والمنافقين في الصلاة، وأذن بحي على خير العمل، وهو أول من أذّن به بمصر، وقنت الخطيب في صلاة الجمعة ــ كل ذلك في جامع ابن طولون. وفي جمادى الأولى من السنة أذنوا في جامع مصر العتيق بحي على خير العمل. ولما دعا الخطيب على المنبر للقائد جوهر أنكر عليه ذلك وقال: ليس هذا رسم موالينا».

ولمّا ملك جوهرٌ مصر كان الحسنُ بن عُبَيد الله بن الإخشيذ المقدّم ذكره بالشام وهو بيده إلى الرملة؛ فبعث إليه جوهر بالقائد جعفر بن فَلاح المقدّم ذكره أيضاً، فقاتل ابنُ فَلاح حسناً المذكور بالرملة حتى ظَفِر به، وبعث به إلى مصر، حسب ما تقدّم ذكره، وبعثه القائد جوهرٌ إلى المغرب؛ فكان ذلك آخر العهد به(١). ثم سار جعفر بن فلاح إلى دِمشق وملَكها بعد أمور، وخطَب بها للمعزّ في المحرّم سنة تسع وخمسين وثلاثمائة. ثم عاد ابنُ فلاح إلى الرملة؛ فقام الشريف أبو القاسم إسماعيل بن أبي يَعْلَى بدمشق وقام معه العوامّ ولَبِس السّواد(٢) ودعا للمطيع، وأخرج إقبالاً أمير دمشق الذي كان من قِبَل جوهر القائد، فعاد جعفر بن فلاح إلى دِمشق في ذي الحجة ونازلها، فقاتله أهلها، فطاولهم حتّى ظَفِر بهم؛ وهرَب الشريف أبو القاسم إلى بغداد على البَرِّيَّة. فقال آبن فلاح: مَن أتى به فله مائةُ ألف درهم، فلَقيه آبن غلبان العَدَويّ في البَرّيّة فقبض عليه وجاء به إلى آبن فَلاح؛ فشهَّره على جمل وعلى رأسه قَلَنْسُوة من لُبُود، وفي لحيته ريش مغروز ومن ورائه رجلٌ من المغاربة يُوقِع به، ثمّ حبسه؛ ثمّ طلبه آبن فلاح ليلاً وقال له: ما حملك على ما صنعتَ؟ وسأله مَنْ ندبه إلى ذلك؛ فقال: ما حدّثني به أحد إنّما هو أمرٌ قُدِّر؛ فرَقّ له جعفرُ بن فلاح ووعده أنه يكاتب فيه القائد جوهراً، وآسترجع المائة ألف درهم من الذين أتَوْا به، وقال لهم: لا جزاكم الله خيراً! غدرتم بالرجل. وكان آبن فلاح يحبّ العلويّين، فأحسن إليه وأكرمه.

وآستمرّ جوهر حاكم الديار المصريّة إلى أن قَدِم إليها مولاه المعزّ لدين الله مَعَدّ في يوم الجمعة ثامن شهر رمضان سنة آثنتين وستين وثلاثمائة؛ فصُرِف جوهرٌ عن الديار المصريّة بأستاذه المعزّ، وصار من عظماء القوّاد في دولة المعزّ وغيره. ولا زال جوهر على ذلك إلى أن مات في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، ورثاه الشعراء. وكان جوهرٌ حسنَ السيرة في الرّعية عادلاً عاقلاً شجاعاً مدبِّراً.

(١) ... وفي المغرب بايع الحسن بن عبيد الله للمعز الفاطمي؛ ثم أعيد إلى مصر فاقام إلى أن توفي سنة ٣٧١هـ. (الأعلام: ٢/١٩٨).
(٢) وهو شعار العباسيين.

قال آبن خلّكان (رضي الله عنه): تُوُفّي يوم الخميس لعشر بقِين من ذي القعدة سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة. وكان ولده الحسين بن جوهر قائد القوّاد للحاكم صاحب مصر، ثم نقم عليه فقتله في سنة إحدى وأربعمائة؛ وكان الحسين قد خاف على نفسه من الحاكم، فهرب هو وولده وصِهْرُه القاضي عبد العزيز بن [محمد بن][1] النعمان، وكان زوجَ أخته؛ فأرسل الحاكم مَن ردّهم وطيّب قلوبهم وآنسهم مدّة. ثم حضروا إلى القصر بالقاهرة للخدمة، فتقدّم الحاكم إلى راشد وكان سيفَ النِّقمة، فآستصحب عشرةً من الغِلْمان الأتراك، فقتلوا الحسين بن جوهر وصهرَه القاضي وأحضروا رأسيهما إلى بين يدي الحاكم. وقد ذكرنا الحسين هنا حتى يعرف بذكره أن جوهراً المذكور فحلٌ غير خَصيّ، بخلاف الخادم بهاء الدين قراقوش والأستاذ كافور الإخشيذي والخادم رَيْدَان[2] وغيرهم.

ذكر بناء جوهر القائد القاهرة وحاراتها

قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر[3] في كتابه «الروضة [البهية][4] الزاهرة، في الخطط المعزيّة القاهرة»؛ قال: «آختطّ جوهر القصر وحَفَر أساسه في أوّل ليلة نزوله القاهرة، وأدخل فيه دَيْر العظام، وهو المكان المعروف الآن بالركن[5] المُخَلَّق قُبالة حوض جامع الأقمر، قريب من بئر العظام، والمصريون يسمّونها بئر

(١) زيادة عن شذرات الذهب ومعجم البلدان.
(٢) هو أبو الفضل ريدان الصقلبي صاحب المظلة.
(٣) هو القاضي عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجذامي السعدي، محيي الدين المتوفى سنة ٦٩٢هـ. كان صاحب ديوان الإنشاء بمصر لكل من الملك الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والأشرف خليل من ملوك المماليك البحرية، وكان له شأن إبان حكم هؤلاء الملوك جميعاً. (انظر الدراسة الوافية عنه في مقدمة كتابه: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ــ بتحقيق مراد كامل ومحمد علي النجار، الجمهورية العربية المتحدة ١٩٦١).
(٤) زيادة عن كشف الظنون والمقريزي.
(٥) الركن المخلّق: يطلق هذا الاسم على الزاوية التي كان يتلاقى فيها الحائط البحري للقصر الكبير بالحائط الغربي له. وهذا الركن موضعه اليوم الزاوية البحرية الغربية للمنزل رقم (١١) بشارع التمبكشية تجاه دورة مياه الجامع الأقمر، وبأسفل هذا المنزل مسجد قديم يعرف بمعبد موسى. (م. رمزي).

العظمة، ويزعمون أنّ طاسة وقعت من شخص في بئر زمزم وعليها آسمه، فطلعت من هذه البئر. ونقل جوهرٌ القائد العظام[١] التي كانت في الدير المذكور والرمم إلى دير في[٢] الخندق فدفنها؛ لأنه يقال: إنّها عظام جماعة من الحَوَارِيّين، وبنى مكانها مسجداً[٣] من داخل السور، وأدخل أيضاً قصر الشوك في القصر المذكور، وكان منزلاً تنزله[٤] بنو عُذْرة، وجعل للقصر أبواباً: أحدها باب العيد[٥] وإليه تنسب رحبة باب العيد؛ وإلى جانبه باب يُعرف بباب الزُّمُرُّذ[٦]؛ وباب آخر[٧] قُبَالةَ دار الحديث

(١) في الأصل: «ونقل جوهر القائد بئر العظام».

(٢) كذا بالأصل. وفي المقريزي: «دير الخندق». وهذا الدير كان بظاهر القاهرة من بحريها، عمره القائد جوهر عوضاً عن دير هدمه كان بالقرب من الجامع الأقمر حيث البئر التي تعرف ببئر العظمة. وقد هدم دير الخندق في سنة ٦٧٨هـ في أيام المنصور قلاوون ثم جدد بدله كنيستان، إحداهما أقيمت في محل الدير الأصلي، وهي التي تعرف اليوم باسم كنيسة «أنبارويس» بجبانة الأقباط بشارع الملكة نازلي بجهة الدمرداش. والثانية واقعة بالجهة البحرية من الأولى، وتعرف اليوم باسم «دير الملاك البحري» غربي محطة الدمرداش. (م. رمزي). وانظر خطط المقريزي: ٢/٥٠٧، ٥١١.

(٣) هذا المسجد هو الذي يعرف اليوم باسم «معبد موسى» بجوار الركن المخلق الواقع تجاه دورة مياه الجامع الأقمر. ولم تزل آثار هذا المعبد باقية تحت المنزل رقم (١١) بشارع التمبكشية. (م. رمزي). وانظر المقريزي: ٢/٤١٢.

(٤) كذا في الخطط التوفيقية: ١/٣١. وعبارة علي مبارك: «وكان بهذه الرملة (يعني مكان القاهرة) أيضاً موضع يعرف بقصيِّر الشوك (بصيغة التصغير) تنزله بنو عذرة في الجاهلية، وصار عند بناء القاهرة خطاً يعرف بقصر الشوك.

(٥) باب العيد: هو من الأبواب الشرقية للقصر الكبير داخل درب السلامي بخط رحبة باب العيد، وسمي بذلك لأن الخليفة كان يخرج منه في يومي العيد إلى المصلى التي كانت بظاهر باب النصر. (المقريزي: ١/٤٣٥، وخطط علي مبارك: ٢/٩٤) وموضع هذا الباب اليوم حوش الوكالة وقف الست نفيسة رقم ٢٠ بشارع قصر الشوك الشهيرة بوكالة عبده. (م. رمزي).

(٦) من الأبواب الشرقية للقصر الكبير. سمي بذلك لأنه كان يتوصل منه إلى قصر الزمرد. وكان واقعاً في مكان المدرسة الحجازية. (المقريزي: ١/٤٣٥، وعلي مبارك: ٢/٩٤) وموضعه اليوم محراب جامع الحجازية بعطفة القفاصين بشارع حبس الرحبة بالجمالية. (م. رمزي).

(٧) وهو باب البحر، من أبواب القصر الغربية. سمي بذلك لأن الخليفة كان يخرج منه عندما يقصد التوجه إلى شاطىء النيل بالمقس. وموضع باب البحر يعرف بباب قصر بشتاك قبالة المدرسة الكاملية، وهو من إنشاء الحاكم بأمر الله. (المقريزي وعلي مبارك). قال محمد رمزي: وموضعه اليوم مدخل حارة بيت القاضي تجاه جامع الملك الكامل بشارع بين القصرين.

(يعني المدرسة الكامليّة)؛ وباب آخر قُبَالَةَ القُطْبيّة وهي البِيمَارستان الآن، يُعرف الباب المذكور بباب الذهب[١]؛ وباب الزُّهومة[٢]؛ وباب آخر[٣] من ناحية قصر الشوك؛ وباب آخر من عند مشهد الحسين، ويُعرف بباب التُّربة[٤]؛ وباب آخر يُعرف بباب الدَّيْلم[٥]، وهو باب مشهد الحسين الآن قُبالة دار الفِطْرة[٦]. قال: وأمّا أبواب القاهرة التي آستقرّ عليها الحال الآن فيأتي ذكرها[٧].

---

(١) كذا في المقريزي والخطط التوفيقية وصبح الأعشى (ج ٣ ص ٣٥٠). وفي الأصل: «باب الزهري»، وهو خطأ. وهو من أبواب القصر الغربية، ومن أعظم الأبواب وأجلها، كانت تدخل منه المواكب وجميع أهل الدولة، وكان تجاه البيمارستان المنصوري. ومحله محراب المدرسة الظاهرية الواقعة بعطفة جامع طاهر على يمين الداخل بشارع بيت القاضي من جهة شارع بين القصرين (م. رمزي).

(٢) باب الزهومة: هو من الأبواب الغربية للقصر الكبير؛ سمي بذلك لأن اللحوم وحوائج الطعام التي كانت تدخل إلى مطبخ القصر كان يدخل بها من هذا الباب، وكان من داخل الزقاق المشهور الآن بخان الخليلي الذي تجاه وكالة الجوهرجية. وموضعه اليوم الدكاكين الواقعة في أوّل شارع خان الخليلي على يسار داخله من جهة شارع القمصانجية من شارع بين القصرين. والزهومة: الزفر (م. رمزي).

(٣) لم يذكر المؤلف اسم هذا الباب، وسماه المقريزي: باب قصر الشوك. وهو ثالث الأبواب الشرقية للقصر الكبير، كان يتوصل منه إلى قصر الشوك. وموضعه اليوم مدخل عطفة القزازين بدرب القزازين (م. رمزي).

(٤) في الأصل: «باب السرية»، وصوابه: «باب التربة» الذي يعرف بباب تربة الزعفران، كما هو وارد في الخطط المقريزية: ٤٣٥/١. وهو من أبواب القصر الكبير القبلية، كان يتوصل منه إلى مقابر الخلفاء التي كانت بداخل القصر حيث المدرسة البديرية خلف المدارس الصالحية النجمية. وقال علي مبارك المتوفى سنة ١٣١١هـ: ومحله الآن الباب المعقود الذي يسلك منه إلى البادستان تجاه خان النحاس المسمى في بعض حجج الأملاك المحررة في القرن العاشر بخان الفسقية. وقبل ذلك كان يسمى بخان العجم. وموضع هذا الباب اليوم مدخل وكالة القطن بسكة البادستان بخان الخليلي (م. رمزي).

(٥) باب الديلم، قال المقريزي: «إنه كان يدخل منه إلى المشهد الحسيني، وإنه كان تجاه دار الفطرة التي أصلها من إصطبل الطارمة». وموضع هذا الباب اليوم بوّابة أثرية قديمة يعلوها مئذنة قديمة من عهد الدولة الأيوبية واقعة على مدخل شارع الباب الأخضر الموصل إلى الباب الأخضر الشرقي لمسجد سيدنا الحسين (م. رمزي).

(٦) دار الفطرة، قال المقريزي: ٤٢٥/١: دار الفطرة كانت خارج القصر قبالة باب الديلم ومشهد الحسين، بناها العزيز بالله وقرر فيها ما يعمل مما يحمل من الفطرة إلى الناس في العيد. ومحلها اليوم الدور الواقعة في أوّل شارع فريد على يمين الداخل فيه من جهة الميدان القبلي لجامع سيدنا الحسين تجاه بوّابة شارع الباب الأخضر (م. رمزي).

(٧) وقد أغفل المؤلف الباب التاسع للقصر الكبير هو بابه البحري الوحيد المسمى باب الريح. قال =

قال [أي ابن عبد الظاهر]: وإنّ حدّ[١] القاهرة من مصر من السبع سقايات[٢] إلى تلك الناحية عرضاً. قال: ولمّا نزل جوهر القائد آختطّت كلّ قبيلة خِطّة عُرِفت بها، فزويلة[٣] بنَتْ البابين المعروفين ببابي زويلة، وهما البابان اللذان عند مسجد آبن البنّاء[٤] وعند الحجّارين[٥]، وهما بابا[٦] القاهرة. ومسجد آبن البنّاء المذكور بناه الحاكم. وذكر آبن القِفْطِيّ أنّ المعزّ لمّا وصل مصر دخل إلى القاهرة من

= المقريزي: وكان هذا الباب تجاه سور خانقاه سعيد السعداء على يمنة السالك من الركن المخلق إلى رحبة باب العيد. ومكانه اليوم باب وكالة سالم وسعيد بازرعة الحضارمة رقم ٢٥ بشارع التمبكشية بجوار جامع جمال الدين (الجامع المعلق) تجاه الجانب القبلي لجامع سعيد السعداء. (م. رمزي). وقال القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ: ومكانه الآن المدرسة الصالحية بين القصرين إلى رحبة الأيدمري طولاً، ومن السبع خوخ إلى رحبة باب العيد عرضاً. والحدّ الجامع لذلك أن تجعل باب المدرسة الصالحية على يسارك وتمضي إلى السبع خوخ، ثم إلى مشهد الحسين، ثم إلى رحبة الأيدمري، ثم إلى الركن المخلق، ثم إلى بين القصرين حتى تأتي إلى باب المدرسة الصالحية من حيث ابتدأت. فما كان على يسارك في جميع دورتك فهو موضع القصر. (صبح الأعشى: ٣/٣٩٤، طبعة دار الكتب العلمية).

(١) قال المقريزي عند الكلام على الحد الفاصل بين القاهرة وبين مصر (الفسطاط): إنه كان من السبع سقايات إلى مشهد السيدة رقية. ولعل المؤلف يقصد بعبارة إلى تلك الناحية عرضاً أي إلى الجهة الشرقية حيث مشهد السيدة رقية الذي لم يزل موجوداً في النهاية الجنوبية لشارع الخليفة بقسم الخليفة. (م. رمزي). وأضاف القلقشندي ـ نقلاً عن ابن عبد الظاهر ـ بعد قوله: «إلى مشهد السيدة رقيّة عرضاً» أضاف: «وكان قبل ذلك من المجنونة».

(٢) قال المقريزي: السبع سقايات كانت خطاً من أخطاط القاهرة على الخليج بجوار قناطر السباع، وسمي الخط بذلك نسبة إلى السبع سقايات، وهي عبارة عن سبعة أحواض كانت مخصصة للشرب. وكان موقعها على يمين السالك اليوم في شارع السدّ الجوّاني تجاه مسجد السيدة زينب في الجهة الغربية. (م. رمزي).

(٣) زويلة: اسم قبيلة من قبائل البربر الواصلين مع جوهر القائد من المغرب. وسيأتي للمؤلف عند ذكر حارة زويلة أنها اسم امرأة ويحتمل أن تكون القبيلة سميت بها. وفي القاموس: «زويلة كجهينة». ونقل شارحه عن المقريزي ومعجم ياقوت «زويلة كسفينة».

(٤) مسجد ابن البناء، هو الذي يعرف اليوم باسم زاوية العقادين بجوار سبيل العقادين بشارع المناخلية، وتسميها العامة زاوية سام بن نوح؛ وأما ابن البناء فهو محمد بن عمر بن أحمد بن جامع بن البناء أبو عبد الله الشافعي المقرىء. مات سنة إحدى وتسعين وخمسمائة. راجع المقريزي (ج ٢ ص ٤٠٩).

(٥) الحجارين: المقصود بالحجارين هو سوق الحجارين. وموضعه اليوم شارع المنجدين (م. رمزي).

(٦) بابا القاهرة: قد زال هذان البابان، وبنى أمير الجيوش بدر الجمالي بدلهما باب زويلة الكبير القائم إلى اليوم، وتسمية العامة بوّابة المتولي، حيث كان يجلس في مدخله متولي حسبة القاهرة. (م. رمزي).

الباب الأيمن، فالناس إلى اليوم يزدحمون فيه، وقليل من يدخل من الباب الأيسر، لأنّه أُشيع في الناس أنّ من دخله لم تُقْضَ له حاجة، وهو الذي عند دكاكين الحجّارين [و] الذي يُتَوصَّل منه إلى المحمودية(١). قلت: وقد دَثَر رسوم هذا الباب الثاني المذكور، وهو مكان يمرّ منه الآن من باب سر الجامع المؤيّديّ إلى الأنماطيين(٢).

قال: والباب الآخر من أبواب القاهرة القوس(٣) الذي هو قريب من باب النصر، الذي يُخرج منه إلى الرحبة(٤)، وهو عند باب سعيد السعداء، [و](٥) دكاكين العطّارين الآن. وباب آخر يعرف بالقوس(٦) أيضاً وهو الذي يُخرج

---

(١) المحمودية: هي إحدى حارات القاهرة القديمة، وكانت تشغل المنطقة التي يتوسطها اليوم شارع الإشراقية والنصف الشرقي من شارع النبوية بقسم الدرب الأحمر (م. رمزي).

(٢) كذا في صبح الأعشى والخطط التوفيقية. وفي الأصل: «الماطيين»، وهو تحريف. والأنماطيين والحدادين والحجارين يطلق على كل ذلك اسم شارع المنجدين الآن (راجع الخطط التوفيقية ج ٣ ص ١٧٧). ويقصد المؤلف بعبارة: «إلى الأنماطيين» أي إلى سوق الأنماطيين وهو الذي تباع فيه الأنماط، وهي الستور التي توضع على الهوادج فوق الجمال أثناء السفر وأغطية السروج (م. رمزي).

(٣) باب القوس: يظهر من عبارة المؤلف أنه يقصد بهذا الباب باب النصر القديم. قال المقريزي: كان باب النصر أوّلاً دون موضعه اليوم. وقد أدرك قطعة من أحد جانبيه، كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربي بحيث تكون الرحبة التي فيها بين المدرسة القاصدية وبين بابي جامع الحاكم القبليين خارج القاهرة، ولما تقلد أمير الجيوش بدر الجمالي وزارة المستنصر نقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر إلى حيث هو الآن. وموضع هذا الباب اليوم تجاه زاوية القاصد الواقعة بشارع باب النصر بين مدخل حارة العطوف وجامع الشهداء (م. رمزي) ــ قارن أيضاً بصبح الأعشى: ٣٩٧/٣.

(٤) الرحبة، يقصد بذلك رحبة باب العيد وسيأتي الكلام عليها في ص ٥٣.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) باب آخر يعرف بالقوس: يظهر من عبارة المؤلف أنه يقصد بهذا الباب باب الفتوح القديم. وأما الباب المعروف اليوم بباب الفتوح فإنه من وضع أمير الجيوش بدر الجمالي. وكان الباب القديم قائماً بشارع باب الفتوح على رأس شارع بين السيارج من الجهة القبلية. (م. رمزي) ــ قلت: ولعل ما ذكره القلقشندي في صبح الأعشى: ٣٩٧/٣: يقدم صورة أوضح، قال: حين اختط القائد جوهر القاهرة جعل لها أربعة أبواب: بابين متقاربين، وبابين متباعدين. فالمتقاربان بابا زويلة.. والبابان المتباعدان هما القوس الذي داخل باب الفتوح خارج حارة بهاء الدين، وقوس آخر كان على حياله داخل باب النصر بالقرب من وكالة قيسون الآن، فهدم، ثم ابتنى أمير الجيوش بدر الجمالي في سنة ٤٨٠هـ سوراً من لبن دائراً على القاهرة، وبعضه باق إلى زماننا بخط سوق الغنم داخل الباب المحروق؛ ثم ابتنى الأفضل ابن أمير الجيوش باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح الموجودين الآن فيما ذكره ابن عبد الظاهر في خططه.

منه إلى السوق الذي [هو][1] قريب [من][1] حارة بهاء الدين قَراقُوش[2]، على يَسْرة باب الجامع الحاكميّ من ناحية الحوض، وتعرف قديماً بالرَّيْحَانيّة. وكلّ هذه الأبواب والسور كانت باللَّبِن.

وأمّا باب زويلة الآن وباب النصر وباب الفتوح فبناها الوزير الأفضل بن أمير الجيوش، وكتب على باب زويلة تاريخه وآسمه، وذلك في سنة ثمانين وأربعمائة[3]. وقالت المهندسون: إنّ في باب زويلة عيباً لكونه ليست له باشورةٌ[4] قدّامه ولا خلفه على عادة الأبواب. وأمّا باب[5] القنطرة فبناه القائد جوهر المذكور.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) حارة بهاء الدين: كانت تسمى قديماً حارة الريحانية، نسبة إلى طائفة من عسكر الخلفاء الفاطميين نزلوا بها وقت إنشاء القاهرة فعرفت بهم. وفي عهد الدولة الأيوبية سكنها بهاء الدين قراقوش أحد وزراء السلطان صلاح الدين فعرفت به. وموضعها المنطقة التي تحد اليوم من الشرق بشارع باب الفتوح، ومن الغرب بشارع الخليج المصري، ويتوسطها شارع بين السيارج من الشرق إلى الغرب. (م. رمزي). وقال علي مبارك (الخطط التوفيقية: ٣/١٢١): وشارع بين السيارج هو الذي سماه المقريزي بحارة بهاء الدين. وكانت هذه الحارة تعرف أيضاً بحارة الريحانية والوزيرية ــ وهما طائفتان من طوائف عساكر الفاطميين ــ وقيل لها أيضاً: بين الحارتين.

(٣) ثمانين وأربعمائة: هذه العبارة تخالف الواقع، لأن الوزير الأفضل تولى الحكم بعد وفاة والده في سنة ٤٨٧هـ. فكيف إنه بنى هذه الأبواب وكتب اسمه على باب زويلة سنة ٤٨٠هـ! والصواب أن الذي بنى هذه الأبواب هو أمير الجيوش بدر الجمالي، يؤيد ذلك ما يوجد اليوم من النقش على بابي الفتوح والنصر وما قرّره المقريزي بعد معاينته باب زويلة (م. رمزي) ــ وقد قرّر المقريزي أن بناء باب زويلة الكبير كان في سنة ٤٨٥هـ على يد أمير الجيوش بدر الجمالي.

(٤) الباشورة: هي أن يكون أمام كل باب أو خلفه بناء ذو عطف حتى لا تهجم عليه العساكر وقت الحصار ويتعذر سوق الخيل ودخولها جملة. (راجع المقريزي في الكلام على باب زويلة: ١/٣٨٠).

(٥) باب القنطرة: هو أحد أبواب القاهرة، عرف بذلك لأن جوهر القائد بنى هناك قنطرة فوق الخليج الذي بظاهر القاهرة ليمشي عليها إلى المقس عند مسير القرامطة إلى مصر، في شوال سنة ستين وثلاثمائة هجرية. وكان موضعه على مدخل شارع أمير الجيوش الجوّاني تجاه مدرسة باب الشعرية. وفي سنة ٥٧٠هـ أقام السلطان صلاح الدين سوراً آخر على حافة الخليج المصري مباشرة لجهة الغرب من السور القديم وجعل باب القنطرة تجاه الباب القديم وعلى بعد ٢٥ متراً منه، ولم يزل أساس هذا الباب باقياً تحت سطح الشارع. ومن هنا أتى اسم شارع بين السورين. والعامة تسمي باب القنطرة خطأ باسم باب الشعرية في حين أن ذاك الباب كان قائماً غربي الخليج بميدان العدوي بين شارعي العدوي وسوق الجراية. وكان عند ذاك الباب قنطرة أخرى ذكرها المقريزي باسم قنطرة باب الشعرية. وتعرف في أيامنا =

وأمّا السُّور الحجرُ الذي على القاهرة ومصر والأبواب التي به فبناها الطواشي بهاء الدين قَراقُوش الروميّ في أيّام أستاذه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة سبعين وخمسمائة؛ فبنى فيه [قلعة][1] المَقْس، وهو البرج الكبير الذي كان على النيل. قلت: وقد نُسفَ[2] هذا البرجُ من تلك الأماكن في سنة سبعين وستمائة. يأتي ذكرُ ذلك في ترجمة الملك المنصور قلاوون إن شاء الله تعالى من هذا الكتاب. قال: وبنى باب الجامع والقلعة التي بالجبل والبرج الذي بمصر قريباً من باب القنطرة المسمى بقلعة يازكوج[3]، وجعل السور طائفاً بمصر والقاهرة، ولم يتمّ بناؤه إلى الآن؛ وأعانه على عمله وحفر البئر التي بقلعة الجبل أُسَارَى الفِرنج، وكانوا ألوفاً. وهذه البئر من عجائب الأبنية، تدور البقر من أعلاها وتنقل الماء من نقّالة في[4] وسطها، وتدور أبقار في وسطها تنقل الماء من أسفلها؛ ولها طريق إلى الماء تنزل البقر إلى معِينها في مجازٍ؛ وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء؛ وقيل: إن أرض هذه البئر مسامتةٌ لأرض بركة الفيل[5]؛ وماؤها عذب.

= باسم قنطرة الخروبي. والعدوي والخروبي مدفونان في مسجد واحد بجوار موقع الباب المذكور. (م. رمزي).

(١) زيادة يقتضيها السياق. قال المقريزي: بنى صلاح الدين برجاً كبيراً في محل قنطرة الخلفاء بجوار الجامع في نهاية سور القاهرة عند باب البحر ويقال له قلعة المقس. ومحلها اليوم المكان القائم عليه عمارتا الأوقاف وراتب باشا المجاورتان لجامع أولاد عنان من الجهة البحرية الشرقية بميدان باب الحديد. (م. رمزي).

(٢) في الأصل: «وقد نشف هذا البرج من تلك الأماكن في سنة نيف وثمانين وستمائة» والتصويب عن الخطط المقريزية عند الكلام على جامع المقس وعلى ذكر سور القاهرة.

(٣) قلعة يازكوج: كانت هذه القلعة مجاورة لباب القنطرة بمصر (الفسطاط) من الجهة الشرقية، وباب القنطرة كان واقعاً بمصر القديمة في نهاية شارع الصغير عند تلاقيه بشارع أثر النبي. (راجع الخطط المقريزية ج ١ عند الكلام على أبواب مدينة مصر، وج ٢ عند الكلام على بركة الحبش وبركة شطا).

(٤) في الأصل: «من». وما أثبتناه عن المقريزي.

(٥) بركة الفيل: هذه البركة فيما بين مصر والقاهرة، وهي كبيرة جداً، ولم يكن في القديم عليها بنيان. ولما وضع جوهر مدينة القاهرة كانت تجاه القاهرة. ثم عمر الناس حول بركة الفيل بعد الستمائة حتى صارت مساكنها أجل مساكن مصر كلها. وماء النيل يدخل إلى هذه البركة من الموضع الذي يعرف بالجسر الأعظم تجاه الكبش، ومن الخليج الكبير من تحت قنطرة تعرف قديماً وحديثاً بالمجنونة. (خطط المقريزي: ٢/١٦٢).

سمِعت من يحكي عن(١) المشايخ أنّها لمّا حُفِرت جاء ماؤها حلواً، فأراد قَراقُوش الزيادة في مائها فوسعها، فخرجت منها عين مالحة غيّرت حلاوتها.

وطول هذا السور الذي بناه قراقُوش على القاهرة ومصر والقلعة بما فيه من ساحل البحر تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة ذراع وذراعان [بذراع العمل، وهو الذراع الهاشميّ](٢)، من ذلك ما بين قلعة الْمَقْسِم(٣) على شاطىء النيل والبرج بالكوم(٤) الأحمر بساحل مصر عشرة آلاف وخمسمائة ذراع. ومن قلعة المَقْسِم إلى حائط القلعة بالجبل بمسجد سعد(٥) الدولة ثمانية آلاف وثلاثمائة [واثنتان](٦) وتسعون ذراعاً. ومن جانب حائط القلعة من جانب مسجد سعد الدولة إلى البرج بالكوم الأحمر سبعة آلاف ومائتا ذراع. ودائر القلعة بالجبل بمسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف ومائتان وعشر أذرع؛ وذلك طول قوسه في آبتدائه، وأبراجه من النيل إلى النيل على التحقيق والتعديل». اِنتهى كلام آبن عبد الظاهر. على أنه لم يسلَم من الاعتراض عليه في كثير مما نقله، وأيضاً مما سكت عنه.

وقال غيره: دخل جوهر القائد مصر بعسكر عظيمْ ومعه ألف حمل مال، ومن السلاح والعُدد والخيل ما لا يوصف(٧). فلمّا آنتظم حاله وملك مصر ضاقت بالجند والرعية، وآختط سور القاهرة وبنى بها القصور، وسمّاها المنصوريّة؛ وذلك في سنة

(١) في المقريزي: «من المشايخ...».

(٢) الزيادة عن المقريزي والخطط التوفيقية.

(٣) قلعة المقسم: هي بذاتها قلعة المقس السابق ذكرها في ص ٤١. وانظر التعليق على المقس في ص ٥٦.

(٤) الكوم الأحمر، كان واقعاً عند فم الخليج على جانبه الغربي في نهاية شارع قصر العيني من الجهة الجنوبية. (راجع الخطط المقريزية ج ١ عند الكلام على المنشأة وعلى أبواب مدينة مصر، وج ٢ عند الكلام على قنطرة السدّ).

(٥) مسجد سعد الدولة: كان واقعاً بقلعة الجبل بجوار برج المبلات المشرف اليوم على تربة يعقوب شاه المهمندار التي في الجنوب الشرقي لسور القلعة. (راجع الخطط المقريزية ج ٢ عند الكلام على ذكر ما كان عليه موضع قلعة الجبل، وعلى أسوار القاهرة، وخريطة الحملة الفرنسية ــ م. رمزي).

(٦) التكملة عن المقريزي.

(٧) كذا في اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا (ص ٦٢). وفي الأصل: «ومعه ألف جمل من السلاح ومعه من الخيل ما لا يوصف».

ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة. فلمّا قدِم المعزّ العُبَيدي من القَيْروَان غيّر آسمها وسمّاها القاهرة. والسبب في ذلك أنّ جوهراً لمّا قصد إقامة السور وبناء القاهرة جمع المنجّمين وأمرهم أن يختاروا طالعاً لحفر الأساس وطالعاً لرمي حجارته؛ فجعلوا [بدائر السور][1] قوائم من خشب، وبين القائمة والقائمة حبل فيه أجراس، وأفهموا البنّائين ساعه تحريك الأجراس [أن] يرموا ما في أيديهم من اللّبِن والحجارة، ووقف المنجمون لتحرير هذه الساعة وأخْذ الطالع؛ فآتّفق وقوف غراب على خشبة من تلك الخُشُب، فتحرّكت الأجراس، وَظنّ الموكّلون بالبناء أنّ المنجّمين حرّكوها فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة في الأساس؛ فصاح المنجّمون: لا لا، القاهر في الطالع! ومضى ذلك وفاتهم ما قصدوه. وكان غرض جوهر أن يختاروا للبناء طالعاً لا يُخرج البلد عن نسلهم أبداً، فوقع أنّ المريخ كان في الطالع، وهو يسمى عند المنجّمين القاهر، فحكموا لذلك[2] أنّ القاهرة لا تزال تحت حكم الأتراك، وأنّهم لا بدّ أن يملكوا هذه البلد. فلمّا قَدِم المعزّ إليها وأُخبر بهذه القصة وكان له خِبرة بالنّجامة، وافقهم على ذلك، وأنّ الترك تكون لهم الغلبة على هذا البلد؛ فَغيّر آسمها وسمّاها القاهرة. وقيل فيها وجه آخر، وهو أنّ بقصور القاهرة قبّة تُسمّى القاهرة، فسميت على آسمها. والقول الأوّل هو المتواتر بين الناس والأقوى. وقيل غير ذلك.

ثم بُنيت حارات[3] القاهرة من يومئذ، فعمّر فيها:

---

(١) الزيادة عن المقريزي في الكلام على سور القاهرة.

(٢) في الأصل: «فعلموا أن الأتراك هذه البلد تحت حكمهم». وما أثبتناه عن اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا للمقريزي (ص ٧٤).

(٣) حارات القاهرة: جمع حارة، وليس المقصود بها الطريق التي يمر فيه الناس بين المساكن كما هو معروف اليوم، بل إن الحارة هي كل محلة دنت منازلها، والمحلة: منزل القوم، وعندما بنى العرب مدينة الفسطاط جعلوها أخطاطاً: جمع خط، وعندما بنى الفاطميون القاهرة جعلوها حارات. فالحارة كالخط جزء من مجموع مباني المدينة تتخللها الطرق ويوجد بها المساجد والمدارس والأسواق والحمامات وغيرها، وإلى اليوم يقال لشيخها شيخ الحارة.

حارة **الروم**: وهما حارتان، حارة الروم الآن المشهورة[١]، وحارة الروم الجَوَّانِيّة[٢]، وهي التي بقرب باب النصر على يسار الداخل إلى القاهرة، ثمّ آستثقل الناس قول حارة الروم الجوّانية فحذفوا صدر الكلمة وقالوا «الجَوّانية»؛ والورّاقون يكتبون حارة الروم السفلى، وحارة الروم العليا المعروفة بالجوّانية.

وقال القاضي زَيْن الدين: إنّ الجَوّانية منسوبة للأشراف الجَوَّانيين، منهم الشريف النسّابة الجَوَّاني[٣]. وهاتان الحارتان آختطهما الروم، ونزلوا بهما فعرِفتا بهم.

وحارة الدَّيْلَم[٤]: هي منسوبة إلى الديلم الواصلين صحبة أَفْتِكين المعزّي غلاّم معز الدولة بن بُوَيْه حين قَدِم إلى القاهرة أولادُ مولاه معزّ الدولة.

وفُنْدق مسرورِ[٥]: منسوب لمسرور خادم من خدّام القصر في الدولة العُبَيْدِية.

---

(١) حارة الروم المشهورة، لم تزل معروفة إلى اليوم باسم حارة الروم بقسم الدرب الأحمر (م. رمزي).

(٢) حارة الروم الجوّانية، لم يزل اسمها يطلق على حارة الجوّانية بشارع الجمالية، وفي داخلها حارة الدير التي بها دير أولئك الأروام. (م. رمزي).

(٣) هو محمد بن أسعد بن علي بن معمر، أبو علي الجواني المتوفى سنة ٥٨٨هـ مؤلف كتاب «النقط لمعجم ما أشكل من الخطط» يعني خطط مصر. وقد نبه فيه على معالم دثرت، وعنه أخذ المقريزي في مواضع عديدة من خططه. وكان عالماً بالأنساب. أصله من الموصل، ومولده ووفاته بمصر. ولي نقابة الاشراف فيها مدة؛ وصنّف «طبقات الطالبيين» و«تاج الأنساب» وفي دار الكتب المصرية له مخطوط باسم «تحفة ظريفة ومقدمة لطيفة وهدية منيفة في أصول الأحساب وفصول الأنساب» ـ (الأعلام: ٦/٣١، ومعجم البلدان: ٢/١٧٥ وفيه نسبته إلى الجوّانية: قرية قرب المدينة، وكشف الظنون: ٢/١٩٧٥).

(٤) حارة الديلم: كانت كبيرة جداً تشمل ثلاث حارات: حارة الكحكيين ودرب الأتراك وحارة خوشقدم. وإلى اليوم يوجد بحارة خوشقدم زقاق مشهور بحبس الديلم. وكانت هذه الحارة مسكناً للأمراء والأعيان ولذلك يقال لها في حجج الأملاك حارة الأمراء. (الخطط التوفيقية: ٢/١١٩ ـ ١٢١).

(٥) فندق مسرور: موضعه اليوم مجموع المباني التي تحدّ من الغرب بشارع الخردجية، ومن الجنوب بشارع السكة الجديدة، ومن الشرق والشمال بشارع خان الخليلي. (م. رمزي).

وخليج القاهرة(١): حفره(٢) أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويُعرف بخليج أمير المؤمنين؛ وكان حفره عام الرَّمَادَة، وهي سنة ست(٣) عشرة من الهجرة فساقَه إلى بحر القُلْزُم(٤)، فلم يأت عليه الحول حتى جرت فيه السفن وحمل فيها الزاد والأقوات إلى مكّة والمدينة، وانتفع بذلك أهلُ الحجاز. وقال الكنديّ(٥): كان حفره في سنة ثلاث وعشرين وفُرِغ منه في ستة أشهر، وجرت فيه السفن ووصلت إلى الحجاز في الشهر السابع؛ ثم بنى عليه عبد العزيز بن مروان قنطرة(٦)

---

(١) هو خليج قديم يسمى خليج مصر، جدد حفره عمرو بن العاص بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وكان هذا الخليج يسير في القاهرة من فم الخليج شمال مصر القديمة متجهاً إلى الشمال حتى نهاية المدينة، وبعد ذلك يمر في الأراضي الزراعية حيث مجرى الترعة الإسماعيلية إلى العباسية بمديرية الشرقية ثم إلى الإسماعيلية ومنها إلى السويس حيث البحر الأحمر، ومنها بالسفن إلى بلاد الحجاز. وقد بدىء بردم هذا الخليج من جهة قنطرة غمرة في أول إبريل سنة ١٨٩٧م وأتمّ ردمه من جهة فم الخليج في يونية سنة ١٨٩٩م وحل محله شارع الخليج المصري. (م. رمزي).

(٢) الصواب أن يقال «جدّد حفره... إلخ» فهذا الخليج قديم جداً. (انظر خطط المقريزي: ٢/١٣٩).

(٣) سيذكر المؤلف نقلاً عن الكندي أن حفره كان سنة ٢٣هـ، وهو الصواب. ذلك أن مصر لم تكن قد افتتحت عام الرمادة، وهو عام ١٧ أو ١٨ للهجرة كما أجمعت عليه المصادر.

(٤) في الأصل: «فسافر إلى القلزم». والتصحيح عن الانتصار لابن دقماق: ١/١٢٠، وصبح الأعشى: ٣/٣٣١ ــ وبحر القلزم هو المعروف اليوم بالبحر الأحمر. وقد سمي البحر باسم مدينة قديمة كان اسمها «كلسيا» وسماها العرب «القلزم». وفي القرن العاشر نشأت قرية صغيرة جنوبي القلزم القديمة اسمها السويس، وما لبث أن شملت القلزم، وأصبحت السويس ميناء مصر على البحر الأحمر. (الموسوعة العربية الميسّرة: ١٠٤١).

(٥) ذكر الكندي ذلك في كتابه «الجند العربي»، كما جاء في صبح الأعشى.

(٦) قنطرة عبد العزيز بن مروان: ننقل هنا ما كتبه الأستاذ محمد رمزي حول تعيين موقع هذه القنطرة قديماً وحديثاً، والحدّ الذي كان ينتهي عنده النيل على شاطئه الشرقي. قال:
لما تكلم المقريزي على ظواهر القاهرة المعزية (٢/١٠٨) قال: كان أول الخليج الكبير عند وضع القاهرة بجانب خط السبع سقايات، وكان ما بين هذا الخط وبين المعاريج بمدينة مصر (مصر القديمة) غامراً بماء النيل.
ولما تكلم على قناطر الخليج الكبير (ص ١٤٦ ج ٢) قال: ان قنطرة ابن مروان كانت في طرف الفسطاط بالحمراء القصوى بناها عبد العزيز بن مروان والي مصر في سنة ٦٩هـ. وموضعها خلف السبع سقايات على فم الخليج الكبير وكان المرور على هذه القنطرة بين الحمراء القصوى وجنان الزهري.
ولما تكلم على حكر أقبغا (ص ١١٦ ج ٢) قال: وفي هذا الحكر تقع قنطرة عبد العزيز بن مروان.
وقد تبينّ لي من البحث: (أوّلاً) أن خط السبع سقايات هو الذي عرف فيما بعد بحكر أقبغا أي أن =

. . . .

= مكانها واحد، وفقط آختلفت التسمية باختلاف الزمن والمناسبات. (ثانياً) أن حكر أقبغا مكانه اليوم المنطقة التي فيها حارة السيدة زينب وفروعها وجنينة لاظ وشوارعها. (ثالثاً) أن النيل كان يجري وقت فتح العرب لمصر في الجهة الغربية من جنينة لاظ حيث الطريق المسماة شارع بني الأزرق وما في آمتداده جنوباً وشمالاً. (رابعاً) أن فم الخليج المصري كان في ذاك الوقت واقعاً حذاء مدخل الشارع المذكور من جهة شارع الخليج. ومما ذكر يتضح أن قنطرة عبد العزيز بن مروان التي كانت على فم الخليج الكبير مكانها اليوم النقطة الواقعة بشارع الخليج المصري تجاه مدخل حارة أقبغا بأرض جنينة لاظ التي هي جزء من حكرأقبغا، وهذا الخط هو الجزء الشمالي من الحمراء القصوى، ويقابله على الشاطىء الأيسر للخليج أرض جنان الزهري حيث خط الناصرية الآن وما في امتداده إلى شارع غيط العدة.

أما بالنسبة للحدّ الذي كان ينتهي عنده النيل على شاطئه الشرقي تجاه مدينتي مصر القديمة والقاهرة في ذلك الوقت فأقول:

يُستفاد مما ذكره المقريزي في خططه عند الكلام على ساحل النيل بمدينة مصر (ص ٣٤٣ ج ١) وعلى المنشأة (ص ٣٤٥ ج ١) وعلى أبواب مدينة مصر (ص ٣٤٧ ج١) وعلى منظرة المقس (ص ٣٨٠ ج ١) وعلى ظواهر القاهرة المعزيّة (ص ١٠٨ ج٢) وعلى برّ الخليج الغربي (ص ١١٣ ج٢) وعلى اللوق (ص ١١٧ ج ٢) وعلى المقس (ص ١٢١ ج ٢) وعلى بولاق (ص ١٣٠ ج ٢) وعلى قنطرة السد (ص ١٤٦ ج ٢) وعلى قنطرة باب البحر (ص ١٥١ ج ٢) وعلى جزيرة الفيل (ص ١٨٥ ج ٢)، وعلى صناعة مصر (ص ١٩٧ ج ٢) وعلى الميدان الناصري (ص ٢٠٠ ج ٢)، ويُستفاد أيضاً مما ورد في حوادث سنة ٦٨٠هـ المذكورة في كتاب النجوم الزاهرة لابن تَغْري بَرْدِي (ص ٣٠٧ ج ٧) ومما هو مبيَّن على خريطة الحملة الفرنسية الموضوعة سنة ١٨٠٠؛ يُستفاد من كلّ ما سبق ذكره، ومن المباحث التي أجريتها أن شاطىء النيل الشرقي الأصلي القديم تجاه مدينة مصر والقاهرة كان وقت فتح العرب لمصر واقعاً في الأمكنة التي تعرف اليوم بالأسماء الآتية:

كان النيل بعد أن يمرّ على سكن ناحية أثر النبيّ جنوبي مصر القديمة يسير إلى الشمال بجوار شارع أثر النبي إلى أن يتلاقى بسكة حديد حلوان عند محطة المدابغ، فيسير النيل بجوار هذه السكة إلى أن يتقابل بشارع ماري جرجس فيسير محاذياً له من الجهة الغربية مارّاً تحت قصر الشمع (الكنيسة المعلقة بمصر القديمة) وجامع عمرو، ثم يسير محاذياً لشارع سيدي حسن الأنور إلى نهايته ثم يسير شمالاً إلى النقطة التي يتقابل فيها شارع السد البراني بسكة المذبح، ثم يسير بعد ذلك متّجهاً في طريقه إلى الشمال فيمر في حارة المغربي بجنينة قاميش فشارع بني الأزرق بجنينة لاظ فشارع جنان الزهري فشارع الشيخ عبد الله فحارة البيرقدار فشارع البلاقسة فشارع عماد الدين إلى نهايته البحرية، ثم ينعطف النيل مائلاً إلى الشرق ويسير بجوار شارع الملكة نازلي حتى يصل إلى ميدان باب الحديد، ومن هناك ينعطف إلى الشمال الشرقي ماراً بميدان محطة مصر، ثم يمر بجوار محطة كوبري الليمون من الجهة البحرية الغربية، ثم يسير في شارع غمرة بطول مائتي متر، ثم يسير إلى الشمال محاذياً لمخازن بضائع محطة مصر من الجهة الشرقية، ثم يسير محاذياً لشارع مهمشة من الجهة الغربية، ثم يسير بعد ذلك محاذياً لجسر السكة الحديدية الذاهبة إلى الإسكندرية من الجهة الشرقية. وعند وصول النيل إلى نقطة واقعة على هذه السكة تجاه عزبة =

وكتب عليها آسمه، وقام ببنائها سعيد أبو عثمان[١]؛ ذكره القُضاعيّ صاحب الخطط. قال: ثمّ دثرت ثمّ أعيدت ثمّ عمّرت في أيّام العزيز بالله، وليس[٢] لها أثر في هذا الزمان. وإنّما بنى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيّوب قنطرة السَّدّ[٣] الآن التي عليها بستان الخشّاب[٤]. وكان يخرج الماء من البحر بالمَقْس من

= الخمايسة يميل إلى الغرب حتى يصل إلى سكن ناحية منية السيرج، وهناك يسير غربي سكن هذه الناحية، ثم يسير إلى الشمال بدوران خفيف إلى الغرب حتى يتقابل مع مجراه الحالي عند فم الترعة الإسماعيلية.

هذا هو خط سير الشاطىء الأصلي القديم للنيل تجاه مدينتي مصر والقاهرة في سنة ٢٠هـ= ٦٤١م أي وقت فتح العرب لمصر. وبعد ذلك طرح البحر عدة مرّات ولذلك آنتقل الشاطىء الأصلي المذكور من مكانه القديم السابق ذكره إلى مكانه الحالي من مصر القديمة إلى روض الفرج.

(١) في الأصل «ابن عثمان» وما أثبتناه عن المقريزي نقلاً عن القضاعي.

(٢) في الأصل: «ولا لها أثر».

(٣) يستفاد مما ورد في الجزء الثاني من الخطط المقريزية، ص ١٤٦، أن هذه القنطرة أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب في سنة ٦٤٣هـ على الخليج المصري (خليج القاهرة) بالقرب من فمه، وكانت واقعة في شارع الخليج المصري تجاه النقطة التي يتلاقى فيها هذا الشارع بشارع مدرسة الطب.

وكانت هذه القنطرة موجودة ومعروفة كما شاهدتها باسم قنطرة الماوردي إلى منتصف سنة ١٨٩٩ التي تمّ فيها ردم هذا الخليج، وبردمه اختفت هذه القنطرة من تلك السنة.

وذكر المقريزي أنها عرفت بقنطرة السدّ بسبب السدّ الذي كان يقام سنوياً من التراب بجوار هذه القنطرة عندما يبدأ ماء النيل في الزيادة وقت الفيضان لكي يصد الماء، ومتى وصلت الزيادة إلى ست عشرة ذراعاً يفتح السدّ حينئذ باحتفال رسمي عظيم، ويمر الماء في الخليج فتملأ منه صهاريج مدينة القاهرة وبركها وتروى منه بساتينها كما تروى الأراضي الزراعية على جانبي الخليج حتى نهايته الشمالية في مديرية الشرقية. (الأستاذ محمد رمزي بك المفتش بوزارة المالية المصرية سابقاً).

(٤) بستان الخشاب: تكلم المقريزي على هذا البستان في جملة مواضع بالجزء الثاني من خططه: ص ١٠٨، ١١٣، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ٢٠٠ و ص ١١٦ ويستفاد مما ذكر في المواضع المذكورة البيان الآتي:

أولاً: إن بستان الخشاب كان واقعاً في المنطقة التي تحدّ اليوم من الشمال بشوارع المبتديان ومضرب النشاب والبرجاس والجزء الغربي من شارع إسماعيل باشا إلى النيل. ومن الغرب نهر النيل. ومن الجنوب مستشفى قصر العيني وشارع بستان الفاضل وما في امتداده من الجهة الشرقية إلى شارع الخليج المصري. ومن الشرق شارع الخليج المصري وشارع سعد الدين إلى أن يتقابل مع الحدّ البحري.

ثانياً: إن هذا البستان كان منقسماً إلى قسمين: الشرقي منهما وهو الواقع بين شارع المنيرة وشارع الخليج المصري وكان يعرف بالمريس حيث كان يسكنه طائفة من السودان وبه يتخذون «المزر» وهو نوع من البوظة يسميه أهل السودان «المريسة»، والقسم الغربي وهو الواقع بين شارع المنيرة وشاطىء النيل، =

البرانـج، فوسّعه الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبـي بكر بن أيّوب وجعله خليجاً، وهو خليـج الذّكر(١). وأوّل من رتّب حفر الخليـج على الناس الوزير المأمون بن البطائحي صاحب الجامـع الأقمر بالقاهرة؛ وكذلك جعل على أصحاب البساتين، وجعل عليه والياً بمفرده، وهو أوّل من رتّب السقّائين عند معونة المأمون هذا؛ وكذلك القرّابة والفعلة.

الحُسينيّة(٢): هي منسوبة لجماعة الأشراف الحسينيّين(٣)، كانوا في أيّام الملك الكامل محمد بن العادل، قَدِموا من الحجاز فنزلوا بها وآستوطنوها، وبنَوْا بها المدابـغ وصنعوا فيها الأديم المشبّه بالطائفيّ(٤)؛ ثمّ سكنها الأجناد بعد ذلك؛ وكانت برسم الرّيْحانيّة الغَزّاويّة والمولّدة والعُجْمان وعَبِيد الشراء؛ وكانت ثماني حارات:

= كان يعرف بالميدان الناصري، ومكانه اليوم خط القصر العالي المسمى «جاردن سيتي». وكان بالجهة الجنوبية من هذا الميدان على شاطىء سيالة جزيرة الروضة عند كوبري محمد علي يوجد مواقـع فم الخليـج الناصري وقنطرة الفخر وموردة الجبس وموردة البلاط. (الأستاذ محمد رمزي بك).

(١) خليـج الذكر: حفره كافور الإخشيدي. وكان أصله ترعة يدخل منها ماء النيل للبستان المقسي، ثم وسعه الملك الكامل. فلما زال البستان المقسي في أيام الخليفة الظاهر وجعله بركة قدام منظرة اللؤلؤة صار يدخل الماء إليها من هذا الخليـج، وكان يفتـح قبل الخليج الكبير. وإنما قيل له خليـج الذكر لأن بعض أمراء الملك الظاهر بيبرس كان يعرف بشمس الدين الذكر الكركي، وكان له أثر في حفره، فعرف به. (الخطط التوفيقية: ٣٦٦/٣).

(٢) يريد حارة الحسينية. كانت حارة كبيرة واقعة خارج سور القاهرة تجاه باب الفتوح. قال القلقشندي: كانت في الأيام الفاطمية ثماني حارات خارج باب الفتوح وهي حارة بهاء الدين (حارة حامد)، والمنشأة الكبرى، والحارة الكبيرة، والمنشأة الصغيرة، وحارة عبيد الشراء، والحارة الوسطى، وسوق الكبير بمصر، والوزيرية. وكان يسكنها الطائفة المعروفة بالوزيرية والريحانية من الأرمن والعجمان وعبيد الشراء (صبح الأعشى: ٤٠٥/٣) ويتوسطها اليوم من الجنوب إلى الشمال شارع الحسينية وشارع البيومي من باب الفتوح إلى ميدان الأمير فاروق. (م. رمزي).

(٣) هذا ما قاله ابن عبد الظاهر فيما نقله عنه القلقشندي وأشار إليه المقريزي. وقد اعترض المقريزي على ابن عبد الظاهر في هذه النسبة بقوله: «هذا وهم، فإنه تقدم أن من جملة الطوائف في الأيام الحاكمية الطائفة الحسينية (وهم من عبيد الشراء). والأيام الكاملية إنما كانت بعد الستمائة، وقد كانت الحسينية قبل ذلك بما ينيف على مائتي سنة».

(٤) نسبة إلى الطائف. وكانت الطـائف مشهورة بالمدابـغ التي يدبـغ فيها الجلود.

حارة حامد، والمنشيّة الكبرى، والمنشيّة الصغـرى، والحارة الكبيـرة، والحارة الوُسْطى (كانت هي لعبيد الشراء)[١] والوزيريّة؛ كانت كلّها سكن الأرمن، فارسهم وراجِلِهم.

وخان السبيل[٢]: بناه الخادم الأستاذ الخَصِيّ بهاء الدين قراقُوش الذي بنى السور وأرصده لأبناء السبيل.

اللؤلؤة[٣]: عند باب القنطرة بناها الظاهر لإعزاز دين الله الخليفة العُبَيْدي، وكانت نزهة الخلفاء الفاطميّين، وبها كانت قصورهم. ويأتي ذكر شيء من ذلك في تراجمهم إن شاء الله تعالى.

حارة الباطليّة[٤]: كان المعزّ لدين الله العبيديّ لما قسم العطاء في الناس جاءت إليه طائفة فسألت العطاء، فقيل: فرغ المال؛ فقالوا: رحنا نحن في الباطل؛ فسُمُّوا الباطليّة، فعُرِفت الحارة بهم.

---

(١) إذا اعتبرنا أن الحارة الوسطى كانت لعبيد الشراء ـ كما يذكر المؤلف هنا ـ فيكون قد عدّ ستّ حارات، وفاته ذكر: السوق الكبير وبين الحارتين، بالمقارنة مع ما ذكره المقريزي: ٢/٢١، وعلي مبارك: ٣/٦٢ نقلاً عن ابن عبد الظاهر. أما القلقشندي (صبح الأعشى: ٣/٤٠٥) فقد سمى الحارات الثماني التي كانت تؤلف الحسينية واستبدل «بين الحارتين» بحارة «عبيد الشراء». على أن القلقشندي نفسه كان قد ذكر في ص ٤٠٠ من الصبح في كلامه على حارة بهاء الدين أنها كانت تسمى في العصر الفاطمي ببين الحارتين ثم عرفت بالريحانية والعزيزية. ثم ذكر في موضع آخر (ص ٤٠٥) أن حارة بهاء الدين هي نفسها حارة حامد؛ فيكون بالنسبة للقلقشندي أن الأسماء: حارة بهاء الدين، وحامد، وبين الحارتين، وعبيد الشراء، والريحانية والعزيزية هي أسماء لمسمى واحد. فتأمل.

(٢) خان السبيل، موضعه اليوم جامع البيومي وحوض الشرب المجاور له بشارع البيومي قريباً من درب الجميزة الذي على رأسه جامع شرف الدين الكردي بالشارع المذكور (راجع الخطط التوفيقية ج ٢ ص ٦٥). وفي المقريزي (ج ٢ ص ٣٦): «كان هذا الخط خارج باب الفتوح وهو من جملة أخطاط الحسينية» (م. رمزي).

(٣) يريد منظرة اللؤلؤة التي بناها العزيز بالله، وجدّدها الظاهر لإعزاز دين الله بعد أن هدمها أبوه الحاكم. (راجع الخطط التوفيقية ج ٢ ص ٣٤١، والمقريزي ج ١ ص ٤٦٨). ومحلها اليوم مدرسة الفرير التي بشارع الشعراني البراني على رأس شارع الخرنفش بقسم الجمالية. (م. رمزي).

(٤) حارة الباطلية، يدل على موقعها اليوم شارع الباطنية وحارة الباطنية في الجنوب الشرقي للجامع الأزهر بقسم الدرب الأحمر (م. رمزي) وانظر المقريزي: ٢/٨.

حارة كُتَامة[(١)]: هي قبيلة معروفة، عُرفت بهم.

البَرْقيّة[(٢)]: هذه الحارة نزل فيها جماعة من أهل بَرْقَة وآستوطنوها، فعرفت بهم. وكانوا جماعة كبيرة، حضروا صحبة المعزّ لدين الله لمّا قَدِم من بلاد المغرب.

خزانة البنود[(٣)]: كانت هذه الخِزانة خِزانة السلاح في الدولة الفاطميّة.

دار القُطْبيّة: هي دار ستّ الملك بنت العزيز لدين الله نِزَار، وأخت الحاكم بأمر الله منصور. يأتي ذكرها في ترجمة أخيها الحاكم. وسكن هذه الدار في دولة الأيّوبيّة مؤنسة[(٤)]، ثم الأمير فخر الدين جِهَاركس صاحب القيسارية بالقاهرة، ثمّ سكنها الملك الأفضل قطب الدين؛ وآستمرّت ذرّيته بها حتّى أخرجهم الملك المنصور قلاوون منها، وبناها بيمارستانه[(٥)] المعروف في القاهرة بين القصرين. ولسكن قطب الدين الأفضل هذا سمّيت القطبيّة، والأفضل المذكور من بني أيّوب.

---

(١) حارة كتامة: منسوبة إلى قبيلة كتامة التي هي أصل دولة الخلفاء الفاطميين، نزلوا بها عندما قدموا من المغرب مع القائد جوهر. وموضع هذه الحارة اليوم المنطقة التي يتوسطها حارة الأزهري وعطفة الدويداري وما يتفرع منها من العطف والدروب الكائنة في الجنوب الشرقي من الجامع الأزهر. (م. رمزي).

(٢) يريد حارة البرقية؛ كانت حارة كبيرة. موضعها اليوم المنطقة التي يخترقها شارع الدراسة، والتي تحدّ اليوم من الشمال بسكة كفر الطماعين وعطفة بير العلوة، ومن الغرب بشارع العلوة وشارع الكفر وسكة السويقة، ومن الجنوب بشارع الغريب، ومن الشرق بشارعي المجاورين وبرج الظفر (م. رمزي).

(٣) خزانة البنود: كانت هذه الخزانة ملاصقة للقصر الكبير فيما بين قصر الشوك وباب العيد، بناها الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله (راجع المقريزي ج ١ ص ٤٣١). وموضعها مجموعة الدور التي تحدّ اليوم من الشمال بشارع قصر الشوك، ومن الشرق بكمالة شارع قصر الشوك ودرب القزازين، ومن الجنوب عطفة القزازين. ويتوسطها اليوم درب عليّ الدين من الشرق إلى الغرب. (م. رمزي). وكانت هذه الخزانة تستعمل لخزن البنود من الرايات والأعلام، عدا أنواع السلاح والآلات الحربية. وقد احترقت سنة ٤٦١هـ وجعلت بعد هذا الحريق حبساً للأمراء والوزراء والأعيان إلى أن زالت الدولة الفاطمية. (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ١١٧).

(٤) مؤنسة: هي إقبال بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وتعرف بخاتون القطبية.

(٥) محله اليوم مستشفى قلاوون بشارع بين القصرين. (م. رمزي).

حارة الخرنشف(١): كانت قديماً ميداناً للخلفاء، فلمّا تسلطن المعزّ أيبك التركمانيّ بنَوْا به إصطبلات، وكذلك القصر الغربيّ(٢)؛ وكانت النساء اللاتي أُخرجن منه سكنّ بالقصر النافعيّ(٣)؛ فأمتدّت الأيدي إلى طوبه وأخشابه وحجارته، فتلاشى حاله وتهدّم وتشعّث، فسمّي بالخرنشف لهذا المقتضى، وإلّا فكان هذا الميدان من محاسن الدنيا.

حارة الكافوريّ(٤): هذه الحارة كانت بستاناً للأستاذ الملك كافور الإخشيذيّ صاحب مصر؛ ثمّ من بعده صار للخلفاء المصريّين، ثم هُدِم البستان في الدولة المعزّيّة أيبك لما خُرب الميدان والقصور، وبُني أيضاً إصطبلاتٍ ودوراً ومساكن.

حارة بَرْجَوان(٥): منسوبة إلى الخادم بَرْجَوان. كان برجوان من جملة خدّام

(١) كذا في الأصل وصبح الأعشى. وفي المقريزي: «الخرشنف». وهو ما يتحجّر مما يوقد به على مياه الحمامات من الأزبال وغيرها. وهذه الحارة كانت تقع قديماً في المنطقة التي تحد اليوم من الشمال بالجزء الشرقي من شارع الخرنفش ومن الغرب حارة خميس العدس وحارة اليهود القرّايين ومن الجنوب عطفة المصفى وعطفة الذهبي ومن الشرق حارة البرقوقية ومدخل شارع الخرنفش. (م. رمزي).

(٢) في الأصل: «وكذلك القصرين». وما أثبتناه عن المقريزي: ٢/٢٧.

(٣) القصر النافعي: كان هذا القصر قرب التربة المعزية التي بالقصر الكبير، وكان موقعه بعض الفضاء الواقع تجاه باب الفرج القبلي لجامع سيدنا الحسين لغاية شارع السكة الجديدة وما يقابل هذا الفضاء من المباني الواقعة تجاهه بالجهة الغربية بين السكة الجديدة من قبلي وسكة خان الخليلي من غرب وحارة خان الخليلي من بحري؛ وكان يسكن هذا القصر عجائز القصر الكبير وأقارب الأشراف (م. رمزي).

(٤) حارة الكافوري: هذه الحارة كانت إحدى الحارات التي بنيت على أرض البستان الكافوري. وكان بستاناً كبيراً واقعاً قبل إنشاء القاهرة في المنطقة التي تحدّ اليوم من الشمال بشارع أمير الجيوش الجوّاني ومن الغرب بشارع الخليج المصري، ومن الجنوب بشارع السكة الجديدة، ومن الشرق بشارع الخردجية وبين القصرين والنحاسين. ولما خرب هذا البستان وبني في مكانه الدور والمساكن وغيرها أصبح خط الكافوري الذي سماه المؤلف حارة الكافوري قاصراً فيما بعد على المنطقة التي تحدّ اليوم من الشمال بشارع أمير الجيوش الجوّاني ومن الغرب بشارع الشعراني البراني ومن الجنوب بشارع الخرنفش ومن الشرق بحارة برجوان. (م. رمزي).

(٥) حارة برجوان: هذه الحارة كانت في المنطقة التي يتوسطها اليوم شارع برجوان وحارة برجوان وما يتفرع منها من العطف والأزقة بقسم الجمالية. (م. رمزي).

القصر في أيام العزيز بالله نزار العُبَيْديّ الفاطميّ، ثم كان برجوان هذا مدبّر مملكة الحاكم بأمر[١] الله.

حارة بهاء الدين[٢]: منسوبة إلى الأستاذ بهاء الدين قراقُوش الصلاحيّ الخادم الخَصِيّ الذي بنى السور وقلعة الجبل. وقد تقدّم ذكر ذلك كلّه.

قيسارية أمير الجيوش: المعروفة الآن بسوق مرجوش[٣]. وأوّلها من باب حارة بهاء الدين قراقوش إلى قريب من الجامع الحاكميّ؛ بناها أمير الجيوش الأفضل شاهنشاه بن بدر الجماليّ[٤] الذي كان إليه تدبير الملك والوزارة في دولة الخليفة المستنصر مَعَدّ العبيديّ. وذكر آبن أبـي منصور[٥] في كتابه المسمّى «أساس السياسة» أنه كان في موضعها دار تعرف بدار القبّاني، ودور قوم يعرفون ببني هريسة.

درب آبن أسد: وهو خادم عُرف به. وهو خلف إصطبل الطارمة[٦].

الرميلة[٧]: تحت قلعة الجبل، كانت ميدان أحمد بن طولون، وبها كانت قصوره وبساتينه.

درب ملوخية[٨]: هو منسوب لأمير آسمه ملوخية، كان صاحب ركاب الخليفة الحاكم بأمر الله العبيديّ، وكان يُعرف أيضاً بملوخية الفرّاش.

---

(١) نظر برجوان في أيام الحاكم في ديار مصر والحجاز والشام والمغرب وأعمال الحضرة وذلك سنة ٣٨٨هـ. وقتل سنة ٣٩٠هـ. (انظر ابن خلكان: ١/٢٧٠، والإشارة إلى من نال الوزارة: ٢٧).

(٢) حارة بهاء الدين: راجع حاشية ٧ ص ٣٦ من هذا الجزء.

(٣) سوق مرجوش: يعرف اليوم بشارع أمير الجيوش. وتقول العامة شارع مرجوش. (م. رمزي).

(٤) في الأصل: «ابن بدر الكمالي»، وهو تحريف.

(٥) هو الوزير الفقيه جمال الدين، أبو الحسن، علي بن ظافر الأزدي المتوفى سنة ٦١٣هـ.

(٦) إصطبل الطارمة، قال المقريزي: الطارمة بيت من خشب وهو دخيل. وكان هذا الاصطبل بجوار القصر الكبير تجاه باب الديلم شرقي الجامع الأزهر. وكان هذا الاصطبل واقعاً في المنطقة التي تحدّ اليوم من الشمال بشارع فريد وامتداده إلى الشرق ومن الغرب بالميدان القبلي لجامع سيدنا الحسين ومن الجنوب بشارع الشنواني ومن الشرق بشارع الكفر (م. رمزي).

(٧) الرميلة: هي الآن ميدان صلاح الدين بالقلعة، وكانت معروفة أيضاً بقره ميدان والمنشية (م. رمزي).

(٨) درب ملوخية: كان أوّلاً يعرف بحارة قائد القوّاد لأن حسين بن جوهر القائد الملقب قائد القوّاد كان يسكن بها فعرفت به، ثم نسبت هذه الحارة إلى ملوخية أحد فرّاشي القصر، باسم درب ملوخية الذي يعرف اليوم باسم حارة قصر الشوك أحد فروع شارع قصر الشوك بقسم الجمالية. (م. رمزي).

العُطُوف(١): منسوبة إلى الخادم عُطوف أحد خدّام القصر في دولة الفاطمية. وكان أصله من خدّام أم(٢) ستّ الملك بنت العزيز بالله أخت الحاكم المقدّم ذكرها.

رحبة **باب العيد**(٣): [كان](٤) الخليفة لا يركب يوم العيد إلّا من باب القصر الذي من هذه الناحية خاصة. ويأتي ذكر ذلك كلّه في ترجمة المعزّ لدين الله العبيديّ.

خانقاه(٥) **السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب**: وهي دار سعيد السعداء خادم الخليفة المستنصر معدّ العبيديّ أحد خلفاء مصر، ثمّ صارت في آخر الوقت سكن الوزير طلائع بن رزِّيك وولدِه رزِّيك بن طلائع. وكان طلائع يلقب في أيام وزارته بالملك الصالح، وهو صاحب جامع الصالح خارج بَابي زويلة. ولمّا سكنها طلائع المذكور فتح لها من دار الوزارة ـ أعني التي هي الآن خانقاه بيبرس الجاشنكير(٦) ـ سرداباً تحت الأرض، وجمع بين دار سعيد السعداء ودار الوزارة في السكن لكثرة حشمه، وصار يمشي في السرداب من الدار الواحدة إلى الأخرى.

---

(١) يريد حارة العطوف. يدل على موقعها المنطقة التي يتوسطها اليوم حارة العطوف بالقرب من باب النصر (م. رمزي) ـ قال القلقشندي والمقريزي: وأصل اسمها العطوفية.

(٢) في المقريزي وصبح الأعشى: «من خدام ست الملك...».

(٣) رحبة باب العيد: سميت بذلك لأنها كانت واقعة تجاه باب العيد أحد أبواب القصر الكبير. وهذه الرحبة كانت تقع في المنطقة التي تحدّ اليوم من الغرب بشارع حبس الرحبة وشارع بيت المال، ومن الجنوب بشارع قصر الشوك (درب السلامي قديماً)، ومن الشرق حارة قصر الشوك (درب ملوخيا قديماً)، ومن الشمال حارة الزاوية وحارة الميضة (درب خرائب تتر قديماً). (م. رمزي).

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) الخانقاه: كلمة فارسية معناها: البيت. وقيل أصلها خونقاه، أي الموضع الذي يأكل فيه الملك. والخوانق حصلت في الإسلام في حدود الأربعمائة للهجرة وجعلت لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله. وهذه الخانقاه أول خانقاه عملت بالديار المصرية. (خطط المقريزي: ٤١٤/٢). ولم تزل هذه الخانقاه موجودة ومعروفة باسم جامع سعيد السعداء بشارع الجمالية. (م. رمزي). وقد أحدثها صلاح الدين في سنة ٦٥٩هـ. (الخطط التوفيقية: ٢٢٥/١).

(٦) وتعرف اليوم باسم جامع بيبرس الجاشنكير والبيبرسية. وكانت هي والمدرسة القراسنقرية التي تشغلها اليوم مدرسة الجمالية الأميرية من ضمن دار الوزارة. ولم يزل يفصل بينها وبين جامع سعيد السعداء شارع الجمالية. (م. رمزي).

الحُجَر[١]: وهي قريبة من باب النصر قديماً على يمين الخارج من القاهرة، وكان يأوي فيها جماعة من الشباب يسمّون صِبيان[١] الحُجَر يكونون في جهات متعددة.

الوزيرية[٢]: منسوبة إلى الوزير أبي الفرج يعقوب بنِ كلِّس[٣] وزير العزيز بالله نِزار العُبَيْديّ، وكان الوزير هذا يهوديَّ الأصل ثمّ إنّه أسلم وتنقّل في الخدَم إلى أن وليَ الوزارة.

الجودرية[٤]: منسوبة إلى جماعة يعرفون بالجودريّة آختطوها، وكانوا أربعمائة رجل. منسوبون إلى جودر خادم المهديّ.

سوق السرّاجين: آستجدّ في أيّام المعزّ أيبك التركماني سنة ثلاث وخمسين وستمائة.

---

(١) الحجر: مكانها الآن الخانقاه الركنية بيبرس التي تعرف اليوم بجامع البيبرسية بشارع الجمالية. (م. رمزي). وصبيان الحجر: لفظ من مصطلح الدولة الفاطمية بمصر، وكان يطلق على فئة من خاص الخليفة، وهم جماعة من الشبان مختارون من بني وجهاء الناس، من كل ماهر شهم، معتدل القامة، حسن الخلقة؛ كانوا يربونهم في هذه الحجر، ويسمون بصبيان الحجر. وكان عددهم نحواً من خمسة آلاف. ومتى عرف الواحد منهم بالفضل والشجاعة خرج إلى الإمرة والتقدم. وهم يضاهون مماليك الطباق السلطانية المعبّر عنهم بالكتانية في دولة المماليك. وما زالت هذه الحجر باقية إلى ما بعد السبعمائة، فهدمت، وابتنى الناس محلها الدور وغيرها. (الخطط التوفيقية: ١/٤٣، وصبح الأعشى: ٣/٥٥٢).

(٢) حارة الوزيرية: كانت هذه الحارة في زمن الدولة الفاطمية حارة كبيرة تقع في المنطقة التي تحدّ اليوم من الشمال بسكة اللبودية وشارع الوزير الصاحب (المسمى الآن خطأً شارع السلطان الصاحب) ومن الغرب شارع درب سعادة، ومن الجنوب بالجزء الغربي من سكة النبوية والشمالي من حارة الجودرية ومن الشرق بشارع بيبرس. وفي عهد الدولة الأيوبية ودولتي المماليك قسمت هذه الحارة إلى جملة أخطاط ودروب وأصبحت الوزيرية قاصرة على المنطقة الصغيرة التي تحدّ من الشمال اليوم بعطفة الصاوي ومن الغرب بشارع درب سعادة ومن الجنوب بالجزء الغربي من سكة النبوية ومن الشرق بالجزء الغربي من حارة الجودرية. (م. رمزي).

(٣) هذا هو قول ابن عبد الظاهر. أما المقريزي فقال إنها تنسب إلى طائفة من العسكر يقال لها الوزيرية. وكانت أولاً تعرف بحارة بستان المصمودي، وعرفت أيضاً بحارة الأكراد. (خطط: ٢/٥).

(٤) حارة الجودرية: يدل على موقعها المنطقة التي يخترقها اليوم شارع الجودرية وفروعه وحارة الجودرية الكبيرة وحارة الجودرية الصغيرة وعطفة الجودرية. (م. رمزي).

سقيفة العدّاسين(١): هي الآن معروفة بالأساكفة وبالبندقانيين، وكانت تلك الناحية كلّها تعرف بسقيفة العدّاسين.

حارة الأمراء: هي درب شمس الدولة(٢).

العدويّة(٣): هي من أوّل باب الخشيبة إلى أوّل حارة زويلة.

درب الصقالبة(٤): هو درب من جملة حارة زويلة.

حارة زويلة(٥): اختطتها امرأة تعرف بزويلة، وهي صاحبة البئر وبابي زويلة، لا أعرف من حالها شيئاً.

باب الزهومة(٦): كان باباً من أبواب القصر أعني [قصر] القاهرة.

---

(١) قال المقريزي: إن سقيفة العدّاس كانت بين درب شمس الدولة والبندقانيين. ومحل هذه السقيفة اليوم الجزء الغربي من شارع الحمزاوي الصغير بين حارة شمس الدولة وشارع الأزهر، بعد أن كانت ممتدّة إلى أوّل حارة السبع قاعات القبلية. وأما خط سقيفة العدّاسين فقد عرف فيها بعد باسم خط البندقانيين، وهذا الخط كان من أكبر أخطاط القاهرة حيث يشمل المنطقة التي يخترقها اليوم سوق السمك القديم وسوق الصيارف الكبير وحارتا السبع قاعات البحرية والقبلية وما بين ذلك من شارع السكة الجديدة. والعدّاس هو أبو الحسن علي بن عمر العداس، استوزر للعزيز بالله بن المعز معد بعد وزارة يعقوب بن كلس. (م. رمزي). وانظر المقريزي: (ج ٢ ص ٣٠).

(٢) درب شمس الدولة: لم يزل يعرف إلى اليوم باسم حارة شمس الدولة بين شارع السكة الجديدة وشارع الحمزاوي الصغير (م. رمزي).

(٣) يريد حارة العدوية، منسوبة إلى جماعة عدويين نزلوا بتلك الحارة، وكانت تمتدّ مساكنها بين حارة الخرنشف والبندقانيين. ويتوسطها اليوم شارع خان أبو طاقية وشارع سوق الصيارف الصغير (م. رمزي).

(٤) درب الصقالبة: يعرف اليوم باسم شارع الصقالبة بقسم الجمالية. (م. رمزي).

(٥) حارة زويلة: هذه الحارة كانت أكبر حارات القاهرة نزلت بها قبيلة زويلة السابق ذكرها في ص ٣٧ من هذا الجزء. ولم تزل تعرف باسم حارة زويلة أو حارة اليهود. وهي واقعة في المنطقة التي تحد اليوم من الشمال بشارع الخرنفش ومن الغرب بشارع زويلة ودرب الكتاب، ومن الجنوب بشارع الصقالبة ومن الشرق بحارة اليهود القرايين وحارة خميس العدس، ويتخللها عدّة شوارع وحارات وعطف يسكن أغلبها اليهود (م. رمزي).

(٦) باب الزهومة، سبق الكلام عليه في ص ٣٤ من هذا الجزء.

الصاغة[١] **بالقاهرة**: كانت مطبخاً للقصر يخرج إليه من باب الزهومة.

درب السلسلة[٢]: هو الملاصق للسيوفيين.

دار الضرب[٣]: بنيت في أيام الوزير المأمون بن البطائحيّ المقدّم ذكره، وهي بالقشاشين[٤] قبالة البيمارستان المنصوريّ[٥].

الصالحية[٦]: هي منسوبة للوزير الملك الصالح طلائع بن رُزِّيك المقدّم ذكره لأنّ غلمانه ــ أعني مماليكه ــ كانوا ينزلون بها.

المقس[٧]: قال القُضاعي: كانت ضيعة تعرف بأمّ دُنَين، وإنّما سمّيت المقس

(١) أي سوق الصاغة. ولم يزل هذا السوق حافظاً لاسمه لغاية اليوم باسم الصاغة أو سوق الصياغ بشارع بين القصرين. (م. رمزي). وانظر المقريزي: ١٠٢/٢.

(٢) درب السلسلة: اعرف بالسلسلة التي كانت تمدّ كل ليلة في عرض الطريق بين باب هذا الدرب وبين باب الزهومة لمنع المرور ليلاً بين قصور الخلفاء. وموضع هذا الدرب اليوم وكالة الجواهرجية الواقعة بشارع الخردجية تجاه مدخل شارع خان الخليلي الذي كان في أوله باب الزهومة. (م. رمزي).

(٣) كان محلها مجموعة المباني التي يحدها من الشمال شارع الصنادقية إلى خوخة الأمير عقيل ومن الغرب شارع الغوري ومن الجنوب شارع الأزهر. (م. رمزي). وانظر المقريزي: ٤٠٦/١.

(٤) سوق القشاشين: وسمي فيما بعد بسوق الخراطين، ويعرف اليوم باسم شارع الصنادقية. (م. رمزي).

(٥) البيمارستان المنصوري: وصوابه «البيمارستان الفاطمي» لأنه كان واقعاً تجاه دار الضرب بالخراطين التي كانت تسمى القشاشين. أما البيمارستان المنصوري فقد بني في سنة ٦٨٠هـ في زمن السلاطين الجراكسة. وقد بناه السلطان المنصور قلاوون في دار ست الملك أخت الحاكم المعروفة بالدار القطبية (انظر خطط المقريزي: ٤٠٦/١، ٤٠٧ و٤٠٦/٢؛ وصبح الأعشى: ٤١٧/٣؛ وخطط علي مبارك: ٢٤٠/١). والبيمارستان المنصوري هو المعروف اليوم باسم مستشفى قلاوون بشارع بين القصرين. (م. رمزي).

(٦) حارة الصالحية الكبرى: هذه الحارة كانت تقع في المنطقة التي تحد اليوم من الغرب بشارع أم الغلام، ومن الشمال بشارع الجعادية، ومن الشرق بشارع العلوة وشارع الكفر وسكة السويقة، ومن الجنوب بشارع الشيخ حمودة وشارع رقعة القمح. (م. رمزي). وانظر خطط المقريزي: ١٢/٢، ١٠٦؛ وصبح الأعشى: ٤٠٣/٣ وفيه أنها كانت قبلي مشهد الحسين.

(٧) المقس، والمكس، والمقسم، وأم دنين: كلها أسماء مترادفة لقرية كانت واقعة على شاطىء النيل وقت أن كان النيل يجري في عهد الدولة الفاطمية في المكان الذي يمر فيه اليوم شارع عماد الدين وميدان محطة مصر وما بعده إلى الشمال بشارع الملكة نازلي. وكان المقس في عهد الدولة الفاطمية مقصوراً على قرية المقس التي كانت واقعة في المنطقة التي يقع فيها اليوم جامع أولاد عنان لغاية شارع قنطرة الدكة، ويدخل فيها مدخل شارع إبراهيم باشا (شارع نوبار سابقاً) والمباني التي على جانبيه لغاية الدرب =

لأنّ العشّار وهو المكّاس كان فيها يستخرج الأموال، فقيل له المكس، ثم قيل المقس.

المسجد المعلق: كان هناك مساجد ثلاثة[١] معلقة بناها الحاكم بأمر الله في أيام خلافته.

وأمّا هذه المباني التي هي الآن خارج القاهرة فكلّها تجدّدت في الدولة التركية، ومعظمها في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون ومن بعده، من سدّ مصر إلى باب زويلة طولاً وعرضاً. يأتي ذكر ذلك كلّه إن شاء الله تعالى في تراجم من جدّد الكورة والقناطر والجوامع والمدارس وغيرهم من السلاطين والملوك، كلّ واحد على حِدته بحسب ما يقتضيه الحال.

ترجمة[٢] القائد جوهر وما يتعلق به من بنيان القاهرة وغيرها

قد تقدّم الكلام أن جوهراً القائد هذا غير خَصِيّ[٣]، وولده القائد الحسين بن جوهر كان من كبار قوّاد الحاكم بأمر الله، وجوهر هذا هو صاحب الجامع الأزهر. وقد تقدّم ذكر ذلك كلّه؛ غير أننا ذكرناه هنا ثانياً تنبيهاً لمن نظر في ترجمة جوهر القائد المذكور، لئلا يلتبس عليه بشيء آخر.

* * *

= الإبراهيمي. وفي عهد دولة المماليك أصبح خط المقس يطلق على المنطقة الكبيرة التي تحد اليوم من الغرب بميدان باب الحديد وشارع الملكة نازلي وشارع عماد الدين، ومن الجنوب شارع قنطرة الدكة وشارع القبيلة ودرب القطة وشارع الفوطية وشارع سوق الزلط وشارع الخراطين، ومن الشرق شارع الخليج المصري، ومن الشمال بشوارع الطبلة والطواشي والشمبكي وبين الحارات. (م. رمزي).

(١) قال علي مبارك في الخطط التوفيقية: ١٥٤/٢: «وأما المساجد الثلاثة الحاكمية المعلقة، فالذي أمر بإنشائها هو الحاكم بأمر الله بخط ابن طولون. منها مشهد محمد الأصغر، ومنها المسجد المعروف عند العامة الشيخ عبد الرحمن الطولوني الذي عند الخرّاطين لأن القبر الذي به تزعم العامة أنه قبر الشيخ عبد الرحمن الطولوني فلذلك عرف به. وأما المسجد الثالث فلم نقف له على أثر، ولعله كان بالقرب منهما ثم زال بالكلية».

(٢) هذا العنوان غير ضروري، خاصة أنه لم يترجم له هنا. وقد سبقت ترجمة جوهر ابتداءً من الصفحة ٢٨ تحت عنوان «ذكر ولاية جوهر القائد...».

(٣) وقد أخطأ ابن إياس أن جعله خصياً. (بدائع الزهور: ١٨٩/١).

السنة الأولى من ولاية جوهر الروميّ المعزّي القائد على مصر

وهي سنة تسع وخمسين وثلاثمائة.

فيها أقامت الرافضة المأتم على الحسين بن عليّ ببغداد في يوم عاشوراء على عادتهم وفعلهم القبيح في كلّ سنة.

وفيها ورد الخبر في المحرّم بأن نَقْفُور ملك الروم خرج بالروم إلى جهة أنطاكيّة ونازلها وأحاط بها وقاتل أهلها حتى ملكها بالأمان(١)؛ ثم أخرج أهلها منها وأطلق العجائز والشيوخ والأطفال، وقال لهم: آمضوا حيث شئتم، ثم أخذ الشباب والصبيان والغلمان سبياً؛ فكانوا أكثر من عشرين ألفاً. وكان نقفور المذكور قد طغى وتجبّر وقهر العباد وملك البلاد وعظُمت هيبته في قلوب الناس(٢)، وآشتغل عنه الملوك بأضدادهم فآستفحل أمر نقفور بذلك. ثم تزوّج نقفور المذكور بآمرأة الملك الذي كان قبله على كره منها(٣)؛ وكان لها ولدان(٤)، فأراد نقفور أن يَخْصِيَهما

---

(١) في تاريخ الزمان لابن العبري، ص ٦٦، وابن الأثير أن الروم دخلوا أنطاكية في هذه السنة وقتلوا فيها خلقاً كثيراً. وفي نفس المصدرين المذكورين أن الذي هاجم أنطاكية ودخلها هو أخو نيقيفور ملك الروم.

(٢) قال ابن العبري في تاريخ الزمان: واشتهر في تلك الغضون الملك نيقيفور في حروبه شهرة واسعة بحيث احتل كل مدن قيليقية وأنطاكية وسوريا، وهابه العرب جميعاً». وبالإجمال فإن البلاد المصرية كانت في تلك الفترة تعاني من المصاعب والأخطار في أكثر من مجال: ففي الداخل كان الفساد الإداري وتحكّم طبقة العساكر وتواتر سني القحط والجفاف واستشراء الغلاء وحدوث المجاعات، ومن الخارج كانت الأخطار تحدق من جهة الروم الذين غزوا شمالي بلاد الشام واستولوا على كثير من مدنه، كما غزوا شمالي بلاد العراق وعبروا نهر دجلة، كما أن القرامطة كانوا قد غزوا بلاد الشام في سنتي ٣٥٣ و٣٥٧هـ ومنعوا الحجـاج من أداء فريضة الحـج. كل ذلك جعل المصريين مهيئين لاستقبال الحكم الفاطمي الذي كان يدرك تمام الإدراك تلك الظروف وأثرها في حسم وجهة الصراع. ولذلك نرى جوهراً الصقلي يقول على لسان المعز إن الفاطميين إنما جاؤوا لنجدة العالم الإسلامي عامة والمصريين خاصة من هذه الأخطار. قال جوهر: «إنه (أي المعز) صلوات الله عليه، لم يكن إخراجه للعساكر المنصورة والجيوش المظفرة إلا لما فيه إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم؛ إذ قد تخطفتكم الأيدي، واستطال المستذل، والممعنة نفسه بالاقتدار على بلدكم في هذه السنة (يشير بذلك إلى الروم) والتغلب عليه وأسر من فيه، والاحتواء على نعمكم وأموالكم حسبما فعله مع غيركم من أهل بلدان المشرق. . .». انظر اتعاظ الحنفا للمقريزي: ص ٦٧، والمعز لدين الله لحسن إبراهيم حسن وطه شرف: ص ٨٥ ــ ٨٧، وتاريخ الزمان: ٦٦.

(٣) هي الملكة توفانة أرملة الملك رومانس، كما في تاريخ الزمان.

(٤) هما باسيل وقسطنطين، كما في ابن العبري.

ويُهْديهما للبِيعة ليستريح منهما لئلا يملكا الروم في أيامه أو بعده؛ فعَلِمت زوجته أمّهما بذلك، فأرسلت إلى الدُّمُسْتق ليأتي إليها في زيّ النساء ومعه جماعة في زي النساء؛ فجاؤوا وباتوا عندها ليلة الميلاد، فوثبوا عليه وقتلُوه؛ وأُجْلِس في الملك بعده ولدها الأكبر، وتمّ لها ما أرادت[1]. ولله الحمد على موت هذا الطاغية.

وفيها في ذي الحجة انقضّ بالعراق كوكب عظيم أضاءت منه الدنيا حتى صار كأنّه شعاع الشمس وسُمِع في انقضاضه صوتٌ كالرعد الشديد، فهال[2] ذلك الناس وارتعجوا[3] له.

وفيها حجّ بالناس من العراق الشريف النقيب أبو أحمد الموسويّ والد الرضي والمرتضى، والثلاثة رافضة؛ وهم محطّ رحال الشيعة في زمانهم.

وفيها تُوفّي الأمير صالح بن عُمَيْر العقيليّ أمير دمشق؛ ولِي إمرة دِمشق خلافةً عن الحسن بن عبيد الله بن طغج [ابن][4] أخي الإخشيذ في دولة أحمد بن علي بن الإخشيذ في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، ووقع له في ولايته على دِمشق أمور وحروب. ولما انهزم الأستاذ فاتك الكافوريّ من القَرْمطيّ وغلب القرمطيّ على

---

(١) جاء في تاريخ الزمان: «. . . فعقدت مؤامرة مع شومشكين الدمستق (وسماه في تاريخ مختصر الدول، ص ١٦٩: شوموشقيق. ويقول العرب أيضاً: الشمشقيق، وهو Zimiscès لقب ليوحنا الأول ملك الروم؛ وهي كلمة أرمنية معناها: قصير القامة ويوحنا هذا هو الذي استبد بالملك بعد نيقيفور، وهو أول من ضرب السكك بهذا الرسم: يسوع المسيح ملك الملوك) وأدخلته سراً بزي النساء مع فريق من الأبطال إلى كنيسة البلاط ليلة عيد الميلاد الخلاصي. ثم أخبرت نيقيفور أنها استدعت النساء صواحبها ليقضين عندها تلك الليلة في الكنيسة لتتسلى معهن. ولما استيقنت أنه غرق في نومه فتحت الباب لشومشكين وأصحابه فدخلوا وفتكوا به في فراشه، وقضوا كذلك على سبعين رجلاً أو أكثر من حرّاسه». قال ابن العبري: هذا ما رواه المؤرخون الأثبات. أما ما ذكره المغبوط البطريرك ميخائيل نقلاً عن تاريخ أغناطيوس مطران ملطية وهو أنها قتلته لأنه لم يدمن مضاجعتها فلا صحة له. والبرهان أن توفانة، بعد مقتل نيقيفور لم تقترن بشومشكين الذي قتله ولا بغيره.

(٢) في الأصل: «فقال» وهو تحريف.

(٣) ارتعجوا: ارتعدوا.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

الشام خرج منها صالح هذا وغاب عنها مدّة أيّام، ثم عاد إليها بعد خروج القرمطيّ منها، ودام بها وأصلح أمورها؛ فلم تطل مدّته ومات بعد مدّة يسيرة. وكان شجاعاً جَوَاداً مِقداماً. وهو آخر من ولي دمشق من قبل الإخشيذ محمد وبنيه.

وفيها تُوُفّي الأمير أبو شُجَاع فاتك الإخشيذيّ الخازن؛ ولي إمرة دمشق أيضاً قبل تاريخه من قِبَل أَنُوجُور الإخشيذيّ؛ وكان شجاعاً مِقداماً جواداً م ولي عدّة بلاد، وطالت أيّامه في السعد. وهو غير فاتك المجنون الذي مدحه المتنبّي ورثاه؛ لأنّ فاتكاً المذكور كان بمصر في دولة خشْداشِه[١] كافور الإخشيذيّ؛ ووفاة هذا كانت بدمشق.

وفيها هلك تقفور طاغية الروم: لم يكن أصله من أولاد ملوك الروم بل قيل إنه كان وَلَد رجل مسلم من أهل طَرَسُوس يُعرف بآبن الفقّاس[٢]، فتنصّر وغلب على الملك؛ وكان شجاعاً مدبِّراً سَيُوساً لم يُرَ مثله من عهد إسكندر ذي القرنين؛ وهو الذي آفتتح حلب وأخذها من سيف الدولة بن حمدان؛ ولم يأخذ حلب أحدٌ قبله من ملوك الروم؛ فعظُم بذلك في أعين ملوك الروم وملّكوه عليهم إلى أن قُتل. وقد تقدّم قتله في حوادث هذه السنة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أحمد بن بُنْدار بن إسحاق الشعّار[٣]، وأبو بكر أحمد بن يوسف بن خلّاد في صفر، وأبو القاسم حبيب بن الحسن القزّاز، ومحمد بن أحمد بن الحسن أبو عليّ الصوّاف، ومحمد بن علي بن حُبَيْش[٤] الناقد.

---

(١) راجع ص ٧ من هذا الجزء، حاشية (١).

(٢) كذا في ابن الأثير. وفي الأصل «القصاص» وفي عقد الجمان: «ابن النقاش». ولعلّ منشأ الوهم هنا عائد إلى تقارب اللفظين: العربي «فقاس» والأجنبي «فوكاس» بعد تحريفه. فتقفور هذا (ومن الأفضل أن يقال: نقفور، بالنون الموحدة أو نيقيفور) هو قسطنطين بن برداس ـ فوكاس Constantin Fils de Bardas-Phocas.

(٣) في الأصل: «الشاعر» وهو تحريف. والتصحيح عن تاريخ الإسلام للذهبي وشذرات الذهب.

(٤) في الأصل: «ابن حسين». وهو تحريف. والتصحيح عن تاريخ الإسلام والمشتبه في أسماء الرجال للذهبي.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وتسع عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثانية من ولاية جوهر الروميّ المعزيّ القائد على مصر

وهي سنة ستين وثلاثمائة:

فيها عَمِل الرافضة المأتَم ببغداد في يوم عاشوراء على العادة في كلّ سنة من النوح واللّطم والبكاء وتعليق المسوح وغلق الأسواق، وعَمِلوا العيد والفرح يوم الغَدِير[(١)] وهو ثامن عشر ذي الحجة.

وفيها في أوّل المحرّم لَحِق الخليفةَ المطيعَ لله سكتةٌ آل الأمرُ فيها إلى آسترخاء جانبه الأيمن وثِقَل لسانه.

وفيها في صفر أعلن المؤذّنون بدمشق: بـ «حيَّ على خير العمل» بأمر القائد جعفر بن فلاح نائب دمشق للمعزّ لدين الله العُبَيْدي، ولم يجسُر أحدٌ على مخالفته؛ ثمّ في جمادى الآخرة أمرهم آبن فلاح المذكور بذلك في الإقامة؛ فتألّم الناس لذلك، فهلك[(٢)] آبن فلاح في عامه.

وفيها في شهر ربيع الأوّل وقع الصلح بين أبي المعالي ابن سيف الدولة ابن حمدان وبين قُرْعُويه[(٣)] وكان بينهما حروب منذ مات سيف الدولة إلى اليوم، فأقاما الخطبة بحلب للمعزّ لدين الله العُبَيديّ؛ وأرسل إليهما جوهر القائد من مصر بالأموال والخِلَع.

---

(١) راجع ص ٢٦ من هذا الجزء، حاشية (١).

(٢) كذا هي عبارة المؤلف؛ ولا علاقة لهلاكه بما تقدّم، كما هو واضح. والصواب أن يقول: «وهلك ابن فلاح...» اللهم إلا إذا كان المؤلف يريد الإيحاء برابطة سببية بين الأمرين! وسيأتي خبر هلاك ابن فلاح في المواجهة مع الحسن الأعصم القرمطي.

(٣) كذا في ابن الأثير ومعجم زامباور. وفي تجارب الأمم وابن خلكان: «قرغويه» بالغين المعجمة. وفي الأصل: «فرعوبة» بالفاء والباء الموحدة.

وفيها سار أبو محمد الحسن بن أحمد القَرْمطيّ إلى الشام في قبائل العرب وحاصر دمشق؛ فخرج إليه من مصر القائد جعفر بن فلاح بعساكره من المغاربة وآقتتلوا أيّاماً إلى أن حَمَل القرمطيُّ بنفسه على جعفر بن فلاح فقتله وقتل عامّة عسكره، وملك دمشق وولّى عليها ظالمَ بن موهوب[١] العقيليّ، ثمّ عاد القرمطيّ إلى بلاد هَجَر؛ فلم يثبت ظالم بعده بدمشق، وخرج منها بعد مدّة يسيرة.

وفيها حجّ بالناس النقيب الشريف أبو أحمد الموسويّ من بغداد.

وفيها توفّي الأمير جعفر بن فلاح أحد قوّاد المعزّ لدين الله العبيدي؛ كان مقدّم عساكر القائد جوهر، وبعثه جوهر إلى دمشق لمحاربة الحسن بن عبيد الله بن طغج؛ فحاربه وأسره[٢] ومهّد البلاد، ووَلِيَ دمشق وأصلح أمورها، إلى أن قَدِمَ عليه القَرْمَطيّ وحاربه وظفِر به وقتله. وهو أوّل أمير ولي إمرة دمشق لبني عبيد المغربيّ. والعجب أنّ القَرْمَطيّ لمّا قتله بكى عليه ورثاه؛ لأنّهما يجمع التشيُّع بينهما وإن كانا عدوّين. وكان جعفر بن فلاح المذكور أديباً شاعراً فصيحاً. كتب مرّةً إلى الوزير يعقوب يقول له: [المنسرح]

ولي صديق ما مسّني عَدَمٌ مذ نظرتْ عينُه إلى عَدَمِي
أعطَى وأقْنَى[٣] ولم يكلّفني تقبيل كفٍّ له ولا قَدَمِ

وفيها توفّي سليمان بن أحمد بن أيّوب، الحافظ أبو القاسم الطَّبَرانيّ اللَّخْمِيّ. ولَخْم: قبيلة من العرب قَدِموا من اليمن إلى بيت المقدس ونزلوا بالمكان الذي وُلِد فيه عيسى عليه السلام، وبينه وبين بيت المقدس فرسخان، والعامّة تسمّيه «بيت لحم» (بالحاء المهملة) وصوابه «بيت لخم» (بالخاء[٤] المعجمة). وكان مولده بعكّا

---

(١) في الأصل: «موهب» وهو تحريف.

(٢) في الأصل: «وقتله» وهو خطأ. راجع ص ٢٤ و٢٦ من هذا الجزء.

(٣) كذا في شذرات الذهب. وفي عقد الجمان: «وأغنى». وفي الأصل: «وأفنى».

(٤) هذا التأصيل لاسم «بيت لحم» خاطىء. وبيت لحم مدينة قديمة في التاريخ سكنت حوالى سنة ٢٠٠٠ ق. م. وتذكر ألواح تلّ العمارنة التي ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد مدينة جنوبي القدس تسمى بيت إيلو لاهاما Bit Ilu Lahama أي بيت الإله لاحاما أو لاخاما. وهذا الإله هو إله القوت =

في سنة ستين ومائتين؛ وهو أحد الحفّاظ المكثرين الرحّالين؛ سمِع الكثير وصنّف المصنّفات الحسان، منها «المعجم الكبير في أسامي الصحابة» و«المعجم الأوسط في غرائب شيوخه»، و«المعجم الأصغر في أسامي شيوخه»، و«كتاب الدعاء» و«كتاب عشرة النساء» و«كتاب حديث الشاميّين» و«كتاب المناسك» و«كتاب الأوائل» و«كتاب السنة» و«كتاب النوادر» و«مسند أبي هريرة» و«كتاب التفسير» و«كتاب دلائل النبوّة» وغير ذلك. ومات في ذي القعدة. وذكر الحافظ سليمان بن إبراهيم الأصبهانيّ أن أبا أحمد العسّال قاضي أصبهان قال: أنا سَمِعت من الطَّبَرانيّ عشرين ألف حديث، وسَمِع منه إبراهيم بن محمد بن حمزة ثلاثين ألفاً، وسمع منه أبو الشيخ أربعين ألفاً.

وفيها تُوفّي محمد بن الحسين بن عبد الله، الحافظ أبو بكر الآجُرّيّ(١) البغداديّ؛ كان محدّثاً ديّناً صالحاً وَرِعاً مصنّفاً، صنّف كتاب «العزلة»(٢) وغيره. ومات في هذه السنة.

وفيها توفّي محمد بن أبي عبد الله الحسين(٣) بن محمد الكاتب، أبو الفضل

= والطعام عند الكنعانيين؛ والأرجح أن اسم المدينة الحالي مشتق من اسم هذا الإله. وربما كان سبب جعل المدينة بيتاً للإله لاحاما أنها كانت تقع في منطقة خصبة ترعى فيها الأغنام والمواشي، وتنتشر فيها حقول القمح والشعير والكروم والزيتون. ومن المعروف أيضاً أن كلمة «بيت لحم» تعني بالآرامية: بيت الخبز. وفي هذا أيضاً إشارة إلى خصب الأرض المحيطة بالمدينة. ولبيت لحم اسم قديم آخر هو «افراته» أو «أفرات»، وهي كلمة آرامية كذلك معناها الخصب والإثمار، وبذلك يلتقي اسما المدينة عند معنى الخصب. (الموسوعة الفلسطينية: ٤٥٨/١). وانظر أيضاً دائرة المعارف الإسلامية: ٥٠١/٨، وفيها أن بيت لحم هي «بِثْلِهِّم» القديمة.

(١) في الأصل: «الأجذمي» وهو تحريف. والتصحيح عن الأنساب والذهبي وابن الأثير وشذرات الذهب والمنتظم. وهذه النسبة إلى عمل الآجرّ وبيعه، ونسبة إلى درب الآجر أيضاً، كما جاء في أنساب السمعاني.

(٢) «كتاب العزلة»: وجدنا ثلاثة كتب بهذا الاسم منسوبة لأبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨هـ، ولأبي الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي المعروف بـ«جخجخ» من علماء القرن الرابع الهجري، ولابن عساكر (انظر كشف الظنون: ١٤٣٩) ـ ولعل الصواب: «كتاب التفرد والعزلة» كما جاء في الأعلام: ٩٧/٦ منسوباً للآجري.

(٣) في الأصل: «أبي عبد الله بن الحسين» وما أثبتناه رواية ابن خلكان.

المعروف بآبن العميد ـ هو كان لقب والده ـ كان فيه فضل وأدب وتَرَسُّل؛ وزَر لركن الدولة الحسن بن بُوَيْه بعد موت أبيه. ومن بعض أصحاب أبيه الصاحبُ بن عبّاد. قال الثعالبيّ في كتابه اليتيمة: «وكان[1] يقال: بُدِئت الكتابة بعبد الحميد، وخُتمت بابن العميد». وكان[2] الصاحب بن عبّاد قد سافر إلى بغداد؛ فلمّا عاد إليه قال له آبن العميد: كيف وجدتَها؟ قال: بغداد في البلاد، كالأستاذ في العباد. وكان آبن العميد سَيُوساً مدبّراً قائماً بحقوق المملكة؛ وقصده الشعراء من الآفاق، ومدحه المتنبّي وآبن نُبَاتة السعديّ وغيرُهما. ومن شعر آبن العميد قوله: [مجزوء الكامل]

آخِ الـرجـالَ مـن الأبـا عـدِ، والأقـاربَ لا تُقـارِبْ
إنّ الأقـاربَ كـالـعـقـا رب بـل أضرّ من العقـارب

وقيل: إنّ الصاحب بن عبّاد آجتاز بدار آبن العميد بعد وفاته فلم يَرَ هناك أحداً بعد أن كان الدِّهليز يَغَصّ من زحام الناس؛ فقال: [الخفيف]

أيّها الرَّبْـعُ[3] لِمْ عـلاك آكتئابُ أين[4] ذاك الحِجَـابُ والحُجَّـابُ
أين من كـان يَفْزَعُ الـدهـر منه فهــو اليوم في التـرابِ تُـرابُ

وقال عليّ بن سليمان: رأيت بالريّ دارَ قومٍ[5] لم يبق منها سوى بابها ـ يعني دار آبن العميد ـ وعليها مكتوب: [المنسرح]

إعْجَبْ لصرف الدهـور معتبِراً فهــذه الـدارُ من عجـائبهـا
عهـدي بهـا بـالملوكِ زاهيـةً قد سَطَـع[6] النور في جوانبها
تبـدّلت وحـشـةً بســاكـنهـا ما أوحشَ الدارَ بعد صاحبهـا

---

(١) كذا في يتيمة الدهر للثعالبي ووفيات الأعيان. وفي الأصل: «كان يقول».

(٢) في الأصل: «وكان يقال له الأستاذ لما سافر إلى بغداد وعاد إليه منها». وما أثبتناه رواية ابن خلكان.

(٣) كذا في ابن خلكان. وفي الأصل: «أيها الركب». وفي يتيمة الدهر: «أيها الباب». وقد نسب الثعالبي هذين البيتين لأبي العباس الضبّي..

(٤) كذا في ابن خلكان ويتيمة الدهر. وفي الأصل: «بعد ذلك».

(٥) كذا في ابن خلكان. وفي الأصل: «داراً فرداً».

(٦) في الأصل: «سطح». والتصحيح عن ابن خلكان.

وكان آبن العميد(١) قبل أن يُقتل بمدّة قد لَهِج بإنشاد هذين البيتين، وهما: [الرمل]

دخل الدنيا أناسٌ قبلنا رَحَلُوا عنها وخَلَّوْها لنا
ونزلْناها كما قد نزلوا ونُخَلِّيها لقومٍ بَعْدَنا

وكانت وفاته في صفر.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوُفِّي جعفر بن فَلاح أوّل من حكم على الشام لبني عُبَيْد ــ قتله أبو عليّ(٢) القَرْمَطِيّ، وسليمان بن أحمد بن أيّوب الطَّبَرانيّ في ذي القعدة وله مائة سنة وعشرة أشهر، وأبو عليّ عيسى بن محمد الطُّومَارِيّ، وأبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن الهَيْثم الأنباري، وأبو عمرو محمد بن جعفر بن محمد بن مَطَر النَّيسابوريّ، وأبو الفضل محمد بن الحسين بن العَميد وزير ركن الدولة بن بُوَيْه، وأبو بكر محمد بن الحُسَين الآجُرّيّ في المحرّم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمسُ أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعاً وإحدى وعشرون إصبعاً.

* * *

(١) كذا بالأصل. وهو خطأ. وصوابه: «أبو الفتح» وهو ابن ابن العميد. واسمه عليّ، ولقبه ذو الكفايتين. وقد وزر لركن الدولة بعد موت والده صاحب الترجمة. وقد وردت هذه الجملة والبيتان بعدها في وفيات الأعيان ويتيمة الدهر في ترجمة أبي الفتح (ابن ابن العميد)، وهي ترجمة ملحقة بترجمة والده؛ ولعل وضعها في السياق الذي أشرنا إليه كان السبب في خطأ أبي المحاسن؛ ولعله كان يبغي الاختصار على عادته في ما ينقل، وفاته أن مدار الكلام قد انتقل من الأب إلى الابن. انظر وفيات الأعيان: ١١٢/٥، ويتيمة الدهر: ١٨٧/٣.

(٢) تقدم في ص ٦٢ باسم أبي محمد. وكلاهما كنية له كما سيأتي للمؤلف في وفيات سنة ٣٦٦هـ.

السنة الثالثة من ولاية جوهر القائد على مصر

وهي سنة إحدى وستين وثلاثمائة.

فيها عمِلت الرافضة مأتم الحسين بن عليّ رضي الله عنهما ببغداد على العادة في يوم عاشوراء.

وفيها عاد الهَجَريّ(١) كبيرُ القَرَامطة من الموصل إلى الشام، وآنصرفت المغاربة ــ أعني عسكر العُبَيْديَّة ــ إلى مصر، ودخل القرمطيّ إلى دِمشق وسار إلى الرملة.

وفيها وقع الصلح بين منصور بن نوح السامانيّ صاحب خُراسان وبين ركن الدولة الحسن بن بويه وبين ولده عضد الدولة بن ركن الدولة المذكور بأن يَحمِل ركنُ الدولة إلى منصور بن نوح السامانيّ في كلّ سنة مائة ألف دينار، ويَحمِل آبنه عضد الدولة خمسين ألف دينار.

وفيها آعترض بنو هلال الحاج البَصْريّ(٢) والخراسانيّ ونَهبوهم وقتلوا منهم خلقاً، ولم يَسْلَم منهم إلّا مَن مضى مع الشريف أبي أحمد المُوسَوِيّ أميرِ الحاجّ، فإنّه مضى بهم على طريق المدينة، فحجّ وعاد.

وفيها تُوُفّي سَعيد بن أبي سعيد، أبو القاسم الجَنَّابي القَرْمطيّ الهَجَرِيّ، عليه وعلى أقاربه اللعنة والخزْي. ولم يبق من أولاد أبي سعيد غيره وغيرُ أخيه يوسف، وقام بأمر القرامطة بعدَه مكانه أخوه يوسف المذكور. وعقَد القرامطةُ بعد يوسف لستة نفر من أولادهم على وجه الشركة بينهم لا يستبدّ أحد منهم بشيء دون الآخر.

قلت: وهذا يدلّ على قطع أثرهم وآضمحلال أمرهم وزوال ملكهم، إلى جهنم وبئس المصير؛ فإنّهم كانوا أشرّ خلق الله وأقبحَهم سيرةً وأظلَمهم سطوةً، هذا

(١) المراد به الحسن الأعصم.

(٢) في الأصل: «المصري» وهو تحريف. وما أثبتناه عن عقد الجمان.

مـع الفسق وقلّة الدين وسفك الدماء وانتهاك المحارم، وقتل الأشراف وأخذ الحجّاج ونهبهم، والاستخفاف بأمر الشرع والسنة وهتك حرمة البيت العتيق واقتلاع الحجر الأسود منه، حسب ما تقدّم ذكر ذلك كله في حوادث السنين[1] السابقة. وقد طال أمرهم وقاسى المسلمون منهم شدائد؛ وخُرِّب في أيّامهم ممالك وبلاد. ألاَ لعنة الله على الظالمين.

وفيهـا تُوفِّي عليّ بن إسحـاق بن خَلَف، أبو القـاسم[2] الزاهِي الشـاعـر البغداديّ؛ كان وصّافاً محسناً كثير المُلَح حسنَ الشعر في التشبيهات، وكان قطّاناً، وكانت دكّانه في قطيعة الربيـع[3] الحاجب. ومن شعره وأجاد إلى الغاية من قصيدة: [الطويل]

وبيض بـألحـاظ العيـون كـأنّمـا ... هـزَزْن سيوفـاً وٱستَلَلْنَ خنـاجـرا
تَصَـدَّيْن لي يومـاً بمُنْعَرج اللِّوَى ... فغـادرْن قلبـي بـالتصبّـر غـادرا
سَفَـرْن بـدوراً وٱنتـقَبْـنَ أهـلّةً ... ومِلْنَ غصـونـاً وٱلتفـتنَ جـآذرا
وأطلعن في الأجياد بالـدرّ أنجماً ... جُعلن لحبّـات القلوب ضـرائـرا

هذا مثل قول المتنبـي، ومذهبُ الزاهي زها عليه. وقول المتنبـي: [الوافر]

بـدت قمـراً ومـالت خُـوطَ بـانٍ ... وفـاحت عنبـراً ورنتْ غَـزالا[4]

---

(١) في الأصل: «في حوادث هذه السنة» والسياق يقتضي ما أثبتناه.

(٢) في الأصل: «أبو الحسن». وما أثبتناه عن ابن خلكان وعقد الجمان ويتيمة الدهر.

(٣) قطيعة الربيـع: منسوبة إلى الربيـع بن يونس حاجب المنصور. وكانت قطيعته بـالكرخ. (معجم البلدان).

(٤) الخوط: الغصن الناعم. والصورة في هذا البيت أخذها المتنبـي عن ابن الرومي في قوله:

إن أقبـلت فـالبـدر لاح وإن مـشـت ... فـالغصن فـاح وإن رنت فـالـريم...

وهذا يسمى التدبيـج في الشعر. ومثله قول الشاعر:

سـفـرن بـدوراً وانـتـقـبـن أهـلة ... ومـسن غـصـونـاً والـتـفـتـن جـآذرا

(انظر الإبانة عن سرقات المتنبـي للعميدي: ص ١٣١، والصبح المنبـي عن حيثية المتنبـي للبديعي: ص ٢٥٧).

وذكر الثعالبيّ لبعض شعراء عصره على هذا الأسلوب في وصف مغنّ: [الوافر]

فديتُك يا أتمّ الناس ظَرْفاً ... وأصلحَهم لمتّخذٍ حبيبا
فوجهُك نزهةُ الأبصار حُسْناً ... وصَوْتُك مُتْعةُ الأسماع طيبا
وسائلة تُسائل عنك قلنا ... لها في وصفك العجبَ العجيبا
رنا ظبياً وغنّى عندليباً ... ولاح شقائقاً ومشى قضيبا

ومات الزاهي ببغداد. ومن شعره أيضاً قوله: [مجزوء الرمل]

قم فهنىء عاشقينِ ... أصبحا مصطلحَينِ
جُمِعا بعد فراقٍ ... فُجعا منه ببَيْنِ
ثم عادا في سرورٍ ... من صدود آمنينِ
فهما روحٌ ولكن ... رُكِّبا في بدنينِ

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي الحسن[1] بن الخضر الأسيوطي، وخلف بن محمد بن إسماعيل ببُخَارَى، وعثمان بن عمرٍ[2] بن خفيف الدرّاج، ومحمد بن الحارث بن أسد القَيْرَوانيّ أبو عبد[3] الله الفقيه الحافظ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وأربع عشرة إصبعاً.

* * *

(١) في الأصل: «أبو الحسن». والتصحيح عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب.

(٢) كذا في الذهبي وشذرات الذهب والبداية والنهاية. وفي الأصل: «عثمان بن عمرو». وفي المنتظم وعقد الجمان: «عثمان بن عثمان».

(٣) كذا في شذرات الذهب وتذكرة الحفاظ. وفي الأصل: «وأبي الفقيه الحافظ».

السنة الرابعة من ولاية جوهر القائد على مصر

وهي سنة آثنتين وستين وثلاثمائة:

فيها لم تعمل الرافضة المأتمَ ببغداد بسبب ما جرى على المسلمين من الروم؛ وكان عزّ الدولة بَخْتِيار بن بُوَيه بواسط والحاجب سُبُكْتِكِين ببغداد، وكان سبكتكين المذكور يميل إلى السُّنَّة فمنعهم من ذلك.

وفيها حشدت الروم وأخذوا نَصيبين وآستباحوا وقتلوا وسَبوْا، وقدِم بغدادَ مَنْ نجا منهم؛ وآستنفروا الناسَ في الجوامع، وكسروا المنابر ومنعوا الخطيبَ، وحاولوا الهجومَ على الخليفة المطيع لله، وآقتلعوا بعضَ شبابيك دار الخلافة حتى غُلِّقت أبوابها، ورماهم الغلمان بالنُّشّاب من الرَّواشن[1]، وخاطبوا الخليفة بالتعنيف وبأنه عاجز عمّا أوجبه الله عليه من حماية حَوْزة الإسلام وأفحشوا القول. ووافق ذلك غَيبةَ السلطان عزّ الدولة بَخْتِيَار بن معزّ الدولة أحمد بن بُوَيْه في الكوفة؛ فخرج إليه أهل العقل والدين من بغداد، وفيهم الإمام أبو بكر الرازيّ الفقيه وأبو الحسن عليّ بن عيسى النَّحْويّ وأبو القاسم[2] الدَّاركِيّ وآبن الدّقاق[3] الفقيه، وشكَوْا إليه ما دهمَ الإسلام من هذه الحادثة العظمى؛ فوعدهم[4] عزّ الدولة بالغزو، ونادى بالنفير في الناس؛ فخرج من العوامّ خلق مثل عدد الرمل ثمّ جهّز جيشاً وغزَوْا، فهزموا الرومَ

(١) الرواشن: جمع روشن. وهي من الفارسية: روشن، بضم الراء وفتح الشين، بمعنى النافذة، والضوء، والوضاء، والبين. وتكون أيضاً بمعنى الشرفة، وهو المعنى الذي اقتصر عليه دوزي نقلاً عن أبي الوليد اليهودي. (انظر تأصيل الدخيل: ص ١١٨).

(٢) هو أبو القاسم عبد العزيز بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز الداركي، نسبة إلى «دارك» من قرى أصبهان. كان من كبار فقهاء الشافعية. (معجم البلدان).

(٣) هو محمد بن محمد بن جعفر، من كبار فقهاء الشافعية. توفي سنة ٣٩٢هـ.

(٤) وذكر ابن الأثير أن بختيار حينئذ كان يتصيد بنواحي الكوفة، فخرج إليه وجوه بغداد مستغيثين منكرين عليه اشتغاله بالصيد وقتال عمران بن شاهين ــ وهو مسلم ــ وترك جهاد الروم ومنعهم عن بلاد الإسلام حتى توغلوا. (ابن الأثير: حوادث سنة ٣٦١هـ).

وقتلوا منهم مقتلةً عظيمة وأسروا أميرَهم[١] وجماعةً من بطارقته، وأُنفذت رؤوسُ القتلى إلى بغداد؛ وفرِح المسلمون بنصر الله تعالى.

وفيها في شهر رمضان دخل المعزّ لدين الله أبو تميم مَعَدّ العُبَيْدي إلى مصر بعد أن بُنيت له القاهرة ومعه توابيت آبائه؛ وكان قد مهّد له مُلكَ الديار المصريّة مولاه جوهرٌ القائد، وبنى له القاهرةَ وأقام له بها دار الإمارة والقصر[٢].

وفيها وزَر ببغداد أبو طاهر بن بَقيّة ولُقّب بالناصح؛ وكان سَمْحاً كريماً، له راتب كلّ يوم من الثلج ألفُ رطل، وراتبه من الشَّمع في كلّ شهر ألفُ مَنّ[٣]؛ وكان أبو طاهر من صغار الكتّاب يكتب على المطبخ لمعزّ الدولة؛ فآل الأمر إلى الوزارة. فقال الناس: من الغضارة إلى الوزارة! وكان كريماً فغطّى كرمُه عيوبَه.

وفيها زُلزلت بلاد الشام وهُدمت الحصون ووقع من أبراج أنطاكيَة عِدّة، ومات تحت الردم خلقٌ كثير.

وفيها حجّ بالناس النقيب أبو أحمد الموسويّ.

وفيها ضاق الأمر على عزّ الدولة بَخْتِيَار بن بويه، فبعث إلى الخليفة وطلب إسعافه على قتال الروم؛ فباع الخليفة المطيع ثيابَه وأنقاضَ داره من ساج

(١) أرسله المسلمون أسيراً إلى الموصل. ولم يزل محبوساً إلى أن مرض سنة ٣٦٣هـ، فبالغ أبو تغلب الحمداني أمير الموصل في علاجه وجمع له الأطباء (رغبة منه في توطيد الحب مع الروم ــ على حد تعبير ابن العبري) فلم ينفعه ذلك ومات. والذي ذكره ابن الأثير وابن العبري أن المواجهة مع الدمستق كانت على يد هزارمرد صاحب آمد وهبة الله بن ناصر الدولة الحمداني. (ابن الأثير: حوادث سنة ٣٦٢هـ، وتاريخ الزمان: ٦٧).

(٢) في الأصل: «والقصرين». ولم يقم جوهر للمعز إلا القصر الشرقي الكبير. أما القصر الغربي ــ وكان موضعه حيث البيمارستان المنصوري (ومستشفى قلاوون للرمد يشغل جزءاً منه الآن) وكل المساكن التي تجاوره إلى الخليج، وكان يعرف بقصر البحر وبالقصر الغربي، فبناه العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله. (م. رمزي). راجع أيضاً خطط المقريزي: ٤٥٧/١.

(٣) المنّ: وقدره رطلان بغداديان. والرطل عندهم اثنتا عشرة أوقية بأواقيهم. (المعجم الوسيط ومعجم متن اللغة).

ورَصاص، وجمع من ذلك أربعمائة ألف درهم وبعث بها إليه(١).

وفيها تُوفّي السَّرِيّ بن أحمد بن السَّرِيّ، أبو الحسن الكِنْديّ الرفّاء الشاعر المشهور؛ كان في صباه يرفو ويُطرِّز في دُكّان بالمَوْصِل ومع ذلك يتولّع [بالأدب وينظم الشعر](٢)، ولم يزل على ذلك حتى جاد شعرُه ومَهَر فيه؛ وقصد سيفَ الدولة ابن حمدان بحلب ومَدحه وأقام عنده [مدّة](٢)، ثمّ بعد وفاته قدِم بغداد ومدح الوزيرَ المهلبيّ وغيرَه. وكان بينه وبين أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد آبني هاشم الخالديّين الموصليّين الشاعرين المشهورين معاداةٌ، فآدّعى عليهما سرقة شعره وشعرِ غيره. وكان شاعراً مطبوعاً عذبَ الألفاظ، كثير الافتنان في التشبيهات والأوصاف، وكان لا يُحسن من العلوم شيئاً غيرَ قول الشعر. ومن شعره [أبيات](٢) يذكر فيها صناعته(٣): [السريع]

وكانت الإبْرةُ فيما مضى ... صائنةً وجهي وأشعارِي
فأصبح الرزق بها ضيِّقًا ... كأنّه من ثُقْبها جاري

ومن محاسن شعره في المديح(٤): [الكامل]

يَلْقَى الندَى برقيق وجهٍ مُسْفِرٍ ... فإذا التقى الجمعان عاد صفيقا
رَحْبُ المنازل ما أقام فإن سَرَى ... في جَحْفَلٍ ترك الفضاءَ مَضيقا

---

(١) لما أرسل بختيار إلى المطيع يطلب منه مالاً يخرجه في الغزاة أجابه المطيع: «إن الغزاة والنفقة عليها وغيرها من مصالح المسلمين تلزمني إذا كانت الدنيا في يدي وتجبي إليَّ الأموال. وأما إذا كانت حالي هذه فلا يلزمني شيء من ذلك، وإنما يلزم من البلاد في يده، وليس لي إلا الخطبة، فإن شئتم أن أعتزل فعلت» وترددت الرسائل بينهما حتى بلغت التهديد، فاضطر المطيع إلى تلك الأموال. وقد شاع بين الناس أن الخليفة قد صودر. ولما قبض بختيار المال صرفه في مصالحه وبطل حديث الغزاة. (ابن الأثير) والذي ذكره ابن الأثير هنا يؤيد ما ذهب إليه هو وابن العبري من أن الذي تصدى للروم في ذلك الوقت هو هبة الله بن ناصر الدولة الحمداني وهزارمرد صاحب آمد، وليس عز الدولة بن بويه كما يفهم من كلام المؤلف قبل بضعة أسطر.

(٢) زيادة عن ابن خلكان.

(٣) قال الثعالبي عند إيراد هذه الأبيات: «وهذه الأبيات ليست في ديوان شعره الذي في أيدي الناس، وإنما هي في مجلدة بخط السري استصحبها أبو نصر سهل بن المرزبان من بغداد» ـ يتيمة الدهر: ١١٧/٢.

(٤) هي من جملة قصيدة في مدح سيف الدولة. (ديوانه: ص ١٨٥).

ومن غرر شعره في النسيب قوله(١) وهو في غاية الحسن: [الوافر]

بنفسِي من أجـود لـه بنفسِي ويبخَـل بـالتحيـة والسـلامِ
وحتفـي كـامنٌ فـي مُقْـلتيْـه كُمونَ الموت في حَدّ الحُسَام

وفيها تُوفّي محمد بن هانىء أبو القاسم، وقيل: أبو الحسن، الأزْديّ الأندلسيّ الشاعر المشهور؛ قيل: إنّه من ولد يزيد بن حاتم بن قَبِيصة بن المهلّب بن أبي صُفْرة؛ وقيل: بل هو من ولد أخيه روح بن حاتم. وكان أبوه هانىء من قرية من قرى المهديّة بإفريقيّة. وكان شاعراً أديباً؛ كان ماهراً في الأدب، حافظاً لأشعار العرب وأخبارهم، وآتّصل بصاحب إشْبِيلَة وحَظِي عنده؛ وكان كثيرَ الانهماك في اللذات متَّهَماً بمذهب الفلاسفة؛ ولمّا آشتهر عنه ذلك نَقِم عليه أهلُ إشبيلية، وآتُّهِم الملك بمذهبه، فأشار عليه الملك بالغَيْبة عن البلد مدّة [يُنسى فيها خبرُه](٢)؛ فانفصل وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة. وقصّته طويلة إلى أن قُتل ببَرْقة في عوده إلى المغرب من مصر بعد أن مدَح المعزّ العبيديّ بغرر المدائح(٣). وكان عوده إلى المغرب لأخذ عياله وعوده بهم إلى مصر. وتأسّف المعزّ عليه كثيراً. ومن شعره قصيدته النونيّة في مدَح المعزّ لدين الله المذكور، منها: [الكامل]

بيضٌ وما ضَحك الصباح وإنّها بالمسك من طُرَر الحِسَان لَجُونُ
أدمى لها المَرْجانُ صفحةَ خدِّه وبَكى عليها اللؤلؤُ المكنونُ

وكان آبن هانىء هذا في المغرب مثل المتنبّي في المشرق(٤)، وكان موته في شهر رجب. وهو صاحب القصيدة المشهورة التي أوّلها:

فتقتْ لكم ريحُ الشَّمَال عبيرا(٥)

---

(١) ديوانه: ٢٦٠، ويتيمة الدهر: ١٣٧/٢.
(٢) زيادة عن ابن خلكان: ٤٢١/٤.
(٣) في الأصل: «بغرر القصيدة». وما أثبتناه عن ابن خلكان.
(٤) لما بلغ المعز وفاته وهو بمصر تأسف عليه كثيراً وقال: هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدّر لنا ذلك.
(٥) رواية نفح الطيب: ٤٢/٤:
فُتقت لكم ريح الجلاد بعنبرِ وأمدَّكم فلقُ الصباح المسفرِ

وفيها تُوفّي الوزير عبّاس بن الحسين، أبو الفضل الشيرازيّ؛ كان جبّاراً ظالماً؛ قتِل بالكوفة بسقي الذّراريح(١)، ودُفِن بمشهد عليّ عليه السلام. وممّا يُحْكى عن ظلمه أنّه قُتِل ببغداد رجل من أعوان الوالي، فبعث أبو الفضل الشيرازيّ هذا من طَرَح النار من النحّاسين إلى السمّاكين، فاحترق ببغداد حريق عظيم لم يُعهد مثلُه، وأُحرقت أموال عظيمة وجماعة كثيرة من النساء والرجال والصبيان والأطفال، فأُحْصِيَ ما أحرق ببغداد فكان سبعة عشر [ألف إنسان](٢) وثلاثمائة دكان وثلاثمائة وعشرين داراً؛ أجرةُ ذلك في الشهر ثلاثة وأربعون [ألف دينار](٣). فلمّا وقع ذلك قال له رجل: أيّها الوزير أَرَيْتَنا قدرتك ونحن نأمل من الله أن يُرينَا قدرته فيك! فبعد قليل قبض عليه عزّ الدولة وصادره وعاقبه، ثم سُقِيَ ذراريح فتقرّحت مثانته وهلك في ذي الحجة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المُزَكِّي، وأبو العباس إسماعيل بن عبد(٤) الله بن محمد بن مِيكَال، وأبو بحر محمد بن الحسن بن كوثر(٥) البَرْبَهارِيّ، وأبو جعفر محمد بن عبد الله البَلْخِيّ شيخ الحنفية ببخارى في ذي الحجة ـ كان إمَامَ عصره بلا مدافعة، وأبو عمر(٦) محمد بن موسى بن فُضَالة، وأبو الحسن محمد بن هانىء شاعر الأندلس.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وإصبعان.

---

(١) الذراريح: السمّ. والذراريح في الأصل: حشرات أعظم من الذباب سامة قاتلة. وفيها أنواع تقتل وتجفف وتسحق وتستعمل في الطب؛ وكانوا قديماً يخلطونها بالعدس لكسر حدة سمها واستعمالها في العلاج لمن عضه كلب كَلِب. قال الشاعر:

فلما رأت أن لا يجيب دعاءها سقته على لوح دماء الذرارحِ

(انظر لسان العرب والمعجم الوسيط: ذرح).

(٢) زيادة عن ابن الأثير وعقد الجمان.

(٣) زيادة عن عقد الجمان.

(٤) في الأصل: «إسماعيل بن عبيد الله بن محمد بن ميكائيل» وما أثبتناه عن الذهبي وشذرات الذهب.

(٥) في الأصل: «الحسن بن موسى». والتصحيح عن الذهبي وشذرات الذهب وأنساب السمعاني.

(٦) في الأصل: «أبو عمرو». والتصحيح عن الذهبي وشذرات الذهب.

ذكر ولاية المعزّ[1] العُبَيْدي على مصر

هو أبو تميم مَعَدّ بن المنصور إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهديّ عبيد الله العبيديّ الفاطميّ المغربيّ الملقّب بالمعزّ لدين الله، والذي تُنسب إليه القاهرة المُعِزّيّة. مولده بالمهديّة في يوم الاثنين حادي عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة؛ وبويع بالخلافة في الغرب يوم الجمعة التاسع والعشرين من شوّال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة بعد موت أبيه. يأتي ذكر نسبه وأقوال الناس فيه بعد أن نذكر قدومه إلى القاهرة وما وقع له مع أهلها ثمّ مع القَرْمَطيّ.

وقال آبن خلكان: «وكان المعزّ قد بويع بولاية العهد في حياة أبيه المنصور إسماعيل، ثم جُدّدت له البَيْعة [بعد وفاته][2] في يوم الأحد سابع ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة». قلت: هو أوّل خليفة كان بمصر من بني عُبَيْد.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ في تاريخ الإسلام: «وهو أوّل من تملّك ديار مصر من بني عبيد [الرافضة][3] المدّعين أنهم علويّون. وكان وليَّ عهد أبيه إسماعيل، فآستقل بالأمر [في آخر][3] سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، وسار في نواحي إفريقيّة ليمهّد مملكته، فأذلّ العصاة وآستعمل على المدن غلمانه وآستخدم الجند. ثم جهّز مولاه جوهراً القائد في جيش كثيف؛ فسار فآفتتح سِجِلْمَاسَةَ، وسار

(١) أخباره وترجمته في: خطط المقريزي: ١/٣٥١، ووفيات الأعيان: ٥/٢٢٤، والبيان المغرب: ١/٢٢١، والمنتظم: ٧/٨٢، واتعاظ الحنفا: ٩٣، وابن خلدون: ٤/٤٦، وابن الأثير: ٧/٣٣٠ وما بعدها، وشذرات الذهب: ٣/٥٢، وحسن المحاضرة: ٢/١٥، ومعجم زامباور: ٤٤، ١٤٤. وكان يجدر بالمؤلف أن يقول: «خلافة المعزّ» لأن الفاطميين في مصر تسمّوا بالخلافة وليس بالولاية، وكذلك الأمر فيمن سيأتي من خلفائهم في مصر.

(٢) زيادة عن ابن خلكان.

(٣) زيادة عن الذهبي.

حتى وصل إلى البحر المحيط وصِيدَ له من سمكه، وآفتتح مدينة فاس، وأرسل بصاحبها وصاحب سَبْتَة أسيرَيْن إلى المعزّ؛ ووطّأ له جوهرٌ من إفريقيّة إلى البحر سوى مدينة سَبْتَةَ فإنّها بَقِيت لبني أُميّة أصحاب الأندلس».

وقال الشيخ شمس الدين أبو المظَفَّر في تاريخه مرآة الزمان: «وكان مُغْرًى بالنجوم (يعني المعزّ) والنظر فيما يقتضيه الطالع؛ فنظر في مولده وطالعه فحكم له بقطع فيه، فآستشار منجِّمَه فيما يُزيله عنه؛ فأشار عليه أن يَعْمَل سِرْداباً تحت الأرض ويَتَوارى فيه إلى حين جواز الوقت؛ فعمل [على][٢] ذلك، وأحضر قوّادَه وكتّابه وقال لهم: إن بيني وبين الله عهداً في وَعْدٍ وَعَدنيهِ و[قد][٢] قرب أوانه، وقد جعلت نِزَاراً ولدي وليّ عهدي بعدي، ولقّبته العزيز بالله، وآستخلفته عليكم وعلى تدبير أموركم مدّة[٣] غَيبتي، فآلزموا الطاعة له وآتركوا المخالفة وآسلُكوا الطريق السديدة[٤]؛ فقالوا: الأمر أمرُك، ونحن عبيدُك وخدمك؛ ووصّى العزيزَ ولدَه بما أراد، وجعل القائدَ جوهراً مدبّره والقائم بأمره بين يديه؛ ثمّ نزل إلى سِرْداب آتخذه وأقام فيه سنة؛ وكانت المغاربة إذا رأوا غماماً سائراً ترجّل الفارس منهم إلى الأرض، وأومأ بالسلام يشير [إلى] أن المعزّ فيه؛ ثمّ خرج المعزّ بعد ذلك وجلس للناس، فدخلوا عليه على طبقاتهم ودعوا له، فأقام على ما كان عليه». انتهى.

وقيل: إنّه دخل مصر ومعه خمسمائة جمل موسوقة ذهباً عيناً وأشياء كثيرة غير ذلك.

وقال القِفْطِيّ: «إنّ المعزّ كان قد عزم على تجهيز عسكر إلى مصر؛ فسألتْه أمّه تأخير ذلك لتحجّ خِفْية، فأجابها وحجّت. فلمّا وصلت إلى مصر أحسّ بها كافور الإخشيذيّ الأستاذ فحضر إليها وخدمها وحمل إليها هدايا وبعث في خدمتها

---

(١) سبتة: بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب على البحر تقابل جزيرة الأندلس؛ وهي مدينة حصينة تشبه المهدية. (معجم البلدان).

(٢) زيادة من طبعة دار الكتب المصرية عن مرآة الزمان.

(٣) في الأصل: «منذ غيبتي» والتصحيح عن المرجع السابق.

(٤) في الأصل: «السعيدة» والتصحيح عما سبق.

أجناداً، فلمّا رجعت من حجّها منعت ولَدها من غزو بلاده. فلمّا تُوفّي كافور بعث المعزُّ جيوشه فأخذوا مصر». انتهى.

ولمّا أرسل المعزّ القائدَ جوهراً إلى مصر وفتحها وبلغه ذلك سار بنفسه إلى المهديّة في الشتاء فأخرج من قصور آبائه من الأموال خمسمائة حمل، ثم سار نحوَ الديار المصريّة بعد أن مهّد له جوهرٌ القائد وبنى له القاهرة. وكان صادف مجيء جوهر إلى مصر الغلاءُ والوباء، فلم يلتفت إلى ذلك وآفتتحها؛ ثم آفتتح الحجاز[١] والشام، وأرسل يعرّف المعزّ. وقد ذكرنا شيئاً من ذلك في ترجمة جوهر القائد.

وخرج المعزّ من المغرب في سنة إحدى وستين وثلاثمائة بعد أن آستخلف على إفريقيّة بُلُكّين[٢] بن زيري الصِّنْهاجي، وجدّ المعزُّ في السير في خزائنه وجيوشه حتى دخل الإسكندريّة في شَعبانَ سنة آثنتين وستين وثلاثمائة؛ فتلقّاه قاضي مصر أبو طاهر[٣] الذُّهْلي والأعيان، وطال حديثهم معه، وأعلمهم بأنّ قصده القصد المبارك من إقامة الجهاد والحقّ وأن يختم عمره بالأعمال الصالحة، وأن يعمل بما أمره به جدّه رسول الله ﷺ، ووعظهم وطوّل حتى أبكى بعضهم وخلعَ على جماعة. ثمّ نزل بالجيزة وأخذ جيشُه في التعدية إلى مصر ثمّ ركب هو ودخل القاهرة، وقد بُنِيت له بها دورُ الإمارة، ولم يدخل مدينة مصر، وكانوا قد آحتفلوا وزيّنوا مصر بأحسن زينة. فلمّا دخل القصر خرّ ساجداً وصلّى ركعتين.

وقال عبد الجبّار البصريّ: «وكان السبب في مجيئه إلى مصر، أنّ الرّوم كانوا

(١) في الأصل: «الحجاج». والتصحيح عن الذهبي.

(٢) هو أبو الفتوح، سيف الدولة، يوسف بلكّين بن زيري بن مناد الصنهاجي. مؤسس الإمارة الصنهاجية بتونس. كان في بدء أمره من قواد المعز وأبلى في إخضاع زناتة البلاء الحسن. ولما أراد المعزّ الانتقال إلى الديار المصرية ولاه إفريقية، ما عدا صقلية وطرابلس الغرب ــ فكانت الأولى للكلبيين والثانية للكتاميين ــ وسماه يوسف بدلاً من بلكين، وكناه أبا الفتوح ولقبه سيف الدولة أو سيف العزيز بالله (كما في أعمال الأعلام). دان له المغرب كله بعد حروب. توفي سنة ٣٧٣هـ. (الأعلام: ٢/٧٤).

(٣) في الأصل: «أبو القاسم الذهلي» وهو خطأ. والتصحيح عن الولاة والقضاة للكندي وابن خلكان وشذرات الذهب. وقد استمر أبو الطاهر الذهلي على قضاء مصر إلى سنة ٣٦٦هـ، حيث عزل بالقاضي الإسماعيلي علي بن النعمان. (انظر المعز لدين الله: ١٩٤ ــ ١٩٩).

قد آستوْلَوْا على الشام والثغور وطَرسُوسَ وأنطاكيَة وأَذَنة [وعين زَرْبَة][(١)] والمِصِّيصة وغيرها وفرح بمصاب المسلمين؛ وبلغه أن بني بُوَيْه قد غلبوا على بني العباس وأنهم لا حكم لهم معهم؛ فآشتد طمعه في البلاد؛ وكان له بمصر شيعة فكاتبوه يقولون: إذا زال الحجرُ الأسود ملك مولانا المعزّ الدنيا كلّها، ويعنون بالحجر الأسود الأستاذَ كافوراً الإخشيذيّ الخَصِيّ؛ وكان كافور يومئذ أميرَ مصر نيابةً عن آبن الإخشيد وعن الحسن بن عُبَيْد الله بن طُغْج أمير الشام، وكان الحسن قد دخل مع الشّيعة في الدعوة، وكان الحسن ضعيفاً رِخْواً؛ ولذلك كان كافور هو المتكلم عنه لأنّ الجند كانوا قد طَمعوا فيه (أعني الحسن) وكرهوه وكرههم؛ فقال له أبو جعفر بن نصر، وكان من دُعَاة المعزّ بالقاهرة: هؤلاء القوم قد طمِعوا فيك، والمعزّ لك مثل الوالد، فإن شئت كاتبته ليشدّ منك ويكون من وراء ظهرك؛ فقال الحسن: إي والله قد أحرقوا قلبي!. فكتب إلى المعزّ يُخبره؛ فبعث المعزّ القائدَ جوهراً، وهو عبد روميّ غير خَصِيّ؛ فجاء جوهرٌ إلى مصر في مائة ألف مقاتل، فدخل مصر في سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة، حسب ما ذكرناه، وأخرج الحسن المذكور بعد أن قاتله؛ وآستولى جوهرٌ على الخزائن والأموال والذخائر. وتوجّه الحسن إلى الرملة ثم ظَفِر به جوهرٌ وبعث به إلى المعزّ إلى الغرب؛ فلمّا دخل عليه الحسن قرّبه المعزّ وبشّ[(٢)] به، وقال: أنت ولدي؛ وكاتبتني على دخول مصر وإنّما بعثت جوهراً لينصرك، ولقد لحقني بتجهيز[(٣)] الجيوش إلى مصر أربعةُ آلاف ألف [وخمسمائة ألف][(٤)] دينار. فظنّ الحسن أنّ الأمر كما قال المعزّ، ولم يدر أنه خدعه؛ فسعى إليه بجماعة من قوّاد مصر والأمراء وأرباب الأموال وعرّفه حال المصريّين، وكان كلّ واحد من هؤلاء الذين دلّ الحسنُ المعزَّ عليهم مثل قارون في الغنى؛ فكتب المعزُّ إلى جوهر بآستئصالهم ومصادرتهم [وأن يبعث بهم إليه][(٤)] ثمّ حبسهم مع الحسن؛

---

(١) زيادة عن عقد الجمان.

(٢) في الأصل: «وبشّ له».

(٣) في الأصل: «على تجهيز» وما أثبتناه عن عقد الجمان.

(٤) زيادة عن عقد الجمان.

فكان ذلك آخر العهد بهم». فقال الذهبيّ: هذا قول مُنْكَر! بل أُخرج الحسنُ بن عبيد الله من مصر وبايع للمعزّ، ثم قَدِم بعد ذلك ووقعت الوحشةُ بينهم.

ولمّا دخل المعزّ إلى القاهرة آحتجب في القصر فبعث عيونَه ينقلون إليه أخبار الناس وهو متوفّر في النعم والأغذية المسمنة والأطْلِيَة التي تُنَقِّي البشرة وتُحسِّن اللّون. ثمّ ظهر للناس بعد مدّة وقد لَبِس الحرير الأخضر وجعل على وجهه اليواقيت والجواهر تَلمَع كالكواكب. وزعم أنّه كان غائباً في السماء وأنّ الله رفعه إليه؛ فآمتلأت قلوب العامّة والجُهّال منه رعباً وخوفاً، وقطع ما كان على آبن الإخشيد في كلّ سنة من الأتاوة للقرامطة،وهي ثلاثمائة ألف دينار. ولمّا بلغ القرمطيَّ ذلك عظُم عليه؛ لأنّ المعزّ كان يُصافيه لمّا كان بالمغرب ويُهاديه، فلمّا وصل إلى مصر قطع ذلك عنه. وسار القرمطيّ، واسمه الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الحسن بن بَهْرَام القَرْمطيّ، إلى بغداد وسأل الخليفة المطيع بالله العباسيّ على لسان عزّ الدولة بَخْتِيار أن يُمِدّه بمال ورجال ويُولِّيَه الشام ومصر ليُخْرِج المعزّ منها؛ فآمتنع الخليفةُ المطيع بالله من ذلك، وقال: «كلّهم قرامطة وعلى دين واحد؛ فأمّا المصريون (يعني بني عُبَيد) فأماتوا السنن وقتلوا العلماء؛ وأمّا هؤلاء (يعني القَرَامطة) فقتلوا الحاجّ، وقلعوا الحجرَ الأسود، وفعلوا ما فعلوا». فقال عزّ الدولة بَخْتِيار للقَرْمطيّ: اذهب فافعل ما بدا لك. وقيل: إنّ بختيار أعطاه مالاً وسلاحاً. فسار القرمطيّ إلى الشام ومعه أعلام سودٌ، وأظهر أنّ الخليفة المطيع ولّاه وكتب على الأعلام آسمَ المطيع عبد الكريم، وتحته مكتوب «السادة الراجعون إلى الحقّ» وملك القرمطيّ الشام ولعن المعزّ هذا على منبر دمشق وأباه؛ وقال: «هؤلاء من ولد القدّاح كذّابون مُمَخرِقون أعداء الإسلام، ونحن أعلم بهم؛ ومن عندنا خرج جدّهم القدّاح». ثم أقام القرمطيّ الدعوة لبني العباس وسار إلى مصر بعساكره. ولمّا بلغ المعزَّ مجيئُه تهيّأ لقتالهم؛ فنزل القرمطيّ بمَشْتُول الطواحين[1]، وحصل بينه وبين المعزّ مناوشات، ثم تقهقر المعزّ ودخل القاهرة وآنحصر بها إلى أن أرضى القرمطيَّ بمال

(١) مشتول الطواحين: هي مشتول السوق، وهي إحدى قرى مركز بلبيس بمديرية الشرقية. (م. رمزي).

وخدعه، وآنخدع القرمطيُّ وعاد إلى نحو الشام، فمات بالرّملة في شهر رجب(١)، وأراح الله المسلمين منه. وصفا الوقت للمعزّ فإنّ القرمطيّ كان أشدّ عليه من جميع الناس للرّعب الذي سكن في قلوب الناس منه؛ فكانت القرامطة إذا كانوا في ألف حَطّموا(٢) مائة ألف وآنتصفوا. خذلان من الله تعالى لأمر يريده.

ذكر ما قيل في نسب المعزّ وآبائه

قال القاضي عبد الجبّار البصريّ: «اسم جَدّ الخلفاء المصريّين سعيد، ويلقّب بالمهديّ، وكان أبوه يهوديّاً حدّاداً بِسَلَمْيَةَ؛ ثم زعم سعيدٌ هذا أنّه آبن الحسين بن أحمد(٣) بن عبد الله بن ميمون القدّاح. وأهل الدعوة أبو القاسم الأبيض العلويّ وغيره يزعمون أنّ سعيداً إنّما هو من آمرأة الحسين المذكور، وأنّ الحسين ربّاه وعلّمه أسرار الدعوة، وزوجته بنت أبي الشلغلغ(٤)، فجاءه آبن فسمّاه عبد الرحمن. فلمّا دخل الغرب وأخذ سِجِلْماسة تسمّى بعبيد الله ثمّ تكنّى بأبي محمد، وسمّى آبنه الحسن؛ وزعمت المغاربة أنّه يتيمٌ ربَّه(٥) وليس بآبنه ولا بآبن زوجته؛ وكناه أبا القاسم وجعله وليّ عهده». انتهى.

---

(١) يورد أبو المحاسن خبر المواجهة بين الحسن الأعصم القرمطي والمعز لدين الله الفاطمي على أبواب القاهرة بشكل مقتضب يفتقد للدقة التاريخية. ذلك أن الذي خدعه المعز بمال وأرضاه به ليس الحسن الأعصم وإنما هو حسان بن الجراح الطائي زعيم الأعراب الذين شاركوا القرمطي في هجومه على مصر. وقد وعده المعز بأن يدفع له مائة ألف دينار إذا انهزم أمام جند الفاطميين وخذل حليفه القرمطي. وهكذا كان، فقد انهزم الطائي أمام العساكر الفاطمية التي خرجت من القاهرة بقيادة عبد الله بن المعز واستطاعت أن تفك الحصار وتحيط بعساكر القرامطة الذين تقهقروا وأسر منهم أكثر من ألف وخمسمائة عوملوا معاملة المرتدين عن دينهم وهو المذهب الإسماعيلي. وقد وفى المعز بوعده، غير أن الدنانير التي أرسلها إلى الطائي كان أكثرها من النحاس المطلي بالذهب. هذا علماً أن الحسن الأعصم الذي عاد إلى الشام إثر فشله هذا ثم توجّه إلى البحرين لم يمت في هذه السنة ــ كما توحي به عبارة المؤلف ــ وإنما مات في سنة ٣٦٦هـ. (انظر المعز لدين الله: ص ١٢٤، وابن الأثير: حوادث ٣٦٣هـ).

(٢) في الأصل: «حطموا في مائة ألف».

(٣) كذا في خطط المقريزي واتعاظ الحنفا والفرق بين الفرق. وفي الأصل: «الحسين بن محمد بن أحمد».

(٤) كذا في الأصل. وفي اتعاظ الحنفا: «الشلعلع» بالعين المهملة في الموضعين. وفي خطط المقريزي: «الشعلع» بلام واحدة.

(٥) ربُّ الولدَ ربّاً: وليه وتعهده بما يغذيه وينميه ويؤدبه.

وقال القاضي أبو بكر بن الباقلاني: «القدّاح جدّ عُبَيد الله كان مجوسياً؛ ودخل عبيد الله المغربَ وآدّعى أنه علويّ ولم يعرفه أحدٌ من علماء النسب، وكان باطنياً خبيثاً حريصاً على إزالة ملّة الإسلام؛ أعدم الفقه والعلم ليتمكّن من إغراء الخلق؛ وجاء أولاده أسلوبَه وأباحوا الخمر والفروج وأشاعوا الرّفْضَ، وبثّوا دعاة فأفسدوا عقائد جبال الشام، كالنُّصَيْرِية والدُّروزِيّة. وكان القدّاح كاذباً مخرِّقاً، وهو أصل دعاة القرامطة». انتهى.

وقال آبن خلكان: «اختلف في نسبهم، فقال صاحب تاريخ القَيْرَوَان: هو عُبَيْد الله بن الحسن[1] بن عليّ بن محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ». انتهى. وقال غيره: هو عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر المذكور في قول صاحب تاريخ القيروان. وقيل: هو عليّ بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ. وقيل: هو عبيد الله بن التقيّ بن الوفيّ بن الرضيّ، وهؤلاء الثلاثة يقال لهم المستورون في ذات الله. والرضيّ المذكور هو آبن محمد بن إسماعيل بن جعفر. وآسم التقيّ الحسين. واسم الوفيّ أحمد. وآسم الرضيّ عبد الله. وإنّما آستتروا خوفاً على أنفسهم لأنّهم كانوا مطلوبين من جهة الخلفاء من بني العباس، لأنّهم علِموا أنّ فيهم من يروم الخلافة؛ [أُسوة غيرهم من العلويّين، وقضاياهم ووقائعهم في ذلك مشهورة][2]. وإنّما تسمّى المهديّ عبيدَ الله آستتاراً. هذا عند من يُصحّح نسبه ففيه آختلاف كثير. وأهل العلم بالأنساب من المحقّقين يُنكرون دعواه في النسب. وقيل: هو عبيد الله بن الحسين بن عليّ بن محمد بن عليّ الرضي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق. وقيل: هو عليّ بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسين بن محمد بن زَيْن العابدين بن محمد بن الحسين، وإنّما سمّى نفسه

(١) كذا في ابن خلكان. وفي الأصل: «الحسين».
(٢) زيادة عن ابن خلكان.

[عبيدَ الله][١] آستتاراً. وهذا أيضاً على قول من يُصحّح نسبهم. والذي يُنكر نسبه يقول: اسمه سعيد، ولقبه عبيد الله، وزوج أمّه الحسين بن أحمد القدّاح، كان كحّالاً يقدح العين إذا نزل فيها ماء.

وقال آبن خلكان: «وجاء المعزّ من إفريقيّة وكان يُطْعَن في نسبه. فلمّا قرُب من البلد (يعني مصر) وخرج الناس للقائه، آجتمع به جماعة من الأشراف؛ فقال له من بينهم الشريف عبدُ الله بن طَبَاطَبَا: إلى من ينتسب مولانا؟ فقال له المعزّ: سنعقد مجلساً ونسرُد عليكم نسبنا. فلمّا آستقرّ المعزُّ بالقصر جمع الناس في مجلس عامّ وجلس لهم وقال: هل بَقِيَ من رؤسائكم أحد؟ فقالوا: لم يبق معتَبَرٌ، فسلّ [عند ذلك نصف][٢] سيفه وقال: هذا نسبي! ونثر عليهم ذهباً كثيراً، وقال: هذا حسبي! فقالوا جميعاً: سمعنا وأطعنا». قلت: وفي نسب المعزّ أقوالٌ كثيرة أُخَر أضربت عن ذكرها خوف الإطالة. والظاهر أنه ليس بشريف[٣]، وأنّه مدّعٍ. والله أعلم.

وآستمر بالقاهرة إلى أن مرِض بها وتُوفّي يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأوّل سنة خمس وستين وثلاثمائة، وله ست وأربعون سنة؛ وقام ولده العزيز نِزَار بعده بالأمر[٤]. وأقام المعزّ والياً ثلاثاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوماً، منها بمصر ثلاث سنين، وباقي ولايته كانت بالمغرب؛ وخلّف عشرة

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) زيادة عن ابن خلكان.

(٣) يرى الدكتور حسن إبراهيم حسن والدكتور طه أحمد شرف في كتابهما «المعز لدين الله» أنه لا ينتمي إلى بيت عبيد الله المهدي ــ أي البيت القداحي ــ وإنما ينتسب إلى جده القائم وأبيه المنصور، وهما من سلالة أئمة الاستقرار عند الإسماعيلية. وقد نقلا نصاً أورده أبو حنيفة بن حيون المغربي في كتابه: المجالس والمسايرات (مخطوط بمكتبة فؤاد الأول رقم ٢٦٠٦٠) على لسان إحدى نساء المهدي، فقد كانت تقول لولد المهدي ونسائه بعد وفاته: «والله لقد خرج هذا الأمر من هذا القصر ــ يعني قصر المهدي بالله ــ فلا يعود إليه أبداً، وصار إلى ذلك القصر ــ يعني قصر القائم بأمر الله ــ فلا يزال في ذرية صاحبه ما بقيت الدنيا» ولو كان أبناء القائم من ذرية المهدي لما عبرت هذه السيدة بذلك. (انظر المعز لدين الله: ص ١٠ ــ ١٣، وعبيد الله المهدي، لنفس المؤلفين: ص ١٥٦ ــ ١٦٩).

(٤) في الأصل: «في الأمر».

أولاد: نزاراً الذي وَلِي مصر بعده وعبد الله وعقيلاً وسبع بنات. وأقام بتدبير مملكة ولده العزيز جوهراً القائد باني القاهرة وصاحب جامع الأزهر المقدّم ذكره.

قال آبن خلّكان: إنّه تُوُفّي يوم الجمعة الحادي عشر من شهر ربيع الآخر. وقيل: الثالث عشر [وقيل لسبع خَلَوْن](١) منه. فخالف ما قلنا(٢) في اليوم والشهر إلّا أنّه وافق في السنة. قال: و(معدّ بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الدال المهملة). انتهى.

قلت: وكان المعزّ عاقلاً حازماً أديباً جواداً ممدّحاً، فيه عدل وإنصاف للرعية؛ فمن عدله [ما] حكي عنه أنّ زوجة الإخشيذ الذي كان ملك مصر لمّا زالت دولتهم أودعت عند يهوديّ بغلطاقاً(٣) كلّه جوهر، ثمّ فيما بعدُ طالبتْه فأنكر؛ فقالت: خُذ كُمَّ البغلطاق وأعطني ما فضل فأبى؛ فلم تزل به حتى قالت: هاتِ الكُمّ وخذ الجميع فلم يفعل؛ وكان في البغلطاق بضع عشرة درّة؛ فأتت المرأة إلى قصر المعزّ فأذِن لها فأخبرته بأمرها، فأحضره وقرّره فلم يُقرّ؛ فبعث إلى داره من خرب حيطانها فظهرت جَرّة فيها البغلطاق؛ فلما رآه المعزّ تحيّر من حسنه، ووجد اليهوديّ قد أخذ من صدره درّتين؛ ، فآعترف أنه باعهما بألف وستمائة دينار؛ فسلّمه المعز بكماله للمرأة. فآجتهدت أن يأخذه المعزّ هديّة أو بثمن فلم يفعل؛ فقالت: يا مولاي، هذا كان يصلح لي وأنا صاحبة مصر، وأمّا اليوم فلا؛ فلم يقبله المعزّ وأخذته وآنصرفت.

وكان المعزّ قد أتقن فنوناً من العلم والأدب. ومن شعره قوله: [مجزوء الكامل]

---

(١) زيادة عن ابن خلكان.

(٢) في الأصل: «فخالف ما قلناه في قوله الثاني في اليوم...» وابن خلكان له ثلاثة أقوال كل منها يخالف ما قاله المؤلف في اليوم والشهر. لذلك فلا معنى لقوله: «في قوله الثاني» وقد حذفناه.

(٣) البغلطاق: هو نوع من القباء. قال علي مبارك في الخطط التوفيقية: ١٣٨/١: «ولما ملك الناصر محمد بن قلاوون أحدث العمائم الناصرية، وكانت صغيرة؛ وأحدث الأمير يلبغا العمري الكلوتات الكبيرة، وعرفت باليلبغاوية؛ وأحدث الأمير سلار القباء الذي عرف بالسلاري، وكان قبل يعرف بالبغلطاق، وهو شبه المضربية».

لله مـا صـنـعـتْ بـنـا تلك المحاجر في المعـاجر(١)
أمـضَى وأقـضَى فـي الـنـفـو س من الخناجر في الحنـاجر
ولـقـد تَـعِـبْـتُ بـبـينـكـم تَعَبَ المُهـاجـر في الهـواجـر

ذكر ركوب الخلفاء الفاطميّين في أوّل العام(٢) من كلّ سنة

والمعزّ هذا هو الذي آستسنّ ذلك كلّه، فكان أمره إذا كان أواخر ذي الحجّة من كلّ سنة آنتصب كلٌّ من المستخدَمين في الأماكن الآتي ذكرها لإخراج آلات الركوب:

فيخرج من خزائن الأسلحة ما يحمله صِبْيان الرِّكاب(٣) حول الخليفة، من الصَّماصم(٤) المصقولة المذهّبة، والدبابيس الملبّسة الكِيمُخت(٥) الأحمر والأسود مدوّرة الرأس مضرّسة؛ ولتوت(٦) رؤوسها مستطيلة؛ وآلات يقال لها المستوفيات، وهي عمد حديد طول ذراعين مربّعة الشكل، لها مقابض مدوّرة في اليد، وعُدَد معلومة أيضاً من كلّ صنف يتسلّمها نقباؤهم؛ وستّمائة حربة بأسِنَّة مصقولة تحتها جُلَبُ(٧) فِضَّة، كل آثنتين في شرّابة تُعْطَى لثلاثمائة عبد[من] السودان الشباب يقال لهم أرباب السلاح الصغير(٨) ويعطى لكل منهم دَرَقة. هذا من خزائن السلاح.

(١) المعاجر: جمع عجار، وهو ثوب تلفّه المرأة على استدارة رأسها. واعتجر فلان بالعمامة: لفّها على رأسه ورد طرفها على وجهه.
(٢) راجع في تعريفه وكيفيته وصفته، صبح الأعشى: ٥٧٧/٣، وخطط المقريزي: ٤٤٦/١، ونظم دولة الفاطميين ورسومهم لعبد المنعم ماجد: ٩٤/٢.
(٣) صبيان الركاب: ويقال لهم أيضاً الركابية. وهم الذين يحملون السلاح حول الخليفة في المواكب، وكانت عدتهم تزيد على ألفي رجل، ولهم اثنا عشر مقدماً، ولهم نقباء موكلون بمعرفتهم. وهم بمثابة السلاحدارية والطبردارية في عصر المماليك. (صبح الأعشى: ٤٨٠/٣).
(٤) في الأصل: «هو من الصماصم».
(٥) الكيمخت: ضرب من الجلود المدبوغة. (طبعة دار الكتب، ص ٧٩، حاشية).
(٦) اللتوت: لفظ فارسي الأصل، ومعناه القدّوم أو الفأس العظيمة. (محيط المحيط).
(٧) جمع جلبة، وهي قطعة من فضّة وغيرها تضمّ نصاب الحربة بسنانها.
(٨) في المقريزي: «أرباب السلاح الصفر».

ثمّ يخرج من خزائن التجمّل[١]، وهي من حقوق خزائن السلاح، القُضُب الفضة [برسم][٢] تشريف الوزير وأرباب الرتب من الأمراء والعساكر من الرجّالة والمُشاة، وهي رماح ملبّسة بأنابيب الفضة المنقوشة بالذهب سوى ذراعين منها، فإنّها مشدودة بالمعاجر الشَّرَب[٣] الملوّنة، وتبقى أطرافها المرقومة مسبَلة كالسناجق[٤]، وبرأس كلّ رمح رَمَامِينُ فِضة منفوخة وأهِلّة مجوّفة وفيها جلاجل لها جِسٌّ إذا تحرّكت، وعِدّتها مائة رمح.

ومن العَمَارِيّات[٥] وهي شبه الكجاوات[٦] مائة عماريّة ملبّسة بالديباج الأحمر والأصفر والسقلاطون[٧] مبطّنة[٨] مضبوطة بزنانير من حرير، وعلى دائر التربيع مناطق بكوامخ[٩] فِضّة مسمورة في جلد.

---

(١) خزانة التجمل: فيها أنواع السلاح، وتحتوي كذلك على الآلات الثمينة التي تستخدم في المناسبات الرسمية؛ ففيها عدة صناديق مملوءة بالفصوص والجواهر وأوان من ذهب وفضة وسروج ذهب وكنابيش مطرزة وملابس مطرزة وحوائص وأمتعة حسنة من كل نوع. وكان يشرف عليها ناظر. (صبح الأعشى: ٤٧٤/٣، ٥٠٠، وزبدة كشف الممالك لابن شاهين الظاهري: ١١٥).

(٢) زيادة عن المقريزي وصبح الأعشى.

(٣) الشرب: نوع من القماش الشفاف تدخله خيوط حريرية أومذهبة. ومنه الشفاف جداً. (التعريف بمصطلحات الصبح: ١٩٧، عن معجم دوزي).

(٤) السنجق: لفظ تركي يطلق في الأصل على الرمح، والجمع سناجق. وهي رايات صفر صغار يحملها السنجقدار. ويظهر أن العادة كانت أن يركب السلطان في المواكب زمن السلم بالسناجق فقط، أما مواكب الحرب فكان سير السلطان فيها بالأعلام، ومنها السناجق. (صبح الأعشى: ٨/٤ و ٤٥٦/٥، ٤٥٨).

(٥) العماريات: جمع عمارية، وهي الهودج يجلس فيه. (صبح الأعشى: ٤٧١/٣، ٤٧٤).

(٦) كذا بالأصل. وفي صبح الأعشى: «الكنجاوات» وكلاهما صحيح. وهي ضرب من المحامل، دخيل منذ زمن الأيوبيين. (معجم متن اللغة). وفي خطط المقريزي: «الكخاوات» وفيه تصحيف.

(٧) السقلاطون: الملابس الملونة بالألوان القرمزية وغيرها. وهو اسم بلد بالروم تصنع فيه تلك الملابس وتنسب إليه.

(٨) كذا في المقريزي؛ وفي الأصل: «عليها زنانير من حرير».

(٩) كذا بالأصل والمقريزي. وفي صبح الأعشى: «كوابح الفضة المذهبة». ولعل الصواب: بكوابش» من كَبَش أي تناول، والمراد حيث يمسك بها.

ويخرج للوزير لواءان[١] على رمحين ملفوفين غير منشورين، فيسيران أمام الوزير. ثمّ يسير للأمراء أرباب الرتب في الخِدَم، أوّلهم صاحب[٢] الباب عشرُ[٣] قصبات وعشرُ عَمَاريّات. وللإسْفَهْسالار[٤] مثلُ ذلك عدّة عَماريّات بألوان مختلفة؛ ومنْ سواهما من الأمراء خمس[٥].

ثمّ يخرج من البنود الخاصّ الدَّبيقيّ[٦] المرقوم الملوّن برماح ملبّسة بالأنابيب، على رؤوسها الرمامينُ والأهلة للوزير أيضاً خاصّة. ودون هذه البنود مما هو حرير على رماح غير ملبّسة، رؤوسها ورمامينُها نُحاس مجوّف مذهّب، أمام الأمراء المذكورين.

ثمّ يخرج لقوم يقال لهم السريرية[٧] سلاحٌ، كلّ قطعة طول ثلاث أذرع برأسها طلعة مصقولة وهي من خشب القنطارية داخلة في الطلعة، وفي عقبها حديد مدوّر السّفل، فهي في كفّ حاملها الأيمن، وهو يَفْتِلها فتلاً متدارَك الدوَران؛ وفي يده اليسرى نُشّابةٌ كبيرةٌ يخطِر بها.

---

(١) وهما «لواءا الحمد» ــ انظر صبح الأعشى: ٥٤٢/٣، طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) وظيفة صاحب الباب هي ثاني رتبة الوزارة. قال ابن الطوير: وكان يقال لها الوزارة الصغرى، وصاحبها في المعنى يقرب من النائب الكافل في زماننا، وهو الذي ينظر في المظالم إذا لم يكن وزير صاحب سيف، فإن كان ثمّ وزير صاحب سيف، كان هو الذي يجلس للمظالم بنفسه، وصاحب الباب من جملة من يقف في خدمته. (صبح الأعشى: ٥٥٤/٣).

(٣) في المقريزي: «خمس قصبات وخمس عماريات».

(٤) إسفهسالار (ويقال أيضاً: اسفهسلار، واسفسلار، واسباسلار) وهو لفظ مركب من لفظين فارسي وتركي. إذ إن «أسفه» بالفارسية بمعنى «المقدم». و «سلار» بالتركية بمعنى «العسكر» فيكون معنى المصطلح: مقدم العسكر أي قائد الجيش. وكان هذا المصطلح مستعملاً في الدولة الفارسية، ومنها انتقل إلى العصر العباسي في بغداد، ثم استعمل في الدولة الفاطمية. وكان «الاسفهسلار» في الدولة الفاطمية يلي في الرتبة «صاحب الباب» وكان عالي الشأن، عظيم النفوذ، ومهمته الإشراف على أمور الجند. وانتقل هذا اللفظ عن طريق الدولة الفاطمية والدولة النورية إلى الدولة الأيوبية ثم الدولة المملوكية. (الألقاب الإسلامية: ١٥٧).

(٥) في المقريزي: «ومن سواهما من الأمراء على قدر طبقاتهم ثلاث ثلاث واثنتان اثنتان وواحدة واحدة».

(٦) الدبيقي: نوع من الأقمشة الحريرية المزركشة التي كانت تصنع في دبيق، وهي بلدة مصرية قديمة زالت. وكانت واقعة على بحيرة المنزلة بالقرب من تنيس، وموضعها اليوم تلّ دبيق في الشمال الشرقي لقرية «صا الحجر» وعلى بعد ٥٥٠٠م منها بمركز فاقوس. (م. رمزي ــ طبعة دار الكتب المصرية).

(٧) في الأصل: «السبربرية». وما أثبتناه عن صبح الأعشى.

ثمّ يخرج من النَّقَّارات(١) حِمْل خمسين(٢) بغلاً على خمسين بغلاً، على كلّ بغل خمسٌ مثل الكُوسات(٣) يقال لها طبول. قلت: ولها حِسٌّ مستحسن. ويسيرون في المواكب ثلاثاً(٤). ثمّ يخرج لقوم متطوّعين ليس لهم جراية ولا نفقة، وعدّتهم مائة رجل، لِكل واحد دَرَقَةٌ من دَرَق اللَّمْط(٥) واسعة وسيف؛ ويسيرون رَجّالة. هذا ما يخرُج من خزائن السلاح.

ثمّ يحضُر حامي خزائن السروج، وهو من الأستاذين(٦) المُحَنَّكِين، إليها مع مُشارفها(٧) وهو من الشهود المعدّلين(٨)، فيخرج منها من(٩) خاصّ الخليفة من الركّاب المُحَلَّى ما هو برسم ركوبه، وما يُجْنب في الموكِب مائةُ سرج تُشدّ على عِدّة حُصُن. ويقال: كلّ مرْكب مصوغ من ذهب وفِضّة، أو من ذهب منزّل فيه المِينا،

---

(١) النقارات: واحدتها نقارة، وكانت تحمل في ركاب السلاطين إلى الحرب فتستخدم في إصدار الأوامر وفي الإيذان ببدء القتال. (صبح الأعشى: ٤٧١/٣، ومعجم دوزي).

(٢) في المقريزي وصبح الأعشى: «حمل عشرين بغلاً على كل بغل ثلاث... إلخ».

(٣) الكوسات: صنوج من نحاس تشبه الترس الصغير يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص، ويتولى ذلك الكوسي. (الصبح: ١٣٦/٢، وزبدة كشف الممالك: ١١٣).

(٤) في المقريزي وصبح الأعشى: «ويسيرون في المواكب اثنين اثنين».

(٥) اللمط: اسم لقبيلة من البربر بأقصى الغرب، ينسب إليها الدرق، لأنهم ينقعون الجلود في الحليب سنة فيعملونها فينبو عنها السيف القاطع.

(٦) الأستاذون: هم المعروفون بالخدّام والطواشية، وكان لهم في دولتهم المكانة الجليلة، ومنهم كان أرباب الوظائف الخاصة بالخليفة، وأجلهم المحنكون، وهم الذين يدوّرون عمائمهم على أحناكهم كما تفعل العرب والمغاربة، وهم أقربهم إليه وأخصهم به. وقد ذكر صاحب صبح الأعشى لهم عدّة وظائف، منها: شدّ تاج الخليفة، وتولي أمر المجلس الذي يجلس فيه الخليفة، وحمل رسائل الخليفة إلى الوزير، وغير ذلك.

(٧) المشارف: عمله طلب التفاصيل الكاملة عن أية جهة من الجهات الضريبية التي تقع في دائرة عمله، ويدخل في عهدته جمع المتحصلات المالية بعد ختمها. (قوانين الدواوين: ٣٠٢، ونهاية الأرب: ٣٠٤/٨) ـ وهو هنا بمعنى المشرف والمفتش.

(٨) الشهود المعدّلون: وظيفتهم من الوظائف الدينية مثل وكالة بيت المال والمحتسب وحضور مجلس القاضي. فإذا جلس القاضي بالمجلس جلس هؤلاء الشهود حواليه يمنة ويسرة على مراتبهم في تقدّم تعديلهم، فيجلس الشاب المتقدم التعديل أعلى من الشيخ المتأخر التعديل. وكان من مصطلحهم الا يعدّل شاهد إلا بأمر الخليفة. (راجع صبح الأعشى في أرباب الوظائف الدينية ج ٣ ص ٤٨٦).

(٩) في المقريزي: «منها برسم خاص الخليفة».

وروادفها وقرابيسها من نسبتها. ومنها مرصّع بحَبّ اللؤلؤ الفائق. والخيل مطوّقة بأعناق الذهب وقلائد العنبر، وفي أيدي أكثرها خلاخل مُسطّحة بالذهب، ومكان الجلد من السروج الديباجُ الأحمرُ والأصفر وغيرُهما من الألوان المنقوشة؛ قيمة كلّ دابّة وما عليها ألف دينار. فيُشَرَّف الوزيرُ منها بعشرة لركوبه وأولاده ومن يشاء من أقاربه. ويَتسلّم ذلك كلّه عرفاءُ[1] الإصطبلات.

ثمّ يخرج من الخزانة أيضاً لأرباب الدواوين المرتّبين في الخِدَم مراكبُ على مقدارهم، عليها من العُدّة دون ما[2] تقدّم ذكرهم، وعدّتهم ثلاثمائة خيل وبغال. ثم يُنتدب حاجبٌ يفرِّق لأرباب الخِدَم كلّ واحد سيفاً وقلماً؛ فيحضُر سَحَر اليوم المذكور إلى منازل أرباب الخِدَم بالقاهرة ومصر، ولهم رسوم من الرُّكاب من دينار إلى نصف دينار إلى ثلث دينار. فإذا تكمّل ما وصفنا وتسلّمه أربابه من العُرَفاء يجلس[3] الخليفة في الشبّاك لعرض الخيل الخاصّ المقدّم ذكرها، ويقال له يوم عَـرْض الخيل، فيُسْتَـدْعَى الوزيـرُ بصاحب الـرسالـة، وهو من كبار الأستاذِين المُحَنَّكِين، فيمضي مسرعاً على حِصان دَهْراج[4]، فيعود ويُعلم بآستدعاء الوزير؛ فيخـرج الخليفة من مكـانه راكبـاً في القصر والنـاس بين يديـه مشَاةٌ، فينـزل بـ «السِّدِلّا»[5] بدهليز باب الملك الذي فيه الشباك، وعليه سِتْرٌ، فيقف

---

(١) كان لفظ «العريف» بمصر يعبّر عنه بالحاشر؛ وهو الذي يتولى أمر التعريف بأهل الذمة وكل ما يتعلق بإحصائهم من مواليد ووفيات ومسافرين وغير ذلك. (انظر صبح الأعشى: ٣٦٢/١٤) ومن هنا نستطيع القول إن مهمة عرفاء الاصطبلات كانت إحصاء ما يدخل إليها وما يخرج منها من دواب ومتعلقاتها وتسجيل ذلك. وهي شبيهة في أيامنا بوظيفة أمين مستودع.

(٢) كذا في الأصل. وفي المقريزي: «دون ما تقدم ذكره ما تقرب عدته من ثلاثمائة مركب على خيل... إلخ».

(٣) في الأصل: «ثم يجلس».

(٤) حصان دهراج: سريع السير.

(٥) في الأصل: «بمكان لا» وما أثبتناه عن المقريزي وصبح الأعشى. وجاء رسمه في الصبح «السِّدِلّى». والأرجح لدينا أنهم اشتقوا هذا اللفظ من فعل «سَدَل». ولعله مكان يجلس فيه الخليفة لمشاهدة العرض، ويكون قبل بدء العرض محجوباً عن الناس بستارة مسدلة، كما سيأتي بعد قليل. ولعل اللفظ الأنسب الصحيح لغوياً هو: السَّديل، وهو ما أسبل على الهودج، أو هو ستر حَجَلة المرأة. فتأمل.

زِمامُ(١) القصر من جانبه الأيمن وصاحبُ بيت المال(٢) من جانبه الأيسر. فيركب الوزير من داره وبين يديه الأمراء. فيترجّل الأمراء من باب القصر والوزيرُ راكب، ويدخل من باب العيد في هذا اليوم، وينزل عند أوّل الدّهاليز الطّوال، ويمشي وحوله حاشيتُه وأقاربه إلى الشبّاك، فيجلس على كرسيّ جيّد ورجلاه تطأ الأرض. فعندما يجلس يرفـع الأستاذان جانبـي الستر الذي(٣) على الخليفة. فإذا رأى الوزيرُ الخليفة وقف وسلّم وخدَم بيده إلى الأرض خمس(٤) مرّات. ثم يُـؤذَن له في الجلوس على كرسيّه، ويقرأ القرّاء آياتٍ لائقة بذلك الحال نصف ساعة. ثم تُعرض الخيولُ كالعرائس بأيدي شدّاديها، فيقرأ القرّاءُ عند تمام العرض ويُرْخى جنبات الستر. ويقوم الوزيرُ فيدخل ويقبّل يد الخليفة ورجله؛ ثمّ ينصرف فيركب من مكان نزوله والأمراء في ركابه ركباناً ومُشاةً إلى قريب من داره. فإذا صلّى الإمام الظهرَ جلس الخليفة لعرض ما يَلْبَسُه في الغد من خزائن الكسوة الخاصّة، ويكون لباسه البياض، فيُعين مِنديلاً خاصّاً وبدلة. ويتسلّم المنديل شادّ التاج الشريف، ويقال له شَدّ(٥) الوَقَار، وهو مِن الأستاذِين المحنّكين وله مَيزة، فيشدّها شدّةً غريبةً لا يعرفها سواه، شكل الإهليلَجة. ثم يُحضِر إليه اليتيمة، وهي جوهرة عظيمة لا تُعرف لها قيمة، فتنظم وحولها ما هو دونها من الجواهر؛ وهي موضوعة في هلال من ياقوت أحمر

---

(١) زمام القصر: من وظائف الأستاذين المحنكين. وهو الذي يتولى إدارة خدم القصر والإشراف على أعمالهم. (صبح الأعشى: ٣/٤٨١، ٤٨٥، ٥٠٩، ٥٢١).

(٢) صاحب بيت المال: هي أيضاً من وظائف الأستاذين المحنكين في العصر الفاطمي. وهو بمثابة الخازندار في العصر المملوكي. (الصبح: ٤٨١، ٥٢١).

(٣) في المقريزي وصبح الأعشى: «يرفـع الأستاذان جانبـي الستر فيرى الخليفة جالساً على مرتبة عظيمة».

(٤) في المقريزي: «ثلاث مرات».

(٥) كذا بالأصل. وفي المقريزي وصبح الأعشى: «شَدَّة الوقار» وهو الصواب. وشدّة الوقار هي التاج يركب به الخليفة في المواكب العظام مكان العمامة. ويكون المنديل الذي يعمل منه شدّة الوقار من لون لبس الخليفة. وتكون مرصعة بغالي الياقوت والزمرد والجوهر. (صبح الأعشى: ٣/٤٦٨، ٤٨٠. وخطط المقريزي: ١/٤٣٦. ونصوص من أخبار مصر لابن المأمون: ٧٥) ولفظ «الشاد» المستعمل هنا هو من فعل «شدَّ» والمراد به الذي يشدّ ويربط أو يلفّ. وهو بغير معنى (الشادّ = المفتش)، فيقال: شاد الجوالي، وشاد الأوقاف وشاد الدواوين... إلخ. ومهمته التفتيش والإشراف والتحدث على أمور المجال المحدد له. (انظر: Demombynes: La Syrie à l'époque des mamlouks, Index III).

ليس له مثال في الدنيا، زنته أحد عشر مثقالاً، وقيل أكثر، يقال له الحافر، فتنظم في خرقة حرير أحسن ما يمكن من الوضع، ويخاط على[١] التاج بخياطة خفيفة، فيكون ذلك بأعلى جبهة الخليفة، وبدائرها قصب الزّمرد الذُّبابيّ[٢] العظيم القدر.

ثمّ يؤمر بشدّ المِظَلّة التي تشاكل تلك البدلة، وهي آثنا عشر شوزكاً، عرض أسفل كلّ شوزك شبر وطوله ثلاث أذرع وثلث؛ وآخر الشوزك من فوق دقيق جداً. فيجتمع ما بين الشوازك في رأس عمودها دائرة[٣]. والعمود من الزان ملبّس بأنابيب الذهب[٤]. وفي آخر أنبوبة تلي الرأس فلكة[٥] بارزة قدر عرض إبهام. فيشدّ آخر الشوازك في حلقة ذهب. وللمِظلة أضلاع من خشب الخَلَنْج[٦] مربّعات مكسوّة بالذهب على عدد الشوازك خفاف بطول الشوازك. وفيها خطاطيف لِطَاف، وحِلَقٌ يُمْسِك بعضُها بعضاً تنضمّ وتنفتح، ورأسها كالرّمّانة، ويعلوه أيضاً رمّانة صغيرة كلها ذهب مرصّع بجوهر، ولها رفرف دائر عرضه أكثر من شبر ونصف، وتحت الرّمانة عُنق مقدار ستّ[٧] أصابع. فإذا أُدخلت الحلقةُ الذهب الجامعة لآخر الشوازك في رأس العمود ركّبت عليها الرمانة ولُفّت في عَرْضي[٨] دَبِيقِيّ مذهب، فلا يكشفها منه إلّا حاملها عند تسليمها وقت الركوب.

ثمّ يؤمر بشدّ لواءي الحمد المختصّين بالخليفة، وهما رمحان [طويلان ملبّسان بمثل أنابيب عمود المِظلّة إلى حدّ نصفهما][٩] برأسهما لواءان من حرير

---

(١) في المقريزي: «ويخيطها شاد التاج بخياطة خفيفة فتكون بأعلى. . . إلخ».

(٢) سمي بالذبابي لقرب لونه من لون الذباب الكبير المائل إلى الخضرة.

(٣) في المقريزي والصبح: «بدائرة».

(٤) في الأصل: «ملبوس بالأنابيب الذهب في آخر الأنبوبة فلكة» وما أثبتناه عن المقريزي.

(٥) الفلكة: قطعة مستديرة من الخشب ونحوه تجعل في أعلى العمود. وغالباً ما تستعمل في المغزل.

(٦) الخلنج: شجر بين صفرة وحمرة يكون بأطراف الهند والصين تتخذ منه الأواني. فارسيّ معرب.

(٧) في المقريزي: «يكون مقداره ثلاث أصابع».

(٨) في المقريزي: «في عرض ويبقى». والعَرْضي: نوع من الثياب والقماش؛ عراقية مولدة. (معجم متن اللغة).

(٩) ما بين القوسين هو عبارة المقريزي. وفي الأصل: «طوال ملبس عليهما مثل عمود المظلة برأسهما. . . إلخ».

أبيض مرقومان بالذهب ملفوفان على رماحهما، ويُخْرَجان بخروج المِظَلة، فيحملهما أميران.

ثمّ يخرج إحدى وعشرون راية لطيفة من حرير مرقوم، ملوّنة بكتابة[١] في كلّ واحدة بما يخالف لونها [ونص كتابتها][٢]: ﴿نَصْرٌ مِنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾. طُولُ كلّ راية ذراعان في ذراع ونصف، فتسلّم لواحد وعشرين رجلاً.

ثمّ يخرج رمحان في رؤوسهما أهِلّةٌ من ذهب في كلّ واحد سَبُعٌ من ديباج أحمر وأصفر، وفي فمه طارةٌ[٣] مستديرة، يدخل فيها الريح فينفتحان فيظهر شكلهما، ويتسلمهما فارسان يسيران أمام الرايات.

ثمّ يخرج السيف الخاصّ، وحِلْيته [ذهب][٤] مرصّعة بالجواهر، في خريطة مرقومة بالذهب، لا يظهر سوى رأسه، فيخرج مع المِظَلة، وحامله أميرٌ، عظيم القدر، وهو أكبر حامل.

ثمّ يخرج الرمح، وهو رمح لطيف، في غلاف منظوم من لؤلؤ، وله سنان مختصر بحلية ذهب [وله شخص مختص بحمله][٥]. ودَرَقة بكوامخ[٦] ذهب وسيعة، تنسب إلى حمزة بن عبد المطّلب، في غِشاء حرير، فيحملها[٧] أمير مميّز له جلالة. ثمّ يعلم الناسُ سلوكَ الموكب. والموكبُ دورتان؛ إحداهما كُبرى، وهي من باب القصر إلى باب النصر، مارّاً إلى الحوض، حوض[٨] عزّ الملك. ثمّ

(١) في الأصل: «بكتوب».
(٢) زيادة عن المقريزي.
(٣) في الأصل: «طائرة». والتصويب عن المقريزي وصبح الأعشى.
(٤) الزيادة عن المقريزي.
(٥) زيادة عن صبح الأعشى (ج ٣ ص ٤٧٣).
(٦) راجع ص ٨٤، حاشية (٩).
(٧) في الأصل: «فيحمله».
(٨) حوض عز الملك: كان هذا الحوض خارج باب النصر قريباً منه، وقد محيت آثاره، كما يؤخذ من صبح الأعشى (ج ٣ ص ٥٠٨).

ينعطف على اليسار إلى باب الفتوح إلى القصر. والأخرى هي الصغرى، إذا خرج من باب النصر سار حول السور ودخل من باب الفتوح إلى القصر. فكان إذا ركب ساروا بين يديه بغير آختلال ولا تبديل. فإذا أصبح الصبح يوم غرّة العام آجتمع أرباب الرتب من القاهرة ومصر وأرباب السيوف والأقلام، فصفُّوا بين القصرين، ولم يكن فيه بناء كاليوم بل كان خلاء. ويُبَكّر الأمراء إلى دار الوزير؛ فيركب الوزير من غير آستدعاء، ويسير أمامه تشريفه المقدّم ذكره[١]، والأمراء بين يديه رُكّاباً ومُشاة، وأمامه بنوه وإخوته، وكلّ منهم يُرخي الذؤابةَ بغير حنك[٢]؛ وهو في أُبَّهة عظيمة من الثياب الفاخرة والمنديل بالحنك، متقلداً سيفاً مذهّباً؛ فيدخل أهله عند القصر في أخصّ مكان لا يصل الأمراء إليه؛ ويدخل الوزيرُ من باب القصر راكباً وحده إلى دهليز العمود، فينزل على مصطبة هناك ويمشي إلى القاعة[٣] ويجلس بها. فإذا دخلت الدّابة لركوب الخليفة وأَسندت إلى الكرسيّ[٤] الذي يركب عليه الخليفة من باب المجلس أُخرجت المِظَلّة إلى حاملها، فيكشفها بإعانة جماعة من الصقالبة برسم خدمتها، فيركزُها في آلة من حديد متّخِذة شكل القرن المصطحَب[٥]، وهو مشدود في ركاب حاملها الأيمن بقوّة وتأكيد بعقبها، فيُمسك العمود بحاجز فوق يده فيبقى وهو منتصب لا يضطرب في ريح عاصف.

ثمّ يخرج السيف فيتسلّمه حامله، [فإذا تسلّمه أرخى ذؤابته، فلا تزال مرخاةً][٦] ما دام حاملاً له.

---

(١) يلاحظ أنه لم يتقدم له ذكر فيما ذكر المؤلف. ولعل المؤلف نقل هذا الجزء من كلام المقريزي الذي تقدّم للتشريف ذكر فيه، فأثبت كلمتي «المقدّم ذكره» سهواً.

(٢) أي من غير أن يلفّ الذؤابة من تحت حنكه. واللفظ من استعمال ذلك العصر.

(٣) عبارة القلقشندي في الصبح: «ويمشي حتى يصل إلى مقطع الوزارة بقاعة الذهب».

(٤) عبارة القلقشندي أوضح؛ وهي: «ويدخل فرس الخليفة إلى باب المجلس الذي هو فيه، وعلى باب المجلس كرسيّ يركب من عليه. . .».

(٥) كذا أيضاً في صبح الأعشى. ولم نتبين مراده.

(٦) بين معقوفين هي عبارة القلقشندي. وعبارة الأصل: «. . . حامله، ويرخي له دابة. . . حامله له» وهو تحريف.

ثمّ يأتي الوزير وفي ركابه قومٌ من أصحابه وقوم يقال لهم صبيان الزَّرَد من أقوياء الأجناد، يختارهم[١] لنفسه نحو من خمسمائة رجل من جانبيه، كأنّه على قلق من حراسة الخليفة، ويجتهد ألاّ يَغيب عن نظره[٢]، وخلفه الطّبول والصُّنوج والصفافير، بحيث تُدَوِّي منهم الدنيا في عدد كثير. ثمّ يأتي حامل الدَّرَقَة والرمح. ثمّ طوائف الرجال[٣] من الركابيّة والجيوشيّة وقبلهما المصامدة[٤]، ثمّ الفرنجية[٥]، ثمّ الوزيريّة زُمْرة بعد زُمْرة في عدد وافر يزيد على أربعة آلاف نفر، ثمّ أصحاب الرايات، ثمّ طوائف العساكر من الآمريّة والحافظيّة والحُجَرِيّة الكبار والحُجَرِيّة الصِّغار والصِّقِلّيّة[٦]، ثمّ الأتراك المصطنعون[٧]، ثمّ الديلم، ثم الأكراد والغزّ

---

(١) كذا في صبح الأعشى والمقريزي. وفي الأصل: «باختياره لنفسه».

(٢) في الأصل: «عن نصره» والتصحيح عن المقريزي وصبح الأعشى.

(٣) في الأصل: «الأراجل» وفي المقريزي وطبعة دار الكتب المصرية: «طوائف الراجل». وما أثبتناه عن صبح الأعشى. والمقصود بهم طوائف الأجناد. قال القلقشندي في الصبح: ٤٧٨/٣: «وكانوا عدة كثيرة، تنسب كل طائفة منهم إلى من بقي من بقايا خليفة من الخلفاء الماضين، كالحافظية والآمرية من بقايا الحافظ والآمر، أو إلى من بقي من بقايا وزير من الوزراء الماضين كالجيوشيـة والأفضلية، من بقايا أمير الجيوش بدر الجمالي وولده الأفضل، أو إلى من هي منتسبة إليه في الوقت الحاضر كالوزيرية [وتنسب إلى الوزير يعقوب بن كلّس، وهو أول من أنشأ فرقة من الجيش تنسب إلى الوزراء] أو غير ذلك من القبائل والأجناس كالأتراك والأكراد والغز والديلم والمصامدة، أو من المصطنعين كالروم والفرنـج والصقالبة، أو من السودان من عبيد الشراء، أو العتقاء وغيرهـم من الطوائف. ولكل طائفة منهم قواد ومقدّمون يحكمون عليهم». انظر أيضاً الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ١٧١ ــ ١٨٤.

(٤) هذه الفرقة من الجيش أنشأها المأمون البطائحي وزير الآمر كحرس خاص به عرفت بطائفة المصامدة جعل على رأسهم عبد الله المصمودي. واختط المأمون لهم حارة عرفت بحارة المصامدة. ويذكـر القلقشندي أنهم من البربر الذين قدم آباؤهم مـع المعز من المغرب. (الوزارة والوزراء: ١٧٩).

(٥) كذا أيضاً في المقريزي وصبح الأعشى. ولم نجد من تكلم على أصلهم وإلى من ينتسبون. وإذا صحت التسمية فلعلهم «من الروم والفرنـج والصقالبة المصطنعين» كما مرّ معنا في الحاشية (٣) نقلاً عن القلقشندي. وذكر المسبحي في الجزء الأربعين من تاريخه، ص ٨٠، طائفة تسمى «الفَرْحيّة» وهم من السودان، وكانوا يسيرون في المواكب بالطبول. فتأمل.

(٦) كذا بالأصل. ولعل الصواب: «الصقلبية» أي الصقالبة. والصقالبة هم «السلاف» Slaves وهم الشعوب القاطنة بين جبال أورال والبحر الأدرياتيكي في أوروبة الشرقية والوسطى. ويطلق أيضاً على جماعة من العبيد المجلبين في الخدمة العسكرية. (الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ص ١٧١).

(٧) في الأصل: «ثم الأتراك المصريين» وهو تحريف. وما أثبتناه عن المقريزي وصبح الأعشى.

المصطنعة وهم البحريّة. ويَقْدُم هذه الفُرْسان عدّةٌ وافرة من المترجّلة أرباب قِسِيّ اليد وقِسِيّ الرِّجْل في نيّف وخمسمائة نفر، وهم المعدّون للأساطيل، وجملتهم نحو ثلاثة آلاف وأكثر. وهؤلاء الذين ذكرناهم بعضٌ من كلٍّ لا جميع عسكر الخليفة. ثمّ يدخلون من باب الفتوح ويقفون بين القصرين كما كانوا.

فإذا وصل الخليفة إلى موضع جامع الأقمر الآن وقف وقفةً وآنفرج المَوْكِب، فيمرّ الموكِب بالخليفة، ويَسْكَعُ[(١)] الوزير ليُظهر للناس خدمته، ويشير إليه الخليفة بالسلام إشارة خفيفة؛ وهذه أعظمُ مكارمة تصدر عن الخليفة، وهي للوزير صاحب السيف خاصّة؛ فيسبِق إذاً لدخول الباب بالقصر راكباً إلى موضعه على العادة، خاصّة له، والأمراء مشاة. فيصل الخليفة إلى الباب وقد ترجّل الوزير وقبله الأستاذون المحنّكون، فيُحدِقون به، والوزير أمام الدّابة إلى أن ينزل الخليفة؛ فيخرج الوزير ويركب من مكانه، والأمراء في خدمته وأقاربُه بين يديه، فيسيرون إلى داره فيسلّمون وينصرفون إلى أماكنهم، فيجدون قد أُحضِر إليهم المقرر من الخليفة، يأمر بضرب دنانير ورباعيّة[(٢)] ودراهم في العشر الأخير من ذي الحجة، عليها تاريخُ السنة التي ركِب فيها؛ فيُحمل للوزير منها شيء كثير وإلى أولاده وأقاربه، ثم إلى أرباب الرتب من أرباب السيوف والأقلام، من عشرة دنانير إلى رُبَاعيّ إلى قيراط وإلى دينار واحد، فيقبَلون ذلك تبرّكاً.

ولا ينقطع الركوبُ من أوّل العام إلّا متى شاء[(٣)]، ولا يتعدّى ما ذكرناه في

---

(١) «سكع» في اللغة معناها: مشى مشياً متعسفاً لا يدري أين يأخذ طريقه. وليس هذا المعنى هو المراد هنا. وأحسب أنه من استعمال العامة لكلمتي «سكع» و«سكّ» بمعنى إذا ثنى ساقيه ووقف على ركبتيه خاشعاً. (انظر معجم متن اللغة: مادة «سكع» والحاشية للمؤلف).

(٢) عبارة القلقشندي: «فيجدون الخليفة قد أرسل إليهم الغرّة: وهي دنانير رباعية ودراهم خفاف مدورة... إلخ». قلت: وهذا النوع من الإصدارات يشبه إلى حدّ بعيد ما يعمل في أيامنا من إصدار قطع نقدية أو طوابع بريدية خاصة في مناسبات معينة وبكميات محدودة.

(٣) كذا في الأصل. وعبارة صبح الأعشى في هذا الموضوع: «من مواكبهم المواكب المختصرة في أثناء السنة، وهي أربعة أيام أو خمسة فيما بين أول العام ورمضان، ولا يتعدى ذلك يومي السبت والثلاثاء، فإذا عزم... إلخ». صبح الأعشى: ٥١٧/٣.

يومي السبت والثلاثاء. فإذا عزم على الركوب في هذه الأيّام أعلم بذلك، وعلامته إنفاق الأسلحة في صبيان الركاب من خزائن السلاح. وكان أكثر ركوبه إلى مصر. فإذا ركب ركب الوزير وراء الخليفة في أقلّ جمع مما تقدّم ذكره في ركوب أوّل العام. فيشقّ الخليفةُ القاهرة إلى جامع أحمد بن طولون إلى المشاهد[(١)] إلى درب[(٢)] الصَّفَا، ويقال له الشارع الأعظم، إلى دار الأنماط[(٣)] إلى جامع مصر، فيجد ببابه الشريفَ الخطيب واقفاً على مصطبة فيها محراب مفروش بحصير معلّق عليه سجادة، وفي يده مصحف ــ يقال إنه بخط عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ــ وهو من حاصله[(٤)]، فيُناول الشريفُ الخليفةَ المصحفَ فيأخذه ويقبّله ويتبارك به، ويعطيه صاحب الخريطة المقرّر[(٥)] للصلاة ثلاثين ديناراً، وهي رسمه كلّما مرّ به الخليفة، فيعطيها الشريف إلى مشارف الجامع، فيأخذ منها أربعة عشر ديناراً، ويفرّق الباقي على القامة[(٦)] والمؤذنين خاصّة.

ثمّ يسير الخليفةُ إلى دار المُلْك[(٧)]، فينزلها والوزيرُ معه؛ وكلّما مرّ من القصر إلى دار الملك بمسجد أعطى قيّمَه ديناراً. ثمّ تأتي المائدة من القصر وعدّتها

(١) يريد بالمشاهد الأماكن التي كان الناس ولا يزالون يتبركون بزيارتها كمشهد زين العابدين ومشهد السيدة نفيسة ومشهد السيدة أم كلثوم رضوان الله عليهم.

(٢) انظر عن درب الصفا: خطط المقريزي: ٣٤٧/١، والانتصار لابن دقماق: ٢٨/٤.

(٣) دار الأنماط، وتعرف بدار الحصر: كانت خطة أبي ذرّ جندب بن جنادة الغفاري صاحب رسول الله ﷺ، ثم آلت لعبد العزيز بن مروان فوهبها لابنه سهيل. (راجع ابن دقماق ج ٤ ص ٢٧) وفي الأصل: «دار الماط».

(٤) كذا في الأصل. ولعلها محرفة عن كلمة «من حامليه».

(٥) في الأصل: «صاحب الخريطة المقرة للصلاة». وعبارة صبح الأعشى: «ويأمر له بعطاء يفرق على أهل الجامع».

(٦) القامة: جمع قيم. والقامة: جماعة الناس كالقوم: السادة. وفي الأصل: «على القومة».

(٧) دار الملك: كانت من جملة مناظر الفاطميين، أنشأها الأفضل ابن أمير الجيوش؛ ابتدأ في بنائها وإنشائها في سنة إحدى وخمسمائة، فلما كملت تحوّل إليها من دار القباب بالقاهرة وسكنها وحوّل إليها الدواوين من القصر. وكانت دار الملك واقعة على شاطىء النيل في آخر عمارة مصر القديمة بجوار المدرسة المعزية التي أنشأها فيها بعد الملك المعز أيبك التركماني في سنة ٦٥٤هـ خارج حدود دار الملك. وهذه المدرسة لم يزل مكانها معروفاً، حيث محلها اليوم جامع عابدي بك الشهير بجامع الشيخ رويش في آخر شارع مصر القديمة من الجهة القبلية على النيل. =

خمسون شدّة[١] على رؤوس الفرّاشين مع صاحب المائدة، وهو أستاذ جليل إلّا أنّه ليس بمحنّك؛ وفي كلّ شدّة طَيْفُور[٢]، فيه الأواني الخاصّ، فيها من الأطعمة الخاصّ من كلّ نوع شَهِيّ وكلّ صنف من المطاعم العالية، وله روائحُ عبِقة مسك[٣] أرخية، وعلى كلّ شدّة طرحةُ حرير تعلو الشدّة. فيحمل الخليفةُ إلى الوزير منها جزءاً وافراً، ويُعطي الأمراء ومن حضر، ثم يُوصل إلى أهل مصر من ذلك كثيراً من الفضلات.

ثمّ يصلّي الخليفةُ العصر ويتحرّك إلى العَوْد، والناس في الطريق جلوسٌ لنظره. وزيُّه في هذه الأيام لبسُ الثياب البياض المذهّبة والملوّنة، وهي العمامة، والمنديل مشدودٌ، وشدّتُه مفردة عن شدّات الرعيّة، وذؤابته تقرُب من الجانب الأيسر؛ ويتقلّد السيف العربيّ[٤] المجوهر بغير حنك ولا مِظلّة ولا يتيمة؛ ولذلك أوقات مخصوصة، فلا يمرّ بمسجد في طريقه إلّا ويُعطي قيّمه ديناراً، كما جرى في الرّواح. وينعطف من [باب][٥] الخرق، فيدخل من بابـي زويلة، ويشقّ القاهرة إلى

= وموضع دار الملك الآن مجموعة المباني المجاورة للجامع المذكور التي من ضمنها قسم بوليس مصر القديمة ومكتب التلغراف والكنيسة الإنجليزية والوكالة ووقف أبـي رابية وجامع أبـي رابية وغيرها. وأما دار القباب (التي وردت في هذه الحاشية) فكانت واقعة تجاه القصر الكبير من الجهة الشرقية، ويفصل بينهما رحبة باب العيد. وقد جدّد هذه الدار الأفضل ابن أمير الجيوش وسماها دار الوزارة الكبرى. وموضعها اليوم المنطقة التي تحدّ من الغرب بشارع الجمالية، ومن الجنوب والشرق بحارة المبيضة (وهي التي تعرف في مصلحة التنظيم خطأ باسم حارة الميضة) ومن الشمال عطفة الجوانية بقسم الجمالية. ومن ضمن مباني هذه المنطقة مدرسة الجمالية الأميرية (المدرسة القراسنقرية) وجامع بيبرس الجاشنكير والوكالة ووقف السلحدار الشهيرة باسم حوش عطى (م. رمزي). راجع المقريزي (ج ١ ص ٤٣٨ و٤٤٥ و٤٨٣).

(١) كذا في المقريزي. وفي الأصل: «سدّة» بالسين المهملة.

(٢) الطيفور: ج. طيافير. وهو عبارة عن مقعّر عميق، قاعه مسطح وجوانبه مرتفعة باستقامة بنسبة ثلاث إلى أربع بوصات. (انظر معجم دوزي: Suppl. aux Dict. Ar. II, 48).

(٣) كذا في الأصل. والعبارة مضطربة. وعبارة المقريزي: «... وفيها من الأطعمة الخاص من كل نوع شهي وكل صنف من المطاعم العالية، ولها رواء، ورائحة المسك فائحة منها. وعلى كل شدّة... الخ».

(٤) في الأصل: «المغربـي». راجع ص ٩٢، حاشية (٣).

(٥) زيادة عن المقريزي. وكان باب الخرق هذا واقعاً على رأس شارع تحت الربع من الجهة الغربية، وقد استبدلت مصلحة التنظيم قديماً بكلمة «الخرق» لاستهجانها كلمة «الخلق» وأطلقت اسم باب الخلق على=

القصر. ويكون ذلك من المحرّم إلى شهر رمضان؛ كما مرّ في أوّل العام.

وكان إذا ركب في أوّل العامُ يكتب إلى ولاة الأعمال والنوّاب سجلاتٌ مخلَّقة[1] يُذكر فيها ركوب الخليفة. وهذا كلّه سوى ركوبه في شهر رمضان إلى الخطبة، على ما سنذكر إن شاء الله تعالى.

ذكر ركوب الخليفة في يومي عيد الفِطْر والنّحر

إذا تكمّلت عدّة شهر رمضان، وهي عندهم أبداً ثلاثون يوماً، وتهيّأت الأمور، كما تقدّم ذكره، ركب الخليفةُ بالمِظَلّة واليتيمة، ولباسُه في هذا اليوم الثّيابُ البياضُ الموشّحة، وهي أجلُّ لباسهم؛ والمِظَلَّة أبداً زِيُّها[2] تابع لزِيّ ثياب الخليفة. ويخرُج الخليفةُ من باب العيد إلى المصلّى[3]، وعساكرُه وأجنادُه من الفُرْسان والرجّالة زائدة على العادة موفورة العدد، فيقفون صفّين من باب العيد إلى المصلّى. [ويكون صاحبُ بيت المال قد تقدّم على الرسم لفرش المصلّى، فيفرش الطّراحات على رسمها في المحراب مطابقة؛ ويُعَلّق سِتْرين يَمْنةً ويَسْرَةً][4]، على الستر الأيمن «الفاتحة» و«سبّح آسم ربّك الأعلى»، وعلى الأيسر «الفاتحة» و«هل أتاك حديثُ الغاشية»؛ ويَرْكُز في جانبي المصلّى لواءين مشدودين على رمْحين قد

= الميدان الكبير الذي يقع وسط القاهرة ويشرف عليه اليوم ديوان محافظة مصر وسراي محكمة الاستئناف الأهلية ودار الآثار العربية ودار الكتب المصرية. (م. رمزي).

(١) أي مطيّبة بالخلوق؛ وهو ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران والمسك.

(٢) المراد لونها.

(٣) وهو مصلى العيد الذي كان يصلي فيه الخليفة في يومي عيد الفطر والنحر خارج باب النصر. وموضعه اليوم المقابر الواقعة في الزاوية التي تتلاقى فيها سكة قايتباي بشارع نجم الدين بجبانة باب النصر تجاه باب النصر، وعلى يمين الخارج منه لجهة الشرق. (م. رمزي). وانظر وصفاً للمصلى في صبح الأعشى: ٥٨٥/٣، طبعة دار الكتب العلمية.

(٤) بين معقوفين هي عبارة المقريزي. وفي الأصل: «... ويقدم صاحب بيت المال لفرش المصلى كما يفرش بالجامع الآتي ذكره، إلا أن الكتابة على الستر الأيمن... إلخ». قارن أيضاً بصبح الأعشى ببعض زيادات.

لُبِّست أنابيبهما من الفِضّة، ويُرخيهما، فيدخل الخليفةُ من شرقيّ ٱلمُصلى إلى مكانٍ يستريح فيه قليلاً، ثم يخرج محفوظاً كما يخرج للجمعة، فيصلّي بالتكبيرات المسنونة والقوم من ورائه على ترتيبهم في صلاة الجمعة. ويقرأ في الأولى بعد الفاتحة«سبّح آسم ربّك الأعلى»، وفي الأخرى «الغاشية»؛ ثم يصعَد إلى ذروة المِنْبر وعليها طرّاحة سامان[1] أو دَبيقيّ[2]، وباقي دَرَجه مستورٌ بالأبيض. ويقف الوزير أسفلَ المنبر ومعه قاضي القضاة، وصاحبُ الباب[3]، [و] إسْفَهْسالارُ[4] العساكر، وصاحب السيف، وصاحبُ الرّسالة[5]، وزِمامُ القصر[6]، وصاحبُ دفتر المجلس[7]، وصاحبُ المِظَلّة، وزِمام[8] الأشراف الأقارب، وصاحبُ بيت المال، وحاملُ الرمح، ونقيبُ الأشراف الطالبيين[9]. فيشير الخليفةُ إلى الوزير فيصعد ويقبّل رجلَه بحيث يراه الناس، ثمّ يقف على يمينه. ثمّ يُشير إلى القاضي فيصعَد إلى سابع[10] درجة، فيُشير إليه الخليفة. فيُخرج من كُمِّه دَرْجاً[11] أُحْضِر إليه أمسِ من ديوان الإنشاء قد عُرِض على الخليفة والوزير؛ فيقرؤُه معلناً؛ وأوّله البسملة

---

(١) نوع من الأقمشة الحريرية الثمينة المصنوعة في سامان، وهي محلة من محال أصفهان.

(٢) راجع ص ٨٥، حاشية (٦).

(٣) راجع ص ٨٥، حاشية (٢).

(٤) راجع ص ٨٥، حاشية (٤).

(٥) صاحب الرسالة: هو الذي يخرج رسالة الخليفة إلى الوزير وغيره.

(٦) راجع ص ٨٨، حاشية (١).

(٧) صاحب دفتر المجلس: هو المتحدث على الدواوين الجامعة لأمور الخلافة. وكان لصاحب الدفتر مائة دينار شهرياً، ويعتبر من حاشية الخليفة. ويكون من الأستاذين المحنكين. (صبح الأعشى: ٤٨١/٣، ٥٢١).

(٨) في الأصل: «وإمام الأشراف» والتصحيح عن المقريزي وصبح الأعشى. وهو الذي يقوم بالإشراف على أعمال أقارب الخليفة، وكلمته نافذة عليهم. (انظر صبح الأعشى: ٤٨١/٣، ٥٠٥، ٥٢١).

(٩) نقابة الأشراف الطالبيين: كان يتولاها أحد شيوخ هذه الطائفة، ويكون جليل القدر، وله النظر في أمورهم ومنع من يدخل فيهم من الأدعياء. وعليه أن يعود مرضاهم ويمشي في جنائزهم ويسعى في حوائجهم ويأخذ على يد المعتدي منهم، ولا يقطع أمراً من الأمور المتعلقة بهم إلا بموافقة مشايخهم. وللنقيب الاهتمام بأولاد علي بن أبي طالب من فاطمة بنت رسول الله ﷺ. (انظر الصبح: ٢٧٣/٣، ٤٨١، ٤٨٢ و٣٧/٤).

(١٠) كذا في المقريزي وصبح الأعشى. وفي الأصل: «ثاني درجة».

(١١) الدرج: هو الورق المستطيل، يكتب فيه ويلف. (صبح الأعشى: ١٣٨/١).

ويليها «ثَبَتٌ(١) بمَنْ شُرّف بصعوده المنبرَ الشريفَ في يوم كذا من سنة كذا من عبيد أمير المؤمنين، صلواتُ الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين، بعد صعود السيّد الأجل...» ويذكر الوزير بألقابه ونعوته. ومرّة يشرّف الخليفةُ أحداً(٢) من أقارب الوزير، فيستدعيه القاضي. ثم يتلو(٣) ذلك ذكرُ القاضي [وهو القارىء](٤) فلا يسع القاضي أن يقول نعوتَ نفسه بل يقول [المملوك](٤) فلان [بن فلان](٤). وقرأه [مرّة](٤) آبن [أبي](٤) عقيل القاضي فقال(٥) عن نفسه: العبد الذليل، المعترف بالصنع الجميل، في المقام الجليل، أحمد بن عبد الرحمن بن [أبي](٤) عقيل. أو غير ذلك بحسب ما يكون آسم القاضي. ثمّ يستدعي من ذكرنا وقوفهم على باب المنبر، فيصعَدون، وكلٌّ له مقامٌ يَمْنةً أو يَسْرةً؛ ثمّ يُشير إليهم الوزير فيأخذ كلّ واحد نصيباً من اللواء الذي يحاذيه، فيستُرون الخليفة ويستترون؛ ثمّ يخطب الخليفةُ خطبةً بليغة. فإذا فَرَغَ كشفوا ما بأيديهم من الألوية وينزلون أوّلاً بأوّل القَهْقَرَى. ثمّ ينزل الخليفةُ إلى مكانه الذي خرج منه، ويركب في زِيِّه المفخّم إلى قريب من القصر؛ فيتقدّمه الوزير، كما ذكرنا، ويدخل من باب العيد، فيجلس في الشبّاك، وقد نُصِب منه إلى فسقية كانت في وسط الإيوان سِمَاطٌ طوله عشرون قصبة، عليه من الخُشْكَنان(٦) والبِسْتَنْدُود(٧) والبَرْمَاوَرْد(٨) مثل الجبل الشاهق،

---

(١) في الأصل: «بيت لمن» وهو تحريف. وما أثبتناه عن المقريزي وصبح الأعشى.

(٢) كذا في المقريزي. وفي الأصل: «أبداً» وهو تحريف.

(٣) كذا في المقريزي. وفي الأصل: «ثمّ يتلو ذلك فإذا جاء ذكر القاضي... إلخ».

(٤) زيادة عن المقريزي.

(٥) في الأصل: «فقال من قال عن نفسه» ولا يستقيم الكلام به.

(٦) خشكنان: ويعرف في مصر بالخشتنان، وهو نوع من الحلوى مصنوع من الرقاق على شكل حلقة مجوّفة يملأ وسطها باللوز أو بالفستق. والخشكنان كلمة فارسية مكونة من «خُشْك» بمعنى اليابس أو الجاف، و«نان» بمعنى الخبز. فهي لغوياً بمعنى الخبز الجاف. ولكنها أطلقت على نوع الحلوى الذي ذكرنا. (انظر تأصيل الدخيل: ٨٨).

(٧) البستندود، وأصله بالفارسية (بُشْنُدَة): طعام فارسيّ مصنوع من دقيق ويلح.

(٨) البرماورد والبزماورد: طعام يسمى لقمة القاضي وفخذ الست ولقمة الخليفة، وهو مصنوع من اللحم المقلي بالزبد والبيض.

وفيه(١) كلّ قطعة منها ربع قِنْطار فما دون ذلك إلى رطل؛ فيدخل الناس فيأكلون ولا مَنْعَ ولا حَجْرَ، فيمرّ ذلك بأيدي الناس؛ وليس هذا ممّا يُعتدّ به، بل يُفرّق إلى الناس، ويُحمل إلى دورهم. ونذكر مصروفها في ترجمة العزيز؛ فإنّه أوّلُ من رتّبها في عيد الفطر خاصّةً.

[ذكر سِماط العيدين]

وأمّا سِمَاط الطعام [ففي يوم عيد الفطر آثنتان:](٢) أولى وثانية، وفي عيد النحر مرّة واحدة. ويُعَبّى السِّماط في الليل، وطوله ثلاثمائة ذراع في عرض سبع أذرع، وعليه من أنواع المأكل أشياءُ كثيرة. فيحضُر إليه الوزير أوّلَ صلاة الفجر والخليفةُ جالسٌ في الشبّاك، ومُكِّنت الناسُ منه فآحتملوا ونهبوا ما لا يأكلونه، ويبيعونه ويدخرونه. وهذا قبل صلاة العيد. فإذا فُرغ من صلاة العيد مُدّ السِّماطُ المقدّم ذكرُه فيُؤكل، ثمّ يمدُّ سِماطٌ ثانٍ من فِضّة، يقال له المدوّرة، عليها أواني الفِضّة والذهب والصّيني، فيها من الأطعمة الخاصّ ما يُسْتَحَى من ذكره. والسِّماطُ بطول القاعة؛ وهو خشب مدهون شبه الدكك اللاطية، عرضه عشر أذرع. ويُحطّ في وسط السماط واحد وعشرون طبقاً في كلّ طبق واحد وعشرون خروفاً؛ ومن الدجاج ثلاثمائة وخمسون طائراً، ومن الفراريج مثلها، ومن فراخ الحمام مثلها. وتتنوّع الحلوى أنواعاً؛ ثم يُمَدّ بخلل تلك الأطباق أصحن خزفيّات في جَنَبات السِّماط، في كلّ صحن تسع دجاجات في ألوان فائقة من الحَلْوَى، والطَّبَاهِجة(٣) المُفتقة بالمسك الكثير. وعدّة الصحون خمسمائة صحن، مرتّب كلّ ذلك أحسن ترتيب. ثم يُؤْتَى بقصرين من حَلوى قد عُملا بدار الفِطْرة، زنةُ كلّ واحد سبعةَ عشرَ قنطاراً، فيُمْضَى بواحد من طريق قصر الشوك(٤) إلى باب الذهب، ويُشَقّ بالآخر من

---

(١) عبارة المقريزي: «وفيه القطعة وزنها من ربع قنطار إلى رطل». وعبارة صبح الأعشى: «فتفرّق الحلوى من ربع قنطار إلى عشرة أرطال إلى رطل واحد».
(٢) زيادة عن المقريزي.
(٣) الطباهجة: اللحم المشرح المشوي. وقيل هو الكباب. واللفظ معرّب: «تباهة». انظر معجم متن اللغة.
(٤) في الأصل: «قصر الشرف». وما أثبتناه عن المقريزي.

الجانب[1] الآخر، فيُنصبان أوّل السِّماط وآخرَه. ثمّ يخرجُ الخليفة راكباً فينزل على السرير الذي عليه المدوّرة الفِضّةُ، وعلى رأسه أربعةٌ من كبار الأستاذِين المحنّكين، وأربعةٌ من خواصّ الفرّاشين. ثمّ يستدعي الوزير فيجلس عن يمينه، والأمراء وَمَنْ دونهم [فيجلسون][2] على السّماط؛ فيتداول الناس السِّماطَ، ولا يُردّ أحدٌ عنه حتّى يذهبَ عن آخره؛ فلا يقوم الخليفةُ إلاّ[3] قريب الظهر. ثم يخرجُ الوزير ويذهب إلى داره؛ ويُعمَل سِمَاطٌ يقارب سماط الخليفة. وهكذا يقعُ في عيد النحر في أوّل يوم منه. انتهى الركوب في عيد الفطر.

[ذكر ركوب عيد الأضحى]

وأمّا ركوب الخليفة في عيد الأضحى، فهو أيضاً بالزِّيّ المقدّم[4] ذكره والصلاة كذلك، إلاّ أنّ الركوب يكون في أيّام متتابعة، أوّلها يوم العيد إلى المصلى، ثمّ يركب ثانيَ يوم ثم ثالث يوم من باب الرّيح، وهو في[5] ركن القصر، والباب مقابل سعيد السعداء؛ وكان الموضع المذكور فضاء لا عمارة فيه؛ فيخرج الخليفةُ من باب الريح[6]، فيجد الوزيرَ واقفاً فيمشي بين يديه إلى المنحر[7]،

(١) عبارة المقريزي: «ويشق بالآخر بين القصرين».
(٢) زيادة عن المقريزي.
(٣) في الأصل: «إلى قريب الظهر».
(٤) تقدم أنه كان يلبس البياض في ركوب عيد الفطر. أما القلقشندي فذكر أن لباس الخليفة في يوم عيد الأضحى هو الأحمر الموشّح، ومظلته كذلك.
(٥) في الأصل: «من ركن القصر» والتصحيح عن المقريزي.
(٦) في الأصل: «من باب العيد». وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب المصرية أخذاً عن سياق كلام المقريزي وكلام المؤلف. وفي صبح الأعشى: «باب الفرج» قال: «يخرج من باب الفرج، وهو باب القصر الذي كان مسامتاً لدار سعيد السعداء التي هي الخانقاه الآن، فيجد الوزير راكباً... إلخ».
(٧) المنحر: هو الموضع الذي اتخذه الخلفاء الفاطميون لنحر الأضاحي في عيد الأضحى وعيد الغدير، وهو العيد الذي كانت تزوج فيه الأيامى وتفرق الهبات على كبار رجال الدولة وتنحر فيه النحائر وتفرق على أرباب الرسوم وتعتق الرقاب وغير ذلك. وكان موضع المنحر أرض فضاء بالدرب الأصفر. (المقريزي: ٤٣٥/١). ومحله اليوم مجموعة المباني الواقعة غربي جامع سعيد السعداء بين شارعي الدرب الأصفر والتمبكشية بقسم الجمالية. (م. رمزي).

فينحر فيه ما شاء الله أن ينحر، ويُعطي الرسوم. ورسومُ الأضحية كرسوم ركوب الخليفة أوّل العام، ويُفرّق الضحايا إلى المساجد وجوامع القاهرة وغيرها. فإذا انقضى ذلك خلَع الخليفةُ على الوزير ثيابَه الحمر التي كانت عليه، ومِنْديلاً آخر بغير اليتيمة [و] العِقْدَ المنظوم عندما يطلُع من المَنْحَر؛ فيشقّ الوزير بذلك القاهرة إلى باب زويلة، ويسلك على الخليج إلى باب القنطرة؛ ويدخل دار الوزارة؛ فلذلك يُفَضّل عيدُ النحر على عيد الفِطْر لكونه يُخلع فيه على الوزير.

[ذكر الركوب لتخليق المقياس عند وفاء النيل]

وأمّا الركوب لفتح خليج السدّ[1] عند وفاء النيل، فهو يُضاهي ركوبَهم في أوّل العام. نذكر منه على سبيل الاختصار نبذةً يسيرة:[2]

إذا كان ليالي الوفاء حُمِلَ إلى المِقْياس[3] من المطابخ نحوُ عشرة قناطير خبز، وعشرة خراف مشويّة، وعشر جامات حلوى، وعشر شمعات، وتوجّه القرّاءُ وأربابُ الجوامع فيقرؤون تلك الليلة بجامع[4] المقياس حتّى يكونَ الوفاء؛ فيهتم

(١) المراد لرفع السدّ الواقع عند فم الخليج يوم وفاء النيل في كل عام. والاحتفال بفتح الخليج (أو كسر الخليج) يكون في اليوم الثالث أو الرابع بعد التخليق.

(٢) انظر تفصيل ذلك في خطط المقريزي: ١/ ٤٧٠ ـ ٤٧٩، وصبح الأعشى: ٣/ ٥٩٠ ـ ٥٩٥ طبعة دار الكتب العلمية، ودراسات في التاريخ الإسلامي: ٧٨ ـ ٨٤، وسفرنامه لناصر خسرو: ص ٩٣ ـ ٩٧ وقد وصف احتفالاً شاهده بنفسه.

(٣) وهو المقياس الذي أمر ببنائه الخليفة المتوكل سنة ٢٤٧هـ بجزيرة الروضة في ولاية يزيد بن عبد الله على مصر، وهو المعمول به إلى أيام القلقشندي وأبي المحاسن (القرن التاسع الهجري) ـ صبح الأعشى: ٣/ ٣٢٧ ـ وهو المعمول به إلى أيامنا هذه (القرن العشرين الميلادي). دراسات في التاريخ الإسلامي: ٨٠.

(٤) كان هذا الجامع بقلعة الروضة في النهاية الجنوبية للجزيرة بجوار المقياس من الغرب. بناه بدر الجمالي بأمر الخليفة المستنصر الفاطمي في نحو سنة ٤٨٠هـ، وقد خربه الفرنسيون عند دخولهم مصر. وأزال آثاره حسن باشا المناسترلي وأنشأ بدله «السلاملك» الخاص لجلوس الرجال بسراية بجوار المقياس من الجهة الغربية، وهو باق إلى الآن. (م. رمزي). أما علي مبارك فقد قال، بعد أن ذكر تخريبه على أيدي الفرنسيين: «وبقي متخرباً إلى أن جدده المرحوم حسن باشا المناسترلي وجعله أصغر مما كان عليه وعرف به ودفن فيه؛ وشعائره مقامه من طرف ذريته إلى الآن، وبه ضريح وليّ يقال له عبد الرحمن بن عوف. (الخطط التوفيقية: ٥/ ٢٧٩).

الخليفة لذلك ويركب ويستدعي الوزير على العادة، ويسير بالزيّ المقدّم من غير مِظَلّة، وينزل بالصناعة(١)؛ ثمّ يركبُ العشاري(٢)، ويدخل البيت المذهّب في العشاري، ومعه من شاء من المُحنَّكين ولا تزيد عدّتُهم على أربعة نفر. ويطلع إلى العشاري خواصّ الخليفة وخواصّ الوزير؛ وهم اثنان أو ثلاثة؛ والناس كلّهم فيه قيامٌ إلّا الوزير فإنّه يجلس. ثمّ يمرّ العشاري إلى المقياس؛ ثم تُساق أشياءُ من التجمّل يطول شرحها من جنس ركوبه أوّل العام(٣). ثمّ يخرج بعد فراغه من تخليق(٤)

(١) الصناعة: ويقال لها دار الصناعة، ومنها أخذ الترك كلمة «ترسانة»، وأخذ الفرنسيون كلمة «أرسنال». والصناعة هي المكان المخصص لإنشاء وتعمير جميع السفن والمراكب الخاصة بأعمال الدولة، سواء أكانت حربية أم خاصة بركوب الخليفة أو الملك أو من المراكب التي تنقل الغلات السلطانية والأحطاب وغيرها. وأوّل دار أنشئت للصناعة بمصر في عهد العرب كانت بجزيرة الروضة على ساحلها الجنوبي الشرقي. وفي عهد الإخشيد نقلت إلى الشرق بساحل مصر. وكان الساحل في ذاك الوقت ينتهي إلى الطريق التي يمرّ فيها اليوم شارع الديورة شرقي فم الخليج حيث كان النيل يجري في عهد الدولة الإخشيذية تحت ذلك الشارع. وفي أوّل حكم الدولة الفاطمية نقلت دار الصناعة إلى المقس حيث كان النيل يجري في ميدان محطة مصر وبجوار جامع أولاد عنان. ثم أعيدت الصناعة في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمي إلى محلها السابق بساحل مصر حيث شارع الديورة، وهو المكان الذي يشير إليه المؤلف في هذا الكتاب. ولما طرح البحر وتكوّنت أرض جديدة بين شارع الديورة وساحل النيل الحالي بفم الخليج نقلت الصناعة إلى ساحل مصر تجاه دار النحاس (دير النحاس) واستقرّت بها مدّة طويلة إلى أن نقلت إلى ساحل بولاق في عهد محمد علي الكبير باسم الترسانة (وبعضهم يقول الترسخانة وهو خطأ شائع). ولم تزل في ساحل بولاق إلى اليوم وتعرف باسم إدارة الورش الأميرية، وهي من الإدارات التابعة لوزارة الأشغال العمومية. (م. رمزي). وانظر المقريزي ج ٢ ص ١٨٩، ١٩٥ ــ ١٩٧.

(٢) العشاري: ويجمع على عشاريات (وهو اسم معرب) وهو نوع من المراكب يسير في النيل ويجر بعشرين مجدافاً، وهو من توابع الأسطول. ذكر القلقشندي أن منه نوعين: العشاريات اللطاف، والعشاريات الكبار، والمختص منه بالخليفة يعرف بالذهبي. وكان لبعض الأمراء عشاريات يركبونها في نزهتهم في النيل، وخاصة عند الاحتفال بكسر الخليج. (أخبار مصر للمسبحي، ص ١١، حاشية: ٢، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ٢٤٥).

(٣) وردت بعد هذه الكلمة في الأصل عبارة: «إلى أن قال» ولا موضع لها هنا. وسبب وضعها سهواً هو أن المؤلف كان ينقل باختصار عن أحد المصادر التي تحدثت عن موضوع فتح الخليج على الأرجح. والمؤلف يختصر اختصاراً شديداً يقلل من عظمة ذلك الاحتفال؛ لذا ننصح بالعودة إلى المراجع التي ذكرناها في الحاشية رقم (٢) ص ١٠٣.

(٤) تخليق المقياس: أي تطييبه بالخلوق، وهو المسك والزعفران.

المقياس ويركب العشاري ويعود إلى دار الملك بمصر وتارةً إلى المقس، ومن أحدهما إلى القاهرة في زيّ مهول من كثرة ما يهتمّ له من العساكر والزينة والسلاح. ويكون هذا الركوب أولى وثانية؛ فالأولى في ليلة يتوجّه القرّاءُ والثانية يومَ فتح الخليج. وعندما يُفتح الخليجُ يُنشده الشعراء في المعني. فمن ذلك: [الكامل]

فُتِحَ الخليجُ فسال منه الماءُ ... وعلتْ عليه الرايةُ[١] البيضاءُ
فصفتْ مواردُه لنا فكأنّه ... كفُّ الإمام فعُرفُها الإعطاءُ

* * *

وأمّا ركوبُهم في المواكب في يومي الاثنين والخميس وغير ذلك، فأمرٌ عظيم. فأوّل الركوب ركوبُ [متولّي] دفتر المجلس بالقصر الباطن. ويتضمّن هذا الركوبُ الإنعامَ بالعطاء بأداء الرسوم والعطايا المفرّقة في غرّة السنة، ثم يأتي ركوب وثالث ورابع وخامس[٢].

[ذكر خزانة الكتب]

وأمّا خِزانَةُ الكتب[٣]، فكانت في أحد مجالس ——————

(١) هذان البيتان من قصيدة بالمناسبة لشاعر يقال له ابن جبر، كما جاء في المقريزي.

(٢) هذه الفقرة مبهمة الموضوع. ونرجح أن المؤلف أراد الإشارة إلى جلوس الخليفة في المجلس العام أيام المواكب، فاختصر اختصاراً شديداً على عادته مما أدى إلى الإطاحة ببيان المراد. انظر صبح الأعشى: ٥٧١/٣ ــ ٥٧٦، طبعة دار الكتب العلمية.

(٣) كان للفاطميين في القاهرة مكتبات، منها أربعون خزانة في قصر الخلافة وحده ملأى بنفائس المؤلفات الجليلة المقدار ونوادرها المعدومة المثال. وكان أشهرها هذه الخزانة التي ذكرها المؤلف هنا وكانت من عجائب الدنيا ولم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم منها. وكانت تجمع مائتي ألف مجلد، كما قال المقريزي، في مختلف العلوم والفنون، منها ستة آلاف وخمسمائة مجلد في الفلك والطب. وكان يختلف إليها العلماء والطلاب لاستعارتها ومطالعتها والاستفادة منها. وأما خزائن القصر الداخلية فكان الاطلاع عليها محظوراً على العامة. وقد أصاب هذه الخزائن من الإحن بتوالي الفتن مثل ما أصاب مكتبة الإسكندرية في عهد الرومان، فألقي بعضها في النار والبعض الآخر في النيل وترك بعضها في الصحراء فسفت عليها الرياح حتى صار تلالاً عرفت بتلال الكتب، واتخذ العبيد من جلودها نعالاً، وطرح ما بقي منها عند دخول الأكراد للبيع في أواسط القرن السادس للهجرة. وكان من جملة ما أخرجوه من تلك =

البِيمارِستان(١) العتيق اليوم، كان فيهما ما يزيد على مائة(٢) ألف مجلد في سائر العلوم، يطول الأمر في عدّتها.

وقد آختصرنا من أمور الفاطميين نبذةً كثيرةً خشيةَ الإطالة والخروج عن المقصود، وفيما ذكرناه كفاية، ويُعلم به أيضاً أحوالهم بالقياس. [و] ربّما يأتي ذكرهم في عدة تراجم أيضاً؛ فإنّهم ثلاثة عشر خليفة بمصر، نذكرهم إن شاء الله في هذا الكتاب كلّ واحد على حدته.

[ذكر خطبة شهر رمضان]

وأمّا خُطبة الخليفة في شهر رمضان، فنذكرها من قول ابن عبد الظاهر. قال: «وأمّا عِظَمُ الخليفة في أيّامه وما كانت قاعدته وطريقته التي رتّبها ودامت من بعده عادةً لكل خليفة فشيء كثير؛ من ذلك: أنّه كان يخطُب في شهر رمضان ثلاثَ خطب ويستريحُ فيه جمعة، وكانوا يسمّونها جمعة الراحة(٣). وكان إذا أراد أن

= القصور نحو ١٢٠٠٠٠ من خواص الكتب أعطاها صلاح الدين للقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني، كما ذكر ابن خلدون في تاريخه. (راجع خطط المقريزي (ج ١ ص ٤٠٨ طبع بولاق) ومورد اللطافة للمؤلف ص ٢٧ طبع أوروبا وتاريخ التمدن الإسلامي ج ٣ ص ٢٠٥ ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٣ ص ١٤٢). (طبعة دار الكتب المصرية ــ حاشية).

(١) البيمارستان، ويقال له المارستان، كلمة أعجمية تعريبها: بيت المرضى وهو ما يقال له اليوم المستشفى، وتسميه العامة الاسبتالية وهو اسمه الإيطالي، والمقصود هنا البيمارستان العتيق الذي أنشأه السلطان صلاح الدين الأيوبي في سنة ٥٧٧هـ محل قاعة بالقصر الكبير بناها العزيز بالله الفاطميّ في سنة ٣٨٤هـ وكان القرآن مكتوباً في حيطانها؛ وموضع هذا البيمارستان اليوم مجموعة المباني الواقعة خلف دورة مياه جامع سيدنا الحسين من الجهة البحرية إلى عطفة القزازين، وكان الدخول إليه من باب قصر الشوك بدرب القزازين بقسم الجمالية. وأما في عهد الدولة الفاطمية فكان البيمارستان بالقشاشين التي سميت فيها بعد الخرّاطين، وهي التي تعرف اليوم بشارع الصنادقية، وموضعه مجموعة المباني الواقعة تجاه جامع الأشرف برسباي بشارع الأشرفية حيث كان بابه على يسار الداخل بشارع الصنادقية تجاه دار الضرب التي كانت على اليمين. (راجع المقريزي ج ١ ص ٤٠٧ و٤٣٥). (م رمزي).

(٢) في المقريزي: «ما يزيد على مائتي ألف».

(٣) يفهم مما نقله المقريزي عن ابن الطوير ومما ذكره القلقشندي أن الخليفة كان يستريح في الجمعة الأولى من شهر رمضان. ومما نقله المقريزي عن المسبحي أن العزيز بالله ركب في غرة رمضان سنة ٣٨٠هـ إلى =

يخطب يتقدّم متولّي خزانة الفرش إلى الجامع ويُغلق المقصورة التي برسم الخليفة والمَنْظَرة وأبواب مقاصيرها وباذْهَنْج[١] المنبر ثمّ يركب متولّي بيت المال، وعلى يد كلّ واحد منهما تعليقه[٢] وفرشه، وهي عدّة سجّادات مفروزةٌ منطَّقةٌ وبأعلاها سجادةٌ لطيفة، لا تُكشف إلاّ عند توجّه الخليفة إلى المحْراب. ثم يُفرش الجامعُ بالحصر المحاريب[٣] المفروزة ممّا يلي المحراب ــ وكان ذلك بجامع الأزهر قبل أن يبني الحاكمُ جامعه، ثمّ صار بعد ذلك بجامع الحاكم ــ ثم يهيّأ للداخل للجامع مثل ذلك، ثم يُطلق البَخُور، وتغلق أبواب الجامع ويُجعل عليها الحجّاب والبوّابون؛ ولا يُمَكَّنُ أحدٌ أن يدخله إلاّ مَن هو معروف من الخواصّ والأعيان. فإذا كان حضور الخليفة إلى الجامع ضُربت السلسلةُ من ركن الجامع إلى الوجه الذي قُبالته، ولا يُمَكَّنُ أحدٌ من الترجّل عندها[٤]. ثمّ يركب الخليفة، ويُسلّم لكلّ واحد من مقدّمي الرِّكاب في المَيْمَنة والمَيْسَرة أكياس الذهب والوَرق سوى الرسوم المستقرّة والهِبَات والصدقات في طول الطريق. ويخرج الخليفة من باب الذهب والمِظَلّة بمشدّة الجوهر على رأسه، وعلى الخليفة الطَّيلسان[٥]. فعند ذلك يَستفتح المقرئون بالقراءة في رِكابه بغير رَهَجِيّة[٦]، والدكاكينُ مزيّنة مملوءةً بأواني الذهب والفِضّة؛ فيسير الخليفة إلى أن يصل إلى وجه الجامع، ووزيرُه بين يديه، فتُحَطّ السلسلةُ

= جامع القاهرة فخطب وصلى صلاة الجمعة. (المقريزي: ٢/٢٨٠، وصبح الأعشى: ٣/٥٠٥). قلت: ولعله كان يقيم الخطبة والصلاة إذا صادف أول شهر رمضان يوم جمعة، وإلا فإنه يستريح في الجمعة الأولى، على ما تقدم من قول ابن الطوير والقلقشندي.

(١) الباذهنج؛ الجمع باذهنجات: كلمة فارسية معناها منفذ التهوية والإضاءة، يوجد عادة فوق أسطح العمائر (والمراد به هنا الفتحتان الجانبيتان للمنبر) وله أشكال مختلفة بحيث يسمح للشمس بالدخول شتاء وللنسيم صيفاً. وقد توجد على فتحة الباذهنج شبكة من النحاس. (نصوص من أخبار مصر لابن المأمون: ص ٢٣٥، حاشية ٢).

(٢) في الأصل: «تعليق وفرشه».

(٣) كذا في الأصل والمقريزي.

(٤) في الأصل: «من الترجل إلا عندها».

(٥) الطيلسان: كساء مدوّر أخضر لا أسفل له، معرّب.

(٦) رهجية: مصدر صناعي من الرهج وهو الشغب.

ويتمّ الخليفة راكباً إلى باب جامع الأزهر الذي تُجاه درب الأتراك[١]، فينزل ويدخل من باب الجامع إلى الدّهليز الأول الصغير ومنه إلى القاعة المعلّقة التي كانت برسم جلوسه، فيجلس في مجلسه وتُرْخَى المِقْرَمَةُ[٢] الحرير، ويقرأ المقرئون وتُفتح أبوابُ الجامع حينئذ. فإذا آستحقّ الأذان أذَّنَ مؤذنو القصر كلُّهم على باب مجلس الخليفة ورئيسُ الجامع على باب المِنْبر وبقيّةُ المؤذِّنين في المآذن. فعندما يَسمع قاضي القضاة الأذانَ يتوجّه إلى المنبر فيقبّل أوّل درجة، وبعده متولِّي بيت المال ومعه المِبْخرة وهو يبخّر، ولم يزالا يُقبِّلان درجةً بعد درجة إلى أن يصلا ذِرْوَة المنْبر؛ فيفتح القاضي بيده التزريرَ ويرفع السِّتْرَ، ويتناول من متولّي بيت المال المِبْخَرَة ويُبخّر هو أيضاً، ثم يُقبِّلان الدَّرج أيضاً وهما نازلان. وبعد نزولهما يخرُج الخليفة والمقرئون بين يديه بتلك الأصوات الشجيّة إلى أن يصل إلى المنبر ويصعد عليه. فإذا صار بأعلاه أشار للوزير بالطلوع فيطْلُع إليه وهو يُقَبِّل الدرج حتّى يصلَ إليه فَيَزُرُّ عليه القُبَّةَ، ثمّ ينزل الوزير ويقف على الدرجة الأولى ويَجْهَرُ المقرئون بالقراءة، ثم يُكَبِّر المؤذّنون ثمّ يشرع المؤذّنون في الصمت، ويخطُب الخليفة؛ حتّى إذا فرَغ من الخطبة طلع إليه الوزيرُ وحلّ الأزرارَ فينزل الخليفة، وعن يمينه الوزير وعن يساره القاضي والداعي[٣] بين يديه ـ والقاضي والداعي هما اللذان يوصّلان الأذان إلى المؤذّنين ـ حتّى يدخلَ المِحْرابَ ويُصَلِّي بالناس ويُسَلِّم. فإذا آنقضت الصلاة أخذ لنفسه راحةً بالجامع بمقدار ما تُعْرَضُ عليه الرسومُ وتُفَرَّق؛ وهي للنائب في الخطابة ثلاثةُ دنانير، وللنائب في صلوات الخمس ثلاثةُ دنانير، وللمؤذّنين أربعةُ دنانير، ولمُشارف خِزانة الفَرْش وفرّاشها ومتولّيها لكلٍّ ثلاثةُ دنانير، ولِصِبيان بيت

---

(١) في الأصل: «درب الأكراد». وما أثبتناه هو الصواب كما ورد بالخطط المقريزية؛ لأن هذا الدرب موجود إلى اليوم تجاه باب الأزهر المسمى بباب المغاربة.

(٢) المقرمة: الستر الرقيق.

(٣) الداعي: كان من ألقاب القائمين بالدعوة الشيعية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. وكان رئيس الدعاة يسمى داعي الدعاة. (الألقاب الإسلامية: ٢٨٥) وكان الداعي رئيساً لدار العلم وكانت خلف خان مسرور. كان يجلس فيها ويجتمع إليه من التلاميذ من يتكلم في العلوم المتعلقة بمذهبهم. (صبح الأعشى: ٣/٣٦٢). وانظر عن عمل الدعاة وتنظيمهم: المعز لدين الله، لحسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف: ص ٢٥٢ ـ ٢٥٨.

المال ديناران، ولمُعَبِّـي الفاكهة ديناران. وأمّا القرّاءُ فكان لهم رسوم غيرُ ذلك. ومن حين يركب الخليفة من القصر إلى الجامـع حتى يعودَ، الصدقاتُ تعمّ الناس».

قلت: وأظنّ أنّ الدينارَ كان غيرَ دينار زماننا هذا؛ فإنّه قال ــ بعدما ذَكَر لمُعَبِّي الفاكهة دينارين ــ: فأمّا الفواكهُ التي كانت تُعَبّى بالجامـع فإنّها كانت تباع بجملة كثيرة ويتزاحم الناس على شرائها لبركاتها ويُقسم ثمنُها بين الإمام والمؤذّنين. قلت: ولعلّ هذا كان رسماً للمُعَبّـي غير ثمن الفاكهة. والله أعلم.

ودام هذا الترتيب إلى آخر وقت، إلى أيّام العاضد آخر خلفاء مصر من بني عُبَيْد. ونذكر أيضاً في ترجمة الأمر بأحكام الله من العبيديين كيفية خروج الخليفة إلى الجامـع بأزيد من هذا عندما نحكي ما كان يقـع له من الوَجْد في خطبته، إن شاء الله تعالى.

انتهى ترجمة المعز لدين الله، رحمه الله تعالى.

* * *

السنة الأولى من ولاية المعزّ مَعَدّ على مصر

وهي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة:

فيها أعاد عزّ الدولةَ بَخْتِيار النَّوْحَ في يوم عاشوراء إلى ما كان عليه.

وفيها أظهر الخليفة المطيـع ما كان يستُره من علّته[1] وثِقَل لسانه وتعذُّر الحركة عليه للفالـج الذي كان ناله قديماً، وانكشف ذلك لسُبُكْتِكِين، فدعا الخليفةَ المطيـعَ إلى خلـع نفسه وتسليم الأمر إلى ولده الطائـع لله عبد الكريم ففعل ذلك؛ وعقد له الأمر في يوم الأربعاء لثلاث عشرة[2] خلت من ذي القعدة من السنة المذكورة. فكانت خلافتُه إلى أن خلَـع نفسَه تسعاً وعشرين سنة وأربعةَ أشهر وأربعة وعشرين يوماً. وصورة ما كُتِب:

(١) وهو داء الفالـج.

(٢) في تاريخ الخلفاء للسيوطي: «في ثالث عشري ذي القعدة».

هذا ما أشهد على متضمنه أميرُ المؤمنين الفضلُ المطيعُ لله بن المقتدر بالله، حين نظر لدينه ورعيّته وشُغِل بالعلّة الدائمة عمّا كان يُراعيه من الأمور الدينية اللازمة، وانقطع إفصاحُه عما يجب عليه لله في ذلك، فرأى آعتزالَ ما كان إليه من هذا الأمر وتسليمه إلى ناهض به قائم بحقّه [ممّن يرى له الرأي][(١)]. عَقَدَه له وأشهد بذلك طوعاً» وذكر التاريخ المذكور. وفي آخره بخط القاضي أبي الحسن محمد بن صالح: «شَهِد عندي بذلك أحمد بن حامد[(٢)] بن محمد، وعمر بن محمد بن أحمد، وطلحة بن محمد بن جعفر». قلت: وآنقطع المطيع بداره، وكان يسمّى بعد ذلك الشيخَ الصالحَ إلى أن مات في سنة أربع وستين وثلاثمائة، على ما يأتي ذكره في الآتية إن شاء الله تعالى.

وفيها تُوفّي عبدُ العزيز بن أحمد بن جعفر، الفقيه الحنبليّ العالم المشهور؛ مولده سنة آثنتين وثمانين ومائتين، وصنّف المصنّفات الكبيرة؛ منها كتاب «المقنع» مائة جزء، وكتاب «الكافي» مائتي جزء، و«الشافي» ثمانين جزءاً، وأشياء غير ذلك، ومات في شوّال.

وفيها تُوفّي أبو الفتح علي بن محمد بن أبي الفتح البُسْتِي، الشاعر المشهور؛ وكان إماماً فاضلاً، يُعاني الجناس. ومن شعره قوله: [السريع]

يا أيُّها الذاهبُ في مَكْره ... مهلاً فما المكر من الْمَكْرُماتْ
عليك بالصحة فهي الْمُنَى ... يحيا محيّاك إذا المكرُماتْ

وفيها تُوفّي محمد بن أحمد بن سهل أبو بكر الرَّمْليّ [المعروف بآبن][(٣)] النابُلْسي الزاهد المشهور. بعث إليه كافورُ الإخشيذيّ بمال؛ فردّه وقال للرسول: قل لكافور: قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فالاستعانة بالله وكفى. فردّ كافورٌ الرسولَ بالمال وقال: قل له: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما وَمَا تَحْتَ آلثَّرَى﴾ فأين ذكر كافور ها هنا! الملك والمال لله.

---

(١) زيادة عن المنتظم: ٦٦/٧.

(٢) كذا في المنتظم وتاريخ الإسلام للذهبي. وفي الأصل: «حامد بن أحمد».

(٣) زيادة عن الذهبي.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي جُمَحُ بن القاسم المؤذّن، وأبو بكر عبد العزيز بن جعفر بن أحمد(١) صاحب آلخلّال، وأبو بكر محمد آبن أحمد بن سهل الرمليّ بن النابلسي الشهيد، وأبو العباس محمد بن موسى [آبن](٢) السمسار، ومُظَفّر بن حاجب بن أرّكين(٣)، والنُّعمان بن محمد أبو حنيفة المغربيّ(٤) الباطنيّ قاضي مملكة المعزّ، وكان حنفيّ المذهب لأنّ الغرب كان يوم ذاك غالبه حنفية، إلى أن حمل الناسَ على مذهب مالك فقط المعزُّ بن باديس الآتي ذكره.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة ستّ عشرةَ ذراعاً وأربع عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثانية من ولاية المعزّ مَعَدّ على مصر

وهي سنة أربع وستين وثلاثمائة:

فيها في المحرّم أوقع العَيّارون(٥) ببغداد حريقاً من الخشّابين(٦) إلى باب الصغير، فآحترق أكثر هذا السوق، وهلك شيء كثير. وآستفحل أمرُ العَيّارين ببغداد حتى ركبوا الجند وتلقّبوا بالقوّاد وغلبوا على الأمور، وأخذوا الخفارة عن الأسواق

(١) في الأصل هنا: «عبد العزيز بن حفص». وما أثبتناه عن الذهبي وشذرات الذهب والبداية والنهاية والأعلام. وفي طبعة دار الكتب المصرية أورد المحقق أن الرواية الصحيحة لاسمه هي: «عبد العزيز بن أحمد بن جعفر» وفقاً للمصادر التي بين يديه، ولم يذكرها.

(٢) زيادة عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام.

(٣) كذا في شذرات الذهب. وفي الأصل: «أوكين».

(٤) في كتاب «المعز لدين الله» ترجمة وافية له: ص ٢٥٨ ــ ٢٦٨.

(٥) راجع الجزء الثالث من هذا المطبوع، ص ١٠٢، حاشية (١).

(٦) كذا في عقد الجمان. وعبارة الأصل: «أوقع العيارون حريقاً بالخشابين مبدؤه من باب الصغير فاحترق».

والـدروب. وكان فيهم أسـود يقال لـه الزَّبَـد، كان يـأوي «قنـطرة الـزَّبَـد»(١) يشحَذ وهو عريان. فلمّا كَثُر الفساد رأى هذا الأسودُ مَن هو أضعف منه قد أخذ بالسيف، فطلب الأسودُ سيفاً ونهب وأغار، وحفَّ به طائفةٌ وتقوّى وأخذ أموالَ الناس، وتموّل حتى آشترى جارية بألف دينار؛ فراودها فتمنعت؛ فقال: ما تَكْرهين منّي؟ قالت: أكرهك كلَّك؛ قال: ما تُحِبّين؟ قالت: تبيعني؛ قال: أو[أفعل](٢) خيراً لك من ذلك؛ فحملها إلى القاضي وأعتقها ووهبها ألف دينار؛ فتعجّب الناس من سماحته. ثمّ خرج إلى الشام فهلك هناك.

وفيها خرج الخليفة الطائـع ومعه سُبُكْتِكِين من بغداد في المحرّم يريدان واسطاً لقتال بَخْتِيار؛ فمات الخليفة المطيـع الفضلُ في يوم الاثنين لثمانٍ بَقِينَ من المحرّم. وكان المطيـعُ قد خرج مـع ولده الخليفةِ الطائـع يريد واسطاً، فردّه ولدُه في تابوت إلى بغداد فدُفِن بها، ثُمّ مات سُبُكْتِكِين بعده بيوم واحد، فحُمِل أيضاً إلى بغداد. وكان أصل سُبُكْتِكِين من مماليك عِزّ الدولة الأتراك، وخلـع عليه الخليفة الطائـع بالإمارة عوضاً عن أستاذه عزّ الدولة، وخرجا لقتاله فمات. وكانت مدّة إمارته شهرين وثلاثة عشر يوماً. ولمّا مات سُبُكْتِكِين عَقَد الأتراك لأَفْتِكِين الرّامي مولى مُعزّ الدولة، وكان أعور، وأطاعوه. وعرض عليه الطائـع اللّقب فآمتنـع وآقتصر على الكُنْية. وعمل على لقاء عزّ الدولة؛ فآستنجد عزّ الدولة بآبن عمّه عَضُدِ الـدولة فنجده؛ وقاتل الأتراكَ وكسرهم بعد حروب كثيرة. ثمّ طَمِـع عَضُدُ الدولة في الإمارة وعَزْلِه عِزَّ الدولة، وخلـع عليه الخليفةُ الطائـع مكانه؛ وعظُم أمرُ عضد الدولة بعد ذلك.

وفيها تُوفّي الخليفةُ المطيـع لله أبو القاسم الفضلُ أميرُ المؤمنين المقدّم ذكر وفاته لمّا خرج مـع ولده الطائـع. وهو آبن الخليفة المقتـدر جعفر ابن الخليفـة المعتضد أبـي العباس أحمد الهاشميّ العباسيّ. وأمُّه أُمّ ولد آسمها مَشْعَلة(٣).

---

(١) قنطرة الزبد: وهي قنطرة على نهر الصلة، وتسمى أيضاً قنطرة رحا البطريق.

(٢) زيادة عن المنتظم وعقد الجمان.

(٣) كذا في عقد الجمان. وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي: «شغلة». وفي الأصل: «مشيعلة».

بويع بالخلافة بعد المستكفي في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة. وكان مولده سنة إحدى وثلاثمائة. وخلع نفسَه من الخلافة غيرَ مُكْرَه لذلك، حسب ما ذكرناه في السنة الماضية؛ ونزل عن الخلافة لولده الطائع، ومات في المحرّم في هذه السنة، كما تقدّم.

وفيها تُوفّي الأمير محمد بن بدر الحمّامي، وكنيتُه أبو بكر. كان والده بدرُ الحمّاميّ مولى أحمد بن طولون، وكان أميراً على فارس فمات؛ فقام ولده هذا بعده. قال أبو نعيم: وكان ثقةً، مات ببغداد.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدِّينَوَرِيّ بن السُّنّي، وأبو هاشم عبد الجبار بن عبد الصمد السُّلَمِيّ، والمطيع لله الفضل بن المقتدر، ومحمد بن بدر الحمّاميّ أمير فارس، ومحمد بن عبد الله بن إبراهيم السَّلِيطَيّ أبو الحسن.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع سواء. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة من ولاية المعزّ معدّ على مصر

وهي السنة التي مات فيها، حسب ما تقدم ذكره في ترجمته، وهي سنة خمس وستين وثلاثمائة:

فيها كتب ركن الدولة أبو علي الحسن بن بُوَيْه إلى ولده عضد الدولة أبي شجاع أنّه قد كَبِرَتْ سِنُّهُ ويُؤثر مشاهدته، فآجتمعا؛ فقسم ركن الدولة الملك بين أولاده، فجعل لعضد الدولة فارس وكِرْمان [وَأَرَّجَان][1]، ولمؤيّد الدولة الرَّيّ وأصبهان، ولفخر الدولة هَمَذان والدِّينَوَر، وجعل ولده الأصغر أبا العباس في كَنَف عضد الدولة.

(١) زيادة عن المنتظم وعقد الجمان.

وفيها عاد جواب ركن الدولة إلى عزّ الدولة بما يطيّب خاطرَه. وكان لمّا بلغ عزَّ الدولة ما فعل ركن الدولة من قسمة البلاد بين أولاده كتب إليه يُخبره ما عَمِله عضد الدولة ويسأله زَجْرَه عنه، وأن يُـؤَمّنه ممّا يخاف؛ فخاطب رُكن الدولة ولدَه عَضُدَ الدولة في الكفِّ عنه؛ فشكا إليه عضدُ الدولة ما عامله عزُّ الدولة به وآنضمام وزيره آبن بَقيّة[١] عليه؛ فلم يزل به ركنُ الدولة حتّى أجابه بالكفّ عنه.

وفيها خُلِعَ على أبي عبد[٢]الله أحمد بن محمد بن عبد الله العلويّ لإمارة الحاجّ من دار عِزّ الدولة، وركب معه أبو طاهر الوزير آبن بقية إلى داره وحجّ بالناس.

وفيها حجّ بالناس من مصر من جهة العزيز بن المعزّ، عندما تخلّف بعد موت أبيه المعزّ، [رجلٌ عَلَوِيّ][٣]، وأقيمت له الدعوةُ بمكّة والمدينة بعد أن مُنِع أهلُ مكّة والمدينة من المِيرة، ولاقوا من عدم ذلك شدائدَ حتى اذعنوا له.

وفيها تُوفّي الأميرُ أبو صالح منصور بن نوح السامانيّ صاحب خُراسان، وقام ولدُه أبو القاسم نوحُ مقامه وسنُّه ثلاثَ عشرةَ سنةً.

وفيها تُوفّي ثابت بن سنان بن ثابت بن قُرّة أبو الحسن صاحب التاريخ[٤]؛ كان طبيباً فاضلاً، عاشر الخلفاء والملوك، وكان ثقةً فريداً في وقته.

وفيها تُوفّي الحسين بن محمد بن أحمد بن ماسَرْجِس الحافظ أبو عليّ الماسَرْجِسِيّ.

---

(١) هو الوزير نصير الدولة، أبو الطاهر، محمد بن محمد بن بقيّة بن علي المتوفى سنة ٣٦٧هـ. نقم عليه عز الدولة أمراً فقبض عليه سنة ٣٦٦هـ بواسط، وسمل عينيه، فلزم بيته. ولما ملك عضد الدولة بغداد طلبه وألقاه تحت أرجل الفيلة وصلبه. ولم يزل مصلوباً إلى أن توفي عضد الدولة، فأنزل عن خشبته ودفن. (الأعلام: ٧/ ٢٠، ووفيات الأعيان: ٥/١١٨، وما سيأتي ذكره في حوادث سنة ٣٦٧هـ من هذا الجزء).

(٢) في الأصل: «أبي عبيد الله». وما أثبتناه عن المنتظم وعقد الجمان.

(٣) زيادة عن المنتظم وعقد الجمان.

(٤) ألّف تاريخاً ذكر فيه ما كان في أيامه. ابتداه بسنة ٢٩٥هـ، وختم بوفاته. (الأعلام: ٢/ ٩٨).

أسلم ماسَرْجِس على يد عبد الله بن المبارك وكان نَصْرَانيًّا. أخذ(١) بدمشق عن أصحاب هشام بن عمّار، [و] ما صُنِّفَ في الإسلام أكبرُ من مسنده، وصنّف «المسندَ الكبير» مهذّباً معلّلاً في ألف وثلاثمائة، وجمع حديث الزُّهريّ جمعاً لم يَسْبِقه إليه أحدٌ [وكان يحفظه مثلَ الماء](٢).

وفيها تُوفّي عبدُ الله بن عديّ بن عبد الله بن محمد بن المبارك، الحافظ أبو أحمد الجُرْجَانيّ. ويُعرف بآبن القَطّان. رَحَل إلى الشام ومصر رحلتين، أُولاهما سنة سبع وتسعين(٣). قال الذهبيّ: كان لا يعرف العربيّةَ مع عَجْمة فيه، وأمّا في العِلَل والرِّجال فحافظ لا يُجارَى.

وفيها تُوفّي محمد بن عليّ بن إسماعيل، أبو بكر الشّاشيّ، الفقيه الشافعيّ المعروف بالقفّال الكبير؛ كان إمامَ عصره بما وراء النهر، ولم يكن للشافعيّة بما وراء النهر مثلُه.

وفيها تُوفّي عبدُ السلام بن محمد بن أبي موسى، أبو القاسم الصوفيّ البغداديّ؛ سافر ولقي الشيوخ من أهل الحديث والتصوّف، وجمع بين علم الشريعة والحقيقة.

وفيها تُوفّي عبدُ العزيز بن عبد الملك بن نصر، أبو الأَصْبَغ(٤) الأُمويّ الأندلسيّ. وُلد بقُرْطُبة ثمّ رحَل إلى بُخَارَى وآستوطن بها. قال الحاكم أبو عبد الله: سمعته ببخارى يَرْوِي أنّ مالك بن أنس كان يحدّث، فجاءت عَقْرَبٌ فلدغتْه ستّ عشرة مرّة فتغيّر لونُه ولم يتحرّك؛ فقيل له في ذلك فقال: كَرِهت أن أقطع حديثَ رسول الله ﷺ.

---

(١) كذا في تاريخ الإسلام للذهبي. وفي الأصل: «قال هشام بن عمار: ما صنّف في الإسلام... الخ». وهشام بن عمار مات سنة ٢٤٥هـ، وابن ماسرجس ولد في سنة ٢٩٧هـ، فلا يعقل أن يبدي هشام بن عمار رأياً في مؤلفات ابن ماسرجس وهو لم يولد بعد.

(٢) زيادة عن الذهبي.

(٣) في الأصل: «وسبعين» والتصحيح عن تاريخ الإسلام وتذكرة الحفاظ.

(٤) في الأصل: «الأصبع» بالعين المهملة. وهو تصحيف. والتصحيح عن نفح الطيب.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وإحدى وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعاً. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

ذكر ولاية العزيز[1] نِزار على مصر

هو نِزَار أبو منصور العزيز بالله بن المعزّ لدين الله أبي تميم مَعَدّ بن المنصور بالله أبي طاهر إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن[2] المهديّ أبي محمد عُبَيْد الله العُبَيْديّ الفاطميّ المغربيّ ثمّ المصريّ، ثاني خلفاء مصر من بني عبيد، والخامس من المهديّ إليه ممّن وَلِيَ من آبائه الخلافةَ بالمغرب. مولدُه بالمهديّة من القَيْرَوَان ببلاد المغرب في يوم عاشوراء[3] سنةَ أربع وأربعين، وقيل: سنة آثنتين وأربعين وثلاثمائة. وخرج مع أبيه المعزّ من المغرب إلى القاهرة ودام بها إلى أن مات أبوه المعزّ مَعَدّ بعد أن عَهِد إليه بالخلافة. فَوَلِيَ بعده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستّين وثلاثمائة وله آثنتان وعشرون سنة، وملك مصرَ وخُطِبَ له بها وبالشام وبالمغرب والحجاز، وحسُنت أيّامُه. وكان القائم بتدبير مملكته مولى أبيه جوهراً القائد. وكان العزيز كريماً شجاعاً سَيُوساً، وفيه رِفْقٌ بالرعيّة.

قال المُسَبِّحيّ: «وفي أيّامه بُني قصرُ البحر[4] بالقاهرة الذي لم يكن مثلُه

---

(١) أخباره وترجمته في: خطط المقريزي: ٢/٢٨٤ ــ ٢٨٥، ووفيات الأعيان: ٥/٣٧١ ــ ٣٧٦، والبيان المغرب: ١/٢٢٩ ــ ٢٣٢، والمنتظم: ٧/١٩٠، وابن خلدون: ٤/٥١، وعبر الذهبي: ٣/٣٤، والشذرات: ٣/١٢١، واتعاظ الحنفا: ١/٢٣٦، وابن الأثير: ٧/٣٦٠ وما بعدها، وحسن المحاضرة: ٢/١٧.

(٢) يرى بعض الباحثين أن القائم لم يكن ابناً للمهدي. وبالتالي فإن العزيز ووالده المعز لم يكونا من سلالة المهدي عبيد الله. راجع ما كتبناه في الحاشية (٣) ص ٨١ من هذا الجزء. وانظر أيضاً الفصل الذي عقده الأستاذ محمد عبد الله عنان حول نسب الخلفاء الفاطميين في كتابه: الحاكم بأمر الله: ٤٧ ــ ٧٥.

(٣) في المنتقى من أخبار مصر لابن ميسّر: «يوم الخميس الرابع عشر من المحرم».

(٤) قصر البحر: كان من جملة القصور بداخل القصر الكبير الشرقي، وكان يدخل إليه من باب البحر المنسوب لهذا القصر. وموضعه اليوم مجموعة المباني الواقعة خلف دار بشتاك التي بشارع بين القصرين بين درب قرمز وحارة بيت القاضي في الجزء الواقع خلف الدار المذكورة. (م. رمزي). وانظر المقريزي: ١/٣٨٣.

لا في الشرق ولا في الغرب، وقصرُ الذهب(١)، وجامعُ القرافة(٢). قلت: وقد مُحِي آثار هؤلاء المباني حتّى كأنها لم تكن. قال المسبّحيّ: وكان أسمرَ، أصهبَ الشعر، أعينَ أشهل، بعيدَ ما بين المَنْكِبَيْن، حسنَ الخلق، قريباً من الناس، لا يُـؤثر سفك الدماء؛ وكان مُغْرًى بالصيد، وكان يتصيّد السباعَ، وكان أديباً فاضلاً»(٣). انتهى.

وذكره أبو منصور الثعالبيّ في يتيمة الدهر(٤)، وذكر له هذه الأبيات وقد مات له آبن في العيد فقال: : [المنسرح]

نحن بنو المصطفى ذوو مِحَنٍ يَجْـرَعُهـا في الحيـاة كـاظِمُنَـا
عجيبـةٌ في الأنـام محنتُنـا أوّلُنـا مُبْتَـلىً وخـاتَـمُـنـا
يفـرح هـذا الـورى بعيـدهمُ طُـرّاً وأعيـادُنـا مـآتـمُـنـا

وأما بناؤه القصر بالبحر فكان في (. . . . .)(٥).

(١) قصر الذهب: قال المقريزي: ٣٨٥/١: «قاعة الذهب، ويقال لها قصر الذهب، وهو أحد قاعات القصر الكبير الشرقي، وكان يدخل إليه من باب الذهب، ويدخل إليه أيضاً من باب البحر». وموضع هذا القصر اليوم مجموعة المباني الواقعة خلف مدرسة النحاسين الأميرية التي بشارع بين القصرين بين شارع بيت القاضي وحارة بيت القاضي في الجزء الواقع خلف المدرسة المذكورة. (م. رمزي).

(٢) جامع القرافة: بنته السيدة تغريد أم العزيز بالله نزار بالقرافة الكبرى. وأصله مسجد بني عبد الله بن مانع ويعرف بمسجد القبة، وكان يعرف في زمن المقريزي باسم جامع الأولياء. وأما اليوم فيعرف باسم حوش أبي علي. وقد زال ولم يبق منه إلا آثار بعض جدرانه. وموقعه في الجنوب الشرقي بمسجد قديم يعرف اليوم بحوش خضراء الشريفة آثاره قائمة في الفضاء الواقع بين جبانة سيدي عقبة ومصر القديمة. (م. رمزي).

(٣) قارن بما ذكره ابن مَيسَّر في هذا المجال ببعض اختلاف، والأرجح أنه كان ينقل عن المسبّحي. (المنتقى من أخبار مصر: ١٧٥). ونقل النويري: نهاية الأرب: ٤٩/٢٦ عن ابن ميسَّر قال: «وجدّد في أيام العزيز من الأبنية قصر الذهب، وجامع القرافة، والفوارة، وبستان السردوس، وقصور عين شمس، والمصلى الجديد بالقاهرة. وهو أول من بنى دار الفطرة وقرّر الرواتب، وسنّ إعطاء الضحايا للأولياء، وكان قريباً من الناس بصيراً بالخيل والجوارح والصيد». المرجع السابق: ص ١٧٦، حاشية .

(٤) اليتيمة: ٢٩٣/١.

(٥) بياض بالأصل. ولم يعيّن المقريزي في كلامه عن هذا القصر تاريخ بناء العزيز له، بل ذكر سنة إتمام الخليفة المستنصر له وهي سنة ٤٥٧هـ (انظر خطط المقريزي: ٤٥٧/١).

وقال أبو منصور(١) أيضاً: «سمعت الشيخَ أبا الطيّب يحكي أن الأمويّ صاحب الأندلس كتب إليه نِزارٌ هذا (يعني العزيز صاحب مصر) كتاباً يسُبّه فيه ويهجوه؛ فكتب إليه الأمويّ: «أمّا بعدُ، قد(٢) عرفْتَنا فهجوتَنا، ولو عرفناك لأجبناك. [والسلام]»(٣). قال: فآشتدّ ذلك على نِزَار المذكور وأفحمه عن الجواب. يعني أنه غير شريف وأنّه لا يعرف له قبيلة حتّى كان يهجُوه. إنتهى كلام أبي منصور.

ولمّا تمّ أمرُ العزيز بمصر وآستفحل أمرُه وأخذ في تمهيد أمور بلاده، خرج عليه قَسامٌ الحارثيّ وغلَب على دِمشق. وكان قسّام المذكور من الشُّجعان، وكان أصله من قرية «تَلْفِيتَا» من قرى(٤) جبل سَنِّير. كان ينقُل التّرابَ(٥) على الحَمير؛ وتنقّلت به الأحوال حتّى صار له ثروةٌ وأتباع وغلب بهم على دِمشق حتّى لم يبق لنوّابها معه أمرٌ ولا نهيٌ؛ ودام على ذلك سنين. فلمّا ملك العزيزُ وعظُم أمرُه أراد زوالَه، فندب إليه جيشاً مع تَكِين(٦)، فسار تَكِين إليه وحاربه أيّاماً، وصار العزيز

(١) الخبر في يتيمة الدهر: ١/٢٩٤.

(٢) في اليتيمة: «فإنك».

(٣) زيادة عن اليتيمة.

(٤) في الأصل: «من عمل سنير» وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب المصرية. وسنِّير: جبل بين حمص وبعلبك على الطريق، وعلى رأسه قلعة سنِّير، من أعمال دمشق.

(٥) ولذلك قيل له: قسّام التراب. وقيل له أيضاً: السقّاط والزبّال، على اختلاف بين المؤرخين. ولكنهم جميعاً يتفقون على وصفه بأنه كانت له الرياسة على حمّال السلاح من الشطار والذعّار. ويصفون حزبه بأنه من العيّارين. وهذا الزعيم الشعبي كانت له السيطرة الفعلية في دمشق ما بين سنة ٣٦٥ وسنة ٣٧٣هـ. ويبلغ به الأمر أن بعض الولاة الرسميين كان يمنع من دخول البلد بأمر منه، وبعضهم كان يقف على بابه يتمثل أوامره. وكانت تراسله الخلفاء والملوك والأمراء. وقد اتخذ قسام التراب لنفسه لقب «ملك الرجال» واصطنع لنفسه ولأصحابه أعلاماً وطوارق على صفة «قحف» وجعل لنفسه «رنكاً» ــ أي شعاراً ــ واتخذ القحف شعاراً له على الرنك ليذكره دوماً بأصله كترّاب وزبّال، وفي هذا ما فيه من معنى التحدي الطبقي والوعي لقوة الجموع الشعبية، كما يقول الدكتور شاكر مصطفى (في كتابه: الحركات الشعبية وزعماؤها في دمشق، في العهد الفاطمي، صفحات مجهولة من تاريخ دمشق) الذي يرى أنه على الرغم من فشل ثورة قسّام التراب فإنها لم تذهب دون أن تترك في الضمير الشعبي الدمشقي أثراً عميقاً ظل قائماً في النفوس عدة قرون. (انظر حكايات الشطّار والعيّارين في التراث العربي للدكتور محمد رجب النجار: ص ١٦١ ــ ١٦٧).

(٦) في معجم البلدان ومعجم زامباور: «بلتكين».

يمدّه بالعساكر إلى أن ضعُف أمرُ قسّام وآختفى أيّاماً، ثم آستأمن؛ فقيّدوه وحملوه إلى العزيز إلى مصر.

وقال القِفْطيّ غيرَ ذلك، قال: «فغلَب على دِمشق رجل من العيّارين يُعرف بقسّام وتحصّن بها (يعني دِمشق) وخالف على صاحب مصر، فسار لحربه الأمير الفضل من مصر، فحاصر دمشقَ وضاق بأهلها الحال؛ فخرج قسّامُ متنكّراً فأخذته الحرسُ؛ فقال: أنا رسول، فأحضروه إلى الفضل؛ فقال له: أنا رسول قسّام إليك لتحلِف له وتُعوّضَه عن دمشق بلداً يعيش به، وقد بعثني إليك سرّاً؛ فحلف الفضل له. فلمّا تَوَثّق منه قام وقبّل يديه وقال: أنا قسّام؛ فأعجب الفضلَ ما فعله وزاد في إكرامه وردّه إلى البلد وسلّمه إليه؛ وقام الفضل بكلّ ما ضمِنه وعوّضه موضعاً عاش به. فلمّا بلغ ذلك العزيزَ أحسن صلته». انتهى.

وقال الذهبيّ روايةً أخرى في أمر قسّام، قال: «وهو الذي يتحدّث الناس أنّه ملك دِمشق، وأنّه قسم البلاد، وقَدِم لقتاله سَلْمَان بن جعفر بن فلاح إلى دمشق بجيش، فنزل بظاهرها ولم يمكنه دخولها؛ فبعث إليه قسّام بخطّه: أنا مقيمٌ على الطاعة. وبلغ العزيزَ ذلك فبعث البريدَ إلى سلمان ليردّه؛ فترحّل سَلْمَانُ من دمشق؛ وولّى العزيزُ عليها أبا محمود[١] المغربيّ؛ ولم يكن له أيضاً مع قسّام أمر ولا حلّ ولا عقدٌ». انتهى كلام الذهبيّ.

قلت: ولعلّ الذي ذكره الذهبيّ كان قبل توجّه عسكر تكين والفضل؛ فإن الفضل لمّا سار بالجيوش أخذ دمشق من قسام وعوّضه بلداً، وهو المتواتر. والله أعلم.

وقال الحافظ أبو الفرج بن الجوزيّ: «كان العزيز قد ولّى عيسى بن نسطورس[٢] النّصرانيّ ومنشا[٣] اليهوديّ؛ فكتبت إليه امرأةٌ: بالذي أعزّ اليهود

(١) هو إبراهيم بن جعفر الكتامي القائد، كما في ابن الأثير.

(٢) كذا في المنتظم، وحسن المحاضرة للسيوطي، والإشارة إلى من نال الوزارة للصيرفي، وأخبار مصر لابن ميسّر، وبدائع الزهور. وفي الأصل: «نسطور». وذكر الصيرفي أن اسمه: «عيسى بن نسطورس بن سورس».

(٣) كذا في أكثر المصادر التي ذكرنا. وفي المنتظم وحسن المحاضرة: «ميشا» بالياء المثناة. وفي بدائع الزهور: =

بمنشا، والنصارى بابن نسطورس، وأذلّ المسلمين بك، إلاّ نظرتَ في أمري». فقبض العزيزُ على اليهوديّ والنصرانيّ، وأخـذ من آبن نسطورس ثلاثمائة ألف دينار»(١). إنتهى.

وقال آبن خلكان: وأكثرُ أهل العلم لا يُصحّحون نسبَ المهديّ عُبَيدِ الله والدِ خلفاء مصر، حتّى إنّ العزيز في أوّل ولايته صَعِد المِنبر يوم الجمعة، فوجد هناك ورقةً فيها: [السريـع]

إنّـا سمِعْنـا نسبـاً مُنْكَـراً ... يُتْلَى على المِنْبر في الجامـع
إنْ كنتَ فيما تدّعي صادقاً ... فـاْذكُر أباً بعد الأب الـرابـع
وإن تُـرِدْ تحقيقَ مـا قلتـه ... فـاْنسُب لنا نفسَـك كـالـطائـع

= «منشاه». وفي مآثر الإنافة للقلقشندي: «ميسا» بالسين المهملة. وذكره ابن العبري في تاريخ الزمان باسم «منسَّى بن القزّاز».

(١) ذكر ابن إياس في بدائع الزهور: ١٩٦/١ هذه الرواية باختلاف عما هنا. قال: «وفي سنة ٣٨٠هـ توفي الوزير يعقوب بن كلِّس، فلما مات خلع العزيز على شخص من النصارى يقال له نسطورس، واستقرّ به وزيراً، فعدّت هذه الفعلة من مساوئه؛ وخلع على شخص من اليهود يقال له منشاه، واستقرّ به وزيراً بالشام، فوقع منهما الأذى البالغ في حق المسلمين بمصر والشام. فاتفق أن العزيز ركب يوماً، وشق من القاهرة فزينت له، فعمد بعض الناس إلى مبخرة من الجريد، وألبسها ثياب النساء، وزيّرها بإزار وشعرية، وجعل في يدها قصة كتب فيها: «بالذي أعز النصارى بنسطورس وأعزّ اليهود بمنشاه، وأذل المسلمين بك، إلا ما رحمتهم، وأزلت عنهم هذه المظالم». فلما مرّ العزيز على تلك الصورة، ظن أنها امرأة لها حاجة، فوقف وطلب قصتها، فلما قرأها اشتدّ به الغضب، وأمر بشنق الوزير نسطورس، فشنق على باب قصر الزمرد في ذلك اليوم، ثم أرسل إلى الشام بشنق اليهودي منشاه، فشنق على باب قلعة دمشق». انتهى. والواقع أن العزيز بالله لم يأمر بشنقهما وإنما عزلهما وصادرهما ــ كما في ابن الأثير ومآثر الإنافة وفيما يذكره المؤلف هنا ــ وكان العزيز في كثير من الأمور، خصوصاً الشؤون المالية، يعتمد فيها على عيسى بن نسطورس الذي حابى أبناء جلدته من النصارى وعينهم في وظائف الدولة المختلفة، مما جعل المسلمين يضجون بالشكوى، فقبض عليه العزيز مدة حتى شفعت له ستّ الملك بنت الخليفة فرده وولاه الوزارة وشرط عليه استخدام المسلمين في دواوينه وأعماله. وظل في منصبه حتى رمضان سنة ٣٨٦هـ، حيث اضطر الحاكم إلى عزله تحت ضغط المغاربة الذين طالبوا بتولي ابن عمار زمام الأمور. وفي المحرم سنة ٣٨٧هـ قبض ابن عمار على عيسى بن نسطورس وقتله. (انظر الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ص ٢٤٤، وأخبار مصر لابن ميسّر ص ١٨٠). قارن أيضاً برواية ابن العبري في تاريخ الزمان: ص ٧٠.

أَوْ فَـدَعِ(١) الأنسـابَ مستـورةً وآدخُل بنا في النسب الواسـع
فــإنَّ أنســابَ بنـي هــاشـم يقصُــر عنهـا طَمَـعُ الـطامـع

فقرأها العزيزُ ولم يتكلّم. ثمّ صَعِد العزيز المنبر يوماً آخر فرأى ورقةً فيها مكتوب: [مخلّـع البسيط]

بـالـظّلم والجَـوْر قـد رَضِينــا وليس بــالكفــر والحـمــاقــهْ
إن كنتَ أُعْــطِيتَ علمَ غـيبٍ فقــل لنــا كــاتب البِـطاقــهْ

قال: وذلك لأنّهم آدّعَوْا علم المُغَيَّبات والنجوم. وأخبارهم في ذلك مشهورة. اِنتهى كلام آبن خلكان بآختصار.

وقال غيره: كان العزيزُ ناهضاً، وفي أيّامه فُتحت حِمْصُ وحَمَاةُ وحلبُ، وخَطَب له صاحبُ المَوْصل أبو الذَّوّاد(٢) محمد بن المسيّب بالمَوْصِل، وخُطِب له باليمن. ثمّ انتقض ما بينه وبين صاحب حلب أبـي الفضائل بن سعد الدولة ومدَبِّر مُلْكه لؤلؤ بعد وفاة سعد الدولة بن سيف الدولة بن حَمْدان صاحب حلب لمّا قَتَل بَكْجُورَ وهرب كاتبه (أعني كاتب بَكْجور، وهو عليّ بن الحسين المغربـيّ) من حلب إلى مشهد الكوفة على البَرِّيّة؛ ثم اجتهد حتى وصل إلى مصر، وآجتمـع بالعزيز هذا وعظّم أمرَ حلب عنده وكثّرها، وهوّن عليه حصونَها وأَمْرَ متولّيها أبـي الفضائل. قلت: ولؤلؤ وأبو الفضائل يأتي بيانُ ذكرهما فيما يقـع بينهما وبين العزيز، وتأتي أيضاً وفاتُهما في الحوادث، فيظهر بذلك أمرُهما على مَن لا يعرفهما.

فلمّا هوّن عليّ بن الحسين أمر حلب على العزيز، تشوّقت نفسُه إلى أخذ حلب من أبـي الفضائل. وكان للعزيز غلامان، أحدهما يسمى مَنْجُوتَكين والآخر بازتكين(٣) من الأتراك، وكانا أمردين مشتدّين؛ فأشار على العزيز المغربـيُّ المذكور بإنفاذ أحدهما لقتال الحلبيّين لتنقادَ إليه الأتراك مماليك سعد الدولة؛ فإنّه كان قبل

(١) في ابن خلكان: «أو لا دع . . .».
(٢) في الأصل: «ابن الدواد» والتصحيح عن الأعلام: ٩٨/٧.
(٣) في الأصل غير معجم الحرف الأول والثالث. وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب المصرية.

ذلك قد آستأمن إلى العزيز جماعةٌ من أصحاب سعد الدولة بن سيف الدولة بن حَمْدان بعد موت سعد الدولة، فأمّنهم العزيزُ وأحسن إليهم وقرّبهم؛ منهم وفيٌّ الصَّقْلَبيّ في ثلاثمائة غلام (يعني مملوكاً) وبشارة الإخشيذيّ في أربعمائة غلام، ورباح السيفيّ؛ فولّى العزيزُ وفيّاً الصقلبيّ عكّا، وولّى بشارة طَبَرِيّة، وولّى رباحاً غزّة. ثمّ إنّ العزيز ولّى مملوكه منجوتكين حرب حلب، وقدّمه على العساكر وولّاه الشأم، وآستكتب له أحمد بن محمد النُّشُوريّ، ثمّ ضمّ إليه أيضاً أبا الحسن عليّ بن الحسين المغربيّ المقدّم ذكرُه ليقوم المغربيّ بأمر منجوتكين وتدبيره مع الحلبيّين، فإنّه كان أصل هذه الحركة. وخرج العزيزُ حتّى شيّعهم بنفسه وودّعهم[1]. فسار مَنْجُوتكين حتّى وصل دمشق، فتلقّاه أهلُها والقوّادُ وعساكرُ الشام والقبائلُ، فأقام منجوتكين بعساكره عليها مدّةً، ثم رحَل طالباً لحلب في ثلاثين ألفاً. وكان بحلب أبو الفضائل بن سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان ومعه لؤلؤٌ، فأغلقا أبوابَها وآستظهرا في القتال غاية الاستظهار على المصريّين. وكان لؤلؤٌ لمّا قَدِمَ عسكرُ مصر إلى الشام كاتب بَسِيل[2] ملك الرّوم في النجدة على المصريّين ومَتّ[3] له بما كان بينه وبين سعد الدولة من المعاهدة والمعاقدة، وأنّ هذا ولده قد حُصِر مع عساكر المصريّين؛ وحثّه على إنجاده؛ ثمّ بعث إليه بهدايا وتُحَف كثيرة، وسأله في المعونة والنُّصْرة على المصريّين، وبعث الكتاب والهدايا مع ملكون

---

(١) وقد أنفق العزيز أموالاً طائلة في تجهيز منجوتكين إلى الشام وحلب، واحتفى بتسييره شخصياً احتفاءً كبيراً. انظر تفصيل ذلك في أخبار مصر لابن ميسَّر: ص ١٧٠، وأخبار منجوتكين التركي مفصلة في الجزء السادس والعشرين من نهاية الأرب للنويري.

(٢) في الأصل: «كاتب يسأل» وهو تحريف. وهو الأمبراطور باسيل الثاني (٩٧٦ ــ ١٠٢٥م) معاصر العزيز بالله وولده الحاكم بأمر الله. وكانت الدولة البيزنطية ترى، منذ استولى الفاطميون على مصر والشام، أن هذه القوة الإسلامية الجديدة تمثل خطراً جديداً عليها، تجب مقاومته قبل أن يستفحل. ولما زحف القرامطة على الشام، وعمه الاضطراب والفوضى، انتعشت آمال السياسة البيزنطية حيناً؛ فلما تحطم خطر القرامطة، ضاعف البيزنطيون جهودهم لمنازلة الفاطميين، وألفوا في بني حمدان تكأة حسنة لهذا النضال. وكانت الدولة البيزنطية تجوز في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر مرحلة من القوة والنهوض في عصر الأسرة البسيلية، ولا سيما عهد باسيل الثاني المذكور. (انظر: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية لمحمد عبد الله عنان: ص ٨٢ وما بعدها).

(٣) في الأصل: «ربت له ما كان» وهو تحريف. وما أثبتناه من طبعة دار الكتب المصرية عن مرآة الزمان.

السريانيّ؛ فتوجّه ملكون السريانيّ إليه فوجد ملكَ الرّوم يُقاتِل ملك البُلْغَر[١]؛ فأعطاه الهديّة والكتاب، فقبِل الهديّةَ وكتب إلى البرجيّ[٢] نائبه بأنطاكيَة أن يَسير بالعساكر إلى حلب ويدفَع المغاربة (أعني عساكرَ العزيز) عن حلب. فسار البرجيّ في خمسين ألفاً؛ ونزل البرجيّ بعساكره الجسرَ الجديدَ[٣] بين أنطاكيَة وحلب. فلمّا بلغ ذلك منجوتكين آستشار عليّ بن الحسين المغربيّ والقوّاد في ذلك، فأشاروا عليه بالانصراف من حلب وقَصْد الروم والابتداء بهم قبل وصول الروم إلى حلب، لئلا يحصلوا بين عدوّين. فساروا حتّى نزلوا تحت حصن أعزاز[٤] وقاربوا الروم، وصار بينهم النهر المعروف بالمقلوب[٥]. فلمّا وقع بصرُهم على الروم رَمَوْهم بالنُّشّاب وبينهم النهر المذكور، ولم يكن لأحد الفريقين سبيل للعبور لكثرة الماء. وكان منجوتكين قد حَفِظ المواضع التي يَقِلّ الماءُ فيها، وأقام جماعةً من أصحابه يمنعون عسكره من العبور لوقت يختاره المنجِّم. فخرج من عسكره من الدَّيْلم رجل شيخ كبير في السن وبيده تُرْسٌ وثلاث روسات[٦]؛ فوقف على جانب النهر وبإزائه قومٌ من الروم، فرمَوْه بالنُّشّاب وهو يسبَح حتّى قطع النهر، وصار على الأرض من ذلك البرّ والماء في النهر إلى صدره. فلمّا رأوه[٧] عساكر منجوتكين رَمَوْا بأنفسهم في الماء فُرْساناً ورَجّالة، ومنجوتكين يمنعهم فلا يمتنعون حتّى صاروا مع الروم في

(١) أي البلغار.
(٢) وهو نيقفوروس أورانوس؛ ويعرف في الرواية العربية بالبرجي. (الحاكم بأمر الله: ص ٨٢).
(٣) في الأصل: «الحديد». وما أثبتناه عن ابن الأثير.
(٤) ويقال: عزاز. وهي بلدة شمالي حلب على مقربة من الحدود التركية. «وهي مدينة كبيرة عامرة، كثر بناؤها، واتسع فناؤها، عمرت قلعتها، وكثرت منفعتها. وكانت قديماً تعرف بتلّ أعزاز. وفي سنة ٣٦٣هـ حدثت زلزلة بأرض قنّسرين فأخربت قلعتها». انظر الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب: ١٦٨.
(٥) النهر المقلوب: هو نهر العاصي. ينبع من الأراضي اللبنانية ويسير شمالاً في الأراضي السورية، ويصب في المتوسط. وسمي بالعاصي لأنه يسير في مجراه من الجنوب إلى الشمال بعكس سائر الأنهار اللبنانية التي تتجه من الشمال إلى الجنوب. ويسمى أيضاً: نهر الأرند والميماس.
(٦) كذا بالأصل. ولعل المراد بها: الرماح.
(٧) كذا بالأصل. وهذه الصيغة هي الشائعة الاستعمال لدى كتّاب العصر المملوكي.

أرض واحدة وقاتلوا الروم؛ فأنزل الله نصره على المسلمين، فولّى الرومُ وأعطَوْهم ظهورهم، ورَكِبَهم المسلمون فأثخنوهم قتلاً وأسراً، وأَفْلت كبيرُ الروم البرجيّ في عدد يسير إلى أنطاكيَة، وغَنِمَ المسلمون من عساكرهم وأموالهم شيئاً لا يُعدّ ولا يُحصى. وكان مع الروم ألفان من عسكر حلب المسلمين فقتل منجوتكين منهم ثلاثمائة. وتبع منجوتكين الروم إلى أنطاكيَة فأحرق ضياعها ونهب رساتيقها، ثمّ كرّ راجعاً إلى حلب، وكان وقت الغلّات؛ فعلم لـؤلـؤ أنّه لا له نجدة، وأنّه يضعُف عن مقاومة المصريّين؛ فكاتب المغربيَّ والنُّشُوريَّ، كاتبي منجوتكين، وأرغبهما في المال وبذل لهما ما أرضاهما، وسألهما أن يُشيرا على منجوتكين بالانصراف عن حلب إلى دمشق وأن يعود في العام المُقْبِل؛ فخاطباه في ذلك، وصادف قولُهما له شوقَ منجوتكين إلى دمشق؛ وكان منجوتكين أيضاً قد ملّ الحربَ، فانخدع؛ وكتب هو والجماعة إلى العزيز يقولون: قد نَفِدَت المِيرَةُ ولا طاقةَ للعساكر على المُقَام، ويستأذنونه في الرجوع إلى دمشق. وقبل أن يجيء جوابُ العزيز رحلوا عن حلب إلى دمشق. وبلغ العزيزَ ذلك فشقّ عليه رحيلُهم، ووجد أعداءُ المغربيّ طريقاً إلى الطعن فيه عند العزيز، فصرف العزيز المغربيّ وقلّد الأمرَ للأمير صالح بن عليّ الرُّوذْبَاريّ وأقعده مكانه. ثمّ حمل العزيز من غلّات مصر في البحر إلى طرابُلْس شيئاً كثيراً. ثمّ رجع منجوتكين إلى حلب في السنة الآتية وبنى الدورَ والحمّامات والخانات والأسواق بظاهر حلب، وقاتل أهلَ حلب. وآشتدّ الحصارُ على لؤلؤ وأبي الفضائل بحلب، وعُدِمت الأقوات عندهم بداخل حلب، فكاتبوا ملك الروم ثانياً وقالوا له: متى أُخِذَت حلب أُخِذَت أنطاكِيَة، ومتى أُخِذَت أنطاكِيَة أُخِذَت قُسْطنطينيّة. فلمّا سَمِع ملكُ الروم ذلك سار بنفسه في مائة ألف وتبِعه من كلّ بلد من معاملته عسكرُه؛ فلمّا قرُبَ من البلاد أرسل لؤلؤ إلى منجوتكين يقول: إنّ الإسلام جامعٌ بيني وبينك، وأنا ناصح لكم، وقد وافاكم ملكُ الروم بجنوده فخذوا لأنفسكم؛ ثم جاءت جواسيسُ منجوتكين فأخبروه بمثل ذلك، فأحرق منجوتكين الخزائنَ والأسواق وولّى منهزماً؛ وبعث أثقاله إلى دمشق، وأقام هو بمَرْج قِنَّسْرِين ثم سار إلى دمشق. ووصل بَسيل ملك الروم بجنوده إلى حلب، ونزل موضعَ عسكر المصريّين، فهاله ما كان فعله منجوتكين، وعلِم كثرةَ عساكر المصريّين وعَظُموا في

عينه؛ وخرج إليه أبو الفضائل صاحب حلب ولـؤلـؤ وخدماه[١]. ثم سار ملك الرّوم في اليوم الثالث ونزل على [حصن] شَيْزَر[٢] وفيه منصور بن كراديس أحد قوّاد العزيز، فقاتله يوماً واحداً، ثم طلب منه الأمان فأمّنه؛ فخرج بنفسه إليه، فأهّل[٣] به بَسيل ملك الروم وأعطاه مالاً وثياباً، وسلّم الحصن إليه؛ فرتّب ملكُ الروم [عليه] أحد ثِقاتِه. ثمّ نازل حمص فآفتتحها عَنْوة وسبَى منها ومن أعمالها أكثرَ من عشرة آلاف نسمة. ثمّ نزل على طرابلس أربعين يوماً، فقاتلهم فلم يقدر على فتحها، فرحل عائداً إلى الروم. ووصل خبره إلى العزيز فعظُم عليه ذلك إلى الغاية، ونادى في الناس بالنفير، وفتح الخزائن وأنفق على جنده. ثمّ سار بجيوشه ومعه توابيتُ آبائه فنزل إلى الشام، ووصل إلى بانياس، فأخذه مرضُ القُولَنْج وتزايد به حتّى مات منه وهو في الحمام في سنة ستّ وثمانين وثلاثمائة. وقيل في وفاته غير ذلك أقوالٌ كثيرة، منها أنّه مات بمدينة بلبيس[٤] من ضواحي القاهرة، وقيل: إنّه مات في شهر رمضان قبل خروجه من القاهرة في الحمّام، وعمره آثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر. وكانت مدّة ولايته على مصر إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وأيّاماً. وتولّى مصر بعده آبنه أبو عليّ منصور الملقّب بالحاكم الآتي ذكره إن شاء الله. وكان العزيز مَلِكاً شجاعاً مِقْداماً حسن الأخلاق كثيرَ الصَّفْح حليماً لا يُـؤثر سَفْكَ الدماء، وكانت لديه فضيلة؛ وله شِعْر جيّد، وكان فيه عدلٌ وإحسانٌ للرعيّة. قلت: وهو أحسن الخلفاء الفاطميّين حالاً بالنسبة لأبيه المعز ولابنه الحاكم، على ما يأتي ذكره إن شاء الله.

قال آبن خلكان: «وزادت مملكته على مملكة أبيه، وفُتِحت له حمصُ وحماةُ

(١) في الأصل: «وخدماته».

(٢) شيزر: مدينة قديمة ذات قلعة، وكورة حسنة يجري فيها نهر العاصي. تقع على بعد خمسة عشر ميلاً إلى الشمال الغربي من حماة. وهي شطران: شطر ضمن القلعة على الرابية، وهو البلد، وشطر قرب الجسر على العاصي وهو المدينة. (الدرّ المنتخب: ٢٣١، وتقويم البلدان: ٢٦٢، ٢٦٣).

(٣) في الأصل: «فأهله بسيل».

(٤) هذه هي رواية ابن الأثير في تاريخه، وابن ميسّر والمسبّحي في أخبار مصر. وهي الرواية الراجحة عند الباحثين. وسيأتي للمؤلف نقل رواية المسبّحي.

وشَيْـزَرُ وحلبُ؛ وخَطَب لـه المُقَلَّد(١) العُقَيْليّ صـاحب المـوصـل بـالمـوصـل [وأعمالها](٢) في المحرم سنة آثنتين وثمانين وثلاثمائة، وضرب آسمه على السكة والبنود، وخطِب له باليمن. ولم يزل في سلطانه وعِظَمِ شأنه إلى أن خرج إلى بلبيس متوجِّهاً إلى الشام، فآبتدأت به العِلّة في العشر الأخير من رجب سنة ستّ وثمانين وثلاثمائة. ولم يزل مرضُه يزيد وينقُص، حتّى ركب يوم الأحد لخمس بَقِين من شهر رمضان من السنة المذكورة إلى الحمّام بمدينة بلبيس، وخرج إلى منزل الأستاذ أبـي الفتوح بَرْجَوَان، وكان بَرْجَوانُ صاحبَ خزانته بالقصر، فأقام عنده وأصبـح يوم الاثنين، وقد آشتدّ به الوَجـع يومَه ذلك وصبيحةَ نهار الثُّلاثَاء، وكان مرضُه من حَصَـاة وقُولَنـج، فـآستدعى القـاضيَ محمدَ بن النُّعْمـان وأبا محمـد الحسن بن عَمّار الكُتَاميّ الملقّب أمينَ الدولة ـ وهو أوّل من تلقّب من المغاربة، وكان شيـخَ كُتَامةَ وسيِّدَها ـ ثمّ خاطبهما في أمر ولده الملقّب بالحاكم، ثمّ آستدعى ولَده المذكور وخاطبه أيضاً بذلك. ولم يزل العزيز في الحمّام والأمر يشتدّ به إلى بين الصلاتين من ذلك النهار، وهو الثلاثاء الثامن والعشرون من شهر رمضان سنة ستّ وثمانين وثلاثمائة، فتُوُفّي في مَسْلَـخ الحمّام. هكذا قال المُسَبِّحيّ».

قلت: والعزيزُ هذا هو الذي رتّب الفِطْرة(٣) في عيد شوّال، وكانت تُعْمَلُ على غير هذه الهيئة. وكانت الفِطْرةُ تُعْمَل وتُفَرّق بالإيوان، ثم نُقلت في عدّة أماكن؛ وكان مصروفُها في كلّ سنة عشرةَ آلاف دينار. وتفصيل الأنواع: دقيقٌ ألفُ حَمْلة، سكّرٌ سبعمائة(٤) قنطار، قَلْبُ فُسْتُق ستةُ قناطير، لوز ثمانيةُ قناطير، بندق أربعةُ

(١) في الأصل: «ابن المقلّد العقيلي». وما أثبتناه عن ابن خلكان وابن الأثير.

(٢) زيادة عن ابن خلكان.

(٣) وهي فطرة العيد: أول من رتّبها العزيز بالله، وكانت تعمل بإيوان القصر وتفرق منه إلى أن تحوّل الوزير الأفضل من القاهرة إلى مصر وسكن بها فاستجدّ للفطرة داراً صارت فيا بعد دار الأمير عز الدين الأفرم بمصر قبالة دار الوكالة، وعملت بها الفطرة مدة، إلا ما يخص الخليفة وجهاته وخواصه فكان يعمل بالإيوان. فلما توفي الأفضل وتولى المأمون بنى دار الفطرة خارج القصر قبالة باب الديلم، واقتطع لها جزءاً من إصطبل الطارمة: (انظر خطط المقريزي: ١/٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، وصبح الأعشى: ٣/٣٥٤، ٤٧٦، ٥٢٤، ٥٢٥) وفيهما تفصيل ما كان يعمل بدار الفطرة من الحلوى وغيرها.

(٤) كذا أيضاً في المقريزي. وفي صبح الأعشى: «أربعمائة».

قناطير، تمرٌ أربعمائة إردب، زبيبٌ ثلاثمائة[١] إردب، خَلٌّ ثلاثةُ قناطير، عسلُ نحل خمسةُ قناطير[٢]، شيرج مائتا قنطار، حَطَبٌ ألفٌ ومائتا حَمْلة، سِمْسِمٌ إردبان، آنيسون إردبان، زيتٌ طَيّبٌ للوقود ثلاثون قنطاراً، ماءُ ورد خمسون رطلاً، مِسْكٌ خمسُ نوافـج[٣]، كافورٌ عشرة مثاقيل، زعفرانٌ مائة وخمسون درهماً. ثمنُ مواعين وأجرةُ صُنّاع وغيرها خمسمائةُ دينار. إنتهى باختصار. ولنعُد[٤] إلى ذكر وفاة العزيز صاحب الترجمة.

وقال صاحبُ تاريخ القَيْرَوان: «إنّ الطّبيب وصف له دواءً يشربه في حوض الحمّام، وغَلِط فيه فَشرِبَه فمات من ساعته؛ ولم ينكتم تاريـخُ موته ساعةً واحدةً. وترتّب موضعَه ولدُه الحاكمُ أبوعليّ منصور. وبلـغ الخبرُ أهلَ القاهرة، فخرج الناسُ غداةَ الأربعاء لتلقي الحاكم؛ فدخل البلدَ وبين يديه البنودُ والراياتُ وعلى رأسه المِظَلَّة يَحْمِلُها رَيْدَانُ الصَّقْلَبـيّ، فدخل القصرَ عند آصفرار الشمس، ووالدُه العزيزُ بين يديه في عَمَارِيّة وقد خرجت رجلاه منها، وأُدخلت العَمَارِيَّة القصرَ؛ وتولى غسلَه القاضي محمدُ بن النُّعْمان، ودُفن عند أبيه المُعزّ في حجرة من القصر. وكان دفنه عند العِشَاء [الأخيرة][٥]. وأصبـح الناس يوم الخميس سَلْـخ الشهر والأحوالُ مستقيمةٌ، وقد نُودي في البُلْدان: لا مؤونةَ ولا كُلْفة، وقد أمّنكم الله على أموالكم وأرواحكم؛ فمن نازعكم أوعارضكم فقد حَلّ مالُه ودمُه. وكانت ولادة العزيز يوم الخميس رابـع عشر المحرّم سنة أربـع وأربعين وثلاثمائة». إنتهى كلام آبن خلكان بآختصار، رحمه الله.

وقال المختار المُسَبِّحي صاحبُ التاريـخ المشهور: «قال لي الحاكمُ، وقد جرى ذكرُ والده العزيز: يا مختار، استدعاني والدي قبلَ موته وهوعاري الجسم،

(١) في الصبـح: ٤٣٠ إردب زبيب.
(٢) في المقريزي والصبـح: «خمسة عشر قنطاراً».
(٣) في الأصل: «نفافـج» وهو تحريف. والتصحيـح عن المقريزي والصبـح. والنوافـج: جمع نافجة، وهي وعاء المسك.
(٤) في الأصل: «ولنعود».
(٥) زيادة عن ابن خلكان.

وعليه الخِرَق والضِّمادُ (يعني كونه كان في الحمام). قال: فٱستدعاني وقبّلني وضمّني إليه، وقال: واغَمِّي عليك يا حبيبَ قلبي! ودمعتْ عيناه، ثمّ قال: اِمض يا سيّدي فٱلعب فأنا في عافية. قال الحاكم: فمضيتُ والتهيتُ بما يلتهي به الصِّبيان من اللعب إلى أن نَقَل اللّهُ تعالى العزيزَ إليه». اِنتهى كلام المسبّحيّ.

وقد ذكرنا في وفاة العزيز عدّةَ وجوه من كلام المؤرّخين رحمهم الله تعالى. وكان العزيزُ حازماً فصيحاً. وكتابه إلى عضد الدولة بحضرة الخليفة الطائع العباسيّ يدلّ على فضل وقوّة. وكان كتابه يتضمّن بعد البسملة:

«من عبد الله ووليّه نِزار أبي منصور الإمامِ العزيزِ بالله أمير المؤمنين، إلى عَضُد الدولة الإمام نصير ملة الإسلام أبي شجاع بن أبي عليّ.

سلام عليك؛ فإنّ أمير المؤمنين يَحْمَدُ إليك الله الذي لا إله إلاّ هو، ويسأله الصلاةَ على جَدّه محمد رسول ربّ العالمين، وحُجّة الله على الخَلْق أجمعين، صلاةً باقيةً ناميةً متّصلةً دائمةً بِعتْرَته الهادية، وذرّيته الطَّيّبة الطاهرة.

وبعد، فإنّ رسولك(١) وصل إلى حضرة أمير المؤمنين، مع الرسول المنفذ إليك، فأدّى ما تحمله من إخلاصك في وَلاء أمير المؤمنين ومودّتك، ومعرفتك بحقّ إمامته، ومحبتك لآبائه الطائعين الهادين المَهْديّين. فسُرّ أميرُ المؤمنين بما سمعه عنك، ووافق ما كان يتوسّمه فيك وأنّك لا تَعْدِل عن الحقّ.

ثم ذكر كلاماً طويلاً في المعنى إلى أن قال:

وقد علمتَ ما جَرَى على ثغور المسلمين من المشركين، وخراب الشام

(١) وكان العزيز الفاطمي قد أرسل قبل هذا كتاباً إلى عضد الدولة مع رسول من قبله اسمه أبو الوليد عتبة بن الوليد. فأرسل عضد الدولة جواباً مع رسول له هو أبو محمد العماني القاضي وبصحبته رسول العزيز. ونص رسالة العاضد أوردها ابن ظافر كما يلي: «. . . كان أبو الوليد ورد علينا وافداً عن تلك الحضرة الشريفة ــ حرسها الله تعالى ــ ومتحملاً رسائل يعتقد بمثلها المودّة، ويستصفى بحكمها الثقة، فأصحنا له، وأعدنا أبا الوليد إلى تلك الحضرة المحروسة موصول الجناح برسولنا فلان». (أخبار الدول المنقطعة لجمال الدين علي بن ظافر: ص ٣٣ ــ ٣٤).

وضعف أهله، وغَلاء الأسعار. ولولا ذلك لتوجّه أمير المؤمنين بنفسه إلى الثغور، وسوف يَقْدَم إلى الحِيرة، وكتابُه يقدَم عليك عن قريب، فتأهّب إلى الجهاد في سبيل الله». وفي آخر الكتاب: «وكتبه يعقوبُ بن يوسف بن كِلِّس عند مولانا أمير المؤمنين».

فكتب إليه عضدُ الدولة كتاباً يعترف فيه بفضل أهل البيت، ويُقرّ للعزيز أنّه من أهل تلك النَّبْعَة الطاهرة، [وأنّه في طاعته][1] ويُخاطبه بالحضرة الشريفة، وما هذا معناه. اِنتهى.

قلت: وأنا أتعجّب من كون عضد الدولة كان إليه أمرُ الخليفة العباسي ونهيُه، ويقع في مثل هذا لخلفاء مصر، وقد عَلِم كلّ أحد ما كان بين بني العباس وخلفاء مصر من الشَّنآن. وما أظنّ عَضُد الدولة كتب له ذلك إلّا عجزاً عن مقاومته؛ فإنّه قرأ كتابَه في حضرة الخليفة الطائع، وأجاب بذلك أيضاً بعلمه، فهذا من العجب.

قال الوزير يعقوب بن كِلِّس: «سمعت العزيزَ بالله يقول لعمّه حَيْدَرة: يا عمّ، أُحِبّ أن أرى النِّعَمَ عند الناس ظاهرةً، وأرى عليهم الذهبَ والفِضّةَ والجوهر، ولهم الخيلُ واللِّباس والضِّيَاع والعَقَارُ، وأن يكون ذلك كلُّه من عندي». قال المسبّحي: وهذا لم يُسمع بمثله قطُّ من مَلِك. اِنتهت ترجمة العزيز. ولمّا مات رثاه الشعراء بعدّة قصائد.

* * *

السنة الأولى من ولاية العزيز نِزَار العُبَيْديّ على مصر

وهي سنة ست وستين وثلاثمائة.

فيها في جُمَادى الأولى زُفَّت بنتُ عِزّ الدولة إلى الخليفة الطائع لله العباسيّ.

وفيها جاء أبو بكر محمد بن عليّ بن شاهويه صاحب القرامطة، ومعه ألفُ

---

(١) زيادة من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

رجل من القرامطة إلى الكوفة، وأقام الدعوة بها لعَضُد الدولة، وأسقط خطبةَ عِزّ الدولةَ بَخْتِيَار. وكان قدومه معونةً لعضد الدولة.

وفيها عُمِل في الدّيار المصرية المأتمُ في يوم عاشوراء على الحسين بن عليّ رضي الله عنهما، وهو أوّل ما صُنِع ذلك بديار مصر. فدامت هذه السُّنّة القبيحةُ سنين إلى أن آنقرضت دولتهم، على ما سيأتي ذكره.

وفيها كانت وَقْعةٌ بين عِزّ الدولة بن معزّ الدولة أحمد وبين آبن عمّه عضد الدولة بن رُكْن الدولة الحسن بن بُوَيْه، وقعة هائلة أُسِر فيها غلامٌ تركيّ لعزّ الدولة؛ فآشتدّ حزنُه عليه، وآمتنع عزّ الدولة من الأكلِ والشرب وأخذ في البُكاء وآحتجب عن الناس وحرّم على نفسه الجلوسَ في الدّسْت؛ وبذل لعَضُد الدولة في الغلام المذكور جاريتين عوّادتين كان قد بُذِل له في الواحدة مائة ألف درهم؛ فردّه عَضُدُ الدولة عليه.

وفيها حجّ بالناس أبو عبد الله أحمد بن [أبي](1) الحسين العَلَويّ. وحجّت في السنة جميلةُ بنت ناصر الدولة بن حَمْدان، ومعها أخواها(2) إبراهيم [وهبةُ الله](1) حجّةً ضُرِب بها المثلُ، وفرّقَتْ أموالاً عظيمةً؛ منها أنّها لمّا رأت الكعبة نثرت عليها عشرة آلاف دينار، وسقت جميعَ أهل الموسم السَّوِيقَ بالسكر والثّلج. كذا قال أبو منصور الثعالبيّ. وقُتِل أخوها هبةُ(3) الله في الطريق. وأعتقت ثلاثمائة عبد ومائتي جارية، وفرّقت المال في المجاورين حتى أغنتهم، وخلعت على كِبار الناس خمسين ألف ثوب. وكان معها أربعمائة عَمَارِيّة. ثم ضَرَب الدهر ضَرَبانَه وآستولى عضدُ الدولة بن بويه على أموالها وحصونها؛ فإنّه كان خطبها فآمتنعت،

---

(١) زيادة عن المنتظم وتاريخ الإسلام للذهبي.

(٢) في الأصل: «ومعها أخوها إبراهيم حجةً... إلخ»، والتصحيح عن المنتظم وعقد الجمان وتاريخ الإسلام.

(٣) في الأصل: «وقتل أخوها إبراهيم» وما أثبتناه عن عقد الجمان. وسبب قتله أنه جرى قتال بين أصحابها وبين الحجاج الخراسانيين على الماء، فأصاب أخاها هبة الله سهم فقتله.

ولم يَدَع لها شيئاً إلى أن آحتاجت وآفتقرت. فآنظر إلى هذا الدهر كيف يرفع ويَضَع(١)!.

وفيها تُوفِّي المستنصر بالله صاحبُ الأندلس، أبو العاصي، الحكم بن الناصر لدين الله عبد الرحمن الأمويّ. بقي في الملك ستةَ عشرَ عاماً(٢)، وعاش ثلاثاً وستين سنة. وكان حسن السيرة، جمع من الكتب ما لا يُحدّ ولا يُوصف(٣).

وفيها تُوفِّي السلطان ركن الدولة أبو عليّ الحسن بن بويه بن فَنّاخُسْرُو بن تمام بن كوهي بن شيرزيل الأصغر بن شيركوه بن شيرزيل [الأكبر](٤) الدَّيْلميّ، صاحب أصبهان والرَّيّ وهَمَذَان وعِرَاق العجم كلّه. وهؤلاء الملوك الثلاثة: عضدُ الدولة وفخرُ الدولة ومؤيّد الدولة أولاده(٥). وكان مَلِكاً جليلاً سعيداً في أولاده؛ قسم عليهم الممالك، فقاموا بها أحسنَ قيام. وملك ركنُ الدولة أربعاً وأربعين سنةً وأشهراً. وكان أبو الفضل بن العميد وزيرَه، والصاحبُ إسماعيل بن عَبّاد كان وزيرَ ولَدَيْه مؤيد الدولة ثم فخر الدولة. ومات ركن الدولة المذكور في المحرّم. و«بُوَيْه»: بضم الباء الموحّدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها هاء ساكنة؛ و«فنّاخُسْرُو»: بفتح الفاء وتشديد النون وبعد الألف خاء معجمة مضمومة ثم سين مهملة ساكنة ثم راء مضمومة وبعدها واو. وقد ضبطتُه لكي يُعرَف بعد ذلك آسم من يأتي من أولاده في هذا الكتاب.

---

(١) وكانت جميلة بنت ناصر الدولة إحدى شهيرات النساء في الكرم والعقل والجمال. ولم تتزوج أنفة من أن يتحكم بها زوجها. ولما تغلّب عضد الدولة على أخيها أبي تغلب، أمير الموصل، سنة ٣٦٩هـ، فرّ أبو تغلب إلى الرملة، ورحلت معه جميلة في جماعة من حاشيته، فخرج عليهم دغفل بن مفرج، أمير طيىء، فقتل أبا تغلب وحمل جميلة إلى حلب ثم إلى بغداد، فاعتقلها عضد الدولة في حجرة، ثم أركبها جملاً وشهّر بها، وألقاها في دجلة فماتت غرقاً سنة ٣٧١هـ. (الأعلام: ٢/١٣٩).

(٢) في الحلّة السيراء لابن الأبّار: «خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام».

(٣) قال ابن الأبّار: «ولم يسمع في الإسلام بخليفة بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب والدواوين وإيثارها والتّهمم بها... وكان له ورّاقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف، ورجال يوجههم إلى الآفاق باحثين عنها... حتى غصّت بها بيوته وضاقت عنها خزائنه». الحلة السيراء: ١/٢٠٠.

(٤) زيادة عن ابن خلكان.

(٥) في الأصل: «إخوته» وهو خطأ سببه سبق قلم من الناسخ، باعتبار أنه سيذكر نسبتهم إليه صحيحة بعد قليل.

وفيها تُوفّي إسماعيل الشيخ أبو عمر السلميّ[١]. كان من كِبار المشايخ وله قدمُ صدق وحكاياتٌ مشهورة، رحمه الله.

وفيها تُوفّي الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الحسن بن بَهْرَام أبو عليّ، وقيل: أبو محمد، القَرْمطيّ ٱلجَنَابي الخارجيّ. ولد بالأَحْسَاء في شهر رمضان سنة ثمانٍ وسبعين ومائتين، وغَلَب على الشام لمّا قُتل جعفر بن فَلاح، وتوجّه إلى مصر لقتال المعزّ العُبَيْديّ، كما ذكرناه في ترجمة المعزّ، ثم مات بالرّملة في عوده إلى دِمشق في شهر رجب. وجدّهُ أبو سعيد هو أوّل القرامطة، وقد مرّ من أخبارهم القبيحة نبذةٌ كبيرةٌ في عدّة سنين. وكان الحسن هذا صاحبُ الترجمة فصيحاً شاعراً، وكان يُلَقّب بالأعْصَم[٢]، وكان يَلْبَسُ الثيابَ القصيرة؛ وهو أحدُ مَن قَتَل العِبادَ، وأخرب البلادَ.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي الحسن بن أحمد بن أبي سعيد[٣] الجَنّابي القَرْمطيّ ـ كان مَلَك الشام وحاصر مصر شهراً، وركنُ الدولة الحسن بن بُوَيْه صاحب عراق العجم، وكانت دولته خمساً وأربعين سنة، ووزَر له أبو الفضل بن العميد. وتُوفّي أبو الحسن محمد بن عبد الله بن زكرياء بن حَيُّوَيْه[٤] النّيسابوريّ بمصر، وأبو الحسن محمد بن الحسن النيسابوريّ السرّاج المقرىء الزاهد.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع سواء. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

(١) في الأصل: «أبو عمرو السليمي». وما أثبتناه عن المنتظم وعقد الجمان والبداية والنهاية.
(٢) في طبعة دار الكتب: «بالأعظم» وهو خطأ.
(٣) في الأصل: «الحسن بن أحمد بن سعيد بن أبي سعيد».
(٤) في الأصل: «حيوة» وما أثبتناه عن الذهبي.

السنة الثانية من ولاية العزيز نِزار على مصر

وهي سنة سبع وستين وثلاثمائة.

فيها دخل عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه بغداد، وخرج منها آبن عمه عزّ الدولة بَخْتِيَار بن معزّ الدولة بن بُوَيه، ثم تقاتلا فآنتصر عزّ الدولة ثم قتل، حسب ما سنذكره في هذه السنة.

وفيها زادت دجلة في نيسان حتى بلغت إحدى وعشرين ذراعاً، فهدمت الدور والشوارع، وهرب الناس في السفن، وهيَّأ عضد الدولة الزبازب تحت داره (والزبازب هي المراكب الخفيفة).

وفيها حجَّ بالناس أبو عبد الله العلويّ.

وفيها جاء الخبرُ بهلاك أبي يعقوب يوسف بن الحسن الجنّابيّ القرمطيّ صاحب هَجَر، وأُغلقت الأسواق له بالكوفة ثلاثةَ أيّام، وكان قد توزّر لعضد الدولة.

وفيها تُوفّي أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أحمد النَّصْرَبَاديّ النّيسابوريّ (ونصرباد: مَحلّة من نيسابور. وكلّ باد يأتي في اسم بلد من هؤلاء البُلْدان هو بالتفخيم حتى يصحّ معناه). كان أبو القاسم حافظَ خُراسان وشيخَها، وإليه يُرجَع في علوم القوم والسِّيَر والتواريخ، وكان صَحِب الشِّبْليّ وغيرَه من المشايخ. مات بمكّة حاجّاً، ودُفن عند قبر الفُضَيْل بن عِيَاض.

وفيها تُوفّي السلطان أبو منصور بَخْتِيار عزّ الدولة بنُ معزّ الدولة أحمد بنُ بُوَيْه الدَّيْلَمِيّ. وَلِي مُلكَ العراق بعد أبيه، وتزوّج الخليفة الطائعُ لله عبدُ الكريم بآبنته شاه[1] زمان على صَدَاق مائة ألف دينار. وكان عزّ الدولة شُجاعاً قوياً يُمْسِك الثَّوْر العظيمَ بقرنيه فلا يتحرّك[2]. وكان بينه وبين آبن عمّه عضُد الدولة منافسات وحروب على المُلْك، وتقاتلا غيرَ مرّة آخرها في شوّال، قُتِل فيها عزّ الدولة المذكور في

(١) كذا في ابن خلكان وشذرات الذهب. وفي الأصل: «شاه نار».

(٢) الرواية المشهورة: «يمسك الثور العظيم بقرنيه فيصرعه».

المعركة[١]، وحُمِل رأسُه إلى عَضُد الدولة، فوضَع المِنْدِيل على وجهه وبكى. وتملّك عضدُ الدولة العراقَ بعده، وآستقلّ بالممالك[٢]. وعاش عزّ الدولة ستّاً وثلاثين سنة.

وفيها توفّي محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر، أبو طاهر الذهليّ البغداديّ القاضي نزيل مصر وقاضيها. وُلِد ببغداد في ذي الحجة سنة تسع وسبعين ومائتين.

وفيها تُوفّي الوزيرُ أبو طاهر، محمدُ بن محمد بن بقيّة، وزيرُ عزّ الدولة؛ وكان عضدُ الدولة قد بعث إليه يُمِيله عن عزّ الدولة؛ فقال: الخيانة والغَدْرُ ليستا من أخلاق الرجال. فلمّا قُتِل عزّ الدولة قَبض عليه عضدُ الدولة وشهّره في بغداد من الجانبين وعلى رأسه بُرْنسٌ، ثم أمر به أن يُطْرَح تحت أرْجُل الفِيَلة فقتلتْه الفيلة، ثم صُلِب في طَرَف الجسر من الجانب الشرقيّ[٣]، ولم يَشْفَع فيه الخليفةُ الطائع لأمرٍ كان في نفسه منه أيّام مخدومه عزّ الدولة، وأُقيم عليه الحرسُ. فآجتاز به أبو الحسن محمد بن عمر الأنباريّ الصوفيّ الواعظ، وكان صديقاً لابن بقيّة المذكور، فرثاه بمرثيته المشهورة وهي: [الوافر]

عُلُوٌّ في الحياة وفي المماتِ لَحَقٌّ أنت إحدى المعجزاتِ
كأنّ الناسَ حولك حين قاموا وُفُودُ نَدَاكَ أيّام الصِّلاتِ
كأنّكَ قائمٌ فيهمْ خطيباً وكُلُّهُمُ قِيَامٌ للصَّلاةِ
مدَدْتَ يديكَ نحوَهُمُ آحتفاء كمدِّهما إليهم بالهِبَاتِ
وتُشْعَلُ عندكَ النِّيرانُ ليلاً كذلك كنتَ أيّامَ الحياةِ

(١) في ابن الأثير وتاريخ الخلفاء للسيوطي أن عضد الدولة ظفر بعز الدولة في تلك المعركة، وأخذه أسيراً، ثم قتله بعد ذلك.

(٢) قال السيوطي: «وخلع الطائع على عضد الدولة خلع السلطنة، وتوجّه بتاج مجوهر، وطوّقه وسوّره، وقلّده سيفاً، وعقد له لواءين بيده، أحدهما مفضض على رسم الأمراء، والآخر مذهب على رسم ولاة العهود؛ ولم يعقد هذا اللواء الثاني لغيره قبله. وكتب له عهداً، وقرىء بحضرته، ولم يبق أحد إلا تعجّب، ولم تجر العادة بذلك؛ إنما كان يدفع العهد إلى الولاة بحضرة أمير المؤمنين، فإذا أخذه قال أمير المؤمنين: هذا عهدي إليك، فاعمل به».

(٣) في ابن خلكان: «ثم صلبه عند داره بباب الطاق».

رَكِبْتَ مطيّةً من قبلُ زيدٌ[١] عـلاها في السنين الماضياتِ
ولم أرَ قبلَ جِذْعِك قطُّ جذعاً تمكّن من عِتَاق المَكْرُمَات
وتلك فَضِيلةٌ فيها تَأَسٍّ تُباعد عنك تعييرَ العُداةِ
أسأتَ إلى النوائب فآستثارت فأنت قتيلُ ثأرِ النّائباتِ
وكنتَ تُجير من جَوْر[٢] الليالي فعاد مُطالِباً لك بالتِّرَاتِ
وصيّر دهرُك الإحسانَ فيه إلينا من عظيم السَّيِّئاتِ
وكنتَ لمعشرٍ سَعْداً فلمّا مضيت تفرّقوا بالمُنْحِسَاتِ
غليلٌ باطنٌ لك في فؤادي يُخَفَّفُ بالدُّموع الجَارياتِ
ولو أنّي قَدَرْتُ على قيامٍ لفَرْضِك والحقوقِ الواجبات
ملأتُ الأرضَ من نظم القوافي ونحتُ بها خلافَ النائحات
ولكنّي أُصبِّرُ عنك نفسِي مخافةَ أن أُعَدَّ من الجُنَاة
وما لك تُرْبةٌ فأقولَ تُسْقَى لأنّك نُصْبُ هَطْلِ الهاطلات
ولمّا ضاق بطنُ الأرض عن أن يَضُمَّ عُلاَك من بعد الممات
أصاروا الجوَّ قبرَكَ وآستنابوا عن الأكفان ثوبَ السافيات[٣]
عليك تحيّةُ الرحمن تَتْرَى بِرَحْمات غَوادٍ رائحات

قلت: ولم أذكر هذه المرثيَة بتمامها هنا إلاّ لغرابتها وحُسْنِ نظمها. وآستمر آبنُ بقيّة مصلوباً إلى أن توفّي عضد الدولة.

وفيها تُوفّي الأميرُ الغَضَنفَرُ[٤] بن ناصر الدولة بن حَمْدان صاحب الموصل وآبن صاحبها.

(١) إشارة إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الذي قتل في خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٢هـ، وحمل رأسه إلى الشام فنصب على باب دمشق، ثم أرسل إلى المدينة فنصب عند قبر النبي يوماً وليلة، وحمل إلى مصر فنصب بالجامع، فسرقه أهل مصر ودفنوه. وفي بعض الروايات أنهم صلبوه على خشبة إلى سنة ١٢٦هـ، ثم أنزل بعد أربع سنين وأحرق. (الأعلام: ٥٩/٣).

(٢) في ابن خلكان: «من صرف الليالي».

(٣) كذا في ابن خلكان؛ وفي الأصل: «السائحات». والسافيات: الريح تحمل التراب.

(٤) هو الأمير عدة الدولة، فضل الله، أبو تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة. وترجمه ابن المنوطي في تلخيص =

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أبو القاسم إبراهيم بن محمد النَّصْرَبَاديّ الواعظ العارف، وعزّ الدولة بَخْتِيَار بن معز الدولة بن بُوَيه ملك العراق ــ قتل في مصافّ بينه وبين آبن عمه عضد الدولة، والغضنفر بن ناصر الدولة بن حَمْدان صاحب الموصل وآبن صاحبها، وأبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله الذُّهْليّ بمصر في ذي القعدة، وله ثمان وثمانون سنة، وأبو بكر محمد بن عمر القُرْطبيّ ابن القُوطِيّة اللغويّ، والوزير أبو طاهر محمد بن محمد بن بقيّة نصير[1] الدولة، وزير عزّ الدولة، صلبه عضدُ الدولة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وثلاث وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

السنة الثالثة من ولاية العزيز نِزار على مصر

وهي سنة ثمان وستين وثلاثمائة.

فيها أمر الخليفة الطائع أن تُضرب على باب عضد الدولة الدبادب (أعني الطبلخانات)[2] في وقت الصبح والمغرب والعشاء، وأن يُخطَب له على منابر الحضرة. قلت: وهذا أوّل ملِك دُقّت الطبلخانة على بابه، وصار ذلك عادة من يومئذ. وقال الحافظ أبو الفرج بن الجوزيّ: «وهذان أمران لم يكونا من قبله ولا أُطلقا لوُلاة العهود، [ولا خُطِب بحضرة السلطان إلّا له[3]، ولا ضُرِبت الدبادب

= مجمع الآداب في معجم الألقاب: «عمدة الحضرة، عدة الدولة، أبو تغلب، هبة الله». وتاريخ وفاته على الصحيح هو سنة ٣٦٩هـ ؛ وسيأتي للمؤلف ذكر وفاته في حوادث سنة ٣٦٩هـ من هذا الكتاب. (الأعلام: ٥/ ١٢٠، والأعلاق الخطيرة: ٣/ ٦٧٧ ــ حاشية).

(١) في الأصل: «نصر الدولة». وما أثبتناه من ابن خلكان.

(٢) الطبلخانات: كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقى السلطانية أو بيت الطبل. وهي طبول متعددة معها أبواق وزمر تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص. (صبح الأعشى: ٤/ ٨، ٩، ١٣. والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى: ٢٢٨).

(٣) راجع ص ١٣٤، حاشية (٢).

إلّا على بابه][١]. وقد كان معزّ الدولة أحبّ أن تُضرَب له الدبادب بمدينة السلام، فسأل الخليفة المطيع لله في ذلك فلم يأذن له». قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: وما ذاك إلّا لضعف أمر الخلافة. انتهى.

وفيها تُوفّي أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك، الحافظ أبو بكر القَطِيعيّ البغداديّ؛ كان يسكن قطيعةَ الرقيق. ومولده في أوائل سنة أربع وسبعين ومائتين. وكان مُسنِدَ العراق في زمانه وسمع الكثير، وروَى عنه الدارقُطْنيّ وآبن شاهين والحاكم وخلق سواهم.

وفيها تُوفّي عبد الله بن إبراهيم بن يوسف، الحافظ أبو القاسم الجُرْجاني[٢] الآبَنْدونيّ، وآبَنْدُون: قرية من قرى جُرْجان. كان رفيقَ آبن عديّ في الرحلة؛ سكن بغداد وحدّث بها عن جماعة، وروَى عنه رفيقه الإمام أبو بكر الإسماعيليّ[٣] وغيرُه.

وفيها تُوفّي محمد بن عيسى بن عمرويه، الشيخ أبو أحمد الجُلُوديّ الزاهد، راوي صحيح مسلم؛ سمع الكثير، وروَى عنه غير واحد. قال الحاكم: كان من أعيان الفقراء الزهّاد، وأصحاب المعاملات في التصوّف؛ ضاعت سماعاته من آبن سفيان، فنسخ البعض من نسخة لم يكن له فيما سماع.

وفيها تُوفّي هفتكين الأمير أبو منصور التركي الشرابي[٤]. هَرَب من بغداد خوفاً من عضد الدولة، ووقع له أمور مع العزيز هذا صاحب الترجمة بمصر، ثمّ

---

(١) زيادة عن المنتظم لابن الجوزي.

(٢) كذا أيضاً في أنساب السمعاني. وذكر ثلاث روايات لوفاته: ٣٦٧ و٣٦٨ و٣٦٩هـ. وفي المنتظم وعقد الجمان: «الزنجاني».

(٣) هو أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس، أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني، كما في تذكرة الحفاظ للذهبي: ٩٤٧/٣. وفيه أن وفاته سنة ٣٧١هـ.

(٤) في الأصل: «الشيرازي» وهو تحريف. وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب. ويقال له: أفتكين وهفتكين. وكان أفتكين هذا غلاماً لمعز الدولة بن بويه، وكان من أكابر الجند ذوي النفوذ في بلاط بغداد. ولكنه هزم في بعض الحروب الداخلية، ففرّ في بقية من جنده إلى الشام، واستطاع بمؤازرة بعض العناصر الناقمة أن يستولي على دمشق وأن ينتزعها من حاميتها الفاطمية. ودعا أفتكين في دمشق للخليفة العباسي، واستقدم إليه القرامطة، وتحالف معهم على غزو مصر، ولكنه فشل في مشروعه كما مرّ معنا.

أطلقه العزيز. وصار له موكِب؛ فخافه الوزير يعقوب بن يوسف بن كِلِّس، فدسّ عليه من سقاه السمّ. وكان إليه المنتهى في الشجاعة.

وفيها تُوفّي تميم بن المعزّ مَعَدّ العُبَيديّ الفاطميّ أخو العزيز هذا صاحب مصر. وكان تميم أَمْيَزَ أولاد المعزّ، وكان فاضلاً جَوَاداً سَمْحاً يقول الشعر. وشقّ موته على أخيه العزيز.

وفيها تُوفي الحسن بن عبد الله بن المَرْزُبان، أبو سعيد السِّيرافيّ النحويّ القاضي. كان أبوه مجوسيّاً وآسمه بَهْزَاد فأسلم فسمّي عبد الله. سكن الحسن بغداد، ووَلِي القضاء بها؛ وكان مُفْتَنّاً في علوم القراءات والنحو واللغة والفقه والفرائض والكلام والشعر والعروض والقوافي والحساب وسائر العلوم، وشرَح كتاب سيبويه، مع الزهد والورع.

وفيها تُوفّي عبد الله بن محمد [بن][1] وَرْقاء أبو أحمد الشيبانيّ؛ كان من أهل البيوتات، وأسرته من أهل الثغور؛ مات في ذي الحجة.

وفيها تُوفّي محمد بن محمد بن يعقوب النيسابوريّ من ولد الحجاج بن الجرّاح؛ سمع الكثير، وكان عابداً صالحاً حافظاً ثقة صدوقاً.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أبو بكر أحمد بن جعفر القَطِيعيّ في ذي الحجة عن خمس وتسعين سنة، وأبو سعيد الحسن بن عبد الله السِّيرافيّ النحويّ في رجب وله أربع وثمانون سنة، وأبو القاسم عبد الله بن إبراهيم الجرجاني الآبَنْدُونيّ الحافظ الزاهد ببغداد وله خمس وتسعون سنة، وعيسى بن حامد الرُّخَّجي[2] القاضي، وأبو أحمد محمد بن عيسى بن عمرويه الجُلُوديّ في ذي الحجة وله ثمانون سنة، وأبو الحسين محمد بن محمد بن يعقوب الحجّاجيّ الحافظ المفيد الصالح في ذي الحجة بنيسابور عن ثلاث وثمانين سنة،

---

(١) زيادة عن المنتظم.
(٢) نسبة إلى الرخجيّة، قرية ببغداد.

وهفتكين التركي الذي هرب خوفاً من عضد الدولة، وتملّك دمشق وحارب المصريّين مرات.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وخمس عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وإصبع واحدة.

* * *

السنة الرابعة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة تسع وستين وثلاثمائة.

فيها تزوّج الخليفة الطائع ببنت عضد الدولة؛ وقد مرّ[١] ذلك، ولكن الأصح في هذه السنة. وعُقِد العقد بحضرة الخليفة الطائع على صداق مبلغُه مائتا ألف دينار. وكان الوكيلُ عن عَضُد الدولة في العقد أبا علي الحسن بن أحمد الفارسيّ النحويّ، والخطيب أبو علي المُحَسِّن بن علي القاضي التَّنُوخِيّ وكيلاً عن الخليفة.

وفيها حجّ بالناس أبو الفتح أحمد بن عمر بن يحيى العلويّ.

وفيها تُوفّي فارس بن زكريّاء، والد آبن فارس[٢] أبي الحسين اللغويّ صاحب كتاب «المُجْمَل في اللغة». وكان عالماً بفنون العلوم، وروَى عنه الأئمة، ومات ببغداد.

وفيها توفّي أحمد بن عطاء بن أحمد بن محمد بن عطاء، أبو عبد الله الرّوذباريّ، ابن أخت أبي عليّ الرُّوذباريّ. كان شيخ الشام في وقته، وكان ممّن جمع بين علم الشريعة والحقيقة، ومات بقرية بين عكّا وصُور يقال لها مَنْوَاث[٣].

وفيها تُوفّي الحسين[٤] بن علي أبو عبد الله البصريّ؛ ويعرف بالجُعَل، سكن

---

(١) الذي مرّ في حوادث سنة ٣٦٦هـ أن التي زفّت إلى الطائع هي بنت عز الدولة.

(٢) وهو أحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ. وله أيضاً «مقاييس اللغة» وغيره.

(٣) كذا ضبطها ياقوت في معجم البلدان: بنون ساكنة، وثاء مثلثة في الأخير. وفي الموسوعة الفلسطينية: مَنَوات (بنون مفتوحة وتاء مثناة في الأخير). وهي قرية تبعد ١٧ كلم شمال شرق عكا.

(٤) كذا أيضاً في شذرات الذهب وتاريخ بغداد. وفي المنتظم وعقد الجمان: «الحسن».

بغداد. وكان من شيوخ المعتزلة، وصنّف على مذاهب المعتزلة، ومات يوم الجمعة ثاني ذي الحجة.

وفيها تُوفّي عبد الله بن محمد الراسِبِيّ؛ كان بغداديّ الأصل وكان من كِبار المشايخ وأرباب المعاملات. ومن كلامه قال: خلق الله الأنبياء للمجالسة، والعارفين للمواصلة، والمؤمنين للمجاهدة. ومن كلامه: أعظم حجاب بينك وبين الحق آشتغالك بتدبير نفسك، وآعتمادك على عاجز مثلك في أسبابك. وتُوفّي ببغداد.

وفيها تُوفّي أبو تَغْلِب الغضنفر بن ناصر الدولة الحسن بن حمدان التغلَبيّ، وقد تقدّم ذكر وفاته، والأصحّ أنّه في هذه السنة. كان مَلَك الموصل وديار ربيعة وقلاع ابن حمدان، ووقع له حروب مع بني بُوَيْه وأقاربه بني حمدان، إلى أن طرقه عضد الدولة وأخذ منه بلاده فآنهزم إلى أَخلاط[١]؛ ثمّ توجّه نحو الديار المصريّة وحارب أعوان العزيز صاحب مصر فقُتِل في المعركة، وبُعث برأسه إلى العزيز صاحب الترجمة.

وفيها تُوفّي عبد الله بن محمد بن جعفر بن حَيّان[٢] الحافظ أبو محمد الأصبهانيّ، أبو الحافظ صاحب التصانيف؛ وُلد سنة أربع وسبعين ومائتين، وسمع في صغره من جدّه لأمّه محمود بن الفرج الزاهد وغيره، وهو صاحب تاريخ بلده[٣]، والتاريخ على السنين، و«كتاب السنّة» و«كتاب العظمة»[٤] وغيرها.

وفيها تُوفّي أبو سهل محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون

---

(١) أخلاط، ويقال خلاط: مدينة في تركية. «وهي على الحدود ما بين بلاد المسلمين والأرمن... ويتكلمون بها ثلاث لغات، العربية والفارسية والأرمنية، وأظن أنها سميت أخلاط لهذا السبب» ـ سفرنامة: ٣٩، ٤٠.

(٢) كذا في تذكرة الحفاظ ومعجم البلدان وكشف الظنون وتاج العروس وأنساب السمعاني. وفي الأصل وشذرات الذهب والأعلام: حِبّان، بالباء الموحّدة.

(٣) وهو كتاب «طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها».

(٤) وهو رسالة في التاريخ. (الأعلام: ٤/١٢٠).

العِجْليّ الصُّعلوكيّ النَّيْسابوريّ الفقيه الشافعيّ. كان أديباً لغويّاً مفسراً نحوياً شاعراً صوفيّاً. وُلد سنة ستّ وتسعين ومائتين، ومات في ذي القعدة. ومن شعره: [الطويل]

أنامُ على سَهْوٍ وتَبكِي الحمائمُ ... وليس لها جُرْمٌ ومنّي الجرائمُ
كذبتُ وبيتِ الله لو كنتُ عاشقاً ... لَمَا سبقتني بالبكاء الحمائمُ

وفيها تُوفّي محمد بن صالح بن عليّ بن يحيى بن عبد الله، أبو الحسن القاضي القرشيّ الهاشمي، ويُعرَف بآبن أمّ شيبان؛ سمع الكثير، وتفقّه على مذهب مالك رضي الله عنه، وكان عاقلاً متميّزاً كثير التصانيف. ولم يَلِ القضاء بمدينة السلام من بني هاشم غيره.

وفيها تُوفّي محمد بن علي بن الحسن أبو بكر التِّنِّيسِيّ(١). سمع منه الدارَقُطني؛ ورآه وحده فقال له: يا أبا بكر، ما في بلدك مسلم؟ قال: بلى، ولكنّهم آشتغلوا بالدنيا عن الآخرة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أبو عبد الله بن عطاء الروذباريّ، وعبد الله بن إبراهيم بن أيّوب بن ماسي(٢) في رجب وله خمس وتسعون سنة، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيّان أبو الشيخ في المحرّم وله خمس وتسعون سنة، وأبو سهل محمد بن سليمان الصعلوكيّ ذو الفنون في آخر السنة وله ثمانون(٣) سنة، وقاضي العراق آبن أمّ شيبان أبو الحسن محمد بن صالح الهاشميّ فجأة في جُمادى الأولى عن ستّ وسبعين سنة، وأبو بكر محمد بن علي بن الحسن المصريّ بن النقاش في شعبان، وكان حافظاً، وأبو عمرو(٤)

---

(١) في الأصل: «النفليسي» وهو تحريف. والتصحيح عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام. والتّنيسي: نسبة إلى تنّيس من بلاد مصر.

(٢) في الأصل: «ابن ماش» وهو تحريف. وما أثبتناه عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام.

(٣) سبق للمؤلف ذكر ولادته سنة ٢٩٦هـ، فتكون سنّه عند وفاته في هذه السنة ثلاثاً وسبعين سنة. وفي شذرات الذهب أنه ولد سنة ٢٩٠هـ، فتكون سنه عند وفاته حوالى الثمانين سنة كما جاء هنا.

(٤) لم يذكره الذهبي في تاريخه.

محمد بن صالح ببخارى، وأبو عليّ مخلّد بن جعفر الباقَرْحِيّ(١).

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم أربع أذرع وخمس أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً سواء.

* * *

السنة الخامسة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة سبعين وثلاثمائة.

فيها خرج عضد الدولة للقاء الصاحب إسماعيل بن عَبّاد؛ فقدم عليه آبن عبّاد من الريّ من عند أخيه مؤيّد الدولة، فبالغ عضد الدولة في إكرامه إلى الغاية لكونه وزير أخيه مؤيّد الدولة وصاحب أمره ونهيه. وتردّد إليه عضد الدولة في إقامته ببغداد غير مرّة إلى أن سافر إلى مخدومه مؤيّد الدولة في شهر ربيع الآخر.

وفيها توجّه عضد الدولة إلى هَمَذَان. فلمّا عاد إلى بغداد خرج الخليفة لتلقّيه؛ ولم يكن ذلك بعادة أنّ الخليفة يلاقي أحداً من الأمراء. قلت: وهذا كان أوّلاً، وأمّا في الآخر فإنّ الطائع كان قد بقي تحت أوامر عضد الدولة كالأسير.

وفيها حجّ بالناس أبو الفتح أحمد بن عمر العلويّ وخطب بمكة والمدينة للعزيز هذا صاحب مصر.

وفيها غَرِقت بغداد من الجانبين وأشرف أهلها على الهلاك، ووقعت القنطرتان وغُرِم على بنائهما أموال كثيرة.

وفيها تُوفّي أحمد بن عليّ، الإمام العلاّمة أبو بكر الرازيّ الحنفيّ العالم المشهور. مولده في سنة خمس وثلاثمائة، كان إمام الحنفية في زمانه، وكان مشهوراً بالدِّين والورع والزّهد. قال أبو المظفر في تاريخه: وحاله كان يزيد على حال الرهبان من كثرة التقشّف، وهو صاحب التصانيف وتلميذ أبي الحسن الكَرْخيّ.

(١) الباقرحي: نسبة إلى باقرحى، من قرى بغداد.

وفيها تُوفّي محمد بن جعفر بن الحسين بن محمد بن زكرياء، الحافظ أبو بكر الورّاق المعروف بغُنْدُر؛ كان حافظاً مُتقناً، ورحل [إلى] البلاد وسمِع الكثير، وكتب ما لم يكتبه أحد، وكان حافظاً ثقة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أبو بكر أحمد بن عليّ الرازيّ عالم الحنفيّة في ذي الحجة وله خمس وستون سنة، وبشر بن أحمد أبو سهل الأسفرايني في شوّال عن نيِّف وتسعين سنة، وأبو محمد الحسن بن أحمد السَّبيعيّ الحلبيّ الحافظ. وأبو محمد الحسن بن رشيق بمصر في جمادى الآخرة، وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خَالَوَيْه النحويّ، وأبو بكر عبد الله بن محمد بن محمد بن فُورَك في ذي القعدة، وأبو منصور محمد بن أحمد الأزهريّ صاحب [تهذيب][1] اللغة في ربيع الآخر.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراع واحدة. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

السنة السادسة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة.

فيها اتّفق فخر الدولة وقابُوس[2] بن وَشْمِكِير على عداوة أخيه عَضُد الدولة في الباطن. قلت: وهذه أوّل فتنة بدت بين الإخوة أولاد ركن الدولة الثلاثة: عضد الدولة، وفخر الدولة، ومؤيّد الدولة. وفَطِن عضد الدولة لذلك ولم يظهره، وجهّز العساكر لأخيه مؤيّد الدولة لقتال قابوس المذكور؛ فتوجّه إليه مؤيّد الدولة وحصره وأخذ بلاده، ولم ينفعه فخر الدولة. وكان لقابوس من البلاد طَبَرِسْتان وغيرها.

---

(١) زيادة عن كشف الظنون.

(٢) هو قابوس بن وشمكير بن زيار بن وردان شاه الجيلي، أبو الحسن الملقب شمس المعالي: أمير جرجان وبلاد الجبل وطبرستان. توفي سنة ٤٠٣هـ. (الأعلام: ٥/١٧٠).

وفيها حجّ بالناس أبو عبد الله العلويّ من العراق.

وفيها تُوفّي أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، الحافظ أبو بكر الجُرْجانيّ؛ كان إماماً، طاف البلاد، ولقِي الشيوخ، وسمِع الكثير، وصنّف الكتب الحسان، منها: «الصحيح» صنّفه على صحيح البخاريّ، و«الفرائد» و«العوالي» وغير ذلك، ومات في شهر رجب.

وفيها تُوفّي الحسن بن أحمد بن صالح، الحافظ أبو محمد السَّبِيعيّ[1] الكوفيّ. كان حافظاً مكثراً إلّا أنّه كان عَسِرَ الرواية؛ وكان الدارقطنيّ يجلس بين يديه جلوس الصبيّ بين يدي المعلّم هيبةً له، ومات في ذي الحجة ببغداد.

وفيها تُوفّي عبد العزيز بن الحارث بن أسد، أبو الحسن التميميّ الحنبليّ؛ كان فقيهاً فاضلاً، وله تصانيف في أصول الكلام وفي مذهبه والفرائض وغير ذلك.

وفيها تُوفّي عليّ بن إبراهيم أبو الحسن [الحُصْرِيّ][2] البصريّ الصوفيّ الواعظ. سكن بغداد وصحب الشِّبْليّ وغيره، وكان صاحب خلوات ومجاهدات، وله كلام حسن في التوفيق.

وفيها تُوفّي محمد بن أحمد بن طالب الأخباريّ؛ رحل وسمِع الكثير، وكان فاضلاً محدّثاً أخباريّاً.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيليّ الجُرجانيّ في رجب وله أربع وتسعون سنة، وأبو العباس الحسن بن سعيد العَبّادانيّ[3] المُطَّوِّعيّ المقرىء وله مائة وسنتان، وأبو محمد عبد الله بن إسحاق القَيْرَوانيّ شيخ المالكية، وأبو زيد محمد بن أحمد المَرْوَزِيّ الفقيه في رجب، وأبو عبد الله محمد بن خَفيف الشِّيرازي شيخ الصوفيّة بفارس.

---

(١) ذكر وفاته في السنة الماضية.

(٢) زيادة عن ابن الأثير واللباب والسمعاني. والنسبة إلى بيع الحصر، جمع حصير.

(٣) العبّاداني: نسبة إلى عبادان، من نواحي البصرة. والمطّوعي: نسبة إلى المطوِّعة، وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو والجهاد، ورابطوا في الثغور وتطوعوا بالغزو.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم ثلاث أذرع وسبع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وإصبعان.

* * *

السنة السابعة من ولاية العزيز نِزار على مصر

وهي سنة آثنتين وسبعين وثلاثمائة.

فيها وثب أبو الفرج [محمد][(١)] بن عِمْران بن شاهين على أخيه أبي محمد الحسن[(٢)] بن عمران صاحب البَطيحة[(٣)]، فقتله وآستولى على بلده[(٤)].

وفيها حجّ بالناس أبو الفتح أحمد بن عمر العلويّ، وقيل: إنّه لم يحجّ أحد من العراق من هذه السنة إلى سنة ثمانين، بسبب الفتن والخُلْف بين خلفاء بني العباس وبين خلفاء مصر بني عُبَيْد.

وفيها أنشأ عضد الدولة بيمارستانه[(٥)] ببغداد في الجانب الغربيّ، ورتّب فيه الأطباء والوكلاء والخُزّان وكلّ ما يحتاج إليه.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ: «وفي هذا الزمان كانت البِدَعُ والأهواء فاشية ببغداد ومصر من الرّفْض والاعتزال والضلال فإنّا لله وإنا إليه راجعون!». قلت: ومعنى قول الذهبيّ: «ومصر» فإنّه معلوم من كون خلفاء بني عبيد كانوا يُظهرون الرّفْض وسبَّ الصحابة، وكذلك جميع أعوانهم وعُمّالهم. وأمّا قوله: «ببغداد» فإنّه

---

(١) زيادة عن معجم زامباور. وفيه أن ذلك حدث سنة ٣٧٠هـ.
(٢) كذا في الأصل ومعجم زامباور. وفي ابن الأثير: «الحسين».
(٣) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة.
(٤) وسبب ذلك أن أخاه أبا الفرج حسده على ولايته ومحبّة الناس له، فدبّر مؤامرة لقتله، كما جاء في ابن الأثير.
(٥) ويعرف بالمارستان العضدي. قال الدكتور مصطفى جواد: كان هذا المارستان في الجانب الغربي من بغداد عند معبر عربات القطار، على ما استرجحناه؛ وهو ضمن منطقة العطيفية اليوم. (في التراث العربي: ١/٧٨).

كان بسبب عضد الدولة الآتي ذكره، فإنّه كان أيضاً يتشيّع ويُكرم جانب الرافضة.

وفيها تُوفّي السلطان عضد الدولة أبو شجاع فَنّاخُسْرُو ـ وقيل بُوَيْه على آسم جدّه، وفَنّاخُسْرُو أشهر ـ ابن السلطان ركن الدولة الحسن بن بويه بن فنّاخسرو الدَّيْلميّ. وَلِي مملكة فارس بعد عمّه عِماد الدولة، ثمّ قَوِي على آبن عمّه عِزّ الدولة بَخْتِيَار بن مُعزّ الدولة بن بويه، وأخذ منه العراق وبغداد. وقد تقدّم من ذلك نبذةٌ يسيرة في حوادث بعض السنين. وبلغ سلطانه من سعة المملكة والاستيلاء على الممالك ما لم يبلغه أحد من بني بويه، ودانت له البلاد والعباد. وهو أوّل من خوطب بالملك شاهنشاه[1] في الإسلام، وأوّل من خُطِب له على منابر بغداد بعد الخلفاء، وأوّل من ضُرِبت الدبادب على باب داره. وكان فاضلاً نحويّاً، وله مشاركة في فنون كثيرة، وله صنّف أبو عليّ الفارسيّ «الإيضاح». قال أبو علي الفارسيّ: منذ تلقّب شاهنشاه تضعضع أمره، وما كفاه ذلك حتّى مدح نفسه؛ فقال: [الرمل]

عَضُدُ الدولة وآبنُ ركنِها مَلِكُ الأملاك غلّابُ القَدَرْ

ولمّا أحسّ بالموت تمثّل بشعر القاسم بن عبد الله الوزير، وهو قوله: [الطويل]

قتلتُ صناديد الرجال فلم أدَعْ عدوّاً ولم أُمْهل على ظِنّة خلقا
وأخليتُ دور المُلْك من كلّ نازلٍ وبدّدتهم غرباً وشرّدتهم شرقا

ثمّ جعل يبكي ويقول: «ما أغنى عنّي ماليه! هلك عني سلطانيه!» وصار يردّدها إلى أن مات في شوّال ببغداد وله سبع وأربعون سنة. وتولّى الملك من بعده آبنه صَمْصَامُ الدولة، ولم يجلس للعزاء إلّا في أوّل السنة. أظنّ أنّهم كانوا أخفَوْا موت عضد الدولة لأمر، أو أنّه آشتغل بمُلْك جديد حتّى فرغ منه.

(١) انظر في تاريخ اللقبين: «الملك» و«شاهنشاه» الألقاب الإسلامية لحسن الباشا: ص٣٥٣، ٤٩٦. قال: وربما كان لجوء بني بويه إلى التلقب بلقب شاهنشاه نتيجة لاعتراض بعض رجال الدين على إطلاق مرادفه العربي «ملك الملوك»، وذلك استناداً إلى أحاديث النبي ﷺ ـ صبح الأعشى: ١٦/٦. وقد روى ابن الأثير في الكامل طرفاً من النزاع الذي حدث بين الفقهاء في عهد القائم بأمر الله حين سأل جلال الدولة أن ينعته الخليفة بملك الملوك فامتنع.

وفيها تُوفّي محمد بن جعفر بن أحمد، أبو بكر الحريريّ المُعَدَّل[١] البغداديّ؛ وكان يُعرف بزوج الحُرّة، وكان جليل القدر، من الثِّقات. مات ببغداد، ودفن عند قبر معروف الكَرْخيّ. رحمة الله عليهما.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وسبع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

السنة الثامنة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة.

فيها في ثاني عشر المحرّم أُظهِرت[٢] وفاة عضد الدولة وحُمل تابوتُه إلى المشهد، وجلس آبنه صَمْصَام الدولة للعزاء، وجاءه الخليفة الطائعُ معزّياً، ولَطَم عليه الناس في [دوره وفي][٣] الأسواق أيّاماً عديدة. ثمّ ركب صَمْصَام الدولة إلى دار الخلافة، وخلع عليه الخليفة الطائع عبد الكريم سَبْعَ خِلع، وعقد له لواءين، ولُقِّبَ شمس الدولة[٤].

وفيها بعد مدّة يسيرة ورد الخبر على صَمْصَام الدولة المذكور بموت عمّه مؤيّد الدولة أبي منصور بن ركن الدولة بجُرْجَان، فجلس صمصام الدولة أيضاً للتعزية؛ وجاءه الخليفة الطائع مرّة ثانية معزّياً في عمّه مؤيّد الدولة المذكور. ولمّا مات مؤيّد الدولة كتب وزيره الصاحبُ إسماعيل بن عَبّاد إلى أخيه فخر الدولة عليّ بن ركن الدولة بالإسراع إليه وضبطِ ممالك أخيه مؤيّد الدولة؛ فقدم فخر الدولة

---

(١) في الأصل: «العدل». وما أثبتناه عن تاريخ بغداد والمنتظم وعقد الجمان.

(٢) في الأصل: «ظهر وفاة».

(٣) زيادة عن المنتظم.

(٤) كذا أيضاً في الألقاب الإسلامية، عن عبر الذهبي. وفي تاريخ الإسلام للذهبي والمنتظم: «شمس الملّة».

إليه ومَلَك بلاد أخيه، وآستوزر الصاحبَ بن عَبّاد المذكور. وعَظُم آبنُ عَبّاد في أيام فخر الدولة إلى الغاية.

وفيها كان الغلاء المُفْرِط بالعراق، وبلغ الكُرُّ القمح أربعةَ آلاف وثمانمائة درهم، ومات خلق كثير على الطريق جُوعاً، وعَظُم الخطب.

وفيها وَلّى العزيز نِزار صاحبُ الترجمة خطلخ[1] القائدَ إمْرة دمشق.

وفيها تُوفّي السلطان مؤيّد الدولة أبو منصور بُوَيْه آبن السلطان ركن الدولة حسن بن بويه المقدّم ذكره. مات بجُرْجان وله ثلاث وأربعون سنة وشهر. وكانت مدّة إمرته سبع سنين وشهراً. وكان قد تزوّج ببنت عمّه معزّ الدولة، فأنفق في عُرْسها سبعمائة ألف دينار. وكان موته في ثالث عشر شعبان؛ فيكون بعد موت أخيه عضد الدولة بنحو عشرة أشهر. وصفا الوقت لأخيهما فخر الدولة.

وفيها تُوفّي سعيد بن سَلّام أبو عثمان المغربيّ. مولده بقرية يقال لها كَرْكَنْت[2]، كان أوحدَ عصره في الزهد والورع والعُزْلة.

وفيها تُوفّي عبد الله بن محمد بن عثمان بن المختار، أبو محمد المُزَنيّ الواسطيّ الحافظ؛ كان ثقة، مات بواسط. ومن كلامه قال: «الذين وقع عليهم آسم الخلافة ثلاثة: آدم، وداود عليهما السلام، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه. قال الله تعالى في حقّ آدم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[3]، وقال في حقّ داود: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خلِيفَةً فِي آلأَرْضِ﴾[4] وقُبِض رسول الله ﷺ عن ثلاثين ألفَ مسلم كلّهم يقول لأبي بكر: يا خليفةَ رسول الله».

---

(١) في الأصل: «خطلوا» وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب المصرية.

(٢) في الأصل: «كركيت» بالياء المثناة من تحت. وهو تصحيف. والتصحيح عن الروض المعطار ودائرة المعارف الإسلامية. ويقال لها: كركنت وجرجَنْت Agrigentum. وهي من مدن جزيرة صقلية. وقعت في يد العرب سنة ٢١٤هـ.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٤) سورة ص: الآية ٢٦.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربـع أذرع سواء. مبلـغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وإصبعان.

* * *

السنة التاسعة من ولاية العزيز نِزار على مصر

وهي سنة أربـع وسبعين وثلاثمائة.

فيها دخلت القرامطة البصرة لمّا علموا بموت عضد الدولة، ولم يكن لهم قوّة على حصارها، فجُمِـع لهم مال فأخذوه وآنصرفوا.

وفيها وقَـع الصلـح بين صَمْصَام الدولة وبين عمّه فخر الـدولة بمكـاتبة أبـي عبد الله بن سعدان[١] إلى الصـاحب بن عبّاد. فكـان آبن سعدان يُخـاطِب الصاحب بن عبّاد بالصاحب الجليـل، والصاحب بن عبـاد يُخاطِب آبن سعـدان بالأستاذ مولاي ورئيسي.

وفيها ملَكت الأكراد ديار بكر بن ربيعة. وسببه أنّه كان بجبال حيزَان[٢] رجل كرديّ يقطـع الطريق، يقال له أبوعبد الله الحسين[٣] بن دُوسْتك، ولقبـه باد، وآجتمـع عليه خلق كثير، وجرت له مـع بني حَمْدان حروب إلى أن قُتل. فلمّا قتل باد، المذكور كان له صهر يقال له مَرْوَان بن كسرى[٤] وكان له أولاد ثلاثة[٥]، وكانوا من قرية يقال لها كرماس[٦] بين إسعِرْد[٧] والمَعْدِن، وكانوا رؤساءها. فلمّا خرج باد

(١) ابن سعدان: كان صاحب الموصل. توفي سنة ٣٧٦هـ. (تاريخ ابن الأزرق الفارقي: ص ١١).

(٢) في تاريخ ابن الأزرق الفارقي: «كان بجبال باحسمي وهي ولاية حيزان والمعدن». وحيزان: بلد في تركيا، ومن قلاع الأكراد المهرانية.

(٣) ذكر ابن الأزرق أن اسمه أبو عبد الله الحسين بن دوستك، ثم ذكر أخاً له يدعى أبا الفوارس الحسين بن دوستك أيضاً. قارن أيضاً بابن الأثير. وقيل إن لقب باد الكردي هو أبو شجاع. وقد قتل باد في سنة ٣٨٠هـ.

(٤) في تاريخ الفارقي: «مروان بن لكك الحاربختي صهر باد على أخته».

(٥) في المصدر السابق: «أربعة أولاد».

(٦) في تاريخ الفارقي: «كرماص». قال: وهي الآن قرية عامرة. والفارقي من علماء القرن السادس للهجرة، توفي بعد سنة ٥٧٧هـ.

(٧) كذا ضبطها صاحب تقويم البلدان بالعبارة. ويقال لها أيضاً «سعرت» و«إسعرت» وهي مدينة في تركيا؛ وهي عن ميافارقين على مسيرة يوم ونصف.

خرج معه أولاد مروان المذكور وهم: الحسن وسعيد وأحمد وأخ آخر[١]. فلمّا قتل باد آنضمّ عسكره على آبن أخته الحسن، وآستفحل أمره وتقاتل مع من بقي من بني حَمْدان فهزمهم[٢]. ثمّ مات عضد الدولة بن بُوَيْه، فصفا له الوقت وملك ديار بكر ومَيّافارقين، وأحسن السيرة في الناس فأحبّته الرعيّة؛ ثم آفتتح بعد ذلك عدّة حصون، يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى في محلّها.

وفيها تُوفّي عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نُباتة الخطيب الفارِقيّ صاحب الخُطَب، والذي من ذرّيته الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة الشاعر المتأخر، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى. وكان مولده بميّافارقين في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة. وكان بارعاً في الأدب، وكان يحفظ «نهج البلاغة» وعامّة خطبه بألفاظها ومعانيها، ومات بميّافارقين عن تسع وثلاثين سنة. ولولده أبي طاهر محمد خطبٌ أيضاً.

وفيها تُوفّي محمد بن محمد بن مكّي، أبو أحمد[٣] القاضي الجُرْجاني؛ رحل في طلب الحديث ولقِيَ الشيوخ، وكان حافظاً فاضلاً أديباً. ومن شعره رحمه الله: [الوافر]

مضى زمنٌ وكان الناس فيه[٤] ... كراماً لا يُخالطهم خَسِيسُ
فقد دُفِع[٥] الكرامُ إلى زمانٍ ... أخسّ رجالهم فيه رئيسُ
[تعطّلت المكارمُ يا خليلي ... وصار الناس ليس لهم نفوسُ][٦]

---

(١) الأخ الرابع هو «كك» كما في تاريخ الفارقي.

(٢) قال ابن الأزرق: «وعاد الأمير أبو علي الحسن بمن معه إلى حصن كيفا ودخلوا إليها، وكان بها زوجة خاله باد، وكانت ديلمية، فاجتمع بها وقال لها: إن خالي قد قتل، وعرفها الحال. قالت: فما التدبير؟ قال: نطلب ميافارقين، فسارا من وقتهما (أي سنة ٣٨٠هـ) إلى ميافارقين فدخلاها، وملكها وملك آمد والحصون التي حولها جميعاً في أسرع مدة، وتزوج من زوج خاله باد».

(٣) في الأصل: «أبو القاضي أحمد». والتصحيح عن عقد الجمان وتاريخ بغداد.

(٤) في الأصل: «فيهم». والتصحيح عن تاريخ بغداد وعقد الجمان.

(٥) في الأصل: «وقع». والتصحيح عن تاريخ بغداد وعقد الجمان.

(٦) زيادة عما سبق ذكره من المراجع.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع سواء. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

السنة العاشرة من ولاية العزيز نزار على مصر

وهي سنة خمس وسبعين وثلاثمائة.

فيها تُوفّي أحمد بن الحسين بن عليّ، الحافظ أبو زُرْعَة الرازيّ الصغير؛ كان إماماً طاف البلاد في طلب الحديث، وجالس الحفّاظ، وصنّف التراجم والأبواب، وكان متقناً صدوقاً؛ فُقِد بطريق مكّة في هذه السنة.

وفيها تُوفّي الحسين بن عليّ بن محمد بن يحيى، الحافظ أبو أحمد النيسابوريّ، ويقال له حُسَيْنك؛ مولده سنة ثلاث وتسعين ومائتين، ومات بنيسابور في شهر ربيع الآخر، وكان ثقة جليلاً مأموناً حجّة.

وفيها تُوفّي محمد بن عبد الله بن محمد، أبو بكر التّميميّ الأبهريّ الفقيه المالكيّ؛ ولد سنة تسع وثمانين ومائتين، وصنّف التصانيف الحِسان في مذهبه، وآنتهت إليه رياسة المالكيّة في زمانه.

وفيها تُوفّي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مِهْران، أبو مسلم البغداديّ الحافظ الثقة العابد العارف؛ رحل إلى البلاد وأقام بسَمَرْقَنْد وجمع المسند، وكان يُعَدّ من الزهّاد.

وفيها تُوفّي عبد الله بن عليّ بن عبيد الله، أبو القاسم الوارديّ البصريّ القاضي، شيخ أهل الظاهر في عصره؛ سمع الكثير وحدّث، وكان موصوفاً بالفضل وحُسْن السيرة؛ وولي القضاء بعدّة بلاد وحسُنَت سيرته.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أبو زُرْعَة الرازيّ الصغير أحمد بن الحسين الحافظ، وأبو عليّ الحسين بن عليّ التميميّ حُسَيْنك،

والحسين بن محمد بن عبيد أبو عبد الله العسكريّ الدّقاق في شوّال، وأبو مسلم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مِهْران البغداديّ الحافظ الزاهد، وأبو القاسم عبد العزيز بن عبد الله الدَّارَكِيّ(١) شيخ الشافعيّة ببغداد، وأبو القاسم عبد العزيز بن جعفر الخِرَقيّ، وعمر بن محمد بن علي أبو حَفْص الزيّات، ومحمد بن عبد الله بن محمد القاضي أبو بكر الأبهريّ شيخ المالكيّة بالعراق، ويوسف بن القاسم القاضي أبو بكر الميانَجِيّ(٢).

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وآثنتان وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وعشر أصابع.

* * *

السنة الحادية عشرة من ولاية العزيز نِزار على مصر

وهي سنة ست وسبعين وثلاثمائة.

فيها آستقرّ الأمر على الطاعة لشرف الدّولة بن عضد الدّولة، وتحالف الإخوة الثلاثة أولاد عضد الدولة وتعاقدوا؛ ومضمون ما كتِب بينهم:

«هذا ما آتّفق عليه وتعاهد وتعاقد شرفُ الدولة أبو الفوارس، وصمصام الدولة، وأبو النصر أبناء عضد الدولة بن ركن الدولة، آتفقوا على طاعة أمير المؤمنين الطائع لله ولشرف الدولة بن عضد الدولة»، وذكر ما جرت به العادة؛ وكان ذلك بعد أمور وقعت بين صمصام الدولة وبين أخيه شرف الدولة المذكور حتى أذعن له(٣) صمصام الدولة(٤).

---

(١) الداركي: نسبة إلى دارك، من قرى أصبهان.

(٢) الميانجي: نسبة إلى موضع بالشام يقال له: الميانج، كما في الأنساب ومعجم البلدان. وكلاهما نقل عن المقدسي قوله: «ولست أعرف في أي موضع هو من الشام».

(٣) في الأصل: «أذعن عليه».

(٤) وقد كتب نص هذه المواصفة ــ أو المعاهدة بالصلح ــ أبو إسحاق الصابي. وهي كتاب طويل أورد نصه القلقشندي في صبح الأعشى: ١٤/١٠٥ ــ ١١٠، طبعة دار الكتب العلمية، فلينظر.

وفيها تُوفّي أبو القاسم المظفّر بن عليّ الملقب بالموفّق أمير البَطِيحة، ووَلِي بعده أبو الحسن عليّ بن نصر بعهد منه. فبعث آبن نصر هذا لشرف الدولة يبذل الطاعة وسأل الخلع والتقليد؛ فأجيب إلى ذلك ولقّب مهذّب الدولة؛ فسار بالناس أحسن سيرة.

وفيها تُوفّي الحَكَم[1] بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الأُمويّ المغربيّ أمير الأندلس. وليَ مملكة الأندلس بعد وفاة أبيه يوم مات سنة خمسين وثلاثمائة وكنيته أبو العاصي، ولقبه المستنصر بالله؛ وأقام والياً على الأندلس خمساً وعشرين سنة، ومات في صفر. وأمّه أم ولد يقال لها مرجان. وتولّى بعده ولده هشام بن الحكم، وكان مشكور السيرة. وهو الذي كتب إليه العزيز صاحب الترجمة من مصر يهجوه، وقد ذكرنا ذلك في أوّل ترجمة العزيز؛ فردّ المستنصر هذا جوابَ العزيز، وكتب في أوّل كتابه قصيدةً أوّلها: [الطويل]

ألسنا بني مَرْوان كيف تقلّبَتْ ... بِنا الحالُ أو دارتْ علينا الدوائِرُ

إلى أن قال:

إذا وُلِد المولُود مِنّا تهلّلتْ ... له الأرضُ وآهتزّت إليه المنابِرُ

ثمّ قال: «وبعد، فقد عرفتَنا فهجوتَنا، ولو عرفناك لهجوناك. والسلام».

وفيها تُوفّي محمد بن أحمد بن حَمْدان بن عليّ بن عبد الله بن سِنان، أبو عمرو الحِيرِيّ الزاهد؛ صحب جماعة من الزهّاد، وكان عالماً بالقراءات والنحو، وكان متعبّداً؛ مات ببغداد في ذي القعدة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي إبراهيم بن أحمد أبو إسحاق المستملي ببَلْخ، طوّف وخرّج المعجم، وأبو سعيد الحسن بن جعفر السمسار الخِرَقيّ، وأبو الحسن عليّ[2] بن الحسن بن عليّ القاضي الجرّاحيّ

(١) تقدم ذكر وفاته في سنة ٣٦٦هـ على الصحيح. وذكره هنا خطأ.

(٢) في الأصل: «وأبو الحسن عبد الله بن علي بن الحسين بن علي القاضي وأبو الحسين الجراجي» وهو خطأ. وما أثبتناه عن شذرات الذهب وعقد الجمان والمشتبه في أسماء الرجال.

الضعيف، وأبو الحسن علي بن عبد الرحمن البَكّائِيّ. وأبو القاسم عمر بن محمد بن سَبَنْك[١]، وقسّام الحارثيّ الغالب على دِمشق قُبِض عليه في هذه السنة، وأبو عمرو محمد بن أحمد بن حمدان الحِيرِيّ في ذي القعدة عن ثلاث وتسعين سنة، وأبو بكر محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الرازيّ الواعظ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وإحدى وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الثانية عشرة من ولاية العزيز نِزار على مصر

وهي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة.

فيها تُوفّيت والدة شرف الدولة، فجاءه الخليفة الطائع لله معزِّياً.

وفيها في شعبان وُلِد لشرف الدولة بن عضد الدولة ولدان توأمان؛ فكنّى أحدهما أبا حرب وسماه سلار، والثاني أبا منصور وسماه فَنّاخُسْرُو.

وفيها ولّى العزيز صاحب الترجمة بَكْتِكِين التركيّ إمْرة دمشق، وندبه لقتال قسّام، حسب ما تقدّم ذكره.

وفيها تُوفّي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو عليّ الفارسيّ النحويّ الإمام المشهور؛ ولد ببلدة فَسَا[٢]، وقدِم بغداد، وسمِع الحديث وبرَعَ في علم النحو وانفرد به، وقصده الناس من الأقطار، وعلتْ منزلته في العربيّة، وصنّف فيها كتباً كثيرة لم يُسْبَق إلى مثلها حتّى اشتهر ذكره في الآفاق؛ وتقدّم عند عضد الدولة حتى قال عضد الدولة: أنا غلام أبي عليّ في النحو. ومن تصانيف أبي علي:

(١) في الأصل: «سنبك» بتقديم النون على الباء. والتصحيح عن تاج العروس والمشتبه.

(٢) كذا في ابن خلكان ومعجم البلدان والمنتظم. وفَسَا: مدينة بفارس، والنسبة إليها: فَسَوي. وفي الأصل: «ولد ببلدة فارس».

«الإيضاح» و«التكملة» وكتاب «الحُجة في القراءات»؛ ومات ببغداد في شهر ربيع الأوّل عن نيّف وتسعين سنة.

وفيها كان قد هيّأ[(١)] العزيز صاحب مصر عدّة شواني[(٢)] لغزو الروم، فآحترقت مراكبه فآتّهم بها أناساً[(٣)]. ثمّ بعد ذلك وصلت رُسُلُ الروم في البحر إلى ساحل القدس بتقادِمَ[(٤)] للعزيز، ودخلوا مصر يطلبون الصلح؛ فأجابهم العزيز وآشترط شروطاً شديدة آلتزموا بها كلّها؛ منها: أنّهم يحلِفون أنّه لا يَبْقَى في مملكتهم أسيرٌ إلّا أطلقوه، وأن يُخطب للعزيز في جامع قسطنطِينية كلّ جمعة، وأن يُحمل إليه من أمتعة الروم كلُّ ما آفترضه عليهم؛ ثمّ ردّهم بعقد الهدنة سبع سنين[(٥)].

وفيها تُوفّيت سُتَيْتَة، وقيل آمنة، بنت القاضي أبي عبد الله الحسين المَحَامِليّ، وأمّ القاضي أبي الحسين محمد بن أحمد بن القاسم المحامليّ، كنيتها أَمة الواحد. كانت فاضلة، من أعلم الناس وأحفظهم لفقه الشافعيّ، وتقرأ القراءات

(١) كذا في تاريخ الذهبي. وفي الأصل: «فيها شرع العزيز صاحب مصر... إلخ».

(٢) الشواني: جمع شيني أو شينية، وتجمع أيضاً على شون. وهي سفن حربية كبيرة، ويظهر أنها كانت أكبر السفن الحربية في مصر وأكثرها استعمالاً. ويقابلها في الفرنسية: galère. وكان أسطول الفاطميين في مصر يزيد على خمسة وسبعين شينياً وعشر مسطحات وعشر حمالات. وكان على الأسطول أمير كبير من أعيان الأمراء وأقواهم جأشاً. (انظر المقريزي، خطط: ٢/١٩٤، ١٩٥، وصبح الأعشى: ٢/٥١٩، ومعجم دوزي: Supp. Dict. ar.).

(٣) اتهم المصريون التجار الروم الذين كانوا يقيمون قرب دار الصناعة بإحراق المراكب، وقامت فتنة قتل فيها فريق كبير من التجار الروم يقال إن عدتهم مائة وستون رجلاً، حتى استطاع الوزير عيسى بن نسطورس السيطرة على الموقف. (الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ص ٢٢٠).

(٤) جمع تقدمة، وهي الهدية.

(٥) هذه الهدنة لم تستمر إلى نهايتها. ففي سنة ٣٨١هـ عندما توجه بكجور للاستيلاء على حلب استعان صاحبها سعد الدولة بالروم الذين سارعوا إلى نجدته، وانتهت حملة بكجور بالفشل وبقتله نتيجة موقف عيسى بن نسطورس وزير العزيز. وكان عيسى هذا على خلاف مع بكجور وكانت بينهما عداوة مستحكمة، فأرسل إلى نزال والي طرابلس ــ وكان من صنائعه ــ أن يظهر الموالاة لبكجور حتى إذا ما تورط في مواجهة الروم تأخر عنه وتخلى عن مساعدته. ونفذ نزال أوامر الوزير، وكان ذلك سبباً في هزيمة بكجور. (الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ١٩٦، ٢٢٠).

والفرائض والنحو وغير ذلك من العلوم مع الزهد والعبادة والصدقات، وكانت تُفْتِي أبـي علي بن أبـي هريرة؛ وماتت في شهر رمضان.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع.

* * *

السنة الثالثة عشرة من ولاية العزيز نِزار على مصر

وهي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة.

فيها في المحرّم أمر شرفُ الدولة بأن تُرْصَد الكواكب السبعة في مسيرها وتَنَقّلها في بروجها على مثال ما كان المأمون يفعل، وتولّى ذلك آبنُ رُسْتَم[١] الكوهيّ، وكان له علْمٌ بالهيئة والهندسة، وبنى بيتاً في دار المملكة بسبب ذلك في آخر البستان، وأقام الرصد لليلتين بقيتا من صفر.

وفيها كثُرت العواصفُ وهبَّت ريح بفَم الصِّلْح عظيمة جَرَفت[٢] دجلة من غربيها إلى شرقيها، فأهلكت خلقاً كثيراً وغرَّقت كثيراً من السفن الكبار.

وفيها بدأ المرض بشرف الدولة ولحِقه سوء مِزاج.

وفيها لحق الناسَ بالبصرة حرٌّ عظيم في نيِّف وعشرين يوماً من تموز، وهو «أبيب» بالقبطيّ، فكان الناس يتساقطون مَوْتى بالعراق في الشوارع.

---

(١) هو ويجن بن وشم الكوهي، أبو سهل، كما في تاريخ مختصر الدول لابن العبري (ص ١٧٦). قال: كان حسن المعرفة بالهندسة وعلم الهيئة، متقدماً فيهما إلى الغاية المتناهية. وكان رصده لحلول الشمس برجي السرطان والميزان سنة ١٢٩٩ للإسكندر، وكان من جملة من حضر هذين الرصدين من العلماء إبراهيم بن هلال الصابىء صاحب الرسائل. انتهى. وورد اسمه في الأعلام: ويجن بن رستم الكوهي المتوفى نحو ٣٩٠هـ. وله ترجمة وافية في تاريخ الحكماء للقفطي.

(٢) في الأصل: «خرقت». وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب المصرية.

وفيها ولّى العزيز صاحب مصر على دِمشق منيراً الخادم، وعزل عنها بَكْتِكِين التركيّ، لأنّه كان قد قيل عنه إنّه خرج عن الطاعة.

وفيها تُوفّي أحمد بن الحسين بن أحمد بن عليّ بن محمد العلويّ الدِّمشقيّ، ويعرف بالعَقِيقي، صاحب الدار المشهورة بدِمشق؛ وكان من وجوه الأشراف جواداً مُمدّحاً، مات بدمشق في جمادى الأولى.

وفيها تُوفّي الخليل بن أحمد بن محمد بن الخليل، أبوسعيد السِّجْزِيّ القاضي الحنفيّ، وقيل: آسمه محمد، والخليل لقب له، ويعرف أيضاً بآبن جَنْك. كان شيخَ أهل الرأي في عصره، وكان مع كثرة علمه أحسنَ الناس كلاماً في الوعظ والتذكير، وكان صاحبَ فنون من العلوم، وطاف الدنيا شرقاً وغرباً وسمِع الحديث؛ وكان شاعراً فصيحاً؛ مات قاضياً بسَمرْقَند في جُمادَى الآخرة، ورثاه أبو بكر الخُوَارَزْمِيّ.

وفيها تُوفّي عبد الله بن عليّ بن محمد، أبو نصر السرّاج الصوفي الطوسيّ؛ كان من كبار مشايخ طوس وزُهّادهم؛ مات بنيسابور في شهر رجب وهو ساجد. ومن شعره: [البسيط]

ما نَاصَحتك خَبَايا الودّ من أحدٍ ما لم تنلك بمكروهٍ من العَذَلِ
مودّتِي فيك تأبى أن تُسامحني بأن أراك على شيء من الزلَلِ

وفيها تُوفّي محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق، أبو أحمد الحافظ النيسابوريّ الكَرَابيسيّ الحاكم الكبير، إمام عصره، صاحب التصانيف؛ سمِع الكثير وروَى عنه خَلْق كثير؛ وصنّف على كتابي البخاريّ ومسلم وعلى جامع أبي عيسى التِّرْمِذِيّ؛ وصنّف كتابي الأسماء والكنى والعِلل والمخرّج على كتاب المُزَنيّ وغير ذلك؛ ووَلِي القضاء بمُدُنٍ كثيرة؛ ومات في شهر ربيع الأوّل عن ثلاث وتسعين سنة.

وفيها تُوفّي [أبو][١] القاسم بن الجَلاّب المالكي، وقيل آسمه عبد الرحمن بن عبيد الله، وسمّاه القاضي عِيَاض: محمد بن الحسين، تفقّه بالقاضي أبي بكر محمد الأبْهرِيّ، وصنّف كتاباً جليلاً في مسائل الخلاف، وكتاب «التفريع» في مذهبه، وكان أحفظَ أصحاب الأبهريّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وآثنتا عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الرابعة عشرة من ولاية العزيز نِزار على مصر

وهي سنة تسع وسبعين وثلاثمائة.

فيها مات شرف الدولة شِيرزيل[٢] بن عضد الدولة بُوَيْه، وقيل: فَنّاخُسْرُو، ابن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلميّ بعد أن عهِدَ بالمُلْك إلى أخيه أبي نصر. وجاء الطائع الخليفة لأبي نصر وعزّاه في أخيه شرف الدولة، ثمّ ركب أبو نصر إلى دار الخليفة وحضر الأعيان. وخلع الخليفة الطائع على أبي نصر المذكور سَبعَ خِلَع أعلاها سوداء وعمامة سوداء، وفي عُنقُه طَوْق كبير، وفي يديه سُوَاران، ومشى الحجّاب بين يديه بالسيوف. فلمّا حصل بين يدي الطائع قبّل الأرض، ثمّ أُجلس على كرسيّ، وقرأ أبو الحسن[٣] عليّ بن عبد العزيز بن[٤] حاجب النُّعمان كاتب الخليفة عهدَه، وقدّم إلى الطائع لواءه فعقده ولقبه بهاء الدولة وضِياء الملة. قلت:

---

(١) التكملة عن كتابه «متن التفريع». وهو أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن الحسن الجلاب (بفتح الجيم وتشديد اللام وباء موحدة بعد الألف) وهو إمام جليل اشتهر بكنيته، صحب القاضي أبا بكر الأبهري، وله تآليف جليلة وتفقه به القاضي عبد الوهاب وغيره من الأئمة. وكتابه متن التفريع في فقه الإمام مالك بن أنس. منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية (تحت رقم ٢٩٥ فقه مالكي). حاشية عن طبعة دار الكتب المصرية.

(٢) كذا في ابن الأثير وياقوت وعقد الجمان. وفي الأصل: «شيرويه».

(٣) في الأصل: «أبو الحسين». وما أثبتناه عن ابن الأثير والبداية والنهاية والذهبي وعقد الجمان.

(٤) في الأصل: «عبد العزيز صاحب النعمان». والتصحيح عن ابن الأثير والذهبي.

وهذا الثالث من بني عضد الدولة بنُ بوَيْه؛ فإنّه وَلِي بعد عضد الدولة صَمْصَامُ الدولة، ثمّ شرف الدولة، ثمّ بهاء الدولة هذا.

وكان بهاء الدولة المذكور من رجال بني بُوَيْه. وبلغ الأتراكَ بفارس ولايتُه فوثبوا وأخرجوا صمصام الدولة من مُعْتَقله، وكان آعتقله أخوه شرف الدولة. ولمّا خرج صمصام الدولة وآستفحل أمره، وُقِّع بينه وبين الأتراك، فتركوه وأقاموا آبن أخيه أبا عليّ ولقّبوه شمس الدولة. ووقع لهم أمور يطول شرحها.

وفيها تُوفّي محمد بن المظفَّر بن موسى بن عيسى، أبو الحسين البَزّاز البغداديّ الحافظ المشهور؛ ولد سنة ستّ وثمانين ومائتين في المحرّم، ورحل وسمِع الكثير، وروى عنه خلائق؛ كتب عنه الدارقُطنيّ. وقد روينا مسنده الذي جمعه من حديث أبي حنيفة رضي الله عنه عن المسنِد المعَمَّر الحاكم عبد الرحيم بن الفرات الحنفي. أنبأنا آبن أبي عمر وغير واحد قالوا: أنبأنا أبو الحسن بن البخاريّ، أنبأنا الخُشُوعيّ، أنبأنا ابن خُسْرُو البَلْخيّ عن المبارك بن عبد الجبّار الصَّيْرفيّ عن أبي محمد الفارسيّ عن آبن المظفَّر. وقال محمد بن أبي الفوارس: انتهى إليه علم الحديث مع الفقه والأمانة وحسن الخط.

وفيها تُوفّي شرف الدولة شِيرزيل بن عَضُد الدولة بُوَيْه بن ركن الدولة الحسن بن بُوَيه بن فَنّاخُسْرُو الديلميّ سلطان بغداد وآبن سلطانها. ظفِر بأخيه صمصام الدولة بعد حروب وحبَسه وملك العراق. وكان حسن السيرة، يميل إلى الخير، وأزال المصادرات. وكان مرضه بالاستسقاء، وآمتنع من الحِمْية فمات منه في جُمادَى الآخرة عن تسع وعشرين سنة، وملك سنتين وثمانية أشهر. وتولّى السلطنة بعده أخوه أبو نصر[1] بهاءُ الدولة، حسب ما ذكرناه في أوّل هذه السنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع سواء. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وتسع عشرة إصبعاً.

* * *

(١) في الأصل هنا: «أبو منصور» وقد تقدم باسم أبي نصر، وكذلك فيما سيأتي.

السنة الخامسة عشرة من ولاية العزيز نِزار على مصر

وهي سنة ثمانين وثلاثمائة.

فيها قُلِّد أبو أحمد الحسين بن موسى المُوسَوِيّ العَلَويّ نقابةَ الطالبيين والنظر في المظالم وإمرةَ الحاجّ، وكتب عهده على جميع ذلك؛ وآستخلف ولديه المرتضى والرضيّ على النِّقابة، وخُلِع عليهما من دار الخلافة ببغداد.

وفيها تغيّر بهاءُ الدولة على الخليفة الطائع لله عبد الكريم حتّى نكبه في السنة الآتية.

وفيها حجّ بالناس أبوعبد الله أحمد بن محمد بن عُبَيد الله نيابة عن الشريف أبي أحمد الموسويّ.

وفيها تُوُفّي حمزة بن أحمد بن الحسين الشريف، أبو الحسن العلويّ الدمشقيّ؛ كان جَوَاداً رئيساً، يسكُن بباب الفراديس[1]. ولما قُرِىء نسبُ خلفاء مصر الفاطميّين على منبر دمشق آستهزأ بهم ونال منهم، فبعث آبنُ كِلِّس وزير العزيز [مَن][2] قبض عليه، وحبسه بالإسكندريّة إلى أن مات بها.

وفيها توفّي الوزير يعقوب بن يوسف بن كِلِّس أبو الفرج وزير العزيز صاحب مصر. كان يهوديّاً من أهل بغداد ثم آنتقل إلى الرملة وعمِل سمساراً، فآنكسر عليه مالٌ فهَرَب إلى مصر. وتاجَرَ لكافور الإخشيذيّ فرأى منه فِطنةً، فقال: لو أسلم لصلح للوزارة، فأسلم؛ فقصده الوزير[3] يوم ذلك، فهرب آبن كلِّس هذا إلى المغرب، وترقّى إلى أن وزّره العزيزُ صاحب الترجمة سنة خمس[4] وستين وثلاثمائة.

---

(١) باب الفراديس: أحد أبواب دمشق. منسوب إلى محلة كانت خارج الباب تسمى الفراديس. والفراديس بلغة الروم: البساتين. (الأعلاق الخطيرة: ٣/٢: ٧٦١، حاشية).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) المراد بالوزير هنا أبو الفضل جعفر بن الفرات.

(٤) الصواب أنه تولى الوزارة للعزيز سنة ٣٦٧هـ في أول المحرم. وكان المعز لدين الله قد عهد إليه أمور الخراج وجميع وجوه الأموال والحسبة وذلك في سنة ٣٦٣هـ. وفي سنة ٣٦٨هـ لقبه العزيز بالوزير الأجلّ، وأمر ألا يخاطبه أحد ولا يكاتبه إلا به. وقد عظمت مكانته حتى كتب اسمه على الطراز. (انظر: وفيات

فآستقامت أمور العزيز بتدبيره إلى أن مات. فلما أشرف على الموت عاده العزيز وغمّه أمرُه. فقال له العزيز: وَدِدتُ أنك تباع فأشتريك بمُلْكي، أو تُفتَدَى فأُفديك بولدي، فهل من حاجة [توصي بها؟][1] فبكى آبن كلّس وقبّل يده وجعلها على عينيه، ثم أوصى العزيزَ بوصايا[2] ومات. فصلّى عليه العزيز وألحده في قبره بيده في قبّة في دار العزيز كان بناها العزيز لنفسه، وأغلق الدواوين بعده أيّاماً. وقيل: إنه كان حسُن إسلامُه وقرأ القرآن والنحو، وكان يجمع العلماء والفضلاء. ولمّا مات خلّف شيئاً كثيراً. وقيل: إنه كُفّن وحُنّط بما قيمته عشرة آلاف دينار، قاله الذهبيّ وغيره من المؤرخين، ورثاه مائة شاعر.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو القاسم طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد، وأبو عبد الله محمد[3] بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مُفَرِّج القُرْطُبيّ قاضي الجماعة، ووزير مصر يعقوب بن يوسف بن كلّس، وأبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن صُبْر الحنفيّ المعتزليّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع سواء. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

= الأعيان: ٧/٢٧ ــ ٣٥، والإشارة إلى من نال الوزارة: ١٩ ــ ٢٣، وأخبار مصر لابن ميسّر: ١٧٥، والوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ٦٣، ٢٤١، وخطط المقريزي: ٢/٥ ــ ٨، وصفحات متفرقة من اتعاظ الحنفا).

(١) زيادة عن ابن خلكان وعقد الجمان.

(٢) ذكر ابن منجب الصيرفي أنه أوصاه قائلاً: «أما فيما يخصني فأنت أرعى لحقي من أن أسترعيك إياه، وأراف على من أخلفه من أن أوصيك به، لكنني أنصح لك فيما يتعلق بدولتك: سالم الروم ما سالموك، واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة، ولا تبق على مفرج بن دغفل حتى اعترضت لك فيه فرصة». قارن أيضاً بابن خلكان.

(٣) في الأصل: «أبو عبد الله بن محمد. . . إلخ». وما أثبتناه يوافق رواية شذرات الذهب وتذكرة الحفاظ.

السنة السادسة عشرة من ولاية العزيز نِزار على مصر

وهي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة.

فيها خُلع الخليفة الطائع عبدُ الكريم في تاسع عشر شعبان، وتولّى القادرُ الخلافة. وسببه أن أبا الحسين[١] بن المعلِّم كان من خواصّ بهاء الدولة فحبسه الطائع؛ وجاء بهاء الدولة إلى دار الخلافة وقد جلس الطائع متقلِّداً سيفاً. فلمّا قرُب بهاءُ الدولة قبَّل الأرض وجلس على كرسيّ؛ وتقدّم أصحابه فجذبوا الطائعَ بحمائل سيفه وتكاثروا عليه ولفّوه في كِساء، وحُمِل في زَبْزَب[٢] في الدِّجلة وأُصعد إلى دار الملك. وارتجّ[٣] البلد، وظن أكثر الناس أنّ القبض على بهاء الدولة، ونُهِبت دارُ الخلافة، وماج الناس، إلى أن نُودِيَ بخلافة القادر. وكُتِبَ على الطائع كتابٌ بخلع نفسه، وأنه سلّم الأمر إلى القادر بالله؛ فتشغّبت الجُنْد يطلبون رسم البَيْعة، وتردّدت الرسُل بينهم وبين بهاء الدولة، [ومنعوا الخطبة بآسم القادر][٤]، ثم أرضَوْهم وسكَنوا؛ وأُقيمت الخطبة للقادر في الجمعة الآتية[٥].

والقادر هذا آبن عمّ الطائع المخلوع عن الخلافة به. وآسمه أحمد، وكنيته أبو العباس آبن الأمير إسحاق آبن الخليفة جعفر المقتدر. والطائع الذي خُلِع آسمه عبد الكريم، وكنيته أبو بكر آبن الخليفة المطيع الفضل آبن الخليفة جعفر المقتدر المذكور؛ حُبس وأقام سنين بعد ذلك إلى أن مات، على ما سيأتي ذكره في محلّه إن شاء الله تعالى.

---

(١) في الأصل: «أبا الحسن بن المعلم». وما أثبتناه عن المنتظم وشذرات الذهب والذهبي.

(٢) الزبزب: سفينة صغيرة.

(٣) في الأصل: «وشاش البلد». وما أثبتناه عن تاريخ الخلفاء للسيوطي. وفي المنتظم: «واختلط الناس وظن أكثرهم... إلخ».

(٤) زيادة عن المنتظم.

(٥) قال السيوطي: واستمر الطائع في دار القادر بالله مكرماً محترماً في أحسن حال، حتى إنه حمل إليه ليلة شمعة أوقد نصفها، فأنكر ذلك، فحملوا إليه غيرها، إلى أن مات ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة.

وفيها حجّ بالناس[١] أبو الحسن محمد بن الحسن بن يحيى العلويّ الشريف أمير الحجّ، [وكذلك][٢] حجّ بالناس عدّة سنين.

وفيها توفّي أحمد بن الحسين بن مِهْرَان، أبو بكر النَّيسابوريّ المقرىء العابد، مصنّف كتاب «الغاية في القراءات»[٣]. قال الحاكم: كان إمام عصره في القراءات، وكان أعبدَ مَنْ رأينا من القرّاء، وكان مجاب الدعوة. مات في شوّال وله ستّ وثمانون سنة.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الجرّاح أبو بكر الخزّاز[٤]؛ كان أديباً فاضلاً فارساً شجاعاً.

وفيها توفي بَكْجُور التركيّ؛ وَلِيَ إمرة دمشق لأستاذه العزيز صاحب الترجمة؛ نُقل إليها من ولاية حِمْص. وكان ظالماً جبّاراً، ساءت سيرته في ولايته. ولما كثُر ظُلْمه عزله العزيز صاحب مصر وولّى مكانَه مُنِيراً الخادم سنة ثمانٍ وسبعين. فلم يُسلِّم بَكْجُور المذكور البلدَ إلاّ بعد قتال، وتوجّه إلى جهة حلب؛ ثم قُتل بمكان يقال له الناعورة[٥]. وكان أصل بكجور المذكور من موالي سعد الدولة بن سيف الدولة بن حَمْدان.

وفيها توفّي سعد الدولة أبو المعالي شَريف بن سيف الدولة عليّ بن عبد الله بن حَمْدان التَّغْلَبيّ الأمير صاحب حَلَب وآبن صاحبها في شهر رمضان. وعهِد إلى ولده أبي الفضائل، ووصّى لؤلؤاً الكبير به وبولده الآخر أبي الهَيْجاء. ووقع بينهم وبين

---

(١) في الأصل: «وفيها توفي أبو الحسن محمد بن الحسن...» وهو خطأ. لأن الشريف هذا ولي إمارة الحاج نيابة عن الشريف المرتضى، وتولى الإمارة عدة سنوات بعد هذه السنة. وتوفي سنة ٤١٥هـ. وما أثبتناه عن المنتظم والبداية والنهاية وعقد الجمان وتاريخ الإسلام للذهبي.

(٢) زيادة عن المنتظم.

(٣) الغاية في القراءات العشر، مخطوط، في جامعة الرياض، مصور عن عارف حكمت: ٢٠ ورقة. (الأعلام: ١/١١٥).

(٤) كذا في تاج العروس وتاريخ بغداد. وفي الأصل: «الجواد».

(٥) الناعورة: موضع بين حلب وبالس، بينه وبين حلب ثمانية أميال، وفيه قصر مسلمة بن عبد الملك بن مروان. (معجم البلدان).

العزيز صاحب مصر وقائع وحروب، ذكرناها في أوّل ترجمة العزيز هذا، وما وقع له معهم إلى أن مات العزيز.

وفيها توفّي عبد الله بن أحمد بن حَمُّوَيْه بن يوسف بن أَعْيَن أبو محمد السَّرَخْسِيّ؛ مولدُه في سنة ثلاث وتسعين ومائتين. قال أبو ذَرّ[1]: قرأت عليه. وهو صاحب أصولٍ حِسان.

وفيها توفّي عُبَيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عُبَيد الله بن سعد بن إبراهيم[2] بن عبد الرحمن بن عَوْف، أبو الفَضل الزُّهْريّ العَوْفيّ[3]؛ هو إمام مُسنِدٌ كبير القَدْر. قال أبو بكر الخَطيب: كان ثقة. وُلد سنة تسعين ومائتين.

وفيها توفّي محمد بن إبراهيم بن عليّ بن عاصم بن زَاذَان الحافظ أبو بكر بن المقرىء مُسْنِدُ أصبهان؛ طاف البلاد وسَمِع الكثير وروى عنه خَلْق. قال ابن مِرْدَوَيْه[4]: هو ثقة مأمون صاحب أصول؛ مات في شوّال وله ستّ وتسعون سنة.

وفيها توفّي عُبَيد الله بن أحمد بن معروف أبو محمد القاضي؛ وَلِيَ القضاءَ من الجانبين ببغداد، وكانت له منزلة عالية من الخلفاء والملوك خصوصاً من الطائع؛ وكان من العلماء الثِّقات الفضلاء العقلاء.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وآثنتا عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعاً.

* * *

---

(١) هو أبو ذر الهروي، عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير الأنصاري المالكي ابن السمّاك شيخ الحرم المتوفى سنة ٤٣٤هـ. (تذكرة الحفاظ: ١١٠٣/٣).

(٢) في تاريخ بغداد: «ابن سعد بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم».

(٣) في الأصل: «العزاري». والتصحيح عن شذرات الذهب.

(٤) ابن مردويه: هو أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني المتوفى سنة ٤١٦هـ. (تذكرة الحفاظ: ١٠٥٠/٣).

السنة السابعة عشرة من ولاية العزيز نِزار على مصر

وهي سنة آثنتين وثمانين وثلاثمائة.

فيها مَنَع أبو الحسين عليّ بن محمد بن المعلِّم الكوكبِيّ، صاحبُ أمر بغداد، الرافضةَ من أهل الكرخ وباب الطاق من النَّوْح في يوم عاشوراء ومن تعليق المُسُوح؛ وكان ذلك يُعمَل من نحو ثلاثين سنة.

وفيها جلس الخليفة القادر بالتاج وحضر القضاةُ والأشراف والأعيان، وأحضر رسولُ صاحب المُولتان[1]، فذكر الرسولُ رغبةَ مُرسِلِه في الإسلام والدخول فيه برعيّته، وسأل أن يُنفِذ إليه الخليفةُ من يُعلِّمهم السننَ والفرائضَ والشرائعَ والحدودَ؛ فكتب على يده كتاباً ووعد بكلّ جميل، وسُرَّ الناس بذلك غايةَ السرور.

وفيها شَغَب الديلمُ والتركُ والجندُ على بَهَاء الدولة وطلبوا منه تسليمَ أبي الحسين بن المعلِّم، وكان آبن المعلّم قد آستولى على بَهَاء الدولة وحَكَم عليه وقصَّر في حقّ الجند؛ فآمتنع بهاءُ الدولة من تسليمه؛ ثم غُلِب وسلّمه لخاله شِيرزيل، فسقاه السمّ مرّتين فلم يعمل فيه، فخنقه بحبل الستارة حتى مات ودفنه.

وفيها غلت الأسعار ببغداد، فبيع رطلُ الخبز بأربعين درهماً، والجَوْزةُ بدرهم.

وفيها حجّ بالناس محمد بن الحسن العلويّ.

وفيها توفي أحمد بن عليّ بن عمر أبو الحسين الحَريريّ. ولد سنة آثنتين وثلاثمائة، وهو غير صاحب المقامات. أخرج له الخطيب حديثاً من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: أنا ثالث الشريكَيْن ما لم يَخُن أحدُهما صاحبَه فإذا خانه خرجتُ من بينهما». ومات أبو الحسين في شهر رمضان.

---

(١) المولتان والملتان: مدينة من نواحي الهند قرب غزنة. (انظر عنها: معجم البلدان، وبلدان الخلافة الشرقية، والروض المعطار، ومروج الذهب الجزء الأول، والمسالك والممالك: ٥٦، ١٥٣، وتقويم البلدان).

وفيها توفّي عبد الله بن محمد بن عبد الوهّاب، أبو سعيد الرازيّ القرشيّ الصوفيّ نزيل نَيْسابور؛ كان كالرَّيحانة بين الصوفيّة، سيِّداً ثِقة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكريّ في ذي الحجة، وأبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمد بن يعقوب النَّسَائيّ الشافعيّ راوي مسنَد الحسن بن سفيان عنه، وأبو سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهّاب الرازيّ وله أربع وتسعون سنة، وأبو عمر محمد بن العباس بن حَيَّوَيْه[١] الخَزّاز في [شهر] ربيع الآخر عن سبع وثمانين سنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وأثنتا عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وثماني عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثامنة عشرة من ولاية العَزيز نِزار على مصر

وهي سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة.

فيها تزوّج الخليفة القادر بالله سُكَينة[٢] بنت بهاء الدولة على صداق مائةِ ألف دينار؛ فماتت قبل الدخول بها.

وفيها عظُم الغلاء حتى بلغ ثمن كُرّ القمح ببغداد ستةَ آلاف درهم وستمائة درهم غياثيّ[٣]، والكارةُ الدقيق مائتين وستّين درهماً.

وفيها آبتنى الوزير أبو نصر سابور بن أَرْدشير داراً بالكرخ سمّاها «دارَ العلم» ووقفها على العلماء ونقل إليها كتباً كثيرة.

(١) في الأصل: «ابن حسنويه» والتصحيح عن شذرات الذهب والمنتظم وعقد الجمان وتاريخ بغداد.

(٢) في الأصل: «ستيتة». وما أثبتناه عن المنتظم وعقد الجمان والذهبي.

(٣) في الأصل: «درهم عباسي». وما أثبتناه عن المنتظم وتاريخ الإسلام وابن الأثير. والدراهم الغياثية منسوبة إلى غياث الدين، وهو لقب بهاء الدولة بن بويه.

وفيها توفّي أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان الحافظ أبو بكر البَزّاز(١)، وُلد في شهر ربيع الأول سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين، ومات في شوّال ببغداد. وكان ثَبْتاً ثِقةً صاحبَ أصول. قيل له: أسمِعتَ من الباغَنْدِيّ(٢) شيئاً؟ قال: لا أعلم؛ ثمّ وجد سماعَه منه، فلم يُحدِّث به تورُّعاً.

وفيها توفّي جعفر بن عبد الله بن يعقوب أبو القاسم الرازيّ. روى عن محمد بن هارون الرُّويانيّ(٣) مُسنَدَه، وسمع عبد الرحمن بن أبي حاتم وجماعةً. قال أبو يَعْلى(٤) الخليلي: موصوف بالعدالة وحُسْن الديانة، وهو آخر من رَوَى عن الرُّويانيّ.

وفيها توفّي عبد الله بن عطيّة بن عبد الله بن حبيب، أبو محمد المقرىء الدمشقيّ المفسِّر العدل، إمام مسجد عطيّة داخل باب الجابِيَة(٥). كان يحفظ خمسين ألف بيت من شعر العرب في الاستشهادات على معاني القرآن واللغة. مات بدمشق في شوال. ومن شعره قوله: [الكامل ــ المجزوء]

إحذَرْ مودّة ماذقٍ(٦) مَزَجَ المرارةَ بالحَلاَوَهْ
يُحصِي الذنوبَ عليك أيّـ ـام الصداقة للعداوَهْ

وفيها توفّي عبد الله بن محمد بن [القاسم بن](٧) حَزْم أبو محمد الأندلسيّ

---

(١) كذا أيضاً في المنتظم وعقد الجمان والبداية والنهاية. وفي شذرات الذهب وتاريخ بغداد: «البزار» بالراء المهملة في آخره.

(٢) هو محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث، أبو بكر الواسطي المتوفى سنة ٣١٢هـ.

(٣) في الأصل: «الروماني» وهو تحريف. والتصحيح عن شذرات الذهب والمشتبه في أسماء الرجال وكشف الظنون. والروياني: نسبة إلى رويان بآمل طبرستان.

(٤) هو الخليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني، أبو يعلى الخليلي المتوفى سنة ٤٤٦هـ. له كتاب «الإرشاد في علماء البلاد» مخطوط في الرباط (٥٢٨ ك) ذكر فيه المحدثين وغيرهم من العلماء على ترتيب البلاد إلى زمانه. (الأعلام: ٣١٩/٢) وسماه في تذكرة الحفاظ: ١١٢٣/٣: «الإرشاد في معرفة المحدثين».

(٥) باب الجابية: أحد أبواب دمشق، عنده مقبرة من مقابر دمشق.

(٦) في الأصل: «مودة حاذق». وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب المصرية. والماذق: الذي لا يخلص الودّ.

(٧) زيادة عن شذرات الذهب.

القَلْعِيّ، من أهل قلعة أيّوب[١]. رحل إلى مصر والشام والعراق سنة خمسين وثلاثمائة، وسَمِع الكثير وعاد إلى الأندلس؛ وصنّف الكتب. وكانوا يشبِّهونه بسُفيان الثوريّ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومات في شهر ربيع الآخر وله ثلاث وستون سنة.

وفيها توفّي محمد بن صالح بن محمد بن سعد، أبوعبد الله الأندلسيّ الفقيه المالكيّ؛ سَمِع بمصر والشام والجزيرة وبغداد، ثم أقام ببخارى حتّى مات بها في شهر رجب. وكان فاضلاً أديباً ثقة. ومن شعره: [الكامل]

ودّعتُ قلبي ساعةَ التوديع   وأطعتُ قلبي وهو غيرُ مطيعِي
إن لم أُشيِّعهم فقد شيَّعتُهم   بمُشَيِّعَيْنِ: حُشَاشتي ودموعي

وفيها توفّي نصر بن محمد بن أحمد بن يعقوب، أبو الفضل الطوسيّ العطّار الصوفيّ الحافظ، أحد أركان الحديث بخُراسان، مع الدِّين والزُّهد والسخاء والعِفّة. وقد سافر إلى العراق ومصر والشام والحجاز، وجمع من الحديث ما لم يجمعه أحد، وصنّف الكتب. ومات وهو آبن ثلاث وسبعين سنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وثماني عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وإحدى وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة التاسعة عشرة من ولاية العزيز نِزار على مصر

وهي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

فيها تزوّج مهذّبُ الدولة عليّ بن نصر ببنت بهاء الدولة بن بُوَيْه؛ وعُقِد أيضاً

(١) قلعة أيوب: مدينة عظيمة جليلة القدر بالأندلس، بقرب مدينة سالم. قال ياقوت: وهي بالثغر، وينسب إليها فيقال: ثغري. (معجم البلدان والروض المعطار).

للأمير أبـي منصور(١) بن بهاء الدولة عَلَى بنت مهذّب الدولة، كلُّ صداق مائةُ ألف دينار.

وفيها سار صَمْصام الدولة بن عَضُد الدولة من شيراز يريد الأهواز، فخرج بهاء الدولة من بغداد ونزل واسطاً، وأرسل جيشاً لقتال صمصام الدولة بن بويه، فٱلتَقَوْا مـع صمصام الدولة وٱنتصروا عليه.

وفيها عُزِل الشريفُ أبوأحمد المُوسَوِيّ عن نقابة الطالبِيِّين، وصُرف ولداه الرضي والمرتضى عن النيابة عنه، وتولَّى عِوَضه الشريف الزينبيّ(٢).

وفيها رجَـع الحاجُّ إلى بغداد، ولم يَحُجّ أحد من العراق خوفاً من القَرَامطة.

وفيها توفّي إبراهيم بن هلال أبوإسحاق الصابـىء صاحب الرسائل؛ كان فاضلاً شاعراً؛ نُكِب غير مرّة بسبب رسائله. ومولده في شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، ومات في هذه السنة، ودفِن بالشُّونيزيّة(٣). ورثاه الشريف الرضي الموسويّ بقصيدته الدالية التي أوّلها: [الكامل]

أرأيتَ مَنْ حَمَلُوا عـلى الأعـوادِ أرأيتَ كيف خبا ضِياء النـادي(٤)

وعاتبه الناس في ذلك لكونه شريفاً ورثى صابئاً؛ فقال: إنما رثيت فضله. قال ٱبن خلكان: وجَهَد فيه عزّ الدولة أن يُسْلِم فلم يفعل. وكان يصوم شهر رمضان مـع المسلمين ويحفظ القرآن الكريم أحسن حفظٍ.

وفيها توفّي عبد(٥) الله بن محمد بن نافـع بن مكرم، أبوالعباس البُسْتيّ الزاهد؛ كان وَرِثَ من آبائه أموالاً عظيمة أنفقها على الفقهاء والفقراء؛ أقام سبعين سنة لا يستند إلى جِدَار ولا إلى غيره، ومات في المحرّم.

(١) في الأصل هنا: «أبو نصر». وقد سبق تصحيحه.

(٢) هو أبو الحسن محمد بن علي بن أبي تمام الزينبي، كما في الذهبي وعقد الجمان والمنتظم.

(٣) الشونيزية: مقبرة ببغداد، بالجانب الغربي منها. وهي مقبرة الجنيد الحالية، في الشمال الغربي من مقبرة الشيخ معروف على مئات أمتار منها. (مصطفى جواد: في التراث العربي، ص٦٣).

(٤) كذا في ديوانه وابن خلكان. وفي الأصل: «الوادي».

(٥) في الأصل: «عبيد الله» وما أثبتناه عن المنتظم وعقد الجمان وابن الأثير.

وفيها توفّي عليّ بن عيسى بن عليّ، الإمام أبو الحسن الرُّمّانيّ النحويّ. مولده سنة ستّ وتسعين ومائتين؛ وبرَع في علم النحو واللغة والأصول والتفسير وغيرها. وله كتاب «التفسير الكبير»، وهو كثير الفوائد إلا أنه صرّح فيه بالاعتزال؛ وسلَك الزمخشريّ سبيله وزاد عليه. مات ببغداد ودفن بالشُّونيزيّة.

وفيها توفّي محمد بن العبّاس بن أحمد بن محمد، الحافظ أبو الحسن بن الفُرات. وُلد سنة تسع عشرة وثلاثمائة، وكتب الكثير، وجمع ما لم يجمعه أحدٌ من أقرانه؛ وكان عنده عن عليّ بن محمد المصريّ وحده ألف جزء، وكتب مائة تفسير ومائة تاريخ، وخلّف ثمانيةَ عشر صندوقاً مملوءة كتباً غيرَ ما سُرق[1] منه، وأكثرها بخطّه. وكانت له جارية تعارض[2] معه بما يكتبه. ومات ببغداد في شوّال، وكان مأموناً ثقة. انتهى كلام صاحب مرآة الزمان.

وفيها توفّي محمد بن عِمْران بن موسى بن عبيد الله، أبو عبد الله[3] الكاتب المَرْزُباني؛ كان صاحب أخبار وروايات للآداب، وصنّف كتباً في فنون العلوم. وكان أبو عليّ الفارسيّ يقول عنه: هو من محاسن الدنيا.

وفيها توفّي المُحَسِّن بن عليّ بن محمد بن أبي الفَهْم، القاضي أبو عليّ التَّنوخيّ[4] مصنِّف كتاب «الفرج بعد الشدّة». مولده سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بالبصرة. وكان أديباً شاعراً. تقلّد القضاءَ بسُرَّ من رأى، ومات ببغداد في المحرّم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وآثنتان وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرةَ ذراعاً وسبع أصابع.

* * *

(١) كذا في عقد الجمان والمنتظم والبداية والنهاية. وفي الأصل: «غير ما حرق».

(٢) أي تقابل ما يكتبه.

(٣) كذا أيضاً في معجم الأدباء ومعجم البلدان. وفي ابن الأثير والمنتظم وشذرات الذهب وعقد الجمان: «عبيد الله».

(٤) في الأصل: «والد علي مؤلف كتاب الفرج» وهو خطأ.

السنة العشرون من ولاية العزيز نِزار على مصر

وهي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة.

فيها تحرّكت القرامطة على البصرة، فجهّز بهاء الدولة إليهم جيشاً فرجعوا عنها.

وفيها زُلزلت الدنيا زلزلة عظيمة، مات فيها تحت الهدم خلق كثير.

وفيها أمر صَمْصامُ الدولة بقتل من كان بفارس من الأتراك، كلّ ذلك ولم يُنتِج أمر صمصام الدولة(١).

وفيها توفّي طُغَان صاحبُ بهاء الدولة الذي كان ندبه لقتال صمصام الدولة بشيراز.

وفيها حجّ بالناس أحمد بن محمد بن عبد الله العلويّ من العراق؛ وبعث بدرُ بن حَسْنَوَيْهِ الكُرْدِيّ خمسةَ آلافِ دينار إلى الأُصَيفِر الأعرابيّ الذي كان يقطع الطريق على الحاجّ عِوَضاً عما كان يأخذه من الحاجّ، وجعل ذلك رسماً عليه في كل سنة من ماله، رحمه الله.

وفيها توفي الوزير الصاحب إسماعيل بن عَبّاد بن العباس، أبو القاسم وزير مؤيّد الدولة بن ركن الدولة الحسن بن بُوَيه، ثمّ وزَر لأخيه فخر الدولة. كان أصله من الطالَقان، وكان نادرةَ زمانه وأُعجوبةَ عصره في الفضائل والمكارم. أخذ الأدب عن الوزير أبي الفضل بن العميد وزير ركن الدولة بن بُوَيه، وسمِع الحديثَ من أبيه ومن غير واحد، وحدّث باليسير. وهو أوّل وزير سُمِّي بالصاحب لأنه صحب مؤيد الدولة من الصِّبا فسمّاه الصاحبَ، فغلب عليه، ثمّ سُمِّي به كلُّ من وَلِيَ الوزارة(٢)

---

(١) في حاشية طبعة دار الكتب، جاء تفصيل هذا الخبر نقلاً عن مرآة الزمان: «... وفيها أمر صمصام الدولة بقتل من كان بفارس من الأتراك، وكانوا قد أفسدوا وعاثوا ونهبوا المال والحريم، وكانوا سبعمائة غلام، فلما هدر صمصام الدولة دماءهم هربوا إلى السند وراسلوا صاحبها في الدخول عليه، فأذن لهم، وخرج للقائهم، وصفّ أصحابه صفين، فلما صار الترك بينهم وضعوا فيهم السيوف فلم يفلت منهم أحد». قارن أيضاً بابن الأثير في حوادث نفس السنة.

(٢) انظر في ذلك الألقاب الإسلامية لحسن الباشا، ص ٣٦٧ وما بعدها.

حتى حَرَافِيشُ زمانـنـا حَمَلةُ اللحم وأَخَذَةُ المُكُـوس! وقيل: إنـه كان يَصْحَب ابنَ العميد فقيل له صاحب ٱبن العميد، ثم خُفِّف فقيل الصاحب. ولمّا وَلِيَ الوزارة قال فيه أبو سعيد الرُّستمِيّ(١): [الكامل]

ورِثَ الوِزارةَ كابِراً عن كابِرٍ مَـوْصُـولـةَ الإسنـادِ بـالإسنـادِ
يـرْوِي عن العباسِ عَبّادٌ وِزا رتَــه وإسمـاعيــلُ عن عَبّــادِ

ولمّا مات مؤيّد الدولة تولّى السلطنةَ أخوه فخر الدولة، فأقرّ الصاحبَ هذا على وزارته؛ فعظُم أمره أكثر ما كان؛ وبَقِيَ في الوزارة ثمانية عشر عاماً، وفتـح خمسين قلعة وسلّمها إلى فخر الدولة. وكان عالماً بفنون كثيرة. وأما الشعر فإليه المنتهى فيه. ومن شعره: [الكامل]

رَقَّ الزُّجاجُ وراقَتِ الخمـرُ وتشـابهـا فتشــاكـلَ الأمــرُ
فكــأنمـا خمــرٌ ولا قــدحٌ وكــأنّمـا قــدحٌ ولا خمــرُ

وله القصيدة التي أوّلها: [الوافر]

تبسَّم إذ تبـسَّـم عـن أَقــاحِي وأسفـر حِين أسفرَ عن صباح

وقيل: إنّ القاضي العميريّ(٢) أرسل إلى الصاحب كتباً كثيرة، وكتب معها يقول: [الخفيف]

العميرِيّ عبدُ كـافِي الكُفَاةِ(٣) وإن(٤) آعتُدَّ في وجوهِ القُضاةِ
خـدَم المجلسَ الرفيـعَ بكُتْبٍ مُفْعَماتٍ(٥) من حُسْنِها مُترعَاتِ

فأخذ منها الصاحبُ بن عَبّاد كتاباً واحداً، وكتب معها: [الخفيف]

(١) هو محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن رستم، كما في يتيمة الدهر للثعالبي: ٣٠٠/٣. وروى الثعالبي جملة وافرة صالحة من شعره.
(٢) هو قاضي قزوين، كما في اليتيمة.
(٣) كافي الكفاة: لقب للصاحب بن عباد. (الألقاب الإسلامية).
(٤) في اليتيمة: «ومن اعتدّ».
(٥) في الأصل: «منعمات». وما أثبتناه عن اليتيمة.

قَـد قَبِلْنا من الجميع كِتَـابـاً ورَدَدْنـا لـوقـتـهـا البـاقِيـاتِ
لستُ أستغنم الـكـثـيـر فـطبعِي قولُ «خُذْ» ليس مذهبي قولَ «هاتِ»

ومات الصاحب بالرّيّ عشيّةَ ليلة الخميس خامس عشرين صفر، وأُغلقت له مدينة الرَّيّ، وحضر مخدومُه فخرُ الدولة وجميع أعيان مملكته، وقد غيَّروا لباسَهم. فلمّا خرج نعشه صاح الناس صيحةً واحدة، وقبَّلوا الأرض لنعشه، ومشى فخر الدولة أمام نعشه، وقعد للعزاء أيّاماً، ورثاه الشعراء بعدّة قصائد.

قلت: وأخبار آبن عَبّاد كثيرة، وقد آستوعبنا أمره في كتاب «الوزراء»(١). وليس هذا محلّ الإطناب في التراجم سوى تراجم ملوك مصر التي بسببها صُنِّف هذا الكتاب.

وفيها توفّي عليّ بن عمر بن أحمد بن مهديّ بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله أبو الحسن البغداديّ الدَّارَقُطْنِيّ(٢)، الحافظ المشهور صاحب التصانيف. سَمِـع من أبـي القاسم البَغَوِيّ وخلقٍ كثير ببغداد والكوفة والبصرة وواسط، ورحل في كهولته إلى الشام ومصر، فسمـع القاضي أبا الطاهر(٣) الذُّهْليّ وطبقتَه؛ وروى عنه أبو حامد الأسفرايِني وأبو عبد الله الحاكم وعبد الغني بن سَعيد المصريّ وخلقٌ سواهم. قال الخطيب أبو بكر: كان الدارقُطْنيّ فريدَ عصره، ووحيد دهره، ونسيـجَ وحده، وإمامَ وقته؛ اِنتهى إليه علمُ الأثر والمعرفةُ بعِلَل الحديث وأسماءِ الرجال [وأحوالِ الرواة](٤)، مـع الصِّدق والثقة، وصحة الاعتقاد. وكانت وفاته في ثامن ذي القعدة.

وفيها توفّي عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن أيوب بن أزداد، الشيـخ أبو حفص بن شاهين، الحافظ الواعظ محدّثُ بغداد ومفيدُها؛ سَمِـع الكثير وحدّث؛

(١) لا نعرف كتاباً باسم «الوزراء» للمؤلف.
(٢) هذه النسبة إلى «دار القطن»، محلة ببغداد.
(٣) ورد ذكره في حوادث سنة ٣٦٧هـ من هذا الكتاب.
(٤) زيادة عن تاريخ بغداد.

ومولده سنة سبع وتسعين ومائتين. قال آبن ماكولا: كان ثِقة مأموناً؛ سَمِع بالشام والعراق والبصرة وفارس، وجمَع الأبواب والتراجم، وصنّف كثيراً.

وفيها توفي أبو الحسن عَبّاد بن العباس والد الصاحب بن عبّاد المقدّم ذكره، مات بعد آبنه بمدّة يسيرة. وكان فاضلاً جليلاً؛ سمِع الحديث، وصنّف كتاب «أحكام القرآن». وقد تقدّم أن أصلهم من «الطَّالَقَان» وهي قرية كبيرة بين قزوين وأَبْهَر، وحولها عدّة قُرىً؛ وقيل: هو إقليم يقع عليه هذا الاسم. وبخُراسان مدينة يقال لها «طالَقَان» غير هذه.

وفيها توفّي بشر بن هارون أبو نصر النصرانيّ الكاتب؛ كان شاعراً هجّاء خبيث اللسان كتب مرّة إلى إبراهيم الصابىء: [السريع]

حَضَرتُ بِالجِسم وقد كنت بالنـ ـفسِ وإن لم تَرَني حاضِرا[1]
أَنطقَنِي بالشعرِ حُبِّي لكم ولم أكن من قبلها شاعِرًا

فكتب إليه الصابىء تحت خطّه: «ولا بعدها».

وفيها توفّي الحسن بن حامد بن الحسن بن حامد بن الحسن بن حامد، أبو محمد الأديب الشاعر؛ كان فاضلاً يتّجر وله مال كثير. ولمّا قَدِم المتنبِّي بغداد خدمه؛ فقال له المتنبي: لو كنتُ مادحاً تاجراً لمدحتك.

وفيها توفّي عقيل بن محمد[2] [بن عبد الواحد][3]، أبو الحسن الأحنف العُكْبَرِيّ الأديب الشاعر. ومن شعره: [الرمل مجزوء]

مَن أرادَ العِزَّ[4] والرا حةَ مِن همٍّ طويلِ
فليكن فَرْداً مِن النا سِ ويَرْضَى بالقليل

---

(١) كذا في طبعة دار الكتب المصرية عن مرآة الزمان، ورواية البيت في الأصل:
حضرت بالجسم وقد كنت لو بالنفس لما ترني حاضرا
(٢) في الأصل: «عقيل بن أحمد». والتصحيح عن المنتظم وعقد الجمان وتاريخ بغداد والبداية والنهاية.
(٣) زيادة عن البداية والنهاية.
(٤) في الأصل: «الملك». وهي لا تستقيم في المعنى. وما أثبتناه عن البداية والنهاية.

وفيها توفّي محمد بن عبد الله [بن محمد]، بن سكّرة[١]، أبو الحسن الهاشميّ البغداديّ الشاعر المشهور، ويُعرَف بآبن رابطة[٢]. هو من ولد عليّ بن المهديّ من بني العباس. كان شاعراً ظريفاً فصيحاً؛ وشعره في غاية الجَوْدة والرقّة. من ذلك قوله: [المنسرح]

في وجهِ إنسانةٍ[٣] كَلِفْتُ بها أربعةٌ ما آجتمعْنَ في أَحَدِ
الوجه بدرٌ والصُّدْغُ غاليةٌ والرِّيق خمرٌ والثغرُ مِن بَرَدِ

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وخمس عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وسبع أصابع.

* * *

السنة الحادية والعشرون من ولاية العزيز نِزار على مصر، وفيها مات

وهي سنة ستّ وثمانين وثلاثمائة.

فيها في المحرّم آدّعى أهلُ البصرة أنهم كشفوا عن قبر عتيق فوجدوا فيه ميتاً [طريّاً][٤] بثيابه وسيفه، وأنه الزُّبير بن العوّام؛ فأخرجوه وكفّنوه ودفنوه بالمِرْبَد؛ وبنى عليه أبو المسك عنبر بناءً[٥] وجعله مشهداً، وأوقف عليه أوقافاً ونقل إليه القناديل والآلات. قال الذهبيّ: فالله أعلم مَنْ ذلك الميِّت.

وفيها توفّي أحمد بن عليّ بن أحمد، أبو عليّ المدائني، ويُلقب بالهائم. رَوَى عن السَّريّ الرفّاء ديوان شعره. وكان شاعراً ماهراً. ومن شعره في كَوْسَج[٦]: [المنسرح]

(١) في الأصل: «سكارة» وهو خطأ. والتصحيح والزيادة عن يتيمة الدهر وابن خلكان.

(٢) في تاريخ بغداد: «ابن رائطة».

(٣) كذا في البداية والنهاية ويتيمة الدهر وعقد الجمان وتاريخ بغداد. ورواية الأصل:
«في وجه إنسان قد كلفت به»

(٤) زيادة عن المنتظم والذهبي.

(٥) كذا في المنتظم وعقد الجمان. وفي البداية والنهاية: «مسجداً». وفي الأصل: «بيتاً».

(٦) الكوسج: هو الذي لا شعر على عارضيه.

وجـهُ اليمـانِيّ مَنْ تـأمَّلَهُ أبصرَ فِيهِ الوجودَ والعَدَمَا
قد شاب عُثْنونُه وشارِبُهُ وعارِضاه لم يبلغا الحُلُمَا

وفيها توفّي محمد بن عليّ بن عطيّة أبو طالب الحارِثيّ، مصنّف كتاب «قوت القلوب»[١]. كان من أهل الجبل ونشأ بمكة وتزهّد، وكان له لسانٌ حُلْوٌ في الوعظ والتصوُّف.

وفيها توفي محمد بن إبراهيم بن أحمد، أبوبكر السُّوسِيّ، شيخ الصوفيّة بدمشق؛ كان زاهداً عابداً؛ ما عَقَد على درهم ولا دينار، ولا آغتسل من حلال ولا حرام؛ حدّث عن أحمد بن عطاء الرُّوذْبارِيّ وأقرانه، ولقيَ المشايخ.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو حامد[٢] أحمد بن عبد الله النُّعَيمِيّ بَهَراة في شهر ربيع الأوّل، وأبو أحمد عبد الله بن الحسين بن حَسْنون السَّامَرِّي، وأبو أحمد عُبَيد الله بن يعقوب بن إسحاق الأَصْبهاني، روى عن جدّه مسنَد أحمد بن مَنِيع، وأبو الحسن عليّ بن عمر الحَرْبيّ السُّكّريّ[٣] في شوّال وله تسعون سنة، وأبو عبد الله الخَتَن[٤] شيخ الشافعيّة محمد بن الحسن الإسْتِراباذِيّ[٥]، وأبو طالب محمد بن عليّ بن عطيّة المكيّ صاحب «القوت» في جمادَى الآخرة، والعزيز نِزَار بن المعزّ العُبَيديّ في رمضان عن ثلاث وأربعين سنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وخمس أصابع. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعاً.

---

(١) هو كتاب «قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد» في التصوّف. قالوا: لم يصنّف مثله في دقائق الطريقة. وقد طبع هذا الكتاب بمصر سنة ١٣١٠هـ. (طبعة دار الكتب المصرية، حاشية). وانظر كشف الظنون: ٢/١٣٦١.

(٢) في الأصل: «أبو أحمد حامد». وما أثبتناه عن شذرات الذهب والمشتبه.

(٣) في الأصل: «اليشكري». والتصحيح عن تاريخ بغداد وشذرات الذهب وعقد الجمان وابن الأثير.

(٤) في الأصل: «وأبو عبد الله الحسن شيخ الشافعية ومحمد بن الحسن الاستراباذي» والتصحيح عن شذرات الذهب والأعلام. والختن: الصهر، أو كل من كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها. وهو ختن أبي بكر الإسماعيلي الفقيه الشافعي، كما في شذرات الذهب.

(٥) نسبة إلى إستراباذ، من بلاد مازندران بين سارية وجرجان. وفي الأعلام: «الجرباذقاني» نسبة إلى جرباذقان، بين جرجان وإستراباد.

ذكر ولاية الحاكم(١) بأمر الله على مصر

هو أبو عليّ منصور، الحاكم بأمر الله بن العزيز بالله نِزَار بن المُعِزّ بالله مَعَدّ بن المنصور بالله إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهديّ عُبَيد الله، العُبَيديُّ الفاطميُّ المغربيّ الأصل، المصريّ المولد والدار والمنشأ، الثالث من خلفاء مصر من بني عُبيد والسادس منهم ممن وَلِيَ من أجداده بالمغرب، وهم: المهديّ والقائم والمنصور المقدّم ذكرهم.

مولدُه يوم الخميس لأربع ليالٍ بَقِين من شهر ربيع الأوّل سنة خمس وسبعين وثلاثمائة بالقاهرة؛ وقيل: في الثالث والعشرين منه. وولّاه أبوه العزيز عَهْدَ الخلافة في شعبان سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، وبويع بالخلافة يوم مات أبوه يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة ستّ وثمانين وثلاثمائة؛ فَولِيَ الخلافةَ وله إحدى عشرة سنة ونصف، وقيل: عشر سنين ونصف وستّة أيام، وقيل غير ذلك.

قال العلّامة أبو المظفّر بن قِزأُوغلي في تاريخه: «وكانت خلافته مُتَضادّة بين شجاعة وإقدام، وجُبْن وإحجام، ومحبّةٍ للعلم وآنتقام من العلماء، ومَيْلٍ إلى الصلاح وقتل الصلحاء. وكان الغالب عليه السخاء؛ وربّما بخِل بما لم يبخَل به أحدٌ قطّ. وأقام يلبَس الصوف سبعَ سنين، وآمتنع من دخول الحمام؛ وأقام سنين يجلس في الشمع ليلاً ونهاراً، ثمّ عنَّ له أن يجلس في الظُّلمة فجلس فيها مدّة. وقتل من العلماء والكتّاب والأماثل ما لا يُحصَى؛ وكتب على المساجد والجوامع

(١) ترجمته وأخباره في: خطط المقريزي: ٣٥٤/١ و٢٨٥/٢ ـ ٢٨٩، وابن خلكان: ٢٩٢/٥ ـ ٢٩٨، وأخبار الدول المنقطعة لابن ظافر الأزدي: ٤٣ ـ ٦٢، والحاكم بأمر الله لمحمد عبد الله عنان، والحاكم بأمر الله لعبد المنعم ماجد. وكتب التاريخ العام.

سبَّ أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزُّبير ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، ثمّ محاه في سنة سبع وتسعين؛ وأمر بقتل الكلاب و[حرَّم] بيع الفُقاع(١) [وعمله] ثم نهى عنه؛ ورَفَع المُكُوس عن البلاد وعمّا يُبَاع فيها؛ ونهى عن النجوم، وكان ينظر فيها؛ ونفى المُنَجِّمين وكان يرصدها؛ ويخدُم زُحَلَ، وطالعه المرِّيخ، ولهذا كان يَسفِك الدِّماء. وبنى جامع القاهرة(٢)، وجامع راشِدة(٣) على النيل بمصر، ومساجد كثيرة، ونقل إليها المصاحفَ المفضّضة والستورَ الحرير وقناديلَ الذهب والفضّة؛ ومنع من صلاة التراويح عشر سنين، ثم أباحها؛ وقطع الكروم ومنع من بيع العنب، ولم يُبْقِ في ولايته كَرْماً؛ وأراق خمسة آلاف جَرّة من عسل في البحر خوفاً من أن تُعمَل نبيذاً؛ ومنع النساء من الخروج من بيوتهنّ ليلاً ونهاراً؛ وجعل لأهل الذمّة علاماتٍ يُعْرَفون بها، وألبس اليهود العمائم السُّود، وأمر ألّا يركبوا مع المسلمين في سفينة، وألّا يَسْتخدموا غلاماً مسلماً، ولا يركبوا حمار مسلم، ولا يدخلوا مع المسلمين حمّاماً، وجعل لهم حمامات على حِدة؛ ولم يُبْقِ في ولايته ديراً ولا كنيسة إلّا هدمها؛ ونَهَى عن تقبيل الأرض بين يديه والصلاة عليه في الخطب والمكاتبات؛ وجعل مكان الصلاة عليه: السلام على أمير المؤمنين، ثمّ رجع عن ذلك؛ وأسلم خلقٌ من أهل الذِّمّة خوفاً منه ثم آرتدّوا؛ وأعاد الكنائس إلى حالها». انتهى كلام أبي المظفر.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبيّ في تاريخه: «كان جَوَاداً سَمْحاً، خبيثاً

---

(١) شراب يتخذ من الشعير؛ سمي بذلك لما يرتفع في رأسه ويعلوه من الزبد. وكان الفقّاع مسكراً ذائعاً في ذلك الوقت.

(٢) المراد جامع الحاكم الذي يقال له الجامع الأنور؛ وهو بشارع باب الفتوح بالقاهرة. أسسه والده العزيز سنة ٣٨٠هـ، وأكمله هو سنة ٤٠١هـ. (خطط المقريزي: ٢/٢٧٧).

(٣) كان هذا الجامع واقعاً بين مدينة الفسطاط ودير الطين، وعرف بهذا الاسم لأنه بني في خطة راشدة بن أدب بن جديلة من لخم. وخطتهم بمصر بالجبل المعروف بالرصد المطل على بركة الحبش. (خطط: ٢/٢٨٢) وقد زال هذا الجامع، ومحله اليوم مساكن قائمة بالجهة الغربية من عزبة إصطبل عنتر قبلي الطريق الموصلة بين هذه العزبة وبين جسر النيل في الزاوية التي تتقابل فيها هذه الطريق بالجسر الفاصل بين العزبة وبين الأراضي الزراعية. وهذا الموضع يعرف عند أهل الجهة بمقام الست راشدة. (م. رمزي).

ماكراً، رديء الاعتقاد، سفّاكاً للدّماء؛ قتل عدداً كبيراً من كبراء دولته صَبْراً؛ وكان عجيب السيرة، يخترع كلّ وقت أموراً وأحكاماً يحمِل الرعيّة عليها؛ فأمر بكَتْب سبّ الصحابة على أبواب المساجد والشوارع، وأمر العمّال بالسبّ في الأقطار في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، وأمر بقتل الكلاب في مملكته وبطّل الفُقّاع والملوخِيّا؛ ونهى عن السمك، وظَفِر بمن باع ذلك فقتلهم؛ ونهى في سنة آثنتين وأربعمائة عن بيع الرطب ثمّ جمع منه شيئاً عظيماً فأحرق الكلّ؛ ومنع من بيع العنب وأباد كثيراً من الكروم[1]؛ وأمر النصارى بأن تعمل في أعناقهم الصُّلْبان، وأن يكون طول الصليب ذراعاً وزنته خمسة أرطال بالمصريّ؛ وأمر اليهود أن يحمِلوا في أعناقهم قَرَامِي الخشب في زنة الصلبان أيضاً، وأن يلبسوا العمائم السُّود، ولا يَكْتَرُوا من مسلم بهيمة، وأن يدخلوا الحمّام بالصُّلْبان، ثمّ أفرد لهم حمّامات. وفي العام أمر بهدم الكنيسة المعروفة بالقُمَامة[2]. ولمّا أرسل إليه

(١) يقول العلّامة دوزي: «لم تكن قوانين الحاكم سخيفة كما يجب أن يصوّرها الرواة السنّيون الذين اعتادوا أن يقدموا إلينا من هذا الأمير شخصية مضحكة لا صورة حقة... لقد أراد الحاكم أن يكافح الانحلال الشامل الذي سرى إلى مجتمع عصره، بقوانين بوليسية صارمة، وأحياناً غريبة شاذة». ويقول ميللر بعد أن يلخص قوانين الحاكم الاجتماعية: «إن هذه التصرفات ليست كلها تنم عن الحماقة، وإذا كنا لا نستطيع أن نعلل كل أعماله، فليس ذلك مما يحملنا على أن نعتبر تصرفاته فورة أهواء مستبد، ولا سيما ونحن نراها في نواحي أخرى سليمة معقولة...». انظر كتاب محمد عبد الله عنان: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية: ١٥١ ــ ١٧٤. وفي هذا الفصل عرض وتحليل لشخصية الحاكم وخلاله.

(٢) قال ناصر خسرو في مذكراته التي كتبها عن رحلته إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري، وسماها: سفرنامه: «وللنصارى في بيت المقدس كنيسة يسمونها بيعة القمامة، لها عندهم مكانة عظيمة. ويحجّ إليها كل سنة كثير من بلاد الروم، ويزورها ملك الروم متخفياً، حتى لا يعرفه الناس. وقد زارها أيام عزيز مصر الحاكم بأمر الله، فبلغ ذلك الحاكم، فأرسل إليه أحد حراسه ــ بعد أن عرّفه أن رجلاً بهذه الحلية والصورة يجلس في كنيسة بيت المقدس ــ وقال له: «اذهب عنده وقل له: إن الحاكم أرسلني إليك ويقول: لا تحسبني أجهل أمرك، ولكن كن آمناً، فلن أقصدك بسوء» وقد أمر الحاكم هذا بالإغارة على الكنيسة فهدمها وخربها، وظلت خربة مدة من الزمن. وبعد ذلك بعث القيصر إليه رسلاً وقدم كثيراً من الهدايا والخدمات وطلب الصلح والشفاعة ليؤذن له بإصلاح الكنيسة، فقبل الحاكم وأعيد تعميرها». انتهى. قال ياقوت في معجم البلدان: «والنصارى يسمونها كنيسة القيامة لاعتقادهم أن المسيح قامت قيامته في هذا المكان. والصحيح أن اسمها قمامة، لأنها كانت مزبلة أهل البلد». قلت: وقد هدمت الكنيسة سنة ٤٠٠هـ، وظلت خربة حتى سنة ٤٢٩هـ حين عقد الامبراطور ميشال الخامس Michel V Le Paphlagonien هدنة مع والي بيت المقدس من قبل =

آبن باديس[١] يُنْكِر عليه أفعاله، أراد آستمالته فأظهر التفقه وحمَل في كمّه الدفاتر وطلب إليه فقيهين وأمرهما بتدريس مذهب مالك في الجامع؛ ثمّ بدا له فقتلهما صَبْراً؛ وأذِنَ للنصارى الذين أكرههم إلى الإسلام في الرجوع إلى الشِّرْك. وفي سنة أربع وأربعمائة منع النساء من الخروج في الطريق، ومنع من عَمَل الخِفاف لهنّ؛ فلم يزلْنَ ممنوعات سبعَ سنين وسبعة أشهر حتّى مات. ثمّ إنّه بعد مدّة أمر ببناء ما كان أمر بهدمه من الكنائس. وكان أبوه العزيز قد آبتدأ ببناء جامعه الكبير بالقاهرة (يعني الذي هو داخل باب النصر) فتمّمه هو. وكان على بنائه ونظره الحافظ عبد الغني[٢] بن سعيد. وكان الحاكم يفعل الشيء ثمّ ينقضه. وخرج عليه أبو رَكْوة الوليد بن هشام العثمانيّ الأُمَويّ الأندلسيّ بنواحي بَرْقَة فمال إليه خَلْقٌ عظيم؛ فجهّز الحاكم لحربه جيشاً فآنتصر عليهم أبو ركوة ومَلَك؛ ثمّ تكاثروا عليه وأسروه؛ ويقال: إنه قُتِل من أصحابه مقدار سبعين ألفاً. وحُمِل أبو ركوة إلى الحاكم فذبحه في سنة سبع وتسعين». انتهى كلام الذهبيّ بآختصار.

قلت: ونذكر واقعته مع عساكر الحاكم وكيف ظَفِر به الحاكم وقتله مفصَّلاً في سنة سبع وتسعين المذكورة في الحوادث بأوسع من هذا، إن شاء الله تعالى؛ لأن قصّته غريبة فتنتظر هناك.

وقال آبن خلِّكان: «وكان أبو الحسن عليّ المعروف بآبن يُونس المنجّم قد صنع له «الزِّيج» المعروف بالحاكميّ وهو زِيجٌ كبير مبسوط. قال: نقلتُ من خطّ الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السِّلَفِيّ رحمه الله تعالى أن الحاكم المذكور كان

= المستنصر بالله، وقد تعهد بتحرير خمسة آلاف أسير مسلم، ومنح الحق في إعادة بناء الكنيسة، فأرسل المهندسين والمعماريين فوراً من القسطنطينية وبنيت الكنيسة من جديد.

وتقول رواية كنسية معاصرة (سير البيعة المقدسة) أن السجل الشهير بهدم كنيسة القيامة صيغ بهذه العبارة الموجزة: «خرج أمر الإمامة إليك (أي إلى يارختكين والي الرملة) بهدم قمامة؛ فاجعل سماءها أرضاً، وطولها عرضاً». وتزيد على ذلك أن الذي كتبه كاتب نصراني يسمى ابن شترين، وأنه توفي بعد كتابته بأيام قلائل ندماً وحزناً. (الحاكم بأمر الله: ص ١٣٦).

(١) ابن باديس: هو المعز (أبو تميم منصور) بن باديس (نصير الدولة أبي مناد) الصنهاجي.

(٢) هو الإمام الحافظ عبد الغني بن سعيد، أبو محمد المصري. كان إمام زمانه في علم الحديث. توفي سنة ٤٠٩هـ.

جالساً في مجلسه العام وهو حَفِلٌ بأعيان دولته، فقرأ بعض الحاضرين: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[١]، والقارىء في أثناء ذلك كلّه يشير إلى الحاكم. فلمّا فرغ من القراءة قرأ شخصٌ يعرف بآبن المُشَجِّر (والمشجّر بضم الميم وفتح الشين المعجمة والجيم المشدّدة وبعدها راء مهملة) وكان آبن المشجّر رجلاً صالحاً فقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَآسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ آجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٢]. فلمّا آنتهت قراءته تغيَّر وجهُ الحاكم، ثمّ أمر لابن المشجَّر المذكور بمائة دينار، ولم يُطْلِق للآخر شيئاً. ثمّ إنّ بعض أصحاب آبن المشجّر، قال له: أنت تعرف خُلُقَ الحاكم وكثرةَ آستحالاته وما تأمن أن يَحْقِد عليك [وأنّه لا يؤاخذك في هذا الوقت][٣] ثم يؤاخذك بعدها فالمصلحة عندي أن تَغِيب عنه. فتجهَّز آبن المشجّر إلى الحجّ وركب في البحر وغَرِق. فرآه صاحبه في النوم [فسأله عن حاله][٣] فقال: ما قَصَّر الرُّبان معنا، أرسَى بنا على باب الجنّة». اِنتهى كلام آبن خلّكان رحمه الله.

وقال آبن الصابىء[٤]: «كان الحاكم يُوَاصِل الركوبَ[٥] ليلاً ونهاراً، ويتصدّى له الناس على طبقاتهم، فيقف عليهم ويسمع منهم، فمن أراد قضاء حاجته قضاها

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الحج: الآية ٧٣، ٧٤.

(٣) زيادة عن ابن خلكان.

(٤) هو هلال بن المحسِّن بن إبراهيم الصابىء الحرّاني، أبو الحسين أو أبو الحسن. أسلم في أواخر عمره. وولي ديوان الإنشاء ببغداد زمناً. من كتبه: «تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء» وله كتاب التاريخ باسم «ذيل تاريخ ثابت بن سنان» و «غرر البلاغة» و «رسوم دار الخلافة» وغيرها. (الأعلام: ٩٢/٨) وهو من المعاصرين للفترة التي عاش فيها الحاكم، فقد توفي الصابىء سنة ٤٤٨هـ.

(٥) كان يقصد غالباً إلى المقطم، وكان قد أنشأ له هناك منزلاً منفرداً، يخلو فيه إلى نفسه ويهيم في عوالمه وتصوراته، ومرصداً خاصاً يرصد منه النجوم ويستطلعها، وربما قصد إلى بعض الحدائق والمواقع المنعزلة. وكان مثل والده العزيز يؤثر ركوب الحمير ولا سيما الشهباء منها، ويخرج دون موكب ولا زينة، ومعه نفر قليل من الركابية، ويرتدي ثياباً بسيطة ساذجة. (الحاكم بأمر الله لمحمد عبد الله عنان: ١٩٥).

في وقته، ومن منعه سقطت المراجعةُ في أمره. وكان المصريُّون مَوْتُورين منه؛ فكانوا يَدُسُّون إليه الرِّقاع المختومة بالدعاء عليه والسبِّ له ولأسلافه، والوقوع فيه وفي حُرَمه، حتى آنتهى فعلهم إلى أن عَمِلوا تمثال آمرأة من قراطيس بخُفٍّ وإزار، ونصبوها في بعض الطُّرُق وتركوا في يدها رُقْعة كأنها ظُلَامة؛ فتقدّم الحاكم وأخذها من يدها. فلمّا فتحها رأى في أوّلها ما آستعظمه، فقال: انظروا هذه المرأة مَنْ هي؟ فقيل له: إنها معمولة من قراطيس؛ فعلم أنهم قد سَخِروا منه، وكان في الرقعة كلّ قبيح. فعاد من وقته إلى القاهرة، ونزل في قصره وآستدعى القُوّاد والعُرَفاء، وأمرهم بالمَسِير إلى مصر وضَرْبها بالنار ونَهْبِها، وقَتْل مَنْ ظَفِروا به من أهلها[1]؛ فتوجّه إليها

(١) بعض الروايات الأخرى ــ على اتفاقها مع هذه الرواية في وقوع هذه الجريمة الشنعاء ــ ترجعها إلى مناسبة أخرى وإلى تاريخ متأخر عن هذا التاريخ بنحو خمسة أعوام أي أوائل سنة ٤١١هـ. وقد تابع ابن الأثير ابنَ الصابيء في روايته. ويقول بالرواية الثانية كل من: يحيى بن سعيد الأنطاكي في تاريخه المذيل به على كتاب نظم الجوهر المعروف بتاريخ سعيد بن بطريق، ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥، والوزير جمال الدين المصري في أخبار الدول المنقطعة، ويتابعه في ذلك النويري في نهاية الأرب: ٢٦/ ٦٠. وملخص الرواية الثانية أنه في الثاني عشر من صفر سنة ٤١١هـ ركب فريق من أصحاب حمزة بن علي (وكان من أبرز الدعاة لألوهية الحاكم) على خيول وبغال ودخلوا الجامع العتيق عليها ركباناً، وهم يجاهرون بمذهبهم. وأخذوا يلقون على الحضور أصول دعوتهم وفكرتهم في الألوهية، فضج الناس بالتكبير والتهليل والتضرع لله؛ ولما حضر القاضي إلى المسجد، وهو يومئذ أحمد بن محمد بن أبي العوام، قدّم إليه أحد الدعاة رقعة من حمزة أولها «بسم الحاكم لله الرحمن الرحيم» وفيها يأمره بالاعتراف بألوهية الحاكم وإذاعة ذلك في الكافة، فأجاب القاضي محتجاً منكراً، فأغلظ له الدعاة الكلام، فثار الناس ووثبوا بالدعاة ــ وكانوا ثلاثة ــ فقتلوهم في الحال؛ ثم انقضوا على باقي الملاحدة فقتلوهم أشنع قتل، وانطلقوا يتتبعون أصحاب وأتباع حمزة حيث وجدوا يقتلونهم ثم يحرقونهم. ولما وقف الحاكم على هذه الحوادث ثارت نفسه غضباً وأعدم عدداً من قتلة الدعاة؛ فاشتد سخط الكافة، وشاطرهم الجند شعورهم، وأحاط جماعة من الترك بدار أنوشتكين الدرزي فالتجأ إلى القصر (وفي رواية المقريزي أنه قتل أثناء ركوبه في موكب الحاكم ذاته). وقد ثارت نفس الحاكم غضباً على الجند والكافة لأنهم اجترؤوا على مطاردة الدعاة وتمزيقهم بهذه القسوة دون اكتراث لما أولاهم من رعاية ظاهرة، وعوّل على الانتقام لنفسه وللدعاة. بيد أنه لم يكن ليجرؤ على معاقبة الجند خشية الفتنة، فلم يلبث أن أظهر الرضى عنهم. ونمي إليه أن أهل مصر (الفسطاط) هم الذين حرضوا الجند والعامة على مطاردة الدعاة وقتلهم، فعوّل على أن يختص مصر وأهلها بانتقامه وأن ينكل بهم وبمدينتهم شرّ تنكيل، فاستدعى العرفاء والقادة... إلخ. وبعد هذا تتفق الروايات في أكثر تفاصيل جريمة إحراق مصر والتنكيل بأهلها. (انظر الحاكم بأمر الله لمحمد عبد الله عنان: ١٩٧ ــ ٢٠٨).

العَبِيدُ والرومُ والمغاربةُ وجميع العساكر. وعَلِمَ أهلُ مصر بذلك فآجتمعوا وقاتلوا عن نفوسهم، وأوقعوا[١] النار في أطراف البلد؛ فآستمرّت الحرب بين العَبِيد والعامّة والرعيّة ثلاثة أيّام، والحاكم يركب في كلّ يوم إلى القرافة، ويطلُع إلى الجبل ويُشاهد النار ويسمع الصِّياح ويسأل عن ذلك؛ فيقال له: العَبِيد يحرِقون مصر وينهبونها، فيُظهِر التوجُّع، ويقول: لعنهم الله! مَنْ أمرهم بهذا.

فلمّا كان اليوم الرابع[٢] آجتمع الأشراف [والشيوخ][٣] إلى الجوامع ورفعوا المصاحفَ وضَجُّوا بالبكاء وآبتهلوا إلى الله تعالى بالدعاء، فرحمهم الأتراك [والمغاربة][٤] ورَقُّوا لهم وآنحازوا إليهم وقاتلوا معهم، وكان أكثرُهم مُخَالطاً لهم ومُداخِلاً ومصاهِراً، وآنفرد العَبِيد وصار القتال معهم؛ وعَظُمت القصّة وزادت الفتنة، وآستظهرت كُتَامة والأتراك عليهم، وراسلوا الحاكم، وقالوا: «نحن عبيد ومماليك، وهذا البلد بلدك وفيه حُرَمُنا وأموالُنا وأولادُنا وعَقارنا، وما علمنا أنّ أهله جَنَوْا جناية تقتضي سوء المقابلة، وتدعو إلى مثل هذه المعاملة. فإن كان هناك باطن لا نعرفه فأخبرنا به، وآنتظرنا حتّى نخرُج بعيالنا وأموالنا منه. وإن كان ما عليه هؤلاء العبيد مخالفاً لرأيك فأطلقنا في معاملتهم بما يُعامل به المفسدون والمخالفون». فأجابهم بأنه ما أراد ذلك، ولَعن الفاعلَ له والآمر به، وقال: أنتم على الصواب في الذبّ عن المصريّين، وقد أذِنتُ لكم في نُصْرتهم، والإيقاع بمن تعرّض لهم. وأرسل إلى العَبِيد سرّاً يقول: كونوا على أمركم؛ وحَمَل إليهم سلاحاً قوّاهم به. وكان غرضه في هذا أن يَطرحَ بعضَهم على بعض، وينتقمَ من فريق بفريق.

وعَلِمَ القومُ بما يفعل، فراسَلَتْه كُتامة والأتراك: «قد عرفنا غرضك، وهذا هلاك هذه البلدة وأهلها وهلاكنا معهم؛ وما يجوز أن نسلّم نفوسَنا والمسلمين لقتل

(١) الضمير هنا عائد على العبيد والعساكر.
(٢) في المنتظم والذهبي: «فلما كان في اليوم الثالث».
(٣) زيادة عن المنتظم.
(٤) زيادة عن كتاب الحاكم بأمر الله المذكور سابقاً.

الحريم وذهاب المُهَج. ولئن لم تكُفَّهم لنحرِقنّ القاهرة، ونستنفرنّ(١) العربَ وغيرهم؟ فلمّا سمع الرسالة ـ وكانوا قد آستظهروا على العبيد ـ ركِب حماره ووقف بين الصَّفَّين وأومأ للعبيد بالانصراف فآنصرفوا؛ وآستدعى كُتَامة والأتراك ووجوه المصريّين وآعتذر إليهم، وحلف أنه بريء مما فعله العبيد؛ وكذَب في يمينه؛ فقبّلوا الأرض بين يديه وشكروه، وسألوه الأمان لأهل مصر، فكتب لهم، وقُرِىء الأمان على المنابر، وسكنت الفتنة وفتح الناس أسواقهم وراجعوا معايشهم. وآحترق من مصر مقدار ثلثها، ونُهِب نصفُها. وتتبّع المصريّون مَنْ أخذ أزواجهم وبناتِهم وأخواتِهم، وآبتاعوهنّ من العبيد بعد أن فضحوهنّ، وقتَل بعضُهنّ نفوسَهنّ خوفاً من العار. وآستغاث قومٌ من العَلَوِيِّين الأشراف إلى الحاكم، وذكروا أنّ بعض بناتهم في أيدي العبيد على أسوأ حال، وسألوه أن يَستخلصَهُنّ؛ فقال الحاكم: [انظروا](٢) ما يطالبونكم به عنهنّ لأطْلقه لكم؛ فقال له بعضهم: أراك الله في أهلك وولدك مثل ما رَأينا في أهلنا وأولادنا، فقد اطّرحتَ الدِّيانة والمروءة بأن رضيتَ لبنات عمّك بمثل هذه الفضيحة، ولم يلحقك منهنّ آمتعاض(٣) ولا غيرة. فحلُمَ عنه الحاكم وقال له: «أنت أيها الشريف مُحْرَج(٤) ونحن حَقِيقون بآحتمالك، وإلا غضبنا عليك» وزاد الأمر على الناس فيما يَفْجؤهم به حالاً بعد حال من كلّ ما تنخرق به العادات وتفسد الطاعات.

ثم عنّ له أن يدّعي الرُّبوبيّة، وقرّب رجلاً يُعرَف بالأخرم(٥) ساعده على

---

(١) في الأصل: «واستنفرن العرب وغيرهم» ولا يستقيم بها الكلام.
(٢) زيادة من طبعة دار الكتب، عن مرآة الزمان.
(٣) في الأصل: «انتغاص». والتصويب عن طبعة دار الكتب المصرية.
(٤) في الأصل: «تخرج» وهو تحريف. والتصويب عن المرجع السابق.
(٥) الأخرم: هو حسن بن حيدرة الفرغاني، المعروف بالأخرم. ظهر بالقاهرة عقب ظهور حمزة بن علي بن أحمد الزوزني المعروف باللبّاد، ودعا إلى مثل ما دعا إليه حمزة من التناسخ والحلول وألوهية الحاكم. فاستدعاه الحاكم وخلع عليه وقرّبه. بيد أن الأخرم ما لبث أن قتل بعد أيام، وذلك أنه كان يسير في ركبه في القاهرة ذات يوم، فوثب به رجل من متعصبي السنّة وأرداه قتيلاً. فتفرق في الحال صحبه وانهارت دعوته؛ ونهبت دار الأخرم وطورد أنصاره في كل مكان. وغضب الحاكم لذلك، وأمر بإعدام القاتل في الحال. وكفن الأخرم بأكفان من القصر ودفن في حفل رسمي. (الحاكم بأمر الله: =

ذلك؛ وضمَّ إليه طائفة بسطهم للأفعال الخارجة عن الدِّيانة. فلمّا كان في بعض الأيام خرج الأخرم من القاهرة راكباً في خمسين رجلاً من أصحابه، وقصد مصر ودخل الجامع راكباً دابّته، ومعه أصحابه على دوابّهم، وقاضي القضاة ابن [أبي][١] العوّام جالسٌ فيه ينظر في الحكم، فنهبوا الناس وسلبوهم ثيابَهم وسلّموا للقاضي رقعةً فيها فَتْوَى، وقد صُدِّرت بآسم الحاكم الرحمن الرحيم. فلمّا قرأها القاضي رفع صوته منكراً، وآسترجع[٢]، وثار الناسُ بالأخرم وقتلوا أصحابه وهرب هو. وشاع الحديث في دعواه[٣] الرُّبُوبيّةَ، وتقرّب إليه جماعة من الجهّال، فكانوا إذا لَقُوه قالوا: «السلام عليك يا واحد يا أحد يا محيي يا مميت»، وصارت له دُعاة يدعون أوباش الناس، ومن سَخُفَ عقله إلى آعتقاد ذلك، فمال إليه خَلْق [كثير][٤] طمعاً في الدنيا والتقرّب إليه. وكان اليهوديّ والنّصرانيّ إذا لقِيَه يقول: إلـٰهي قد رغِبتُ في شريعتي الأولى، فيقول الحاكم: افعل ما بدا لك، فيرتدّ عن الإسلام. وزاد هذا الأمر بالناس.

وقال الشيخ شمس الدين في تاريخه مرآة الزمان: «رأيت في بعض التواريخ

= ص ١٩٩) ــ وقد أورد الدكتور محمد عبد الله عنان في كتابه عن الحاكم مضمون وثيقة هامة تلقي الضوء على نظرية الأخرم الفرغاني الإلحادية. والوثيقة عبارة عن رسالة كتبها كبير دعاة الحاكم حميد الدين الكرماني أثناء وجوده في القاهرة في أواخر سنة ٤٠٩هـ، تحت عنوان «الرسالة الواعظة» وفيها يردّ على الفرغاني ويفنّد آراءه ويسفّه دعوة الألوهية. ومن هذه الوثيقة الهامة نستفيد، إلى جانب المعرفة بمضمون دعوة الأخرم، أن الدعوة إلى ألوهية الحاكم لم تكن مسيطرة على جهاز الدعوة الفاطمي، بدليل أن كبير الدعاة كان ضدّها علناً. وبالتالي نستطيع القول إن ما سيشهده عهد الظاهر لإعزاز دين الله من عودة إلى الأصول الفاطمية الإسماعيلية المعتدلة، وإلى سياسة التسامح الديني هو أمر طبيعي، بل هو الأمر الطبيعي. وغير الطبيعي هو ذاك الانحراف الذي شهده عهد الحاكم في النصف الأخير منه على يد نفر من الدعاة، برزوا فجأة على مسرح الأحداث ــ وهو أمر يدعو إلى التأمّل ــ وكانوا من أصول غير مصرية وغير عربية.

(١) زيادة عن الولاة والقضاة للكندي وحسن المحاضرة للسيوطي. وقد بقي في القضاء حتى وفاته سنة ٤١٨هـ في أيام الظاهر لإعزاز دين الله.

(٢) استرجع: أي قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

(٣) الضمير عائد على الحاكم بأمر الله.

(٤) زيادة عن عقد الجمان.

بمصر أنّ رجلاً يعرف بالدُّرْزيّ[١] قدِم مصر، وكان من الباطنيّة القائلين بالتناسخ؛ فآجتمع بالحاكم وساعده على آدّعاء الربوبيّة وصنّف له كتاباً ذكَر فيه أنّ رُوح آدم عليه السلام آنتقلت إلى عليّ بن أبي طالب، وأن رُوح عليّ آنتقلت إلى أبي الحاكم، ثمّ آنتقلت إلى الحاكم. فَنفَق عند[٢] الحاكم وقرّبه وفوّض الأمور إليه، وبلغ منه أعلى المراتب، بحيث إنّ الوزراء والقوّاد والعلماء[٣] كانوا يقِفون على بابه ولا ينقضي لهم شغلٌ إلاّ على يده. وكان قصد الحاكم الانقيادَ إلى الدرزيّ المذكور فيطيعونه. فأظهر الدُّرزيّ الكتاب الذي فعله وقرأه بجامع القاهرة؛ فثار الناس عليه وقصدوا قتله، فهرب منهم؛ وأنكر الحاكم أمره خوفاً من الرعيّة، وبعث إليه في السرّ مالاً، وقال: اخرُج إلى الشام وآنشُر الدعوةَ في الجبال، فإنّ أهلها سريعو الانقياد. فخرج[٤] إلى الشام، ونزل بوادي تَيْم الله بن ثعلبة، غربيّ دِمَشْق من أعمال بَانْيَاس، فقرأ الكتاب على أهله، وآستمالهم إلى الحاكم وأعطاهم المال، وقرّر في نفوسهم الدُّرزِيُّ التناسخَ، وأباح لهم شُرْب الخمر والزناء وأَخْذ مال من

---

(١) هو محمد بن إسماعيل الدرزي، ويعرف بأنوشتكين الدرزي. وقد كان الدرزي من تلاميذ حمزة بن علي ودعاته، وكان يسمي نفسه «سند الهادي» أي سند حمزة لأن الهادي هو حمزة. ويشير حمزة في رسائله إلى ما كان بينه وبين الدرزي من علائق وخصومات، وذلك في الرسالة الموسومة بـ «الغاية والنصيحة» ففيها يحمل على الدرزي الذي هو نشتكين ويقول إنه «تغطرس على الكشف بلا علم ولا يقين، وهو الضد الذي سمعتم بأنه يظهر من تحت ثوب الإمام، ويدعي منزلته؛ وكان من جملة المستجيبين حتى تغطرس وتجبّر، وخرج من تحت الثوب، والثوب هو الداعي، والسترة التي أمره بها إمامه حمزة بن علي الهادي إلى توحيد مولانا جلّ ذكره». ثم يقول حمزة إن الدرزي أنكر التعاليم وتمرد، وغرّه ما كان يضربه من زغل الدنانير والدراهم. ويبدو من إشارة حمزة أن الدرزي كان يشتغل بضرب النقود، وربما كان يشغل منصباً في دار الضرب، أو ربما كان يشتغل بتزييفها لحسابه وحساب الدعاة. (انظر الحاكم بأمر الله: ص ٣٢٠).

(٢) في الأصل: «فنفق على الحاكم» وهي غير مستقيمة.

(٣) في الأصل: «والغلمان».

(٤) واقعة نزوح الدرزي إلى الشام ليست محققة من الوجهة التاريخية، فهنالك أكثر من رواية بأنه قتل في مصر، وأن مقتله كان سنة ٤٠٨هـ أثناء الفتنة. وهذه هي رواية الأنطاكي: ٢٢٣، والمكين بن العميد: ٢٦٤. ولرواية الأنطاكي قيمة خاصة لأنه كان قريباً من العصر الذي وقعت فيه الحوادث. (انظر الحاكم بأمر الله: ص ٣٢٠).

خالفهم في عقائدهم وإباحة دمه؛ وأقام عندهم يُبيح [لهم] المحظورات إلى أن آنتهى».

وقال الذهبيّ: «وكان يحبّ العزلة ــ يعني الحاكم ــ ويركب على بهيمة وحدَه في الأسواق، ويقيم الحِسْبَةَ بنفسه؛ وكان خبيثَ الاعتقاد، مضطربَ العقل. يقال: إنّه أراد أن يدّعي الإلـٰهية وشرع في ذلك؛ فكلّمه أعيان دولته وخوّفوه، بخروج الناس كلّهم عليه فآنتهى. [وآتّفق أنّه خرج ليلة في شوّال سنة إحدى عشرة][1] من القصر إلى ظاهر القاهرة، فطاف ليلَته كلَّها، ثم أصبح فتوجَّه إلى شرقيّ حُلْوان ومعه رِكَابيّان[2]، فردّ أحدَهما مع تسعة من العرب السُّوَيْدِيين[3]، ثم أمر الآخر بالانصراف. فذكر أنه فارقه عند قبر الفقاعيّ[4]، فكان آخر العهد به (يعني الحاكم)». انتهى كلام الذهبيّ.

ونذكر أمر موته بأطول من هذا من طرق عديدة.

قال آبن الصابىء وغيره: «إنّ الحاكم لمّا بدت عنه هذه الأمور الشنيعة آستوحش الناسُ منه. وكان له أخت يقال لها سِتُّ الملك، من أعقل النساء وأحزمهنّ، فكانت تنهاه وتقول: يا أخي، احذر أن يكون خراب هذا البيت على يديك. فكان يُسمِعها غليظَ الكلام ويتهدّدها بالقتل. وبعث إليها يقول: رفَع إليّ أصحاب الأخبار أنّكِ تُدخِلين الرجال إليكِ وتمكّنينهم من نفسك، وعمِل على إنفاذ

(١) زيادة عن الذهبي.
(٢) في الأصل: «كاتبان». وما أثبتناه عن ابن خلكان والذهبي.
(٣) وكان هؤلاء الأعراب قد اعترضوا الحاكم في الطريق والتمسوا منه صلة وإحساناً؛ ولم يكن معه مال يحمله فيلقيه إليهم؛ وبناءً على طلبهم وإلحاحهم، أرسل معهم أحد الركابيين إلى صاحب بيت المال ليحقق ملتمسهم. وذكر النويري في نهاية الأرب أنهم كانوا عشرة، وأنهم إنما كانوا من عبيد ابن دواس، أعدهم لتنفيذ جريمة قتل الحاكم، وأنهم سبقوا الحاكم ليلة خروجه إلى الجبل، ثم انقضوا عليه وقتلوه.
(٤) كان واقعاً في طريق الذاهب من القاهرة إلى ناحية البساتين، وقد زال. وموقعه اليوم في الفضاء الواقع غربي جبانة سيدي عقبة قبلي الإمام الشافعي، وعلى بعد ٥٠٠ متر تقريباً من الجهة الغربية لجامع سيدي عقبة. (م. رمزي).

القوابل لاستبرائها[١]، فعلِمت أنّها هالكةٌ معه. وكان بمصر سيفُ الدولة بن دَوّاس[٢] من شيوخ كُتَامة، وكان شدِيدَ الحذر من الحاكم، وممتنعاً من دخول قصره ولقائه إلاّ في المواكِب على ظهر فرسه؛ وآستدعاه الحاكم مرّة إلى قصره فآمتنع. فلمّا كان يومِ المَوْكِب عاتبه الحاكم على تأخّره، فقال له سيف الدولة المذكور: قد خدمتُ أباك، ولي عليكم حقوقٌ كثيرة يجب لمثلها المراعاةُ؛ وقد قام في نفسي أنّك قاتلي، فأنا مجتهد في دفعك بغاية جهدي، وليس لك حاجة إلى حضوري في قصرك. فإن كان باطنُ رأيك في مثل ظاهره فدعني على حالي، فإنّه لا ضرر عليك في تأخّري عن حضور قصرك. وإن كنتَ تريد بـي سوءاً، فلئن تَقتُلني في داري بين أهلي وولدي يكفّنونني ويتولَّوْنني أحبُّ إليّ من أن تقتلني في قصرك وتطرحَني تأكل الكلابُ لحمي؛ فضَحِك الحاكم وأمسك عنه.

وراسلت ستُّ الملك أختُ الحاكم آبنَ دَوّاس هذا مع بعض خدمها وخوّاصها، وهي تقول له: لي إليك أمرٌ لا بدّ لي فيه من الاجتماع بك؛ فإمّا تنكّرتَ وجئتَني ليلاً، أو فعلتُ أنا ذلك. فقال: أنا عبدُكِ والأمرُ لكِ. فتوجّهتْ إليه ليلاً في

(١) في اتهام ست الملك بهذه الفضائح ما يدعو إلى التأمل؛ ذلك أنها كانت يومئذ قد جاوزت عهد الشباب ببعيد، وأشرفت على الثانية والخمسين من عمرها، ولم تذكر الروايات عنها ما يشينها قط، بل نراها تجمع على امتداحها والإشادة بحزمها وعقلها وكياستها. (الحاكم بأمر الله للدكتور عنّان: ص ٨٩، ٢١٤).
ولعل المؤرخ النصراني السرياني ابن العبري ينفرد برواية تؤكد تلك الفضائح الأخلاقية وتشير أيضاً إلى استمرار ست الملك فيها بعد مقتل أخيها، كما يذكر أنها ــ أي ست الملك ــ كانت في تلك الفترة في أول شبابها. قال ابن العبري: «. . . ولما خمد غضب الحاكم أرسل يقول لأخته: إن المصريين يكتبون لي، ويتحاملون عليَّ بسببك مدّعين أنك تدخلين رجالاً إلى بيتك وكذا وكذا. . . ثم عرفت سراً أنه مزمع أن يرسل إحدى القوابل لتشرف على بكارتها، فخافت خوفاً شديداً، وانطلقت تحت الليل إلى بيت شيخ كان يهاب الحاكم مثلها (يريد ابن دوّاس) واستحلفته أن يحفظ السرّ، ثم قالت له: إن أخي ساخط عليَّ وعليك وعلى كل الأهالي رجالاً ونساءً؛ وأنا كما تعلم ما زلت في ميعة الشباب، وما فائدتي ما دمت محرومة لذّتي الطبيعية. فإن أمكنك أن تحتال في إهلاكه فإني أضرب لك عهداً بأن تكون لي زوجاً. . .» إلى أن قال بأنها أهلكت أخاها وجميع من اطلعوا على السرّ «وهكذا نجت من كل خطر، وتولت تدبير المملكة، وأطلقت الحرية لأهوائها دون وجل». (تاريخ الزمان: ٧٩، ٨٠).

(٢) هو الحسين بن دوّاس، زعيم كتامة. وكانت كتامة، من بين القبائل المغربية التي شدّت بأزر الدولة الفاطمية، أقواها وأوفرها بأساً وعصبية. غير أنها فقدت في ظل الحاكم بأمر الله كثيراً مما كانت تتمتع به من النفوذ.

داره متنكرةً؛ ولم تُصْحِب معها أحداً. فلمّا دخلت عليه قام وقبّل الأرض بين يديها دَفَعاتٍ ووقف في الخدمة، فأمرتْه بالجلوس، وأُخلِي المكان. فقالت: يا سيفَ الدولة، قد جئت في أمر أحرسُ به نفسي ونفسَك والمسلمين، ولك فيه الحظُّ الأوفرُ، وأُريد مساعدتك فيه؛ فقال: أنا عبدُك. فآستحلفته وآستوثقت منه، وقالت له: أنت تعلم ما يَقْصِدُه أخي فيك، وأنّه متى تمكّن منك لم يُبْقِ عليك، وكذا أنا، ونحن على خَطَر عظيم. وقد آنضاف [إلى][1] ذلك [تظاهُره][1] بآدّعائه الإلـٰهية وهَتْكُه ناموسَ الشريعة وناموسَ آبائه؛ وقد زاد جنونُه. وأنا خائفة أن يثور المسلمون عليه فيقتلوه ويقتلونا معه، وتنقضي هذه الدولة أقبحَ آنقضاء. فقال سيف الدولة: صدقتِ يا مولاتَنا، فما الرأيُ؟ قالت: قتلُه، ونستريح منه؛ فإذا تمّ لنا ذلك أقمنا ولَده مَوْضِعه وبذَلْنَا الأموال؛ وكنتَ أنت صاحبَ جيشه ومدبِّرَه، وشيخَ الدولة والقائمَ بأمره؛ وأنا آمرأة من وراء حِجَاب، وليس غرضي إلّا السلامة منه، وأني أعيش بينكم آمنةً من الفضيحة. ثم أقطعتْه إقطاعاتٍ كثيرةً، ووعدتْه بالأموال والخِلَع والمراكب. فقال لها عند ذلك: مُرِي بأمرك؛ قالت: أريد عبدَيْن من عبيدك تَثِق بهما في سرّك، وتعتمد عليهما في مهمّاتك، فأحضر عبدَيْن ووصفهما بالشهامة؛ فآستحلفْتهما ووهبتْهما ألفَ دينار، ووقّعت لهما بثياب وإقطاعاتٍ وخَيْل وغير ذلك، وقالت لهما: أريد منكما أن تصْعَدا غداً إلى الجبل، فإنّها نوبة الحاكم في الركوب، وهو ينفرد ولا يبقى معه غير القَرَافِيّ الرِّكَابيّ، وربّما ردّه، ويدخل الشِّعْب وينفرد بنفسه؛ فآخرُجا عليه فآقتلاه وآقتلا القَرَافيّ والصبيّ إن كانا معه؛ وأعطتهما سِكِّينين من عمل المغاربة تسمى [الواحدة منهما][2]: «يافورت» ولهما رأس كرأس المِبْضَع الذي يَفْصد به الحجّام، ورجعت إلى القصر وقد أحكمت الأمر وأتقنته.

وكان الحاكم[3] [ينظر في النجوم فنظر مولدَه وكان] قد حكم عليه بالقطع في هذا الوقت، فإن تجاوزه عاش نيّفاً وثمانين سنة. وكان الحاكم لا يترك الركوب بالليل وطَوْف القاهرة. فلمّا كان تلك الليلة قال لوالدته: عليّ في هذه الليلة وفي غدٍ

(١) زيادة عن عقد الجمان.
(٢) زيادة يقتضيها السياق.
(٣) في الأصل: «وكان للحاكم مولده قد حكم. . .» وما أثبتناه عبارة الذهبي.

قطـع عظيم، والدليل عليه علامة تظهر في السماء طلوع[١] نجم سمّاه، وكأني بكِ وقد آنتُهكتِ وهلكتِ مع أختي، فإنّي ما أخاف عليك أضرَّ منها. فتسلّمي هذا المِفْتاح فهو لهذه الخِزَانة، وفيها صناديقُ تشتمل على ثلاثمائة[٢] ألف دينار، خُذِيها وحوّليها إلى قصرك تكون ذخيرة لك. فقبّلت الأرض وقالت: إذا كنت تتصور هذا فآرحمني وآقْضِ حقّي ودع ركوبك الليلة، وكان يحبّها، فقال: أفعل، ولم يزل يتشاغل حتّى مضى صدْرٌ من الليل، وكان له قوم ينتظرونه كلّ ليلة على باب القصر، فإذا ركِب ركبوا معه ويتبعه أبو عَرُوس صاحب العَسَس. ومن رَسْمِه أن يطوف كلّ ليلة حول القصر في ألف رجل بالطبول الخِفاف والبوقات البحرية. فإذا خرج الحاكم من باب القاهرة قال له: آرجـع وأغلق الأبواب؛ فلا يفتحها حتّى يعود. وضجِر الحاكم من تأخّره عن الركوب في تلك الليلة، ونازعتْه نفسُه إليه؛ فسألته أمّه وقالت: نَمْ ساعةً، فنام ثمّ آنتبه وقد بَقِيَ من الليل ثلثُه، وهو ينفُـخ ويقول: إن لم أركب الليلة وأتفرّج، وإلاّ خرجتْ رُوحي. ثمّ قام فركب حِمارَه، وأختُه تُراعِي ما يكون من أمره، وكان قصرها مقابِلَ قصره، فإذا ركب علمتْ.

ولمّا ركِب سار في درب يقال له درب السباع[٣]، وردّ صاحبَ العَسَس ونَسيماً الخادم صاحب السِّتْر والسيف، وخرج إلى القرافة ومعه القَرَافِيّ الرِّكابيّ والصبـيّ. فحكى أبو عَرُوس صاحبُ العَسَس أنه لما صَعِد الجبلَ وقف على تلّ كبير ونظر إلى النجوم وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! وضرب بيدٍ على يد، وقال: ظهـرتَ يا مَشـؤُوم[٤]! ثمّ سار في الجبل، فعارضه عشرة فوارس من بني قُرّة، وقالوا: قد طال مُقامنا على الباب، وبنا من الفاقة والحاجة ما نسأل معه حسنَ النظر والإحسان؛

---

(١) في الأصل: «وطلـع نجم سمّاه».

(٢) في روايات أخرى: «خمسمائة ألف دينار».

(٣) سمي بذلك لأن دار السباع كانت تقع فيه. وكان موقعه في طريق القرافة الموصل إلى مقبرة الشافعي. قال محمد رمزي: وموقعه اليوم شارع الأشرف الواقـع بين شارعي الخليفة والسيدة نفيسة بقسم الخليفة بالقاهرة.

(٤) في الأصل: «يا ميشوم».

فأمر الحاكمُ القرافيَّ أن يحملهم إلى صاحب بيت المال ويأمرَه أن يُعطِيهم عشرة آلاف درهم؛ فقالوا له: لعلّ مولانا يُنكر تعرّضنا له في هذا المكان فيأمر بنا بمكروه، ونحن نريد الأمان قبل الإحسان، فما وقفنا إلّا من الحاجة؛ فأعطاهم الأمان وردّ القرافيَّ معهم(١)؛ وبقِي هو والصبيّ، فسار إلى الشِّعْب الذي جرت عادته بدخوله، وقد كَمَنَ العبدان الأسودان له، وقد قَرُب الصّباح، فوثبا عليه وطرحاه إلى الأرض، فصاح: وَيْلكما! ما تريدان؟ فقطعا يديه من رأس كَتِفَيه، وشقّا جوفَه وأخرجا ما فيه، ولفّاه في كِساء، وقتلا الصبيّ، وحملا الحاكم إلى آبن دَوَّاس بعد أن عَرْقَبَا الحِمار؛ فحمله آبن دَوَّاس مع العبدين إلى أخته ستّ الملك، فدفنته في مجلسها وكتمتْ أمره، وأطلقت لابن دوّاس والعبدين مالاً كثيراً وثياباً. وأحضرتْ خَطِيرَ(٢) الملك الوزيرَ وعرّفته الحال، وآستكتمته وآستحلفته على الطاعة والوفاء، ورسمت له بمكاتبة وليّ العهد [عبد الرحيم بن الياس]، وكان مقيماً بدمشق نيابةً عن الحاكم، بأن يحضُر إلى الباب، فكتب إليه بذلك. وأنفذتْ عليّ بن داود أحد القوّاد إلى الفَرَما (وهي مدينة على ساحل البحر) فقالت له: إذا دخل وليّ العهد فآقْبِض عليه، وآحمله إلى تِنِّيس، وقيل غير ذلك، كما سيأتي ذكره. ثمّ كتبت إلى عامل تِنّيس عن الحاكم بإنفاذ ما عنده من المال، فأنفذه وهو ألف ألف دينار وألف ألف درهم، خراج ثلاث سنين. وجاء وليّ العهد إلى الفَرَما، فقُبِض عليه وحُمِل إلى تِنِّيس.

وفقد الناسُ الحاكمَ في اليوم الثاني، ومَنع أبو عروس من فتح أبواب القاهرة انتظاراً للحاكم، على حسب ما أمره به. ثمّ خرج الناس في اليوم الثالث إلى الصحراء وقصدوا الجبل فلم يقِفوا له على أثر. وأرسل القوّادُ إلى أخته وسألوها عنه؛ فقالت: ذكَر لي أنّه يغيب سبعة أيام، وما هنا إلّا الخير، فانصرفوا على سُكُون وطُمَأْنينة. ولم تزل أخته في هذه الأيّام ترتّب الأمور وتفرّق الأموال وتستحلف

(١) راجع ص ١٨٧، حاشية (٣).

(٢) هو رئيس الرؤساء، خطير الملك، أبو الحسين عمار بن محمد. كان يتولى ديوان الإنشاء وديوان المشارقة والأتراك أيام الحاكم. وتولى بيعة الإمام الظاهر لإعزاز دين الله. (انظر الإشارة إلى من نال الوزارة: ص ٣٣).

الجُنْدَ؛ ثمّ بعثت إلى آبن دَوَّاس المذكور وأمرتْه أن يستحلف الناس لابن الحاكم، كُتَامةَ وغيرَها، ففعل ذلك.

فلمّا كان في اليوم السابع أَلْبَستْ أبا الحسن عليّ بن الحاكم أفخرَ الملابس وآستدعت آبنَ دَوّاس وقالت له: المُعَوَّل في قيام هذه الدولة عليك، وتدبيرها موكل إليك، وهذا الصبيّ ولدك، فآبذُل في خدمته وُسْعَك؛ فقبّل الأرض ووعدها بالطاعة. ووضعت التاج على رأس الصبيّ، وهو تاجٌ عظيم فيه من الجواهر ما لا يوجد في خِزانة خليفة، وهو تاج المعزّ جدّ أبيه، وأركبته مركباً من مراكب الخليفة، وخرج بين يديه الوزيرُ وأرباب الدولة. فلمّا صار إلى باب القصر صاحَ خَطِير الملك الوزير: يا عبِيدَ الدولة، مولاتنا السيدة تقول لكم هذا مولاكم فسلّموا عليه؛ فقبّلوا الأرض بأجمعهم، وآرتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل، ولقّبوه الظاهر لإعزاز دين الله، وأقبل الناس أفواجاً فبايعوه، وأطلق المال وفرِح الناس وأُقيم العَزَاءُ على الحاكم ثلاثة أيّام.

وقال القُضَاعيّ في قتله وجهاً آخر، قال: «خرج الحاكم إلى الجبل المعروف بالمقطم ليلةَ الاثنين السابع والعشرين من شوّال هذه السنة (يعني سنة إحدى عشرة وأربعمائة) فطاف ليلته كلَّها، وأصبح عند قبر الفُقّاعِيّ، ثمّ توجه شرقيّ حُلْوان: موضع بالمقطم، ومعه رِكَابيّان؛ فردّ أحدهما مع تسعة نَفَر من العرب، كانت لهم رسوم، ويقال لهم السُّوَيْدِيُّون، إلى بيت المال وأمر لهم بجائزة، ثمّ عاد الرِّكَابيّ الآخر؛ وذكر أنّه فارقه عند قبر الفُقّاعيّ والقصبة[1]، وأصبح الناس على رسمهم، فخرجوا ومعهم المَوْكِب والقضاةُ والأشراف والقوّاد فأقاموا عند الجبل إلى آخر النهار، ثمّ رجعوا إلى القاهرة ثمّ عادوا؛ ففعلوا ذلك ثلاثة أيام. فلمّا كان يوم الخميس سَلْخَ شوّال خرج مُظَفَّر صاحب المِظَلّةِ ونسيمٌ صاحب السِّتْر و[آبن][2] مِسكين صاحب الرُّمح وجماعةٌ من الأولياء الكُتَامِيّين والأتراك والقضاة

(١) في الأصل: «المقصبة». وما أثبتناه عن بدائع الزهور. والمقصود بالقصبة وسط القرافة.
(٢) زيادة عن عقد الجمان. وفي ابن خلكان: «ابن تشتكين».

والعُدول وأرْباب الدولة، فبلغوا دَيْرَ القَصِير(١) (المكان المعروف بحلوان)، وأمعنوا في الجبل؛ فبينما هم كذلك بَصُروا بالحِمار الذي كان راكبه على قَرْن الجبل قد ضُرِبت يداه بسيف فقُطِعتا، وعليه سَرْجه ولجامُه، فتتبّعوا الأثر فإذا أثر راجل خَلْفَ أثر الحمار، وأثر راجل قُدّامه فقصُّوا [الأثر](٢) حتَّى أَتَوْا إلى البركة التي شرقيّ حلوان؛ فنزلها بعضُ الرجالة فوجد فيها ثيابه، وهي سبع جِبَابٍ مزَرَّرة لم تحلّ أزرارها، وفيها أثَرُ السكاكين فتيقنوا قتله. وكان عمره ستاً وثلاثين سنة وسبعة أشهر، وولايته على مصر خمساً وعشرين سنة وشهراً واحداً.

قال ابن خلكان بعد ما ذكر قِتْلَتَه بنحو ما ذكرناه هنا: «مع أنّ جماعة من الغالين في حبّهم، السَّخِيفي العقول، يظنّون حياته، وأنه لا بدّ أن يظهر، ويحلفون بغَيبة الحاكم، وتلك خيالات هذيانية». انتهى.

قال القُضاعيّ بعد ما ساق سبب قتله بنحو ما ذكرناه إلى أن قال: «ثمّ أمرت ستُّ الملك بخِلَع عظيمة ومالٍ كثير ومراكبِ ذهبٍ وفِضة للأعيان، وأمرت ابن دَوّاس أن يُشاهدها في الخِزانة، وقالت له: غداً نخلع عليك، فقبّل ابن دَوّاس الأرض وفرِح. وأصبح من الغد، فجلس عند الستر ينتظر الإذن حتّى يأمر وينهى؛ وكان للحاكم مائة عبد يختصّون بركابه، ويحملون السيوف بين يديه، ويقتلُون من يأمرهم بقتله، فبعثت بهم ستُّ المُلْك إلى ابن دَوّاس ليكونوا في خدمته، فجاؤوا في هذا اليوم ووقفوا بين يديه، فقالت ستُّ الملك لنَسِيم صاحب السُّتْر(١): اخرج قِف

(١) هذا الدير في أعلى الجبل على سطح في قلته، وهو مطل على الصحراء والنيل وعلى القرية المعروفة بشهران. ويقال له أيضاً: دير بخنس القصير، ودير هرقل، ودير البغل. (خطط المقريزي: ٢/٥٠٢، ٥٠٩) وقرية شهران هي التي تعرف اليوم باسم المعصرة، بين طرا وحلوان. (م. رمزي).

(٢) زيادة عن عقد الجمان.

(٣) لا يوجد تعريف واضح لصاحب السّتر في كتب النظم والرسوم التي بين أيدينا. ولعلّ أوضح إشارة عن صاحب هذه الوظيفة في العصر الفاطمي وردت عند ناصر خسرو في كتابه سفرنامة: ص١٠٧، قال: «قلت لأحد كتاب السلطان: لقد رأيت مجالس ملوك وسلاطين العجم مثل السلطان محمد الغزنوي وابنه السلطان مسعود.. وأريد أن أرى مجالس أمير المؤمنين (يعني الخليفة الفاطمي) فنقل رغبتي إلى الموكل بالستار، المسمى صاحب الستر، وقد تفضل هذا فسمح لي بالذهاب في آخر رمضان سنة ٤٤٠هـ، وكان المجلس قد أعدّ لليوم الثاني من أيام العيد، حيث يحضر السلطان بعد الصلاة فيجلس في صدر =

بين يَدي آبن دوَّاس، وقل للعبيد: يا عبيدُ، مولاتنا تقول لكم هذا قاتل مولانا الحاكم فآقتلوه، فخرج نسيم فقال لهم ذلك فمالوا على آبن دَوّاس بالسيوف فقطّعوه، وقتلوا العَبْدين اللذين قتلا الحاكم؛ وكلّ من آطلع على سرّها قتلته، فقامت لها الهيبة في قلوب الناس». إنتهى كلام القُضاعي.

وقال آبن الصابىء: لما قَتَلت ستُّ الملك آبنَ دوّاس قتلت الوزير الخطيرَ ومن كانت تخاف منه ممّن عرف بأمرها(١).

= المائدة». انتهى. ومضمون إشارة ناصر خسرو، في سياقها، يتفق مع تعريف وظيفة «صاحب المجلس» في الدولة الفاطمية. قال القلقشندي في ذلك: «هو الذي يتولى أمر المجلس الذي يجلس فيه الخليفة الجلوس العام في المواكب، ويخرج إلى الوزير والأمراء بعد جلوس الخليفة على سرير الملك يعلمهم بذلك؛ وينعت أيضاً بأمين الملك». الصبح: ٤٨١/٣.

ويرى البعض أن صاحب السِّتر هو «صاحب الباب» (الدكتور يحيى خشاب، سفرنامة: ١٠٧، حاشية) ووظيفة صاحب الباب، كما عرّفها ابن الطوير، هي ثاني رتبة الوزارة، ويقال لها الوزارة الصغرى. ويأتي صاحبها في المرتبة الثانية بعد الوزير صاحب السيف (صبح الأعشى: ٤٧٩/٣). وإن كنا نرجح التعريف الأول، وهو أن صاحب السِّتر هو صاحب المجلس، فإننا ندعو إلى التأمّل في المذهب الثاني على ضوء ما أورده المسبّحي ــ وهو من معاصري الحاكم ومن المؤرخين الثقات العلماء الوزراء ــ قال في أخبار سنة ٤١٥هـ، في سياق خبر عن اجتماع الخليفة بنفر من شيوخ وأعيان الكتاميين جاؤوا يجددون للخليفة الطاعة ويشكون إليه بؤس أحوالهم، وفي نفس الوقت يقللون من شأن حسّان بن جراح، الأمر الذي لم يكن ليروق للخليفة، كما ظهر من نسيم صاحب السِّتر الذي تدخّل قائلاً: «حسبكم يا شيوخ حسبكم. فأمسكوا. ولم يكن لهم من مولانا صلوات الله عليه جواب». وما أردنا لفت النظر إليه هنا هو أن تدخّل نسيم (صاحب السِّتر) بالشكل المشار إليه يدلّ على علوّ مكانته في ذلك المجلس، وأنه ليس مجرّد موظف تشريفات إجرائية، وإنما له من المكانة بحيث يستطيع أن يشارك في النقاش في حضرة الخليفة، الأمر الذي يدعم وجهة النظر القائلة بأن صاحب الستر هو صاحب الباب. (انظر أخبار مصر للمسبحي: ص ٥٤).

(١) بشأن مقتل الحاكم بأمر الله، أورد المؤلف الروايات التي تتفق على اتهام ستّ الملك في تدبير الجريمة وقيادتها حتى النهاية. غير أنه أغفل روايتين معاصرتين متفقتين على تبرئة ست الملك من تبعة هذه الجريمة، وهما روايتا المسبّحي والأنطاكي. (توفي المسبحي سنة ٤٢٠هـ، ويحيى الأنطاكي سنة ٤٥٨هـ، والقضاعي سنة ٤٥٤هـ، والصابىء سنة ٤٤٨هـ). ورواية المسبحي تقول بأنه في سنة ٤١٥هـ قبض على رجل من بني حسين ثار بالصعيد الأعلى فأقر بأنه قتل الحاكم، فقيل له: لم قتلته؟ فقال: غيرة لله وللإسلام، ثم قتل نفسه. قال المسبحي: وهذا هو الصحيح في خبر قتل الحاكم، لا ما تحكيه المشارقة في كتبهم من أن أخته قتلته. (راجع الخطط: ٢٨٩/٢، وأخبار مصر للمسبحي: ٢٧). أما الأنطاكي فإنه يحصر التهمة في ابن دوّاس. (تاريخ الأنطاكي: ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٨). =

وأمّا ما خلّفه الحاكم من المال فشيء كثير. قيل: إنّه ورد عليه أيّامَ خلافته رسولُ ملك الرّوم، فأمر الحاكم بزينة القصر. قالت السِّيدة رشيدة عمّة الحاكم: فأخرج أعدالاً مكتوباً على بعضها: الحادي والثلاثون والثلاثمائة، وكان في الأعدال الديباجُ المغرّز بالذهب، فأخرج ذلك وفَرَش الإيوان وعلّق في حيطانه حتّى صار الإيوان يتلألأ بالذّهب، وعلّق في صدره العَسْجَدَة، وهي دَرَقَةٌ من ذهب مكلّلة بفاخر الجوهر يضيء لها ما حولها، إذا وقعت عليها الشمسُ لا تُطيق العيونُ النظرَ إليها. وأيضاً ممّا يدلّ على كثرة ماله ما خلّفته ابنته ستّ مصر بعد موتها، فخلّفت شيئاً كثيراً يطول الشرح في ذكره، من ذلك ثمانية آلاف جارية ــ قاله المقريزي[1] وغيره ــ ونيّف وثمانون زيراً صينيّاً مملوءة جميعاً مِسْكاً؛ ووُجِد لها جوهرٌ نفيس، من جملته قطعة ياقوت زنتها عشرة مثاقيل. وكان إقطاعها في السنة خمسين ألف دينار، وكانت مع ذلك كريمةً سَمْحَةً، والشيء بالشيء يُذكر.

وماتت في أيّام الحاكم عمّته السيدة رشيدة بنت المعزّ؛ فخلّفتْ ما قيمته ألف وسبعمائة ألف دينار؛ ومن جملة ما وجِد لها في خزائن كسوتها ثلاثون ألفَ ثوب خَزّ، واثنا عشر ألفاً من الثياب المُصَمتة[2] ألواناً، ومائة قَطْرَمِيز[3] مملوءة كافوراً، وكانت مع ذلك ديّنة تأكل من غزلها لا من مال السلطان. وماتت أختها عَبْدة بنت المعزّ بعدها بثلاثة أيام، وكانتا قد وُلِدتا برَقّادَة من عمل القَيْروان. وتركت أيضاً عَبْدة المذكورة ما لا يُحصَى، من ذلك: أنّه خُتِم على موجودها بأربعين رِطْل شمع مصريّة؛ ومن جملة[4] ما وُجِد لها ألف وثلاثمائة [قطعة][5] مينا فضة، زنة كلّ مينا

= أما الروايات الكنسية المعاصرة لمقتل الحاكم فإنها تميل إلى الأخذ برواية اختفائه ولا تشير إلى مقتله أو إلى أية مؤامرة. وبعضها يذهب إلى أنه تنصّر وترهّب واختفى في أحد الأديرة. (انظر الحاكم بأمر الله لمحمد عبد الله عنان: ٢٢٩ ــ ٢٣٤، وتاريخ الزمان لابن العبري: ص ٨١).

(١) انظر خطط المقريزي: ١/٤١٤.

(٢) الثوب المصمت: الذي لونه لون واحد، لا يخالطه لون آخر. (لسان العرب).

(٣) القطرميز: قلّة كبيرة من الزجاج، معرّب.

(٤) في الأصل: «ومن جملة مالها وجد لها».

(٥) زيادة عن المقريزي.

عشرة آلاف درهم، وأربعمائة سيف مُحلّى بذهب، وثلاثون ألف شِقّة صِقِلّية، ومن الجوهر[1] إردبّ زمرّد؛ وكانت لا تأكل عمرها إلّا الثريد. وقد خرجنا عن المقصود ونعود إلى ما يتعلق بالحاكم وأسبابه.

وأمّا وليّ العهد الذي كان بدمشق وكَتبتْ [ست الملك] بحضوره فآسمه الياس، وقيل: عبد الرحيم، وقيل: عبد الرحمن بن أحمد؛ وكنيته أبو القاسم ويلقّب بالمهديّ؛ وولّاه الحاكم العهد سنة أربع وأربعمائة[2]. وقد قدّمنا من ذكره أنه كان وصل إلى تِنّيس، وقبض عليه صاحبُ تِنِّيس، وبعث به إلى ستّ الملك، فحبستْه في دار وأقامت له الإقامات، ووكلت بخدمته خواصّ خدمها، وواصلته بالملاطفات والافتقادات فلمّا مَرِضت ويئست من نفسها أحضرت الظاهر لإعزاز دين الله (أعني آبن أخيها الحاكم) وقالت له: قد علمتَ ما عاملتك به، وأقلّه حراسة نفسك من أبيك، فإنّه لو تمكّن منك لقتلك، وما تركت لك أحداً تخافه إلّا وليّ العهد؛ فبكى بين يديها هو ووالدته؛ وسلّمت إليهما مفاتيح الخزائن، وأوصتهما بما أرادت. وقالت لمعضاد الخادم: امض إلى وليّ العهد وتفقّدْ خدمته، فإذا دخلت عليه فآنكبّ كأنّك تسائله بعد أن تُوافق الخدمَ على ضربه بالسكاكين؛ فمضى إليه معضاد فقتله ودفنه وعاد فأخبرها، فأقامت بعد ذلك ثلاثة أيام وماتت. وتولّى أمر الدولة معضاد الخادم المذكور ورجل آخر عَلَوِيّ من أهل قَزْوِين وآخرون.

وذكر القُضَاعيّ في قصّة وليّ العهد شيئاً غير ذلك، قال: إن ستّ الملك لمّا

---

(١) عبارة المقريزي: «ومن الجوهر ما لا يحدّ كثرة، وزمرد كيلة إردب».

(٢) وهو ابن عم الحاكم. وقد جمع الناس على اختلافهم بالقصر، وقرىء عليهم سجلّ التعيين، ومما جاء فيه بأن عبد الرحيم بن الياس قد جعله الحاكم بأمر الله «ولي عهد المسلمين في حياته، والخليفة بعد وفاته» ونخلع عليه، وأمر الناس بالسلام عليه، وأن يقولوا في سلامهم: «السلام على ابن عم أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين». وقرىء السجلّ على منابر الجوامع وبالإسكندرية، وبعث الحاكم بذلك سجلاً إلى أفريقية قرىء بجامع القيروان وغيره، فعظم ذلك على نصير الدولة أبي مناد باديس، وانتقد هذا التصرف بالرغم من امتثاله له. ثم كتب الحاكم اسمه مع اسم ولي عهده في البنود والسكة والطراز، وكان في أحيان كثيرة ينفرد بالنظر في شؤون الدولة، والحاكم مشغول بطوافه. (الحاكم بأمر الله لمحمد عبد الله عنان: ص ١٨٤، ١٨٥). وانظر تاريخ الأنطاكي: ص ٢٣٥.

كتبتْ إلى دِمشق بحمل وليّ العهد إلى مصر لم يلتفت إلى ذلك؛ واستولى على دمشق، ورخّص للناس ما كان الحاكم حَظَره عليهم من شرب الخمر، وسماع الملاهي، فأحبّه أهلُ دمشق. وكان بخيلاً ظالماً. فشرع في جمع المال ومصادرة الناس، فأبغضه الجند وأهل البلد. فكتبت أخت الحاكم إلى الجند فتتبّعوه حتّى مسكوه وبعثوا به مقيّداً إلى مصر، فحُبِس في القصر مكرماً، فأقام مدّة. وحُمِل إليه يوماً بِطِّيخ ومعه سِكّين فأدخلها في سُرّته حتى غابت. وبلغ آبن عمّه الظاهر بن الحاكم فبعث إليه القضاة والشهود؛ فلمّا دخلوا عليه آعترف أنّه الذي فعل ذلك بنفسه. وحضر الطبيب فوجد طرف السكين ظاهراً، فقال لهم: لم تُصادف مقتلاً. فلمّا سمع وليّ العهد ذلك وضع يده عليها، فغيّبها في جوفه فمات.

وقال آبن الصابىء: «وكان على حلب عند هلاك الحاكم عزيزُ الدولة فاتك الوَحيديّ، وقد آستفحل أمره وعظُم شأنه وحدّث نفسَه بالعِصْيان؛ فلاطفته ستُّ الملك وراسلته وآنسته، وبعثت إليه بالخِلع والخيل بمراكب الذهب وغيرها، ولم تزل تُعمل عليه [الحِيَل][1] حتّى أفسدت غلاماً له يقال له بدر، وكان مالِكَ أمرِه، وغلمانه تحت يده، وبذلت له العطاء الجزيل، [على الفتك به، ووعدته أن تُولّيه مكانه][1]. وكان لفاتك غلام هنديّ يهواه، فآستغواه بدرٌ المذكور وقال: قد عرفت من مولاكَ مَلاَلَك، وتغيّر نيّته فيك، وعزم على قتلك، ودافعته عنك دَفَعات، وأنا أخاف عليك. ثم تركه بدر أياماً، ووهب له دنانيرَ وثياباً؛ ثم أظهر له المحبّة وقال: إن علم بنا الأمير قتلَنا؛ فقال الهنديّ: فما أفعل؟ فاستحلفه بدر واستوثق منه، وقال: إن قبِلتَ ما أقول أعطيتك مالاً وأغنيتك وعشنا جميعاً في أطيب عيش. قال: فما تريد؟ قال: تقتله ونستريح منه؛ فأجابه وقال: الليلة يشرب وأنا أسْقِيه وأميل عليه، فإذا سَكِر فأقتله. وجلس فاتك المذكور على الشُّرْب، فلمّا قام إلى مَرْقَده حمل الهنديُّ سيفه، وكان ماضياً، ثمّ دخل في اللِّحاف وبدر على باب المجلس واقف. فلمّا ثَقُل فاتكُ في نومه غمز بدرٌ الهنديَّ فضربه بالسيف فقطع رأسه؛ فصاح بدرٌ وآستدعى الغِلمانَ وأمرهم بقتل الهنديّ فقتلوه. وآستولى بدرٌ على القلعة

(١) زيادة عن عقد الجمان.

وما فيها؛ وكتب إلى أخت الحاكم بما جرى؛ فأظهرت الوَجْدَ على فاتك في الظاهر، وشكرت بدراً في الباطن على ما كان منه من حفظ الخزائن، وبعثت إليه بالخِلَع، ووهبت له جميع ما خلّفه مولاه، وقلّدته موضِعَه.

ونظرت ستُّ الملك في أمور الدولة بعد قتل الحاكم أربع سنين، أعادت المُلك فيها إلى غَضَارته، وعمّرت الخزائن بالأموال، وآصطنعت الرجال. ثم آعتلّت علّة لَحِقَها فيها ذَرَبٌ فماتت منه. وكانت عارفةً مدبِّرةً غزيرةَ العقل». وقد خرجنا عن المقصود على سبيل الاستطراد.

وكانت وفاة الحاكم ليلة الثلاثاء لليلتين بَقِيَتا من شوّال سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وكان فيه كسوف الشمس. وكانت مدّة عمره ستاً وثلاثين سنة وسبعة أشهر، وقيل: سبعاً وثلاثين سنةٍ. وكانت ولايته على مصر خمساً وعشرين سنة وشهراً واحداً، قاله القُضَاعيُّ. وتولّى المُلْكَ من بعده آبنه الظاهر لإعزاز دين الله عليّ بن الحاكم، وقام بتدبير مملكته عمتهُ ستُّ الملك المقدّم ذكرها إلى أن ماتت، حسب ما ذكرناه.

انتهت ترجمة الحاكم. ونذكر أيضاً من أحواله نبذةً كبيرة في الحوادث المتعلّقة بأيّامه مرتبةً على السنين، فيها عجَائبُ وغرائب. وأمّا ما يُنْسَب إليه من الشعر ــ وقيل: هو للآمر العُبَيْديّ الآتي ذكره ــ فهو قوله: [الطويل]

دَعِ اللَّوْمَ عنِّي لستَ مِنِّي بمَوْثِقٍ ... فلا بُدّ لي من صَدْمةِ المُتِحَنِّقِ
وأسقِي جيادِي من فُراتٍ ودِجْلةٍ ... وأجمع شَمْلَ الدِّين بعد التفرّقِ

* * *

السنة الأولى من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة:

فيها آستولى الحاكم صاحب الترجمة خليفةُ مصر على السواحل والشامات.

وفيها حجّ بالناس أبو عبد الله العَلَوِيّ.

وفيها تُوفّي الحسن[١] بن عبد الله بن سعيد، أبو أحمد العسكريّ العلّامة الرّاوية، صاحب التصانيف الحِسّان في اللغة والأدب والأمثال.

وفيها تُوفّي الحسن بن مَرْوان أبو عليّ الكُرْدِيّ الأمير صاحب ميّافارِقِين. قد ذكرنا مبدأ[٢] أمره وكيف تغلّب على ديار بكر وملك حصونها. مات قتيلاً على باب آمِد.

وفيها تُوفّي صَنْدَل الخادم مولى بهاء الدولة وصاحب خيله (أعني أمير آخوره)[٣] وقام الأمير أبو المِسْك عنبر مقامه.

وفيها تُوفّي السلطان فخر الدولة أبو الحسن عليّ آبن السلطان ركن الدولة الحسن بن بُوَيْه بن فَنّاخُسْرُو الديلميّ؛ مات بالرَّيّ، وكان آبن أخيه بهاء الدولة بواسط، فجلس للعَزَاء وجلس آبنه أبو منصور ببغداد. وقيل: إنّ فخر الدولة سُمّ وسُمّ ولداه من بعده فمات الكلّ في هذه السنة؛ فملك أبو الحسين[٤] قابوس بن وَشِمْكِير من بعده طَبَرِسْتان وجُرْجان؛ فإنّهما كانا في مملكته، وأخذهما منه مؤيّد الدولة أخو فخر الدولة هذا المقدّم ذكره. وكان فخر الدولة شجاعاً، لقّبه الخليفة الطائع بـ«ملك الأمّة» أو بـ«فلك الأمّة»[٥]. وكانت وفاته في عاشر شعبان، وله ستّ وأربعون سنة وخمسة أيّام. وكانت مدّة ملكه ثلاث عشرة سنة وعشرة أشهر وسبعة وعشرين يوماً. وخلّف مالاً كثيراً.

---

(١) هو خال أبي هلال العسكري. وهما متفقان في اسميهما الأولين «الحسن بن عبد الله». وذكر وفاته في هذه السنة يوافق ما جاء في ابن الأثير. وفي ابن خلكان والأعلام (عن خزانة الأدب، وسير النبلاء، والفهرس التمهيدي وإنباه الرواة) أن وفاته سنة ٢٨٢هـ.

(٢) وهو ابن أخت باد الكردي. راجع ص ١٥٠، الحاشية (٢). وانظر ترجمته وأخباره في تاريخ الفارقي: ١٩ ــ ٢٢.

(٣) أمير آخور: وظيفة يتحدث متوليها على إسطبل السلطان أو الأمير، ويتولى أمر ما فيه من الخيل والدواب. وهو مركب من لفظين: «أمير»، والثاني «آخور» ومعناه المعلف. فيكون معنى اللفظ: أمير المعلف. (صبح الأعشى: ٥/٤٦١).

(٤) في ابن خلكان: «أبو الحسن».

(٥) هذا هو الصحيح. وقد أطلق على فخر الدولة في سكة باسم الملك الرحيم. (الألقاب الإسلامية: ص ٤٢٢).

وقال آبنُ الصابىء بعدما عدّد ما خلّفه من المتاع وغيره، قال: «وخلّف ألفي ألف وثمانمائة ألف وخمسة وسبعين ألفاً ومائتين وأربعة وثمانين ديناراً، ومن الوَرِق والنُّقْرة[1] والفضّة مائة ألف ألف وثمانمائة ألف وستين ألفاً وسبعمائة وتسعين درهماً، ومن الجواهر واليواقيت الحمر والصُّفر والحُليّ واللؤلؤ والبَلَخْش[2] والماس وغيره أربعة عشر ألفاً وخمسمائة وعشرين قطعة، قيمتها ثلاثة آلاف ألف دينار، ومن أواني الذهب ما وزنه[3] ثلاثة آلاف ألف دينار، ومن البلّور والصيني ونحوه ثلاثة آلاف، ومن السلاح والثِّياب والفرش ثلاثة آلاف حمل». وقيل: إنّه خلّف من الخيل والبغال والجمال ثلاثين ألف رأس، ومن الغلمان والمماليك خمسة آلاف، ومن السَّرَاري خمسمائة؛ ومن الخيام عشرة آلاف خيمة. وكان شحيحاً. كانت مفاتيح خزائنه في الكِيس الحديد مسمّراً بالمسامير لا يفارقه. وملك بعده آبنه أبو طالب رُسْتَم وعمره أربع سنين.

وفيها تُوفّي محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عَنْبَس، أبو الحسين البغداديّ الواعظ، ويُعرف بآبن سَمْعُون[4]، وكان يسمّى الناطق بالحكمة. قال أبو عبد الرحمن السُّلَمِيّ: هو من مشايخ بغداد، له لسان عالٍ في العلوم، لا ينتمي إلى أستاذ، وهو لسان الوقت المرجوع إليه في آداب[5] المعاملات.

وفيها تُوفّي نوح بن منصور بن نوح أبو القاسم السّامانيّ. كان هو وآباؤه من ملوك ما وراء النهر وسَمَرْقَنْد. ووَلِي نوح هذا وله ثلاث عشرة سنة، وتعصّب له عضد الدولة بن بويه، وأخذ له من الخليفة الطائع العهدَ على خُراسان والخِلَع؛ فأقام على خُراسان إحدى وعشرين سنة، ومات في شهر رجب.

---

(١) كذا في طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان. وفي الأصل: «النقد». والنقرة: هي الدراهم التي كانت تغلب فيها نسبة الفضة على النحاس. (صبح الأعشى: ٣/٤٣٠).

(٢) البَلَخْش: أو البدخش، وهو نوع من الياقوت ينسب إلى جهات بدخشان في أقصى شرق أفغانستان. (السلوك للمقريزي: ١/٥٠، حاشية).

(٣) لعل الصواب: «ما قيمته».

(٤) في الأصل: «ابن شمعون» بالشين المعجمة. والتصحيح عن ابن خلكان وشذرات الذهب.

(٥) في الأصل: «أدوات المعاملات». والتصحيح من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

وفيها تُوفّي صَمْصَام الدولة المَرْزُبان، وكنيته أبو كاليجار بن عضد الدولة بن بُوَيْه بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلميّ. وَلِي المملكة بعد موت أبيه عضد الدولة، فلم ينجح أمره، وغلب عليه أخوه شرف الدولة وقهره وحبسه وأخذ بغداد منه وأكحله. فدام في الحبس إلى أن مات أخوه شرف الدولة، ونزل من الحبس وهو أعمى. وآنضمّ إليه أناس، وسار إلى فارس وملك شيراز. ووقع له أمور مع أولاد أخيه وحروب. وأقام بشيراز إلى أن قُتِل بها في هذه السنة؛ وقيل: في السنة الآتية، وهو الأصحّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وإصبع واحدة. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وسبع أصابع.

* * *

السنة الثانية من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائة:

فيها تُوفّي محمد[1] بن أحمد بن إبراهيم أبو الفرج المقرىء الشَّنَّبوذيّ؛ مولدُه في سنة ثلاثمائة. كان يقول: أحفظ خمسين ألف بيت من الشعر من شواهد القرآن. ومات ببغداد، وبها كان مولده.

وفيها تُوفّي أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خَطّاب، الإمام أبو سليمان الخَطّابيّ البُسْتِيّ، الفقيه الأديب، مصنّف كتاب «معالم السنن» وكتاب «غريب الحديث» وكتاب «شرح أسماء الله الحسنى» وكتاب «الغنية[2] عن الكلام وأهله» وكتاب «العزلة» وغير ذلك.

وفيها تُوفّي محمد بن عبد الله بن محمد بن زكرياء، الحافظ أبو بكر الشَّيْبانيّ الجَوْزَقِيّ المُعَدَّل، شيخ نيسابور ومحدّثها وآبن أخت محدّثها أبي إسحاق

(١) في الأصل: «أحمد بن محمد» وما أثبتناه عن المنتظم وعقد الجمان وتاريخ بغداد.

(٢) في الأصل: «الغيبة» والتصحيح عن تذكرة الحفاظ.

إبراهيم بن محمد ـ وجَوْزَق: من قرى نيسابور ـ كان حافظاً إماماً، صنّف «المسند الصحيح» على كتاب مسلم، ومات في شوّال عن آثنتين وثمانين سنة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وآثنتا عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وسبع أصابع.

* * *

السنة الثالثة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة تسع وثمانين وثلاثمائة:

فيها حجّ بالناس محمد بن محمد بن عمر من العراق؛ وكان في الحجّ الشريفان: الرضيّ والمرتضى؛ فآعترض ركب الحاجّ أبو الجرّاح الطائيّ، فأعطيَاه تسعة آلاف دينار من أموالهما حتى أطلق الحاجّ.

وفيها آستولى الأمير أبو القاسم محمود بن سُبُكْتِكِين على أعمال خُراسان بعد أن هزم الأمير عبد الملك[1] بن نوح السّامانيّ، وأزال السامانيّة منها؛ وأقام الدعوة للخليفة القادر بعد أن كانت للطائع الذي خُلِع.

وفيها تُوفّي زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى، أبو عليّ السَّرَخْسِيّ الفقيه الشافعيّ المقرىء المحدّث. سمِع الكثير وروى عنه غير واحد. ومات في شهر ربيع الآخر وله ستّ وتسعون سنة.

وفيها تُوفّي عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن، الفقيه أبو محمد القَيْرَوَانيّ شيخ المالكيّة بالمغرب. جمع مذهب الإمام مالك رضي الله عنه وشرح أقواله. وكان واسعَ العلم كثير الحفظ ذا صلاح وعِفّة ووَرَع. قال القاضي عِيَاض بن موسى بن عِيَاض: حاز رِيَاسة الدِّين والدنيا، ورُحِل إليه من الأمصار.

أمر النيل في هذه السنة:

(١) في الأصل: «عبد الله» وما أثبتناه عن ابن الأثير وعقد الجمان.

الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الرابعة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة تسعين وثلاثمائة:

فيها ظهر بسِجِسْتان مَعْدِن الذهب، فكانوا يُصَفُّون من التراب الذهب الأحمر.

وفيها وَلّى الحاكم صاحب مصر على نيابة الشام فَحْلَ بن تميم، فَمرِض ومات بعد أشهر؛ فولّى الحاكم عوضه على دمشق عليّ بن جعفر بن فَلاح.

وفيها حجّ بالناس من العراق أبو الحارث العَلَويّ.

وفيها تُوفّي الحسين بن محمد بن خلف، أبو عبد الله الفرّاء[1]، والد القاضي أبي يَعْلَى. كان إماماً فقيهاً على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة، وسمِع الحديث وتفقّه وبَرَع. ومات في شعبان ببغداد.

وفيها تُوفي المُعَافَى بن زكريّاء بن يحيى بن حميد بن حمّاد بن داود، أبو الفرج النَّهْرَوَانِيّ، ويعرف بآبن طَرارَى[2]. وُلد سنة ثلاث وثلاثمائة، وقيل: سنة خمس وثلاثمائة. وكان إماماً في النحو واللغة وأصناف الآداب، وكان يتفقّه على مذهب محمد بن جرير الطبريّ. وصنّف كتاب «الجليس والأنيس». قال المُعَافَى المذكور: حججت فكنت بمِنًى فسمِعت منادياً ينادي: يا أبا الفرج؛ فقلت: لعلّه غيري. ثم نادى يا أبا الفرج المعافى؛ فهمَمت أن أجيبه. ثم إنه رجع فنادى: يا أبا الفرج المعافى بن زكريّاء النّهروانيّ؛ فقلت عند ذلك: ها أنا: فما تريد؟ قال: لعلكٍ من نَهْرَوان الشرق؟ قلت نعم، قال: نحن نريد نهروان الغرب. قال: فعجبت من هذا الاتفاق. قلت: وهذا من الغرائب كونه طابق اسمَه وآسم أبيه والكنية

---

(١) في الأصل: «القراء» وما أثبتناه عن المنتظم وشذرات الذهب.

(٢) هكذا ضبطه ابن خلكان بالعبارة. وفي الأصل: «ابن طران». وفي ابن الأثير: «ابن طرار».

والشهرةَ ويكون هذا من نهروان الشرق، وذاك من نهروان الغرب[١]. وكانت وفاته في ذي الحجّة وله خمس وثمانون سنة.

وفيها توفّي ناجية بن محمد بن سليمان، أبو الحسن الكاتب البغداديّ؛ نادم الخلفاء والأكابر، وكان شجاعاً شاعراً فصيحاً. ومن شعره قوله: [الطويل]

ولمّا رأيتُ الصبح قد سَلّ سيفَه ... وولّى آنهزاماً ليلُه وكواكبُه
ولاح آحمرارٌ قلتُ قد ذُبح الدجَى ... وهذا دمٌ قد ضمَّخ الأفْق ساكبُه

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وأربع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وإصبعان.

* * *

السنة الخامسة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة:

فيها جلس الخليفة القادر بأُبّهة الخلافة، ودخل عليه الحُجّاج بعد عودهم من الحج والقضاةُ والأشراف؛ فأعلمهم أنه قد جعل الأمر في ولده أبي الفضل، ولقّبه الغالب بأمر الله، وعمره ثماني سنين وأربعة أشهر وأيام.

وفيها حجّ من العراق بالناس أبو الحارس محمد بن محمد بن عمر العلويّ.

وفيها تُوفّي جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الفُرات، الوزير المحدّث أبو الفضل المعروف بابن حِنْزَابة[٢]. كان أبوه قد وزَر للمقتدر سنة خُلِع. وسافر هو إلى مصر، وتقلّد الوزارة لكافور الإخشيذيّ، وسمع الحديث بمصر ورواه، ومات بمصر.

---

(١) أكثر معاجم البلدان أشارت إلى موضعين بهذا الاسم، استناداً إلى هذه الرواية. ولم يحدد أي منها مكان نهروان الغرب.

(٢) الحنزابة: المرأة القصيرة الغليظة، وهي أم أبيه الفضل بن جعفر. (ابن خلكان).

وفيها تُوفّي المقلَّد بن المسيّب بن رافع، حُسام الدولة، أبو حسّان العُقَيْليّ صاحب الموصل. كان أخوه أبو الذّوّاد(١) أوّل من تغلّب على الموصل وملَكها في سنة ثمانين وثلاثمائة؛ وملَك حُسام الدولة هذا الموصل بعده؛ وكان حسَن التدبير، واتسعت مملكته. وأرسل إليه الخليفة القادر اللّواء والخِلَع. وكان له شعر، وفيه رفض فاحش. قتله غلام له تركيّ في صفر. قلت: لا شلّت يداه!. يقال: إنّه قتله لأنّه سمعه يُوصِي رجلاً من الحاجّ أن يسلّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول له: لولا صاحباك لزرتُك. وذكر الذهبيّ هذه الحكاية بإسناد إلى جماعة إلى أن قال عن الرجل الذي قال له المقلّد هذا بالسلام إنّه قال: فأتيت المدينة ولم أقل ذلك إجلالاً؛ فنمت فرأيت النبيّ صلى الله عليه وسلم في منامي، فقال: يا فلان لِمَ لم تُؤد الرسالة؟ فقلت: يا رسول الله أجللتُك؛ فرفع رأسه إلى رجل قائم فقال له: خذ هذا الموس وآذبحه به (يعني المقلّد). ثم رجعنا فوافينا العراق، فسمعت أنّ الأمير المقلّد ذُبح على فراشه ووُجِد الموسى عند رأسه؛ فذكرت للناس الرؤيا فشاعت؛ فأحضرني آبنُه (يعني آبن المقلد) الذي ولي بعده، واسمه قِرْوَاش، فحدّثته؛ فقال: أتعرف الموسى؟ فقلت نعم؛ فأحضر طبقاً مملوءاً مَوَاسِي فأخرجته منها؛ فقال: صدقتَ، هذا وجدته عند رأسه وهو مذبوح. قلت: هذا ما جُوزِي به في الدنيا، وأمّا في الأُخرى فجهنّم وبئس المصير، هو وكلّ من يعتقد مُعتَقَده إن شاء الله تعالى.

وفيها تُوفّي جيش بن محمد بن صَمْصامة، أبو الفتوح، القائد المغربيّ ابن أخت أبي محمود الكُتَامي(٢) أمير أمراء جيوش المغرب ومصر والشام، وتولّى نيابة دمشق غير مرّة(٣)، وكان ظالماً سفّاكاً للدماء. ظلم الناس فآجتمع الصلحاء والزّهاد ودعوا عليه، فسلّط الله عليه الجُذَام حتّى رأى في نفسه العِبَر، ولم ينته حتّى أخذه الله.

---

(١) راجع ص ١٢١، حاشية (٢) من هذا الجزء.

(٢) في الأصل: «الكافي» والتصحيح عن شذرات الذهب وابن الأثير. وفي الأعلام عن دول الإسلام للذهبي: الكتّاني. وفيه أنه أبو الفتح وليس أبا الفتوح.

(٣) وليها ثلاث مرات في أيام الفاطميين. (المرجع السابق).

وفيها تُوفّي الحسين بن أحمد بن الحَجّاج، أبو عبد الله الشاعر؛ كان من أولاد العمّال والكتّاب ببغداد، وتولّى حِسْبة بغداد لعز[1] الدولة بَخْتِيار بن بُوَيْه، فتشاغل بالشعر والسُّخف والخلاعة عمّا هو بصدده. قلت: وآبن الحَجّاج هذا يُضرب به المثل في السخف والمداعبة والأهاجي. وغالب شعره في الفُحْش والأهاجي والهَزْل؛ من ذلك قوله: [المجتث]

المستعان بربّي من كسّ ستّي وزبّي
قد كلّفاني نَيْكاً قد كان يقصِف صُلْبي

وقال آبن خلكان: الشاعر المشهور ذو المُجون والخلاعة في شعره. كان فرد زمانه في فنّه، فإنه لم يسبق إلى تلك الطريقة مع عذوبة ألفاظه وسلامة شعره من التكلف؛ ومدح الملوك والأمراء والوزراء. وديوانه كبير أكثر ما يوجد في عشرة مجلدات. والغالب عليه الهَزْل، وله في الجدّ أيضاً. ويقال: إنّه في الشعر [في][2] درجة آمرىء القيس وأنه لم يكن بينهما مثلهما، لأنّ كلّ واحد منهما مخترع طريقة. ولمّا مات رثاه الشريف الرضي. انتهى كلام آبن خلّكان باختصار.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وإصبعان. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة السادسة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة آثنتين وتسعين وثلاثمائة:

فيها في المحرّم غزا السلطان محمود بن سُبُكْتِكين الهند؛ فآلتقاه صاحبها

(١) في الأصل: «لمعز الدولة» وهو خطأ.
(٢) الزيادة عن ابن خلكان.

الملك جيبال[١] ومعه ثلاثمائة فيل؛ فنصر الله آبن سبكتكين وقتل من الكفّار خمسة آلاف ومن الفيلة خمسة عشر فيلاً.

وفيها ولّى الحاكم على دمشق أبا منصور ختكين[٢] القائد، فظلَم وأساء السِّيرة.

وفيها تُوفّي عثمان بن جِنّي، العلاّمة أبو الفتح النحويّ اللغويّ الموصليّ صاحب المصنّفات، منها «اللمع» و«[الكافي في][٣] شرح القوافي» و«المذكر والمؤنث» و«سرّ الصناعة» و«الخصائص» و«شرح المتنبّي» وغير ذلك. وكان أبوه جِنّي مملوكاً روميّاً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزديّ الموصليّ. وسكن آبن جِنّي المذكور بغداد ودرّس بها وأقرأ حتّى مات في صفر.

وفيها تُوفّي عليّ بن عبد العزيز، أبو الحسن الجُرْجاني قاضي الرَّي. سمع الحديث الكثير وترقّى في العلوم حتّى بَرعَ في الفقه والشعر والنحو وغير ذلك من العلوم.

وفيها تُوفّي محمد بن محمد بن جعفر، أبو بكر القاضي الشافعيّ، ويُعرف بآبن الدّقّاق، صاحب الأصول؛ كان معدوداً من الفضلاء، مات ببغداد.

وفيها تُوفّي الوليد بن بكر بن مَخْلَد[٤] بن أبي زياد، أبو العباس الأندلسيّ؛

---

(١) في الأصل: «حسان» وهو تحريف. والتصحيح عن ابن الأثير والذهبي وعقد الجمان والبداية والنهاية. وقد استطاع محمود بن سبكتكين أن يأسر جيبال في هذه المعركة، ثم أطلقه على مال يؤديه. وكان من عادة الهنود أن من وقع منهم أسيراً في أيدي المسلمين لا تنعقد له رياسة بعدها. ولذلك حلق جيبال رأسه، ثم ألقى نفسه في النار فاحترق، وترك مملكته لابنه أنندبال. وكان من أثر ما أحرزه ابن سبكتكين من نصر في هذه الغزوة أن أطلق عليه لقب: الغازي. (انظر تاريخ الإسلام السياسي لحسن إبراهيم حسن: ٣/ ٩٠).

(٢) كان ختكين من دعاة الحاكم بأمر الله. وكان يلقب بالضيف. ولما ذهب إلى دمشق، حاول أن ينتقص من أرزاق الجند، فثاروا به وقتلوه، ونهبوا دور الحكومة والكنائس. (انظر الحاكم بأمر الله للدكتور عنان: ص ١٨٢).

(٣) زيادة عن ابن خلكان وكشف الظنون.

(٤) في الأصل: «ابن محمد» والتصويب عن تذكرة الحفاظ وتاريخ بغداد ونفح الطيب. وفيه «ابن زياد» مكان «ابن أبي زياد». ورواية أبي المحاسن توافق رواية الصلة لابن بشكوال، كما جاء في حاشية ص ٣٨٠ ج ٢ من نفح الطيب.

رحل في طلب العلم إلى مصر والشام والعراق والحجاز وخُراسان وما وراء النهر، وسمع الكثير. وكان إماماً عالماً بالفقه والنحو والحديث والأدب والشعر. ومن شعره قوله: [المتقارب]

لأيّ بلائك لا تَدَّكِرْ ... وماذا يضُرُّك لو تعتبِرْ
فبان الشّباب وحلّ المشيب ... وحان الرحيل فما تنتظر

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ست أذرع وسبع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع.

* * *

السنة السابعة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة:

فيها منع عميد[1] الجيوش يوم عاشوراء من النَّوْح وتعليق المُسوح ببغداد وغيرها، ثم منع أهل السُّنة ممّا كانوا آبتدعوه أيضاً في مقابلة الرافضة من التوجّه إلى قبر مُصْعَب بن الزُّبير وغيره، وسكنت الفتنة لذلك.

وفي [شهر] ربيع الآخر منها أمر نائبُ دمشق من قِبَل الحاكم صاحِب مصر تمصولت[2] الأسود الحاكميّ [بمغربي][3] فضُرِب وطِيف به على حِمار، ونودي عليه: هذا جزاء من يُحبّ أبا بكر وعمر؛ ثم أمر به فضُربت عنقه. رحمه الله تعالى.

---

(١) هو عميد الجيوش، أبو علي بن أستاذ هرمز، كما في ابن الأثير. بعثه بهاء الدولة إلى العراق لهذه الغاية.

(٢) كذا في تاريخ دمشق والذهبي. وفي الأصل «بصواب». وهو تحريف. وفي بعض الروايات: «تموصلت». وهو تمصولت (أو تموصلت) بن بكار، أبو محمد. زعيم أسود من موالي باديس بن زيري أمير إفريقية. وفد على القاهرة سنة ٣٩٠هـ فراراً من نقمة مولاه، وكان معه أولاده وعددهم ستون، وعدد كبير من المال والمتاع، فاستقبله الحاكم وخلع عليه، وتقبل هديته وهي مائة ألف دينار وأشياء نفيسة أخرى. وكان بلاط القاهرة في ذلك الوقت يرتاب في نيات باديس ويعضد الخارجين عليه. (الحاكم بأمر الله: ص ١٠٢).

(٣) زيادة عن الذهبي وابن الأثير وشذرات الذهب وتاريخ دمشق.

وفيها نازل السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين سِجِسْتان وأخذها من صاحبها خلف بن أحمد بالأمان.

وفيها لم يحج أحد من العراق خوفاً من الأُصَيْفِر الأعرابيّ.

وفيها زُلزِل الشام والعواصم والثغور، فمات تحت الهدم خلائق كثيرة.

وفيها تُوفّي إسماعيل بن حمّاد أبو نصر الجوهريّ، مصنّف كتاب «الصِّحاح» في اللغة. كان أصله من فاراب أحد بلاد الترك، وكان يُضرب المثل به في حفظ اللغة وحسن الكتابة؛ وخطّه يذكر مع خط آبن مُقْلة ومهلهِل واليزيديّ. وكان يُؤثِر الغربة على الوطن؛ دخل بلاد ربيعة ومضر في طلب العلم واللغة. وفي كتابه الصحاح يقول إسماعيل بن محمد النيسابوريّ: [المنسرح]

هذا كتاب الصِّحاح سيِّد ما[1] صُنِّف قبل الصحاح في الأدبِ
يشمل أنواعَه ويجمع ما فُرِّق في غيره من الكتبِ

مات الجوهريّ متردِّيًا من سطح داره[2] بنيسابور.

وفيها تُوفّي أمير المؤمنين الطائع لله أبو بكر عبد الكريم آبن الخليفة المطيع لله الفضل ابن الخليفة المقتدر بالله جعفر ابن الخليفة المعتضد بالله أحمد الهاشميّ العباسيّ البغداديّ. وأمّه أمّ ولد[3]. وَلِيَ الخلافة بعد أن خلع والدُه المطيع نفسه لمرض تمادَى به في ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة؛ فدام في الخلافة إلى أن خُلِع بعد القبض عليه في شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وبويع القادر بالله بالخلافة. وآستمرّ الطائع محبوساً في دار عند القادر مكرّماً إلى أن مات في هذه السنة في ليلة عيد الفطر؛ وصلّى عليه القادر وكبّر عليه خمساً. ومات الطائع وله ثلاث[4] وسبعون سنة.

---

(١) في الأصل: «سيدها». والتصحيح عن معجم الأدباء ويتيمة الدهر.

(٢) وذكر ياقوت في معجم الأدباء أنه صعد يوماً إلى سطح جامع نيسابور، وضمّ إلى جنبيه مصراعي باب وتأبطهما بحبل، ثم ألقى بنفسه يريد الطيران، فوقع ومات.

(٣) اسمها هزار. وقيل: عتب. (تاريخ الخلفاء).

(٤) كذا أيضاً في تاريخ الخلفاء للسيوطي. وفي البداية والنهاية: «وله ست وسبعون سنة».

وفيها تُوفّي محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا، الحافظ أبو طاهر البغداديّ الذهبيّ المُخَلِّص محدّث العراق. قال الخطيب أبو بكر: كان ثِقة. مولده في شوّال سنة خمس وثلاثمائة، وسمِع الكثير وروى عنه غير واحد.

وفيها تُوفّي إبراهيم بن أحمد [بن محمد، أبو إسحاق][١] الطبريّ المقرىء، شيخ الشهود ومقدّمهم[٢] ببغداد والبصرة والكوفة ومكة والمدينة. قرأ القرآن وسمع الكثير، وكان مالكيّ المذهب، وحجّ فأمّ بالناس بالمسجد الحرام أيّام الموسم، وما تقدّم فيه إمام ليس بقرشيّ سواه. وقرأ عليه الرضيّ الموسويّ القرآن. وسكن بغداد وحدّث بها إلى أن تُوفّي بها رحمه الله.

وفيها تُوفّي محمد بن عبد الله[٣] [بن محمد بن محمد][٤] بن حُلَيْس[٥] السَّلَامِيّ الشاعر المشهور؛ كان فصيحاً بليغاً. ومن شعره وهو في المكتب[٦] وهو أوّل قوله: [المنسرح]

بدائع الحسن فيه مُفْتَرِقه وأعين الناس فيه مُتَّفِقَه
سِهام ألحاظه مُفَوَّقَةٌ فكلّ من رام لحظَه رَشَقَه

قال الثعالبيّ في حقّه: هو من أشعر أهل العراق قولاً بالإطلاق، وشهادة بالاستحقاق. ثم قال بعدما أثنى عليه: وقال الشعر وهو آبن عشر[٧] سنين.

وفيها تُوفّيت ميمونة بنت ساقولة[٨] الواعظة البغدادية. كان لها لسان حُلْو في

(١) زيادة عن المنتظم والبداية والنهاية وعقد الجمان.
(٢) عبارة ابن كثير في البداية والنهاية: «شيخ القراءات ومقدم المعدّلين».
(٣) كذا أيضاً في المنتظم ويتيمة الدهر والبداية والنهاية وابن خلكان. وفي تاريخ بغداد وعقد الجمان: «عبيد الله».
(٤) زيادة عن ابن خلكان وعقد الجمان وتاريخ بغداد.
(٥) في ابن خلكان: «خليس» بالخاء المعجمة. والسلامي: نسبة إلى دار السلام، وهي بغداد.
(٦) وكان ابن عشر سنين، كما في ابن خلكان. والمراد بالمكتب هنا: الكتّاب، حيث يتعلم الأولاد.
(٧) في الأصل: «ابن عشرين سنة» وما أثبتناه عن يتيمة الدهر وابن خلكان.
(٨) في البداية والنهاية: «شاقولة» بالشين المعجمة.

الوعظ. قالت: هذا قميصي له اليوم سبع وأربعون سنة أَلْبَسُه وما تخرّق، غزلْتُه لي أمّي؛ الثوب إذا لم يُعْصَ اللّهُ فيه لا يتخرق.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثامنة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة أربع وتسعين وثلاثمائة:

فيها قلّد بهاءُ الدولة الشريفَ أبا أحمد الحسين بن موسى الموسويّ قضاء القضاة والحجّ والمظالم ونقابة الطالبيين، ولقّبه [الطاهر][1] الأوحد ذا المناقب؛ فلم ينظر في القضاء لامتناع الخليفة القادر بالله من الإذن له في ذلك.

وفيها حجّ بالناس من العراق أبو الحارث محمد العَلَويّ؛ فآعترض الركبَ الأُصَيْفُر الشّيعيّ الأعرابيّ، وعول على نهبهم؛ فقالوا: من يكلّمه ويقرّر له ما يأخذه من الحاجّ؟ فقدّموا أبا الحسين بن الرّفّاء[2] وأبا عبد الله بن الدَّجَاجيّ، وكانا من أحسن الناس قراءة؛ فدخلا عليه وقرآ بين يديه؛ فقال لهما: كيف عيشكما ببغداد؟ قالا: نعم العيش، تصلنا الخِلَع والصِّلات. فقال: هل وهبوا لكما ألف ألف دينار في مرّة واحدة؟ قالا: لا، ولا ألف دينار؛ فقال: قد وهبتُ لكما الحاجّ وأموالهم؛ فدعَوْا له وآنصرفوا وفرِح الناس. ولمّا قرآ بعرفات قال أهل مصر والشام: ما سمعنا عنكم تبذيراً[3] مثل هذا، يكون عندكم شخصان مثل هذين فتصحبونهما معكم معاً، فإن هلَكا فبأيّ شيء تتجمّلون بعد ذلك!. ومن حسن قراءتهما وطيب صوتهما

(١) زيادة عن ابن الأثير والمنتظم والذهبي.

(٢) في الأصل هنا وما سيأتي في حوادث سنة ٤٠٠هـ: «أبو الحسن بن الوفاء». وما أثبتناه عن المنتظم وابن الأثير والذهبي.

(٣) في الأصل: «بتدبير». والتصحيح عن المنتظم.

أخذهما أبو الحسن بن بُوَيْه مع أبي عبد الله بن البُهْلُول[١]، فكانوا يُصلّون به بالنوبة التراويح، وهم أحداث السنّ.

وفيها تُوفّي الحسن بن محمد بن إسماعيل، أبو عليّ الإسكافيّ الملقّب بالموفّق. كان بهاء الدولة قد فوّض إليه أموره وقام بتدبير ملكه. وكان شجاعاً مقداماً، لا يتوجّه في أمر إلاّ ويُنْصَر. وآرتفع أمره حتّى قال رجل لبهاء الدولة: «يا مولانا، زيّنك الله في عين الموفّق». ولا زال الناس به حتّى قبَض عليه بهاء الدولة وخنقه.

وفيها تُوفّي خلف بن القاسم بن سهل، الحافظ أبو القاسم الأندلسيّ؛ كان يُعرف بآبن الدبّاغ؛ مولده سنة خمس وعشرين وثلاثمائة؛ كان حافظاً مُكثراً جمع[٢] مسنَد الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، وحديثَ شُعبة بن الحجّاج، وأسامي[٣] المعروفين بالكُنَى من الصحابة والتابعين وسائر المحدّثين، وكان أعلم الناس برجال الحديث والتواريخ والتفسير.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً.

* * *

السنة التاسعة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة.

فيها حجّ بالعراقيّين أبو جعفر [بن][٤] شُعَيْب، ولَحِقهم عطش كبير في طريقهم فهلك خلق كثير.

(١) في الأصل: «ابن البهلوان». وما أثبتناه عن الذهبي والمنتظم.

(٢) عبارة نفح الطيب: «حدّث حديث مالك وشعبة وأشياء في الزهد». وفيه أنه توفي سنة ٣٩٣هـ.

(٣) في الأصل: «وأشياء من المعروفين... إلخ» وما أثبتناه من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

(٤) الزيادة عن المنتظم وعقد الجمان والذهبي.

وفيها قتل الحاكم صاحب مصر جماعة بمصر من أعيانها صبراً[١].

وفيها كانت وقعة بين بهاء الدولة[٢] بن بُوَيْه وبين عميد الجيوش، انكسَر فيها عميد الجيوش وآنهزم أقبح هزيمة.

وفيها خرج أبو ركوة[٣] على الحاكم، وتعاظم أمره حتّى عزم الحاكم على الخروج إلى الشام، وبرز إلى بلبيس بالعساكر والأموال، فأشير عليه بالعود إلى مصر فعاد وجهّز إليه جيشاً فواقعوه غير مرّة حتّى هزموه، حسب ما ذكرناه في أصل ترجمة الحاكم من هذا المحلّ، ونذكره أيضاً في السنة الآتية.

وفيها تُوفّي أحمد بن محمد البِشْرِيّ الصوفيّ المحدّث؛ رحل في طلب الحديث وجاور بمكة مدّة وصار شيخ الحرم، ثمّ عاد إلى مصر فتُوفّي بالطريق بين مصر ومكّة؛ وكان صالحاً ثقة.

وفيها تُوفّي أحمد بن فارس بن زكريّاء بن محمد بن حبيب، أبو الحسين الرازيّ، وقيل: القَزْوِينيّ المعروف بالرازيّ المالكيّ اللغويّ، نزيل همذان، وصاحب «المُجْمَل» في اللغة. سمع الحديث وروى عنه جماعة، وولد بقَزوين ونشأ بهمذان. وكان أكثر مقامه بالرَّيّ؛ وكان كاملاً في الأدب فقيهاً مالكياً مناظراً في الكلام وينصر أهل السُّنة، وطريقته في النحو طريقة الكوفيين. وله مصنّفات بديعة. ومن شعره قوله: [السريع]

مرّت بنا هيفاء مجدولةٌ تركيّة تُنْمَى لتركيٍّ
ترنو بطَرْف فاترٍ فاترٍ أضعف من حُجّة نحويّ

وفيها تُوفّى أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر الزاهد، أبو الحسين بن أبي نصر النَّيسابوريّ الخَفّاف. قال الحاكم[٤]: كان مُجابَ الدعوة، وسماعاته

(١) انظر في ذلك: خطط المقريزي واتعاظ الحنفا.

(٢) كذا بالأصل. وفي ابن الأثير وعقد الجمان أن تلك الوقعة كانت بين أبي العباس بن واصل وبين عميد الجيوش أمير العراق من جهة بهاء الدولة.

(٣) سيأتي تفصيل أخباره والتعليق عليها في أخبار السنة الحادية عشرة من ولاية الحاكم.

(٤) سيذكره في وفيات سنة ٤٠٥هـ.

صحيحة بخطّ أبيه من أبـي العباس السرّاج[١] وأقرانه، وبقي واحدَ عصره في علوّ الإسناد؛ ومات في شهر ربيـع الأوّل. قال الحاكم: وصلّيت عليه وله ثلاث وتسعون سنة.

وفيها تُوفّي محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيـى بن مَنْدَهْ[٢] ـ وآسم منده: إبراهيم بن الوليد بن سِيدَه ـ[٢] الحافظ الكبير أبو عبد الله العَبْديّ[٣] الأصبهانيّ المعروف بابن منده؛ رحل وطوّف الدنيا، وجمـع وصنّف وكتب ما لا ينحصر. وحدّث عن أبيه وعمّ أبيه عبد الرحمن بن يحيـى وخلقٍ كثير، وروى عنه جماعة. قال أبو نُعَيم[٤] ـ وهو معاصره ـ: ابن منده حافظ من أولاد المحدّثين، تُوفّي في سلـخ ذي القعدة، وآختلط في آخر عمره.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبـع أذرع وخمس عشرة إصبعاً. مبلـغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وثلاث أصابـع.

* * *

السنة العاشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة ستّ وتسعين وثلاثمائة:

فيها حـجّ بالناس من العراق محمد بن محمد بن عمـر العلويّ، وخطب بالحرمين للحاكم صاحب مصر على العادة، وأمر الناس بالحرمين بالقيام عند ذكر الحاكم، وفُعِل مثلُ ذلك بمصر وغيرها؛ فكان إذا ذُكِرَ قاموا وسجدوا في السوق وفي مواضـع الاجتماع.

---

(١) مرّ ذكره في وفيات سنة ٣١٣هـ.

(٢) «مَنْدَهْ» و«سِيدَهْ» بهاء ساكنة في الأخير، كما ضبطهما ابن خلكان بالعبارة. (وفيات: ٣٣١/٣ و٢٨٩/٤).

(٣) العبدي: نسبة إلى عبد ياليل. ونسبته إلى أخوال جده محمد بن يحيـى المذكور. ذلك أن أم الحافظ أبـي عبد الله محمد بن يحيـى، واسمها برَّة بنت محمد، كانت من بني عبد ياليل. (وفيات: ٢٨٩/٤).

(٤) سيذكره المؤلف ضمن وفيات سنة ٤٣٠هـ.

وفيها جلس الخليفة القادر بالله العباسيّ لأبي المنيع قِرْوَاش(١) بن أبي حَسّان ولقّبه بمعتمد الدولة؛ وتفرّد قِرْوَاش المذكور بالإمارة وحدَه.

وفيها تُوفّي إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو سعد الجُرْجانيّ؛ كان عالماً بفنون علم الحديث والفقه والعربية، ودخل بغداد وعقد مجلس المناظرة، وحضره أبو الطيب الطَّبَرِيّ وأبو حامد الأسفراييني.

وفيها تُوفّي عبد الوهاب بن الحسن بن الوليد بن موسى الكِلَابِيّ، المحدِّث أبو الحسين الدمشقيّ؛ يعرف بأخي تنوك؛ سمِع الكثير وروى عنه الناس. قال عبد العزيز الكَتَّاني(٢): كان ثِقةً نبيلاً مأموناً. وكانت وفاته في شهر ربيع الأول، ومات وهو مُسنِد وقته.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي الحافظ أبو عمر أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن البَاجِيّ(٣) في المحرّم، وأبو الحسن أحمد بن محمد بن عمران بن الجنديّ ــ وهو ضعيف، وأبو سعد إسماعيل بن أبي بكر الإسماعيليّ شيخ الشافعية، وأبو الحسين عبد الوهاب بن الحسن الكِلَابيّ في [شهر] ربيع الأول ــ وله تسعون سنة، والقاضي أبو الحسن علي بن محمد بن إسحاق الحلبيّ بمصر، وأبو بكر محمد بن [الحسن بن](٤) الفضل بن المأمون، وأبو بكر محمد بن علي بن النضْر(٥) الدِّيباجيّ، وأبو بكر محمد بن عمر [بن علي بن خلف](٦) بن زُنْبُور الورّاق.

(١) هو قرواش بن المقلد بن المسيَّب العقيلي، من هوازن. ولي الموصل والكوفة والمدائن وسقي الفرات بعد مقتل أبيه سنة ٣٩١هـ. ودامت إمارته خمسين سنة. ووقع خصام بينه وبين أخيه بركة بن المقلد، فقبض عليه بركة سنة ٤٤١هـ وحبسه في إحدى قلاع الموصل. وتوفي سنة ٤٤٤هـ. (فوات الوفيات: ١٩٨/٣، وابن الأثير: ٢٨٣/٨، ٣٠٨).

(٢) في الأصل هنا وما سيأتي في حوادث سنة ٤٦٧: «الكناني». وما أثبتناه عن تذكرة الحفاظ وتاج العروس.

(٣) في الأصل: «ابن الناجي» بالنون. والتصحيح عن تذكرة الحفاظ وشذرات الذهب.

(٤) زيادة عن المنتظم وعقد الجمان والشذرات.

(٥) كذا في تاريخ بغداد. وفي الأصل: «ابن النصر» بالصاد المهملة.

(٦) زيادة عن شذرات الذهب.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وست عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الحادية عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة سبع وتسعين وثلاثمائة:

فيها دخل بهاء الدولة البصرة وملكها وآستولى على ذخائر آبن واصل[1].

وفيها آستفحل أمر أبي رَكْوة الذي خرج على الحاكم، وذكرنا أمره في الماضية، ودعا لعمّه هشام الأمويّ. وأبو ركوة[2] المذكور آسمه الوليد، وهو من ذرّية هشام بن عبد الملك بن مروان؛ وعظُم أمره وآنضم عليه الخلائق وآستولى على بَرْقة وغيرها، وكسر عسكر الحاكم، وضرب السِّكَّة، وصَعِد المِنْبَر وخطب خطبة بليغة، ولعن الحاكم وآباءه، وصلّى بالناس وعاد إلى دار الإمارة، وقد آستولى على جميع ما كان فيها. وعرف الحاكمُ بما جرى فآنزعج وكفّ عن القتل وآنقطع عن الركوب الذي كان يواصله؛ ثم جهّز الحاكم إلى حرب أبي ركوة قائداً من الأتراك

---

(١) هو الأمير أبو العباس أحمد بن واصل. ملك سيراف بالبصرة، وقصد الأهواز فانهزم أمامه بهاء الدولة في السنة الماضية، ثم أخذ البطائح. وقد قتل في هذه السنة. (انظر تفاصيل ذلك في ابن الأثير: حوادث سنة ٣٩٦ و٣٩٧هـ، وشذرات الذهب: ٣/١٤٩).

(٢) لقب بأبي ركوة لأنه كان يحمل دائماً ركوة ماء لوضوئه على طريقة الصوفية. وتعتبر ثورته من أهم حوادث العصر، فقد كاد هذا الداعية القوي أن يزعزع أسس الدولة الفاطمية وأن يقضي على ملك الحاكم وأسرته. وتقول الرواية في سبب مقدمه إلى المشرق، أنه حينما حجر المنصور بن أبي عامر، المتغلب على حكومة قرطبة، على الخليفة هشام المؤيد بالله الأموي ولد الحكم المستنصر بالله، وتتبّع زعماء بني أمية وفروعهم للتخلص منهم، فرّ الوليد (أبو ركوة) فيمن فرّ من أعضاء أسرته خيفة القتل؛ وكان عند مغادرته لقرطبة شاباً في نحو العشرين من عمره، فأقام بالقيروان مدة يقرىء الصبيان، ثم سار إلى مصر فدرس بها الحديث، وبعد أن تجول حيناً في الحجاز واليمن والشام عاد إلى مصر، ثم نزح إلى برقة واستقر بين بطون بني قرّة أقوى قبائلها. وهناك اجتذب إليه الناس بنسكه ووعظه وذلاقته ونبل خلاله. ثم إنه كشف عن شخصه وأظهر نسبته، وتلقب بأمير المؤمنين الناصر لدين الله، ودعا إلى عمه هشام المؤيد الأموي. (انظر الحاكم بأمر الله: ص ١٨٦ — ١٩١).

يقال له يَنّال(١) الطويل، وأرسل معه خمسة آلاف فارس ــ وكان معظم جيش يَنّال [من] كُتَامة، وكانت مستوحشةً من يَنّال فإنه قتل كبار كُتَامة بأمر الحاكم ــ فتوجّه يَنّال وواقع أبا ركوة فهزمه أبو ركوة وأخذه أسيراً، وقال له: العَن الحاكم، فبصق في وجه أبي ركوة؛ فأمر أبو ركوة به فقُطِّع إرْبًا إرْبًا. وأخذ أبو ركوة مائة ألف دينار كانت مع يَنّال وجميع ما كان معه، فقَوِي أمره أكثر ما كان.

وآشتد الأمر على الحاكم أكثر وأكثر بكسر يَنّال؛ وبعث إلى الشام وآستدعى الغلمانَ الحَمْدانيّة والقبائل وأنفق عليهم الأموال وجهّزهم، وجعل عليهم الفضلَ بن عبد الله(٢)؛ فطرقهم أبو ركوة وكسرهم وساق خَلْفَهم حتّى نزل عند الهرمين بالجيزة؛ وغلّق الحاكم أبواب القاهرة؛ ثمّ عاد أبو ركوة إلى عسكره. فندب الحاكم العساكر ثانياً، فسار بهم الفضل في جيوش كثيرة، وآلتقى مع أبي ركوة فهزمه وقتل من عسكره نحو ثلاثين ألفاً. ثم ظَفِر الفضل بأبي ركوة وسار به مكرماً إلى الحاكم. وسبب إكرامه له خوفه عليه من أن يقتل نفسه، وقصد الفضل أن يأتي به الحاكم حيّاً. فأمر الحاكمُ أن يشهَّر أبو ركوة على جملٍ ويُطاف به(٣). وكانت القاهرة قد زُيّنت أحسن زينة، وكان بها شيخ يقال له الأَبْزَارِيّ، إذا خرج خارجيّ صنع له طُرْطُوراً وعَمِل فيه ألوانَ الخِرَق المصبوغة وأخذ قِرْداً ويجعل في يده دِرّة ويعلّمه [أن] يضرب بها الخارجيّ من ورائه، ويُعْطَى مائة دينار وعشر قطع قماش. فلمّا قطع أبو ركوة الجيزة أمر به الحاكم، فأُركب جملاً بسَنَامين وأُلبس الطُّرْطُور وأُرْكب الأبزاريُّ خلفَه، والقرد بيده الدِّرّة وهو يضربه والعساكر حوله، وبين يديه خمسة عشر فيلاً مزيّنة؛ ودخل القاهرة على هذا الوصف، ورؤوس أصحابه بين يديه على الخشب والقصب؛ وجلس الحاكم في منظرة على باب الذهب، والترك والديلم عليهم السلاح وبأيديهم اللُّتوتُ وتحتهم الخيول بالتّجافيف(٤) حول أبي ركوة؛ وكان يوماً

---

(١) وفي بعض الروايات: «إينال الطويل التركي».

(٢) كذا أيضاً في ابن الأثير. وفي اتعاظ الحنفا: «الفضل بن صالح».

(٣) انظر ما كتبه المقريزي في اتعاظ الحنفا حول مناظر التشهير بأبي ركوة وتعذيبه.

(٤) التجافيف: جمع تجفاف، بكسر أوله؛ وهو ما يجلّل به الفرس من سلاح وآلة يقيانه الجراح في الحرب.

عظيماً؛ وأمر به الحاكم أن يُخْرَج إلى ظاهر القاهرة ويُضرب عنقه على تلّ بإزاء مسجد رَيْدَان[١] خارج القاهرة. فلمّا حُمِل إلى هناك أُنزل فإذا به ميّت فقطع رأسه وحُمِل به إلى الحاكم؛ فأمر بصلب جسده. وآرتفعت منزلة الفضل عند الحاكم بحيث إنّه مرض فعادَه مرّتين أو ثلاثاً، وأقطعه إقطاعات كثيرةً ثم عُوفي من مرضه، وبعد أيام قبض عليه الحاكم وقتله شرَّ قِتْلة[٢].

وفيها كسا الحاكم الكعبة القَبَاطيّ البِيضَ، وبعث مالاً لأهل الحرمين.

وفيها تُوفّي عبد الصمد بن عمر بن محمد بن إسحاق، أبو القاسم الدِّينَوريّ الواعظ الزاهد؛ كان فقيهاً زاهداً عابداً محدّثاً منقطعاً عن الناس، وهو من كِبار الشيوخ رحمه الله.

وفيها تُوفّي الشيخ الإمام العالم الحافظ أبو الحسن علي بن عمر القَصّار[٣] المالكيّ ببغداد.

---

(١) هذا المسجد أنشأه ريدان الصقلبي بجوار بستانه خارج باب الحسينية من القاهرة. وكان ريدان هذا أحد خدام الخليفة العزيز بالله وحامل المظلة في عهد ابنه الحاكم. وقد زال هذا المسجد، ويوجد اليوم على جزء من أرضه زاوية الشيخ علي أبي خودة بشارع أبي خودة بالعباسية القبلية بقسم الوايلي. (م. رمزي). وانظر أيضاً: خطط المقريزي: ٢/١٣٨، ١٣٩.

(٢) والظاهر أن الحاكم لم يكن يعترف بفضل قائده الفضل بن صالح والخدمة التي أسداها إليه، فقد أورد المقريزي في اتعاظ الحنفا، نقلاً عن المسبّحي، نبذة جاء فيها: «قال المسبّحي: قال لي الحاكم بأمر الله، وقد جرى حديث أبي ركوة: ما أردت قتله، ولكن جرى في أمره ما لم يكن من اختياري. فقلت: يا أمير المؤمنين، ما قصّر عبدك الفضل بن صالح في خدمته. فقال: وايش تظن أن فضل أخذه؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، هذا قول الناس، فقال: والله العظيم ما أفلح فضل في حركته تلك ولا أنجح، غير أننا أنفقنا فيها ألف ألف دينار ذهباً ضياعاً، وإنما أخذه ملك النوبة، وأنفذ به إليّ. فقلت: صدقت يا أمير المؤمنين. وعلمت أن هذا ما قرره قائد القواد الحسين بن جوهر في نفسه ليبطل فعل فضل، فاستقر». انتهى كلام المسبحي. وتذكر رواية كنسية معاصرة (سير البيعة المقدسة) رواية أخرى خلاصتها أن القائد فضل بن صالح دخل يوماً على الحاكم بالقصر، فرآه بين يديه صبي وقد ذبحه بسكين في يده، واستخرج أحشاءه، فارتدّ الفضل إلى منزله مذعوراً. ولم تمض ساعة حتى أنفذ إليه الحاكم من قتله. (الحاكم بأمر الله: ص ١٩١).

(٣) كذا في تاريخ بغداد وشذرات الذهب. وفي الأصل: «ابن عمران القطان». وفي ابن الأثير: «القصّاب» بالباء الموحدة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وأربع أصابع. مبلغ الزيادة أربع عشرة ذراعاً وستّ عشرة إصبعاً[١].

* * *

السنة الثانية عشرة

من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة:

فيها في يوم عاشوراء عَمِل أهل الكَرْخ [ما جرت به] العادة من النَّوْح وغيره. وآتفق يوم عاشوراء يوم المَهْرَجان، فأخَّرَه عميد الجيوش إلى اليوم الثاني مراعاةً لأجل الرافضة، هذا ما كان[٢] ببغداد. فأمّا مصر فإنه كان يُفعل بها في يوم عاشوراء من النوح والبكاء والصُّراخ وتعليق المُسُوح أضعافُ ذلك، لا سيّما أيّام خلفاء مصر بني عبيد، فإنّهم كانوا أعلنوا الرَّفْض وسبَّ الصحابة من غير تستّر ولا خِيفة.

وفيها كانت فتنة عظيمة بين أهل السنّة والرافضة ببغداد.

وفيها زُلزِلت الدِّينَوَر فهدَمت المنازل وأهلكت ستة عشر ألف إنسان، وخرج من سَلِم إلى الصحراء وبَنَوْا لهم أكواخاً من القصب، وذهب من الأموال ما لا يُعدّ ولا يُحصى.

وفيها هدم الحاكم بِيعَةَ[٣] قُمامة التي ببيت المقدس وغيرَها من الكنائس بمصر والشام، وألزم أهل الذمّة بما ذكرناه في ترجمة الحاكم.

وفيها تُوفّي أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد، أبو الفضل الهمذانيّ

---

(١) أشار المقريزي في كشف الغمة: ص ٥١ ـ ٥٢ إلى أنه ارتفعت الأسعار في هذه السنة والتي بعدها، وأصاب الناس الجوع بسبب الغلاء وتقاصر مدّ النيل.

(٢) في الأصل: «هذا وهو ببغداد».

(٣) في الأصل: «بيت قمامة» وهو تحريف. راجع ص ١٧٩ من هذا الجزء، حاشية (٢).

الملقّب ببديع الزمان، صاحب الرسائل الرائقة، وصاحب المقامات [الفائقة][(١)]، التي على منوالها نسج الحريري مقاماته، وآعترف له بالفضل عليه. وكان إمام وقته في المنثور والمنظوم. ومن كلامه النثر: «الماء إذا طال مُكْثه، ظهر خُبْثه؛ وإذا سكن مَتْنه، تحرّك نَتْنُه». و[له من تعزية][(٢)]: «الموت خَطْب قد عظُم حتّى هان، ومَسٌّ [قد][(٢)] خشُن حتّى لان؛ والدنيا [قد][(٢)] تنكّرت حتّى صار الموت أخفّ خطوبها، وجنَت حتّى صار أصغر ذنوبها.» وله من هذا أشياء كثيرة. وأمّا شعره فجيّد إلى الغاية. من ذلك قوله من جملة قصيدة: [البسيط]

وكاد يَحْكيك صَوْب الغيث منسكباً ... لو كان طَلْق المحيَّا يُمطر الذّهَبا
والدهر لو لم يَخُنْ والشمس لو نَطَقتْ ... والليث لو لم يصدْ والبحر لو عَذُبَا

وكانت وفاته في هذه السنة بمدينة هَرَاة.

وفيها تُوفّي عبد الواحد[(٣)] بن نصر بن محمد، أبو الفرج المخزوميّ النَّصِيبيّ، الشاعر المشهور المعروف بالبَبَّغاء. والبَبَّغاء هو الطير المعروف بالدُّرّة، وقيل غيرها. خدم الببغاءُ المذكور سيفَ الدولة بن حمدان ومدحه؛ وكان شاعراً مجيداً وكاتباً مترسِّلاً، جيّد المعاني حسن القول في المدائح. ومن شعره: [الكامل]

وكأنّما نَقَشتْ حوافرُ خيله ... للناظرين أهِلَّةً في الجَلْمَدِ
وكأنّ طرف الشمس مطروف وقد ... جُعِل الغُبَار له مكانَ الإثمد

وفيها توفّي عبد الله بن محمد، أبو محمد البخاريّ الخُوَارَزْمِيّ الفقيه الشافعي؛ كان فقيهاً فصيحاً أديباً، يرتجل الخُطَب الطِّوال ويقول الشعر على البديهة. ومن شعره: [الخفيف]

كم حضرنا وليس يُقْضَى التلاقِي ... نسأل الله غير هذا الفِرَاقِ
إن أَغب لم تغب وإن لم تغب ... غِبتُ كأنّ آفتراقنا بآتفاق

(١) زيادة عن ابن خلكان.
(٢) زيادة عن ابن خلكان.
(٣) في الأصل: «عبد الملك». والتصحيح عن ابن خلكان والمنتظم وابن الأثير.

وفيها تُوفِّي أبو منصور بن بهاء الدولة، وقيل: إنّ آسمه بُوَيْه. كان أبوه بهاء الدولة يخافه، ومنع الخَدَمَ من الكلام معه وضيّق عليه. ولمّا مات وَجَد عليه وَجْداً عظيماً، ولبس السواد، وواصل البكاء والحزن إلى أن آجتمع إليه وجوه الديلم وسألوه أن يرجِع إلى عادته.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة أربع عشرة ذراعاً وتسع أصابع.

* * *

السنة الثالثة عشرة

من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة:

فيها لحِق الحاجَّ عند عودهم من مكة الأُصَيْفِرُ الأعرابيّ، وقرّر عليهم أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر العَلَويّ أمير الحاجّ مالاً فأوردوه، ودخلوا الكوفة بعد أن لاقَوْا مشقّة شديدة، وأقاموا بها حتّى أرسل إليهم أبو الحسن علي بن مَزْيد[١] أخاه حمّاداً فحملهم إلى المدائن، ثمّ دخلوا بغداد.

وفيها صُرِف أبو عمر[٢] عبد الواحد عن قضاء البصرة، ووليها أبو الحسن بن أبي الشَّوَارب. فقال العُصْفُرِيّ[٣] الشاعر في هذه المعنى: [المجتث]

عندي حديثٌ ظريف ... بمثله يُتَغَنّى
من قاضيين يُعَزّى ... هذا وهذا يُهنّى
فذا يقول آكْرَهُونا ... وذا يقول آسترحنا
ويكذِبان جميعاً ... ومَنْ يُصَدّق منّا

(١) في الأصل: «ابن يزيد». وما أثبتناه عن ابن الأثير وعقد الجمان وابن خلدون. وهو سند الدولة، أبو الحسن، أول الأمراء المزيديين أصحاب الحلّة. توفي سنة ٤٠٨هـ. (الأعلام: ٥/٢٢).

(٢) في الأصل: «أبو عمرو». وما أثبتناه عن ابن الأثير والمنتظم.

(٣) في الأصل: «الغضنفري». والتصحيح عن ابن الأثير والمنتظم وعقد الجمان والبداية والنهاية.

وفيها وَلّى الحاكمُ القائد أبا الجيش حامد بن مُلْهَم أميراً على دمشق بعد عليّ بن جعفر بن فلاح، فوليها سنة وأربعة أشهر، ثم عُزِل بمحمد بن نزال(١).

وفيها لم يحجّ أحد من العراق خوفاً من العطش والعرب، وخرجوا ثمّ عادوا.

وفيها توفّيت يمنى أمّ القادر. كانت مولاةَ عبد الواحد بن الخليفة المقتدر، وكانت من أهل الدين والصلاح. وصلّى عليها القادر في داره وكبّر أربعاً، وحُمِلت إلى الرُّصَافة في طَيّار فدُفِنت بها.

وفيها توفّي الأمير لؤلؤ غلام سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب والذي كان واقع العزيز نِزاراً والد الحاكم؛ وقد تقدّم ذكر ذلك في ترجمة العزيز مفصّلاً. كان لؤلؤ شجاعاً مِقداماً. ولما مات لؤلؤ تولّى الملك بعده آبنه مرتضَى الدولة، وهرب بعد ذلك إلى الروم.

وفيها توفّي هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الأُمويّ صاحب الأندلس، ولقبَهُ المؤيّد، وهو من ذرّية مروان بن الحكم الأموي، وهو عمّ(٢) أبي ركوة الذي كان خرج على الحاكم المقدّم ذكره، وبآسمه كان يخطُب أبو ركوة المذكور. ولي هشام هذا الملك وله تسع سنين، وأقام والياً على الأندلس تسعاً(٣) وثلاثين سنة.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم ذراعان وستّ عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعاً.

* * *

(١) كذا أيضاً في اتعاظ الحنفا. وفي تاريخ دمشق، وطبعة دار الكتب المصرية عن مرآة الزمان: «بزّال».
(٢) يبدي ابن خلدون ريبة في نسبة أبي ركوة وفي دعواه أنه سليل بني أمية. (ابن خلدون: ٤/٥٨).
(٣) في البيان المغرب: ٣٦ سنة وشهران وعشرة أيام. وكانت وفاة المؤيد سنة ٤٠٣هـ على الصحيح، كما جاء في البيان المغرب وابن الأثير والأعلام. وقد وهم المؤلف حين جعل وفاته في هذه السنة. والصواب هو أنه خلع في هذه السنة على أثر فتنة، وبعد جملة حوادث أعيد إلى الحكم في نهاية سنة ٤٠٠هـ. واستمر بعدها سنتين وعشرة أشهر لم يهدأ له فيها بال، وقتل سراً في قرطبة بعد أن امتلكها سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين بالله. (انظر أيضاً: أعمال الأعلام لابن الخطيب، القسم الثاني، ص: ٤٣، ١١٦، ١١٩، ١٢٠).

السنة الرابعة عشرةَ من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة أربعمائة:

فيها أُرجِف بموت الخليفة القادر، فجلس للناس[١] بعد صلاة الجمعة ودخل عليه القضاة والأشراف، وعليه أبّهة الخلافة، وقبّل أبو حامد الأسفرايني يده.

وفيها أرسل الحاكم إلى المدينة إلى دار جعفر الصادق مَنْ فتحها وأخذ منها ما كان فيها، وكان فيها مصحف وسرير وآلات، وكان الذي فتحها ختكين العَضُديّ الداعي، وحمل معه رسوم الأشراف، وعاد إلى مصر بما وجد في الدار؛ وخرج معه من شيوخ العلويّين جماعة؛ فلمّا وصلوا إلى الحاكم أطلق لهم نفقات قليلة [وردّ عليهم السرير][٢] وأخذ الباقي، وقال: أنا أحقّ به؛ فأنصرفوا داعين عليه.

وشاع فعله في الأمور التي خرق العادات فيها، ودُعي عليه في أعقاب الصلوات وظوهر بذلك، فأشفق فخاف؛ وأمر بعمارة دار العلم[٣] وفرشها، ونقل إليها الكتب العظيمة وأسكنها من شيوخ السنّة شيخين، يعرف أحدهما بأبي بكر الأنطاكي، وخلع عليهما وقرّبهما ورسم لهما بحضور مجلسه وملازمته، وجمع الفقهاء والمحدّثين إليها، وأمر أن يُقرأ بها فضائل الصحابة، [ورفع عنهم الاعتراض في ذلك][٤] وأطلق صلاة التراويح والضحى، وغيّر الأذان وجعل مكان «حيّ على خير العمل» «الصلاة خير من النوم»؛ وركِب بنفسه إلى جامع عمرو بن العاص

(١) في الأصل: «فجلس الناس».

(٢) زيادة عن الذهبي والمنتظم وعقد الجمان.

(٣) دار العلم (دار الحكمة): افتتحت يوم السبت العاشر من جمادى الآخرة سنة ٣٩٥هـ. ففرشت وزخرفت وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور، وجعل لها خدام وفرّاشون برسم خدمتها، وحمل إليها الحاكم من خزائنه من الكتب في سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ما لم ير مثله مجتمعاً لأحد قط من الملوك، على حدّ تعبير المسبّحي. وأباح ذلك كله لسائر الناس. وكان موضعها بجوار القصر الصغير الغربي من الجهة البحرية، ويدخل إليها من باب التبّانين الذي عرف فيها بعد بقبو الخُرُنْشف، وصار مكان دار العلم في زمن المقريزي الدار المعروفة بدار الخضيري الكائنة بدرب الخضيري المقابل للجامع الأقمر. (انظر: خطط المقريزي: ٤٥٨/١، وأخبار مصر لابن ميسّر: ص ٩٥ ــ حاشية، وحسن المحاضرة للسيوطي: ٢٨٢/٢ وفيه أنها بنيت سنة ٤٠٠هـ وهو خطأ).

(٤) زيادة من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

وصلّى فيه الضحى، وأظهر الميل إلى مذهب الإمام مالك والقول به، ووضع للجامع تنّوراً من فضة يوقد فيه ألف ومائتا فتيلة، وآثنين آخرين من دونهُ، وزفّهم بالدبادب والبوقات والتهليل والتكبير، ونصبهم ليلة النصف من شعبان؛ وحضَر أوّل يوم من رمضان إلى الجامع الذي بالقاهرة، وحُمل إليه الفُرش الكثيرة وقناديل الذهب والفضة، فكثُر الدعاء له.

ولبس الصوف في هذه السنة يوم الجمعة عاشر شهر رمضان، وركب الحمار وأظهر النسك وملأ كمّه دفاتر، وخطب بالناس يوم الجمعة وصلّى بهم؛ ومنع من أنْ يخاطَب «يا مولانا» ومن تقبيل الأرض بين يديه؛ وأقام الرواتب لمن يأوي المساجد من الفقراء والقرّاء والغرباء وأبناء السبيل، وأجرى لهم الأرزاق؛ وصاغ مِحراباً عظيماً من فضة وعشرة قناديل، ورصّع المحراب بالجوهر ونصبه بالمسجد الجامع. وأقام على ذلك ثلاث سنين يحمل الطِّيب والبَخور والشموع إلى الجوامع، وفعل ما لم يفعله أحد. ثم بدا له بعد ذلك، فقتل الفقيه أبا بكر الأنطاكي والشيخ الآخر وخلقاً كثيراً أخر من أهل السنّة لا لأمر يقتضي ذلك؛ وفعل ذلك كلّه في يوم واحد. وأغلق دار العلم، ومنع من جميع ما كان فعله؛ وعاد إلى ما كان عليه أوّلاً من قتل العلماء والفقهاء وأزيد؛ ودام على ذلك حتّى مات قتيلاً حسب ما ذكرناه.

وفيها توفّي الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق، الشريف أبو أحمد الموسوي، والد الشريف الرضي والمرتضى. مولده في سنة أربع وثلاثمائة. وكان سيّداً عظيماً مطاعاً؛ كانت هيبته أشدّ من هيبة الخلفاء؛ خاف منه عضد الدولة فآستصفى أمواله. وكانت منزلته عند بهاء الدولة أرفع المنازل، ولقّبه بالطاهر والأوحد وذي المناقب؛ وكان فيه كلّ الخصال الحسنة إلا أنّه كان رافضيّاً هو وأولاده على مذهب القوم. ومات ببغداد عن سبع وتسعين سنة، وصلى عليه آبنه المرتضى، ودفن في داره ثم نقل إلى مشهد الحسين، ورثاه ولده المرتضى.

وفيها توفّي أبو الحسين بن الرفّاء القارىء المجيد الطيّب الصوت الذي ذكرنا

قصته مع الأُصَيْفِر الأعرابيّ عندما آعترض الحاجَّ في سنة أربع وتسعين؛ وكانت وفاته ببغداذ.

وفيها توفّي أبو عبد الله القُمِّي التاجر المصريّ؛ كان بزّازَ خزانة الحاكم؛ مات في ذي القعدة بين مصر ومكة، وحمل إلى البقيع[1] ودفن به؛ وكان ذا مال عظيم؛ خرج في هذه السنة مع حجّاج مصر بعد أن آشتملت وصيّته على ألف ألف دينار غير المتاع والقماش والجوهر.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع سواء. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الخامسة عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة إحدى وأربعمائة:

فيها خطب أبو المَنيع قِرْوَاش بن المقلّد الملقَّب بمُعْتمد الدولة للحاكم صاحب مصر بالموصل. وكان الحاكم قد آستماله؛ فجمع معتمدُ الدولة أهلَ الموصل وأظهر طاعة الحاكم، فأجابوه وفي القلوب ما فيها؛ فأحضر الخطيبَ يوم الجمعة رابعَ المحرّم و[خلع][2] عليه قَبَاء دَبيقيّاً وعمامة صفراء وسَرَاويل ديباج أحمر وخُفَّيْن أحمرين، وقلّده سيفاً، وأعطاه نسخةَ ما يخطب به وأوّلها:

«الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر ولله الحمد. الحمد لله الذي آنجلت بنوره غمرات الغضب، وآنهدّت بقدرته أركان النصَب، وأطلع بقدره شمس الحقّ من الغرب؛ الذي محا بعدله جَوْر الظَّلَمة، وقصَم بقوّته ظهرَ الغَشَمة[3]؛ فعاد

---

(١) في الأصل: «إلى الينبع». وما أثبتناه عن المنتظم وعقد الجمان.

(٢) زيادة عن المنتظم.

(٣) في الأصل: «العتمة». والتصحيح عن المنتظم.

الأمر إلى نِصَابه، والحقُّ إلى أربابه؛ البائنِ بذاته، المنفردِ بصفاته، الظاهِر بآياته، المتوحّدِ بدلالاته؛ لم تُفْنِه الأوقات فتسبقَه الأزمنة، ولم يُشْبِهِ الصور فتحويَه الأمكنة، ولم تره العيون فتصفَه الألسنة؛ سبق كلّ موجود وجودُه، وفات كلّ جود جوده؛ وآستقرّ في كلّ عقل توحيده، وقام في كلّ مرأًى شهيدُه. أحمده كما يجب على أوليائه الشاكرين تحميده، وأستعينه على القيام بما يشاء ويريده، وأشهد له بما شهد أصفياؤه وشهوده. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا يشوبها دَنَس الشرك، ولا يعتريها[١] وهم الشكّ، خالصة من الإدهان، قائمة بالطاعة والإذعان.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ إصطفاه وآختاره لهداية الخلق، وإقامة الحق؛ فبلّـغ الرسالة وأدّى الأمانة، وهدى من الضلالة؛ والناس حينئذ عن الهدى غافلون، وعن سبيل الحقّ ضالّون؛ فأنقذهم من عبادة الأوثان، وأمرهم بطاعة الرحمن؛ حتى قامت حُجَجُ الله وآياته، وتمّت بالتبليـغ كلماته؛ صلى الله عليه وعلى أوّل مستجيبٍ إليه عليٍّ أميرِ المؤمنين، وسيّد الوصيّين؛ أساس الفضل والرحمة، وعِماد العلم والحكمة؛ وأصل الشجرة الكرام البررة، النابتة [في][٢] الأُرومة المقدّسة المطهّرة؛ وعلى خلفائه الأغصان البـواسق [من تلك الشجرة][٢]، وعلى ما خلص منها وزكا من الثمرة.

أيّها الناس، اتقوا الله حقّ تُقَاته، وآرغبوا في ثوابه وآحذروا من عقابه، فقد تسمعون ما يُتلى عليكم من كتابه؛ قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُـلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[٣]. فالحذَر ثمّ الحذَر، فكأنّي وقد أفضت بكم الدنيا إلى الآخرة، وقد بان أشراطها، ولاح سراطها، ومناقشة حِسابها، والعرض[٤] على كتابها؛ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[٥]. إركبوا سفينة نجاتكم قبل أن

(١) في الأصل: «لا يغيرها». وما أثبتناه عن المنتظم.

(٢) زيادة عن المنتظم.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٧١.

(٤) في الأصل: «والأرض» وهو تحريف. والتصحيح عن المنتظم.

(٥) سورة الزلزلة: الآية ٧، ٨.

تغرقوا، ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(١)؛ وأنيبوا إليه خير الإنابة، وأجيبوا داعيَ الله على باب الإجابة؛ قبل ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ ٱللَّهِ... ــ إلى قوله: ــ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٢). تيقَّظوا من الغفلة والفترة، قبل الندامة والحسرة، وتمنِّي الكرّ وٱلتماس الخلاص، ولات حين مناص؛ وأطيعوا إمامكم ترشدوا، وتمسّكوا بولاة العهود تهتدوا؛ فقد نصب الله لكم علماً لتهتدوا به، وسبيلاً لتقتدوا به؛ ،جعلنا الله وإياكم ممن تبع مراده، وجعل الإيمان زاده، وأَلْهَمَهُ تقواه ورشاده؛ أستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المؤمنين». ثم جلس وقام وقال:

«الحمد لله ذي الجلال والإكرام، وخالق الأنام ومقدّر الأقسام، المنفرد بحقيقة البقاء والدوام، فالق الإصباح، وخالق الأشباح، وفاطر الأرواح؛ أحمده أوّلاً وآخراً، وأشكره باطناً وظاهراً، وأستعين به إلهاً قادراً، و[أستنصره](٣) وليّاً ناصراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، شهادة من أقرّ بوحدانيته إيماناً، وٱعترف بربوبيته إيقاناً، وعلم برهان ما يدعو إليه، وعرف حقيقة الدلالة عليه. اللّهم وصلّ على وليّك الأزهر، وصديقك الأكبر، عليّ بن أبي طالب أبي الخلفاء الراشدين المهديّين. اللهمّ وصلّ على السِّبْطَيْن الطاهرَيْن الحسن والحسين، وعلى الأئمة الأبرار، والصفوة الأخيار؛ من أقام منهم وظفر، ومَنْ خاف فٱستتر. اللهمّ وصلّ على الإمام المهديّ بك، والذي بلّغ(٤) بأمرك، وأظهر حُجّتك، ونهض بالعدل في بلادك، هادياً لعبادك. اللهمّ وصلّ على القائم بأمرك، والمنصور بنصرك، اللذين بذلا نفوسهما في رضائك، وجاهدا أعداءك. اللهمّ وصلّ على المعزّ لدينك، المجاهد في سبيلك، المظهر للآيات الخفيّة، والحجج الجلية. اللهمّ وصلّ على العزيز بك الذي مهّدتَ به البلاد، وهديت به العباد.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.
(٢) سورة الزمر: الآيات ٥٥، ٥٦، ٥٧.
(٣) زيادة عن المنتظم.
(٤) كذا في المنتظم. وفي الأصل: «تبلغ».

اللهمّ وٱجعل نواميَ صلواتك، وزواكيَ بركاتك، على سيّدنا ومولانا إمام الزمان، وحصن الإيمان، وصاحب الدعوة العلويّة، [و] الملّة النبوية، عبدك ووليّك المنصور أبـي عليّ الحاكم بأمر الله، أمير المؤمنين، كما صلّيت على آبائه الراشـدين، وأكرمت أجداده المهديّين. اللهمّ وفّقنا لطاعته، وٱجمعنا على كلمته ودعوته وٱحشرنا في حزبه وزُمرته. اللهمّ وأَعنْه على ما ولّيته، وٱحفظه فيما ٱسترعيته، وبارك له[1] فيما آتيته؛ وٱنصر جيوشه و[أعلِ] أعلامه في مشارق الأرض ومغاربها؛ إنك على كل شيء قدير».

فلما سمـع الخليفة القادر ذلك أزعجه وأرسل عميد الجيوش في تجهيز العساكر. فلما بلـغ قِرْواشاً ذلك أرسل يعتذر للخليفة، وأبطل دعوة الحاكم من بلاده وأعادها للقادر على العادة.

وفيها لم يحـجّ أحد من العراق خوفاً من الأعراب، وحـجّ الناس من مصر وغيرها.

وفيها ولّى الحاكم لؤلؤ بن عبد الله الشيرازيّ دمشق، ولقّبه بمنتخب الدولة؛ فقدم إليها في جمادى الآخرة من الرقّة، ثم عزله عنها في يوم عيد الأضحى، وولّى عوضه أبا المُطَاع ذا القَرْنين[2] بن حَمْدان، وكان يوم الجمعة فصلّى لؤلؤ بالناس العيدَ وأبو المطاع الجمعة. وحُمِل لؤلؤ إلى بعلبك، فقُتِل بها بأمر الحاكم.

وفيها توفّي أبو علي الأمير عميد الجيوش، وٱسمه الحسين بن [أبـي][3] جعفر. كان أبوه من حجّاب عضد الدولة بن بُوَيه؛ وجعل ٱبنه هذا برسم صمصام الدولة، فخدم المذكور صمصام الدولة وبهاء الدولة؛ فولّاه بهاء الدولة العراق، فقدمها والفتن قائمة، فقتل وصلب وغرّق حتى بلـغ من هيبته أنه أعطى غلاماً له

---

(١) في الأصل: «لي».

(٢) هو ذو القرنين بن حمدان بن ناصر الدولة، أبو المطاع وجيه الدولة. وقد ولاه الظاهر العبيدي بعد هذا الإسكندرية وأعمالها سنة ٤١٤هـ. فأقام بها عاماً؛ ثم عاد إلى دمشق فاستقر فيها أميراً إلى سنة ٤١٩هـ. وتوفي بمصر سنة ٤٢٨هـ. (الأعلام: ٨/٣).

(٣) الزيادة عن الذهبـي والمنتظم وعقد الجمان وشذرات الذهب.

صينيّة فضّة فيها دنانير، فقال: خذها على رأسك وسِرْ من النجمي إلى الماصر الأعلى، فإن آعترضك معترض فأعطه إياها وآعرف المكان؛ فجاء الغلام وقد آنتصف الليل، وقال: مَشَيْت الحدّ جميعه فلم يلقني أحد.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، أبو عبيد الهرويّ اللغويّ المؤدّب، مصنّف الغريبين في اللغة، لغة القرآن ولغة الحديث، ومات في شهر رجب.

وفيها توفّي عليّ بن محمد، أبو الفتح البُسْتي[1] الكاتب الشاعر. قال الحاكم: «هو واحد عصره، وحدّثني أنه سمع الكثير من أبي حاتم بن حِبّان». انتهى. قلت: وهو صاحب النظم الرائق، والنثر الفائق. ومن كلامه النثر: «من أصلح فاسده، أرغم حاسده. عادات السادات، سادات العادات». ومن شعره رحمه الله تعالى: [الوافر]

أعلّل بالمُنَى روحي لعلّي ... أروّح بالأماني الهمّ عني
واعلم أنّ وصلك لا يُرَجّى ... ولكن لا أَقَلَّ من التمنّي

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وثماني عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وثماني عشرة إصبعاً.

* * *

السنة السادسة عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة آثنتين وأربعمائة.

فيها في شهر ربيع الآخر كتب الخليفة القادر العباسيّ محضراً في معنى الخلفاء المصريّين والقدح في أنسابهم وعقائدهم، وقرئت النسخ ببغداد، وأخذت فيها خطوط القضاة والأئمة والأشراف بما عندهم من العلم بمعرفة نسب الديصانيّة؛ قالوا:

(١) تقدم أن ذكر المؤلف وفاته سنة ٣٦٣هـ، وهو يوافق رواية المنتظم والبداية والنهاية. وقد ذكر وفاته في هذه السنة ابن خلكان وعقد الجمان وشذرات الذهب ويتيمة الدهر.

«وهم منسوبون إلى ديصان بن سعيد الخرَّمي، إخوان الكافرين، ونُطَف الشياطين.

شهادة يتقرّبون[١] بها إلى الله، ومعتقدين ما أوجب الله على العلماء أن ينشروه للناس؛ فشهدوا جميعاً[٢] أن الناجم بمصر، وهو منصور بن نِزار الملقب بالحاكم (حكم الله عليه بالبوار والخزي والنكال) آبن معدّ بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد (لا أسعده الله، فإنه لمّا صار إلى المغرب تسمَّى بعبيد الله وتلقّب بالمهديّ) هو[٣] ومَنْ تقدّمه من سلفه الأرجاس الأنجاس (عليه وعليهم اللعنة) أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد عليّ بن أبي طالب، وأن ذلك باطل وزور.

وأنهم لا يعلمون[٤] أن أحداً من الطالبيّين توقّف عن إطلاق القول في هؤلاء الخوارج إنهم أدعياء.

وقد كان هذا الإنكار شائعاً بالحرمين في أوّل أمرهم بالمغرب، منتشراً انتشاراً يمنع من أن يُدَلَّس على أحد كذبهم، أو يذهب وَهْمٌ إلى تصديقهم.

وأن هذا الناجم بمصر هو وسلفه[٥] كفّار وفسّاق فجّار زنادقة، ولمذهب الثنويّة[٦] والمجوسيّة معتقدون؛ قد عطّلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وسفكوا الدماء، وسبّوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وآدّعوا الربوبيّة.

وكتب في [شهر] ربيع الآخر سنة آثنتين وأربعمائة».

وكتب خلق كثير في المحضر المذكور منهم: الشريف الرضي والمرتضى

---

(١) في الأصل: «يتقرّب بها إلى الله ويعتقد... إلخ» وما أثبتناه عبارة طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان. والضمير في «يتقربون» عائد على القضاة والأئمة والأشراف.

(٢) كذا في شذرات الذهب والمنتظم والذهبي. وفي الأصل: «فشهدوا للناس أن الناجم...».

(٣) في الأصل وشذرات الذهب: «وهو ومن تقدمه...» بزيادة الواو وهو تحريف. إذ «هو» معطوف على «الناجم» والخبر «أدعياء» فيما يأتي.

(٤) كذا في المنتظم وعقد الجمان وشذرات الذهب. وفي الأصل: «وأنتم لا تعلمون أن أحداً...».

(٥) في الأصل: «ونسله». وما أثبتناه من المنتظم وعقد الجمان.

(٦) في الأصل: «اليهودية». وما أثبتناه عن المنتظم وعقد الجمان والذهبي.

أخوه، وابن الأزرق الموسويّ، ومحمد بن محمد بن عمر بن أبـي يعلى العلويّون، والقاضي أبو محمد عبد الله بن الأكفانيّ، والقاضي أبو القاسم الجَزَريّ، والإمام أبو حامد الاسفرايني، والفقيه أبو محمد الكَشْفُلي، والفقيه أبو الحسين القُدُوريّ الحنفيّ، والفقيه أبو علي بن حَمَكان[1]، وأبو القاسم التنوخيّ، والقاضي أبو عبد الله الصَّيْمَرِيّ.

انتهى أمر المحضر بآختصار[2]. فلما بلـغ الحاكم قامت قيامته وهان في أعين الناس لكتابة هؤلاء العلماء الأعلام في المحضر.

وفيها حـجّ بالناس من العراق أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر العلويّ، وهبّت عليهم ريـح سوداء وفقدوا الماء ولقوا شدائد.

وفيها توفّي أحمد[3] بن مروان أبو نصر، وقيل: أبو منصور، مُمَهِّد الدولة الكرديّ صاحب ميّافارقين. وقد ذكرنا مقتل الحسن[4] بن مروان على باب آمد، وأنهم من غير بيت في الرياسة، وأنهم وثبوا على ديار بكر وملكوها. ووقـع لأحمد هذا أمور ووقائـع وحروب.

وفيها توفّي عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فُطَيْس بن أصبـغ بن فُطَيس، أبو المطرِّف، الإمام قاضي الجماعة بقُرْطبة؛ سَمِـع الحديث وروى عنه جماعة، وكان من الحفّاظ وكبار العلماء، عارفاً بعلل الحديث والرجال، وله مشاركة في سائر العلوم.

وفيها توفّي محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن يحيـى بن

(١) في الأصل: «ابن حمركان» وهو تحريف. والتصحيـح عن شذرات الذهب، وقد ضبطه بالعبارة.

(٢) انظر النص الكامل مستوفى في المنتظم: ٧/٢٥٥.

(٣) ذكر ابن الأزرق الفارقي في تاريخه: ص ٦٦، أن أبا نصر توفي سنة ٤٥٣هـ في التاسـع والعشرين من شوال. وابن الأزرق هو المعوّل عليه قبل غيره في تاريـخ ميافارقين. وأبو المحاسن هنا يتابـع صاحب مرآة الزمان في هذا الخطأ وينقل عنه. وسيذكر المؤلف وفاة أحمد بن مروان في حوادث سنة ٤٥٣هـ على الصحيـح في الجزء الخامس.

(٤) راجـع ص ١٥٠ من هذا الجزء، والحاشية رقم (٢).

جُمَيع، أبو الحسين الصَّيْدَاوِيّ الغسّانيّ. رحل [إلى] البلاد وسمِع الكثير، وروى عنه غير واحد. ولد سنة خمس وثلاثمائة، وكان ثِقة محدّثاً كبير الشأن، ووفاته في شهر رجب.

وفيها توفّي محمد بن عبد الله بن الحسن، أبو الحسين بن اللّبان البصريّ العلامة صاحب الفرائض؛ سمِع الحديث وبرع في الفرائض حتى إنه كان يقول: ليس في الدنيا فَرَضِيّ إلّا من أصحابي وأصحاب أصحابي[1] أو لا يُحْسن شيئاً.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وثماني أصابع. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وعشر أصابع.

* * *

السنة السابعة عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة ثلاث وأربعمائة.

فيها في يوم الجمعة سادس عشر المحرّم قُلِّد الشريف الرضي نقابة الطالبيّين بسائر الممالك.

وفيها أرسل الحاكم صاحب الترجمة كتاباً إلى السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين صاحب غَزْنة يدعوه إلى طاعته، فبعث محمود بالكتاب إلى القادر بعد أن خرقه وبصق في وسطه.

وفيها لم يحجّ أحد من العراق.

وفيها توفّي الحسن بن حامد بن علي بن مروان أبو عبد الله الفقيه الحنبليّ الورّاق؛ كان مدرّس الحنابلة وفقيههم، وله مصنّفات، منها كتاب «الجامع» أربعمائة جزء. وهو شيخ القاضي أبي يعلى الفرّاء؛ وكان معظّماً في النفوس مقدّماً عند السلطان؛ وكان زاهداً وَرِعاً، ينسخ بالأجرة ويتقوّت منه.

(١) في شذرات الذهب: «وأصحاب أبي».

وفيها توفّي السلطان فيروز أبو نصر بهاء الدولة بن عضد الدولة بُوَيه بن ركن الدولة حسن بن بُوَيه [بن] فنّاخسرو الديلميّ، وقيل: آسمه خاشاد. وبهاء الدولة هذا هو الذي قبض على الخليفة الطائع وخلعه من الخلافة، وولّى القادرَ الخلافة عِوَضه، وقد ذكرنا ذلك في وقته. وكان بهاء الدولة ظالماً غشوماً سفّاكاً للدماء، حتى إنه كان خواصّه يهربون من قربه. وجمع من المال ما لم يجمعه أحد من بني بويه إلا إن كان عمه فخر الدولة المقدّم ذكره. ولم يكن في ملوك بني بويه أظلم منه ولا أقبح سيرة. وكان به مرض الصرع يُصْرَع في دَسْت الملك؛ ورث ذلك عن أبيه، ومات به في أرّجان في يوم الاثنين خامس جمادى الآخرة. وكانت مدّة سلطنته أربعاً وعشرين سنة وتسعة أشهر وأياماً؛ ومات وله آثنتان وأربعون سنة وتسعة أشهر؛ وحُمِل من أرّجان إلى الكوفة. وتولّى المُلك من بعده ولده أبو شجاع بعهد منه.

وفيها توفّي قابوس بن وَشْمِكِير أمير الجبال بنيسابور وغيرها. كان أيضاً سيّىء السيرة؛ قتل جماعة من خواصّه وحجّابه ففسدت القلوب عليه، ودبّروا في قتله وقصدوا آبنه منوجهر، ولا زالوا به حتى قبض على أبيه قابوس هذا وقتله بالبَرْد[١]؛ ثم قتل منوجهر جماعة ممن أشار عليه بقتل أبيه، وندم حين لا ينفع الندم.

وفيها توفّي الشريف محمد بن محمد بن عمر العلويّ، أبو الحارث، نقيب الطالبيّين بالكوفة. كان شجاعاً جَوَاداً ديِّناً رئيساً؛ كانت إليه النقابة مع تسيير الحاجّ؛ حجّ بالناس عشر[٢] سنوات، وكان يُنْفق عليهم [من ماله][٣] ويحمل المنقطعين رحمه الله. ومات بالكوفة في جمادى الآخرة.

وفيها توفّي عليّ بن محمد بن خلف، الإمام أبو الحسن المَعَافِريّ القيرواني[٤] القَابِسيّ الفقيه المالكيّ. كان عالم أهل إفريقيّة. حجّ وسمع جماعة؛

(١) خلع عنه ثيابه في الشتاء، وعرّضه للبرد القارس فمات. (انظر ابن الأثير).

(٢) في الأصل: «عشرين سنة». والتصحيح عن ابن الأثير والمنتظم وعقد الجمان.

(٣) زيادة عن عقد الجمان.

(٤) كذا في شذرات الذهب والأعلام. وفي تذكرة الحفاظ: «الفروي» بالفاء الموحدة. وفي الأصل وطبعة دار الكتب: «القروي» بالقاف المثناة. والقروي: وجه آخر للنسبة إلى القيروان.

وأخذ بإفريقيّة عن ابن مسرور[١] الدبّاغ وغيره، وكان حافظاً للحديث وعلله، فقيهاً أُصوليّاً متكلّماً مصنّفاً صالحاً؛ وكان أعمى لا يرى شيئاً، وهومع ذلك من أصح الناس كُتُباً وأجودهم تقييداً؛ يضبط كتبه ثقات أصحابه؛ والذي ضبط له صحيح البخاريّ بمكة رفيقه أبو محمد الأصيليّ[٢].

وفيها توفّي محمد بن الطيّب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني البصريّ صاحب التصانيف في علم الكلام؛ سكن بغداد وكان في وقته أوحد زمانه؛ صنّف في الردّ على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجَهْميّة[٣]. وذكره القاضي عِيَاض في طبقات الفقهاء المالكية فقال: «هو الملقّب بسيف السنّة، ولسان الأمّة، المتكلّم على لسان أهل الحديث، وطريق أبي الحسن الأشعريّ، وإليه آنتهت رياسة المالكية».

وفيها توفّي محمد بن موسى، أبو بكر الخُوَارَزمِيّ الحنفيّ شيخ الحنفيّة وعالمهم ومفتيهم؛ انتهت إليه رياسة الحنفية في زمانه؛ وكان تفقّه على أبي بكر أحمد بن عليّ الرازيّ، وسمع الحديث من أبي بكر الشافعيّ، وروى عنه أبو بكر البَرْقانِيّ[٤]. قال القاضي أبو عبد الله الصَّيْمَرِيّ بعدما أثنى عليه: «وما شاهد الناس مثله في حُسْن الفتوى [والإصابة فيها][٥] وحُسْن التدريس. وقد دُعِيَ إلى ولاية الحُكْم مراراً فآمتنع تورُّعاً». ومات في جمادى الأولى.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وثلاث وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وآثنتا عشرة إصبعاً.

* * *

---

(١) في الأصل: «عن أبي سرور» والتصحيح عن تذكرة الحفاظ وشذرات الذهب.

(٢) نسبة إلى «أصيلة» بالمغرب. ويقال أيضاً: آصيلا. وهو عبد الله بن إبراهيم بن محمد، أبو محمد الأموي المعروف بالأصيلي. توفي سنة ٣٩٢هـ. (الأعلام: ٦٣/٤).

(٣) الجهمية: طائفة من الخوارج، نسبوا إلى جهم بن صفوان السمرقندي المتوفى سنة ١٢٨هـ.

(٤) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب، أبو بكر البرقاني المتوفى سنة ٤٢٥هـ، كما في تاريخ بغداد.

(٥) زيادة عن تاريخ بغداد.

السنة الثامنة عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة أربع وأربعمائة.

فيها قُلّد فخرُ الملك الأمرَ، ولقّبه الخليفة القادر سلطان الدولة وعقد لواءه بيده، وقرئ تقليده، وكتب القادر خطّه عليه.

وفيها أبطل الحاكم المنجِّمين من بلاده، وأعتق أكثر مماليكه، وجعل وليّ عهده ابن عمه عبد الرحيم[1] بن إلياس وخُطِب له بذلك؛ وأمر بحبس النساء[2] في البيوت، وصلحت سيرته.

وفيها حجّ بالناس من العراق أبو[3] الحسن محمد بن الحسن، وكذلك في سنة خمس[4].

وفيها كانت الملحمة الهائلة بين ملك الترك طُغَان وبين ملك الصين، فقتل

(١) راجع ص ١٩٦ من هذا الجزء، حاشية (٢).

(٢) في الأصل: «الناس». وقبل هذا المرسوم كان الحاكم قد أصدر مجموعة من الأوامر تتعلق بالنساء، فمنعهن من التبرج، وألا يكشفن عن وجوههن في الطريق، أو يجتمعن في المآتم أو يسرن خلف الجنائز، أو يزرن المقابر، أو يقمن بالغناء والنشيد، أو يجتمعن مع الرجال في أماكن الفرجة، أو يخرجن من دورهن بعد العشاء الآخرة.
وفي هذا المرسوم الصادر في شعبان سنة ٤٠٤هـ ذهب الحاكم إلى ذرة القسوة والشدّة: فمنعهن من مغادرة دورهن والخروج إلى الطرقات بالليل والنهار، ويستوي في ذلك أن تكون المرأة شابة أو عجوزاً، ولم يستثن من ذلك سوء النساء المتظلمات للشرع، والخارجات إلى الحج، أو المسافرات اللاتي تضطرهن ظروف قاهرة إلى السفر، والأماء اللاتي برسم البيع، والقابلات، وغاسلات الموتى، والأرامل اللاتي يبعن الغزل؛ وأن يكون خروج هؤلاء لمزاولة شؤونهن برقاع خاصة ترفع إلى القصر (طلب إذن) وتصدر بها تصاريح يقوم بتنفيذها مدير الشرطة. فاختفت النساء من المجتمع المصري الظاهر، وساده الانقباض والوحشة، وساد الذعر بين النساء. وفي العام التالي ٤٠٥هـ كررت هذه الأوامر القاسية وشدد في تنفيذها. وعانت النساء هذه الشدة زهاء سبعة أعوام حتى وفاة الحاكم بأمر الله سنة ٤١١هـ. (انظر الحاكم بأمر الله لمحمد عبد الله عنان: ١٢٩ ــ ١٣٥ عن الأنطاكي، وابن خلكان، والمقريزي في الخطط واتعاظ الحنفا، وابن الأثير).

(٣) في الأصل: «الحسن بن محمد بن الحسن». وما أثبتناه عن المنتظم وعقد الجمان والذهبي.

(٤) في الأصل: «وكذلك سنة ست» والتصويب عن المؤلف نفسه، فقد ذكر في حوادث سنة ٤٠٥هـ أن أبا الحسن هذا حج بالناس، وذكر في حوادث سنة ٤٠٦هـ أنه لم يحج أحد من العراق.

فيها من الكفّار نحو من مائة ألف، ودامت الحرب بينهم أياماً، ثم آنتصر المسلمون (أعني الترك) ولله الحمد.

وفيها آستولى الحاكم على حلب وزال مُلْك بني حَمْدان منها.

وفيها توفّي إبراهيم بن عبد الله بن حصن، أبو إسحاق الغافِقّي محتسِب دمشق من قبل الحاكم؛ وكان شهماً في الحِسْبة؛ أدّب رجلاً، فلما ضربه دِرّة، قال المضروب: هذه في قفا أبي بكر؛ فلمّا ضربه أخرى قال: هذه في قفا عمر؛ فضربه أخرى فقال: هذه في قفا عثمان؛ ثم ضربه أخرى فسكت. فقال له الغافقيّ: أنت ما تعرِف ترتيب الصحابة، أنا أعرّفك، وأفضلُهم أهل بدر، لأصفعنّك على عددهم فصفعه ثلاثمائة وستّ عشرة درّة؛ فحُمِل من بين يديه فمات بعد أيام. قلت: إلى سقر. وبلغ الحاكم ذلك، فأرسل يشكره ويقول: هذا جزاء من ينتقص السلف الصالح. قلت: لعلّ هذه الواقعة كانت صادفت من الحاكم أيام صلاحه وإظهاره الزهد والتفقّه.

وفيها توفّي الحسين بن أحمد بن جعفر أبو عبد الله؛ كان زاهداً عابداً لا ينام إلا عن غَلَبة؛ وكان لا يدخل الحمّام، ويأكل خبز الشعير؛ ومات في شعبان.

وفيها توفّي علي بن سعيد الإِصْطَخْرِيّ أحد شيوخ المعتزلة؛ صنّف للقادر «الردّ على الباطنية» وأجرى عليه القادر جراية سنيّة وحبسها من بعده على بنيه.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم ثلاث أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً سواء.

* * *

السنة التاسعة عشرة من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة خمس وأربعمائة.

فيها منع الحاكم النساء من الخروج من بيوتهنّ، وقتل بسبب ذلك عدّة نِسوة(١).

(١) راجع ص ٢٣٥ من هذا الجزء، حاشية (٢).

وفيها جلس الخليفة القادر ببغداد وأحضر العلويّين والعباسيّين والقضاة، وأحضر الخِلَع السلطانية ما عدا التاج ولواءً واحداً، وقُرِىء عهد أبي طاهر ركن الدين بن بهاء الدولة، ولقّبه بجلال الدولة وجمال الملّة ركن الدين. قلت: وهذا أوّل لقب سمعناه في الإسلام (أعني ركن الدين). ولا أدري متى لُقِّب به ٱبن بهاء الدولة المذكور، غير أنني سمِعت من بعض علماء العجم أنّ ٱبن بهاء الدولة المذكور مشى بين يدي الخليفة القادر، فقال له الخليفة: ٱركب ركنَ الدين؛ فسُمِّيَ بذلك. والله أعلم.

وفيها حجّ بالناس من العراق أبو الحسن محمد بن الحسن العلويّ الأقساسِيّ[1].

وفيها توفّي بدر بن حَسنويه بن الحسين، أبو النجم الكرديّ؛ كان من أهل الجبال، وولّاه عضد الدولة الجبال وهَمَذان ودِينَور ونَهَاوَنْد وسابور وتلك النواحي بعد وفاة أبيه حسنويه. وكان شجاعاً عادلاً كثير الصدقات. والخليفة القادر كناه أبا النجم، ولقّبه ناصر الدولة، وعقد له لواء بيده.

وفيها توفّي بكر بن شَاذَان بن بكر، أبو القاسم المقرىء الواعظ البغداديّ؛ قرأ القرآن، وسمع الحديث، وكان عابداً زاهداً؛ وكانت وفاته في شوّال.

وفيها توفّي عبد الله بن محمد بن عبد الله، أبو محمد بن الأكفانِيّ الحنفيّ القاضي الأسديّ؛ كان عالماً ديِّناً؛ وُلِد سنة ستّ عشرة وثلاثمائة. قال أبو إسحاق الطبريّ: مَنْ قال: إن أحداً أنفق على العلم مائة ألف دينار غير أبي محمد [بن] الأكفانيّ فقد كذَب. قلت: هذا هو العلم الخالِص لوجه الله تعالى.

وفيها توفّي عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، الحافظ أبو سعيد؛ كان أبوه من إستراباد وسكن سَمَرْقَند وصنّف «تاريخ سمرقند» وعرضه على الدارقطنيّ فٱستحسنه، وكان ثقة.

(١) هذه النسبة إلى «الأقساس» وهي قرية كبيرة بالكوفة. (أنساب السمعاني).

وفيها توفّي عبد السلام بن الحسين بن محمد، أبو أحمد البصريّ اللغويّ؛ كان رجلاً فاضلاً عارفاً بالقرآن سَمْحاً جواداً.

وفيها توفّي عبد العزيز بن عمرو[١] بن محمد بن يحيى بن حميد بن نُباتة (ونباتة بضم النون)[٢] أبو نصر البغداديّ؛ كان من الشعراء المجيدين؛ مات ببغداد في شوال. ومن شعره: [الكامل]

وإذا عجزتَ من العدوّ فداره وآمزج[٣] له إنّ المزاج وِفاقُ
فالنار بالماء الذي هو ضدّها تُعْطِي النِّضاجَ وطبعُها الإحراقُ

وفيها توفّي عبد الغفار[٤] بن عبد الرحمن أبو بكر الدينوريّ؛ لم يكن ببغداد مُفْتٍ على مذهب سفيان الثوريّ غيره، وهو آخر من أفتى بجامع المنصور على مذهب الثوريّ. قلت: لعلّ ذلك كان بالشرق، وأمّا بالغرب فدام مذهب الثوريّ بعد هذا التاريخ عدّة سنين. كان عبد الغفار عالماً فاضلاً مناظراً، ومات في شوال.

وفيها توفّي محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعَيم، الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوريّ، ويعرف بآبن البَيِّع، الضبّيّ؛ وُلد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة؛ كان أحد أركان الإسلام، وسيِّد المحدّثين وإمامهم في وقته والمرجوع إليه في هذا الشأن؛ رحل [إلى] البلاد، وصنّف الكتب، وسمع الكثير، ورَوَى عنه الجمّ الغفير، ومات في صفر.

وفيها توفّي هبة الله بن عيسى، كاتب مهذّب[٥] الدولة البطائحيّ ووزيره؛ كان فاضلاً راوية للأخبار وشاعراً فصيحاً.

---

(١) كذا أيضاً في شذرات الذهب والذهبي. وفي تاريخ بغداد والمنتظم وابن خلكان والبداية والنهاية: «عمر».
(٢) في الأصل: «بضم التاء المثناة من فوقها».
(٣) كذا أيضاً في المنتظم وعقد الجمان والبداية والنهاية. وفي تاريخ بغداد: «وامزح له إن المزاح...» بالحاء المهملة في الموضعين.
(٤) في الأصل: «عبد الغافر». وما أثبتناه عن عقد الجمان والمنتظم.
(٥) في الأصل: «مهد الدولة». والتصحيح عن ابن الأثير والمنتظم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع سواء. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وإصبعان.

* * *

السنة العشرون من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة ستّ وأربعمائة.

فيها منع فخر الملك[١] يوم عاشوراء من النوح مخافة الفتنة؛ وكان الشريف الرضي قد توفّي في خامس المحرّم فٱشتغلوا به؛ وكان قد وقع بالعراق وباء عظيم خصوصاً بالبصرة. وفي صفر قُلّد الشريف المرتضى نقابة الطالبيّين والحجّ والمظالم بعد موت أخيه الشريف الرضي بإشارة سلطان الدولة فخر الملك.

وفيها ولّى الحاكم شاتكين[٢] شهمَ الدولة دمشقَ، وعزله سنة ثمان.

وفيها لم يحج أحد من العراق، وحجّ الناس من مصر وغيرها.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن أحمد، أبو حامد الاسفرايني الفقيه الشافعيّ؛ كان إماماً فقيهاً عالماً؛ اِنتهت إليه رياسة مذهب الشافعيّ في زمانه. كان يقال: لو رآه الشافعيّ لفرِحَ به. وكان يتوسّط بين الخليفة القادر وبين السلطان محمود بن سُبُكْتِكين. ومات ليلة السبت لإحدى عشرة[٣] ليلة بقيت من شوّال.

وفيها توفي محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، الشريف أبو الحسن الرضي الموسويّ؛ ولد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة. كان

(١) في الأصل: «فخر الدولة» والتصحيح عن المنتظم وعقد الجمان وابن الأثير والبداية والنهاية. وكانت قد وقعت فتنة فعلاً بين أهل الكرخ من الشيعة وبين أهل باب الشعير من السنة. فهاجم أهل الكرخ خصومهم وانتهبوا دور عدد منهم، فأنكر فخر الملك ذلك ومنعهم من إقامة النوح وتعليق المسوح. (ابن الأثير).

(٢) كذا في الأصل. وفي عقد الجمان: «ساتكين سهم الدولة» بسين مهملة في الموضعين. وفي معجم زامباور: «شهم ــ أو شمس ــ الدولة شاهتكين».

(٣) كذا في المنتظم وعقد الجمان. وفي الأصل: «ليلة السبت حادي عشر شوال».

عارفاً باللغة والفرائض والفقه والنحو؛ وكانَ شاعراً فصيحاً، عالي الهمّة متديّناً، إلاّ أنه كان على مذهب القوم إماماً للشّيعة هو وأبوه وأخوه. ومن شعره من جملة أبيات: [البسيط]

يا صاحبيَّ قِفَا لي وآقضِيَا وطراً وحـدّثانيَ عن نَجْـدٍ بـأخبـارِ
هل روّضت قاعة الوَعْساء[1] أومُطِرتْ خَمِيلةُ الطَّلْح ذات البان والغـار
تضـوعُ أرواح نجدٍ من ثيـابهمُ عند القدوم لقُرْب العهد بـالدار

وفيها توفّي محمد بن الحسن بن فُورَك، أبو بكر الأصبهانيّ الفقيه المتكلّم؛ كان إماماً عالماً؛ أُستدعي إلى نيسابور وتخرّج به جماعة في الأصول والكلام، وله فيهما تصانيف. وكان رجلاً صالحاً؛ سمـع الحديث، وروى عنه أبو بكر البَيْهَقيّ[2] وأبو القاسم القُشَيريّ[3] وغيرهما. قتله محمود بن سُبُكْتكِين بالسمّ لكونه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً في حياته فقط، وإنّ روحه قد بطل وتلاشى، وليس هو في الجنة عند الله تعالى (يعني روحه) صلى الله عليه وسلم.

وفيها كان الطاعون العظيم بالبصرة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراع وعشرون إصبعاً. مبلـغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وإصبعان.

* * *

السنة الحادية والعشرون من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة سبـع وأربعمائة:

فيها وقعت القبّة الكبيرة التي على الصخرة ببيت المقدس.

وفيها كانت الفتنة بين الرافضة وأهل السنّة بواسط، ونُهبت دُور الشّيعـة

(١) الوعساء: موضـع بين الثعلبية والخزيمية على جادة الحاج (معجم البلدان).
(٢) هو أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ. من أئمة الحديث.
(٣) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، زين الإسلام، أبو القاسم القشيري المتوفى سنة ٤٦٥هـ. شيـخ خراسان في عصره.

والعلويّين، وقصدوا عليّ بن مَزْيد[1] وآستنصروا به.

وفيها آحترق مشهد الحسين بن عليّ بكَرْبَلَاء من شمعتين غفلوا عنهما.

وفيها في أوّلها تشعّب[2] الركن اليمانيّ من البيت الحرام.

وفيها كانت الوقعة بين سلطان الدولة وبين أخيه أبـي الفوارس، وآنهـزم أبو الفوارس.

وفيها ملك السلطان محمود بن سُبُكْتِكين خُوَارَزْم.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن دُوسْت، أبو عبد الله؛ كان حافظاً متقناً؛ مات في شهر رمضان.

وفيها توفّي سليمان بن الحكم الأُمويّ المغربـي صاحب الأندلس. وثب عليه رجلان آدّعيا أنهما من الأشراف وتغلّبا على الأندلس. وكانت مدّة ولاية سليمان هذا على الأندلس ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام. وآنقطعت بموته ولاية بني أميّة على الأندلس سبـع سنين وثمانية أشهر وأيّاماً، ثم عادت سنة أربـع عشرة وأربعمائة.

وفيها توفّي محمد بن عليّ بن خلف، أبو غالب الوزير فخر الملك. أصله من واسط، وكان أبوه صيرفيّاً؛ فتنقّلت به الأيام إلى أن استوزره بهاء الدولة، وبعثه نائباً عنه إلى بغداد. وكان جواداً مُمدّحاً. أثّر ببغداد الآثار الجميلة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربـع أذرع سواء. مبلـغ الزيادة سبـع عشرة ذراعـاً وأربـع أصابـع.

* * *

(١) في الأصل: «علي بن يزيد». وهو تحريف. راجع ص ٢٢١، حاشية (١).

(٢) في البداية والنهاية وابن الأثير: «تشعّث». وكلاهما بنفس المعنى. أي تصدّع.

السنة الثانية والعشرون من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة ثمانٍ وأربعمائة:

فيها عزل الحاكمُ شاتكين(١) من إمرة دمشق؛ وكان ظالماً غَشُوماً؛ وهو الذي بنى جسرَ الحَدِيد تحت قلعة دمشق؛ وآتفق أنّ يوم فراغ الجسر [قال](٢): لا يعبرُ غداً أحد عليه. فلما أصبح جلس على الباب ينظر إليه وقد عزم على أن يكون أوّل من يركب ويعبُر عليه، وإذا بفارس قد أقبل فعبر عليه؛ فأنكره وقال: من أين؟ قال: من مصر؛ وناوله كتاباً من الحاكم بعزله. فقال بعض أهل دمشق: [الرمل ــ مجزوء]

عَقَد الجسرَ وقد حـ ـل عُراه بيديهِ
ما دَرَى أنّ عليه يعبُر العزل إليه

ولم يحجّ أحد في هذه السنين إلى سنة آثنتي عشرة وأربعمائة؛ أعني من العراق.

وفيها توفّي شباشي(٣) المشطّب؛ ولقبه السعيد وكنيته أبو طاهر(٤)، مولى شرف الدولة بن عَضُد الدولة بن بُوَيه. ولقّبه بهاء الدولة بالسعيد وذي الفضيلتين، ثم لقّب بهاءُ الدولة أبا الهيجاء بختكين(٥) بالمناصح، وأشرك بينهما في أمور الأتراك ببغداد. وكان السعيد هذا كثير الصدقات فائض المعروف والإحسان لأهل بغداد؛ كان يكسو الأيتام والضعفاء وينظر في حال الفقراء؛ وكان من محاسن الدنيا؛ وعاش بعد المناصح رفيقه ستّة أشهر ومات. وكان رفيقه المناصح أيضاً من رجال الدهر وعقلائهم ومن أعلاهم همّة، ولم يخلف بعده مثله.

وفيها توفّي محمد بن إبراهيم بن محمد، أبو الفتح الطَرَسوسي المجاهد في سبيل الله؛ استوطن بيت المقدس بنية الرِّباط، وتوفّي به.

---

(١) راجع ص ٢٣٩، حاشية (٢).
(٢) زيادة من طبعة دار الكتب، عن مرآة الزمان.
(٣) كذا أيضاً في البداية والنهاية والمنتظم. وفي ابن الأثير: «سباشي» بالسين المهملة.
(٤) في البداية والنهاية: «أبو نصر».
(٥) في الأصل: «بخكبن» وما أثبتناه عن المنتظم وعقد الجمان.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وستّ عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة والعشرون من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة تسع وأربعمائة:

فيها توفّي عبد الله [بن محمد][1] بن أبي عَلّان، أبو محمد[2] قاضي الأهواز وأحد شيوخ المعتزلة؛ كان فاضلاً؛ صنّف الكتب الكثيرة في علم الكلام وغيره. ومن جملة تصانيفه: كتاب جَمَع فيه فضائل النبيّ صلى الله عليه وسلم، ذكر له فيه ألف معجزة؛ وكان له مال عظيم وضِياع كثيرة.

وفيها توفّي عبد الغني بن سعيد بن علي بن سعيد بن بشر بن مروان بن عبد العزيز بن مروان، الحافظ أبو محمد المصريّ المحدّث المشهور؛ مولده في ثاني ذي القعدة سنة آثنتين وثلاثين وثلاثمائة؛ وسمع الكثير، وبرع في علم الحديث، وصنّف الكتب: منها كتاب «المؤتلف والمختلف»، وكان عالماً بأسامي الرجال وعلل الحديث. وكان الدارقطنيّ يعظّمه ويقول: ما رأيتُ في طريقي مثله، ما آجتمعت به وآنفصلت منه إلا بفائدة. ومات بمصر في شوّال.

وفيها توفّي علي بن نصر، أبو الحسن مهذّب الدولة صاحب البطيحة[3]؛ كان جواداً ممدّحاً صاحب ذمّة ووفاء؛ وهو الذي آستجار به القادر بالله قبل أن يتخلّف، فأجاره ومنع الطائع منه، وقام في خدمته أحسن قيام.

وفيها توفّي محمد بن الحسين، أبو عبد الله العلويّ، ولّاه الحاكم القضاء والنقابة والخطابة بدمشق، وكان في القضاء قبل ذلك نائباً عن مالك بن سعيد آبن أخت الفارقيّ قاضي قضاة الحاكم؛ وكانت وفاته بدمشق في شهر رمضان.

(١) زيادة عن البداية والنهاية.

(٢) في البداية والنهاية: «أبو أحمد».

(٣) أرض واسعة بين واسط والبصرة.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وثماني أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وثلاث وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الرابعة والعشرون من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي سنة عشر وأربعمائة:

فيها جلس الخليفة القادر بالله ببغداد، وحضر القضاة وكتب عهد أبي الفوارس بن بهاء الدولة على كِرْمان وأعمالها، وبعث إليه بالخلع السلطانية على العادة.

وفيها ورد كتاب السلطان يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكين على الخليفة القادر بما فتحه من بلاد الهند وما وصل إليه من غنائمهم.

وفيها توفّي إبراهيم بن مَخْلَد بن جعفر بن إسحاق، أبو إسحاق البَاقَرْجِيّ؛ كان محدّثاً صدوقاً جيّد النقل حسن الضبط، من أهل الديانة والعلم والأدب؛ وكان يتفقّه على مذهب محمد بن جرير الطبريّ.

وفيها توفي محمد بن المظفّر بن عبد الله، أبو الحسن المعدّل[1]؛ كان فاضلاً شاعراً؛ مات ببغداد في جُمادى الأولى.

وفيها توفّي هبة الله بن سلامة، أبو القاسم الضرير البغداديّ؛ كان من أحفظ الناس لتفسير القرآن؛ وسمِع الحديث ورواه؛ وكان ثقة صالحاً.

وفيها توفّي أحمد بن موسى بن مِرْدَويه، الحافظ أبو بكر الأصبهانيّ في شهر رمضان؛ قاله الذهبيّ. وكان إماماً حافظاً ثقة سمع الكثير، وروى عنه جماعة.

وفيها توفّي عبد الواحد بن محمد بن [عبد الله بن محمد بن][2] مهديّ،

(١) في الأصل: «العدل». وما أثبتناه عن تاريخ بغداد والذهبي والمنتظم وعقد الجمان.

(٢) زيادة عن تاريخ بغداد والذهبي.

الحافظ أبو عمر[١] الفارسيّ البزاز في شهر رجب عن إحدى وتسعين سنة وأشهر؛ وكان إماماً فقيهاً محدّثاً ثقة من كبار المشايخ.

وفيها توفّي عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابَك، أبو القاسم، الشاعر المشهور، أحد الشعراء المجيدين المكثرين؛ وديوانه في ثلاثة مجلدات. ومن شعره بيت من جملة قصيدة في غاية الرقة: [الوافر]

ومرّ بي النسيم فرقَّ حتّى　　كأنّيَ قد شكوتُ إليه ما بِي

ومات ببغداد. و«بابك» بفتح الباءين الموحدتين وبينهما ألف وفي الآخر كاف.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة تسع عشرة ذراعاً وثماني أصابع.

* * *

السنة الخامسة والعشرون من ولاية الحاكم منصور على مصر

وهي التي مات فيها الحاكم حسب ما ذكرناه في ترجمته.

والسنة المذكورة سنة إحدى عشرة وأربعمائة:

فيها توفّي محمد بن عبد الله بن أحمد، أبو الفرج الدمشقيّ، ويعرف بابن المعلّم؛ وهو الذي بنى الكهف بقَاسِيُون[٢]، ويقال له كهف جبريل، وفيه المغارة التي يقال: إنّ الملائكة عزّت آدم عليه السلام فيها لمّا قتل قابيلُ هابيل. وكان محمد هذا شيخاً صالحاً زاهداً عابداً؛ مات في شهر رجب، ودُفن بمقبرة الكهف.

---

(١) في الأصل: «أبو عمرو» وما أثبتناه عما سبق.

(٢) هو الجبل المشرف على مدينة دمشق.

وفيها توفّي الحسن بن الحسن بن عليّ بن المنذر، أبو القاسم؛ كان إماماً فاضلاً محدّثاً؛ ومات ببغداد في هذه السنة.

وممن ذكر الذهبيّ وفاتهم، قال: وتوفّي أبو نصر أحمد بن محمد بن أحمد بن حَسْنُون النَّرْسِيّ[١]، والحاكم منصور بن العزيز العبيديّ صاحب مصر (يعني صاحب الترجمة)، وأبو القاسم الحسن بن الحسن بن عليّ بن المنذر ببغداد، وأبو القاسم عليّ بن أحمد الخزاعيّ ببلخ. انتهى.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثماني أذرع وخمس أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وثلاث أصابع.

(١) في الأصل: «المرسي» وهو تحريف. والتصحيح عن شذرات الذهب وتاريخ بغداد والذهبي والسمعاني. وهذه النسبة إلى «النَّرس» وهو نهر من أنهار الكوفة.

ذكر ولاية الظاهر[1] على مصر

هو الظاهر لإعزاز دين الله أبو هاشم، وقيل: أبو الحسن، عليّ بن الحاكم بأمر الله أبي عليّ منصور بن العزيز بالله نِزار بن المعزّ لدين الله مَعدّ بن المنصور إسماعيل بن القائم محمد بن المهديّ عبيد الله العبيديّ الفاطميّ المغربيّ الأصل، المصريّ المولد والمنشأ والوفاة، الرابع من خلفاء مصر من بني عبيد والسابع من المهديّ. مولدُه بالقاهرة في ليلة الأربعاء عاشر شهر رمضان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة؛ ووَلِي الخلافة بعد قتل أبيه الحاكم في شوّال من سنة إحدى عشرة وأربعمائة، حسب ما ذكرناه مفصّلاً في أواخر ترجمة أبيه الحاكم، وقيام عمّته ستّ الملك في أمره.

وقال صاحب مرآة الزمان: «ووَلِي الخلافة في يوم عيد النحر سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وله ستّ عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيّام وتمّ أمره».

ووافقه على ذلك القاضي شمس الدين بن خلكان، لكنّه قال: «وكانت ولايته بعد أبيه بمدّة، لأنّ أباه فُقِد في السابع والعشرين من شوّال سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وكان الناس يرجون ظهوره، ويتّبعون آثاره إلى أن تحقّقوا [عدمه][2]، فأقاموا ولده المذكور في يوم النحر». انتهى كلام ابن خلكان.

وقال أبو المظفر في المرآة: وملّك الظاهر لإعزاز دين الله سائر ممالك والده،

---

(١) انظر ترجمته وأخباره في: اتعاظ الحنفا: ٢٧١ ـ ٢٧٧، وخطط المقريزي: ٢٥٤/١، وابن خلكان: ٤٠٧/٣، وشذرات الذهب: ٢٣١/٣، والمنتظم: ٩٠/٨، وابن خلدون: ٦١/٤، وابن الأثير: ١٣١/٨ وما بعدها، وبدائع الزهور: ٢١١/١/١، وغيرها من مصادر التاريخ الإسلامي العام.

(٢) زيادة عن ابن خلكان.

مثل الشام والثغور وإفريقية، وقامت عمّته ستّ الملك بتدبير مملكته أحسن قيام، وبذَلت العطاء في الجند وساست الناس أحسن سياسة. وكان الظاهر لإعزاز دين الله عاقلاً سَمْحاً جواداً يميل إلى دين وعفّة وحلم مع تواضع. أزال الرسوم التي جدّدها أبوه الحاكم إلى خير، وعدَل في الرعيّة وأحسن السيرة، وأعطى الجند والقوّاد الأموال، وآستقام له الأمر مدّة؛ وولّى نوّابه بالبلاد الشامية، إلى أن خرج عليه صالح بن مِرْدَاس الكِلَابِيّ وقصد حلب وبها مرتضى الدولة أبو[نصر بن][1] لؤلؤ الحمدانيّ نيابة عن الظاهر هذا؛ فحاصرها صالح المذكور إلى أن أخذها. ثم تغلّب حسّان بن المفرّج [بن دَغْفَل][2] البدويّ صاحب الرملة على أكثر الشأم؛ وتضعضعت دولة الظاهر. وآستوزر الوزير نجيبَ الدولة عليّ بن أحمد الجَرْجَرَائِيّ. وكان الوزير هذا من بيت حشمة ورياسة، وكان أقطع اليدين من المرفقين، قطعهما الحاكم بأمر الله في سنة أربع وأربعمائة؛ وكان يكتب عنه العلّامة القاضي أبو عبد الله القُضَاعيّ، وكانت العلامة[3] «الحمد لله شكراً لنعمته». ولم يظهر أمر هذا الوزير إلا بعد موت عمّة الظاهر ستّ الملك بعد سنة خمسَ عشرةَ وأربعمائة[4]. وكان الظاهر لإعزاز دين الله كثير الصدقات منصفاً من نفسه، لا يدّعي دعاوى والده وجدّه في معرفة النجوم وغيرها من الأشياء المنكرة، لا سيما لمّا وقع من بعض حجاج المصريّين كسر الحجر الأسود بالبيت الحرام في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة. وكان أمر الحجر أنه لمّا وصل الحاجّ المصريّ إلى مكّة المشرّفة، وثب

(١) زيادة عن ابن الأثير.

(٢) زيادة عن ابن الأثير.

(٣) أي توقيعه.

(٤) تولى الوزارة للظاهر في ١٢ من ذي الحجة سنة ٤١٨هـ، وسيطر على الدولة سيطرة كاملة، إذ كان أول وزير بعد سلسلة طويلة من الوسطاء بدأت منذ وفاة ابن كلّس. وعندما توفي الظاهر سنة ٤٢٧هـ تولى الجرجرائي أخذ البيعة للمستنصر، وكان ابن ثمان سنين، فزاد نفوذ الوزير واستطاع أن يحد من أطماع المستنصر وتطلعها للاستحواذ على السلطان. كما أعاد النظام إلى الشام، ودبّر أمور الدولة المالية، حتى إنه عندما مات كان الموجود في بيت المال أكثر من مليون وسبعمائة ألف دينار. وتوفي الجرجرائي يوم الأربعاء السادس من رمضان سنة ٤٣٦هـ، وكانت مدة وزارته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وثمانية عشر يوماً. (انظر الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ٢٥٣).

شخص من الحاجّ إلى الحجر الأسود وهو مكانه من البيت الحرام، وضربه بدُبُّوس كان في يده حتى شعثه وكسر قِطعاً منه، وعاجله الناس فقتلوه؛ وثار المكّيون بالمصريّين فقتلوا منهم جماعة ونهبوهم، حتّى ركب أبو الفتوح الحسن بن جعفر فأطفأ الفتنة ودفع عن المصريّين. وقيل: إنّ الرجل الذي فعل ذلك كان من الجهّال الذين آستغواهم الحاكم وأفسد عقائدهم. فلمّا بلغ الظاهر ذلك شقّ عليه وكتب كتاباً في هذا المعنى.

قال هلال بن الصابىء: «وجدت كتاباً كُتِب من مصر في سنة أربع عشرة وأربعمائة على لسان المصريّين، وهو كتاب طويل، فمنه: «وذهبت طائفة من النُّصَيْريّة[1] إلى الغلوّ[2] في أبينا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، رضوان الله عليه، غلت وآدّعت فيه ما آدّعت النصارى في المسيح. ونجمت من هؤلاء الكفرة فرقةٌ سخيفة العقول ضالّة بجهلها عن سواء السبيل؛ فغلَوْا فينا غلوّاً كبيراً، وقالوا في آبائنا وأجدادنا مُنْكراً من القول وزوراً؛ ونسبونا بغلوّهم الأشنع، وجهلهم المُسْتفظع، إلى ما لا يليق بنا ذكره. وإنا لنبرأ إلى الله تعالى من هؤلاء الجهلة الكفرة الضُّلّال[3]. ونسأل الله أن يُحسن معونتنا على إعزاز دينه وتوطيد[4] قواعده وتمكينه، والعمل بما أمرنا به جدّنا المصطفى، وأبونا عليّ المرتضى، وأسلافنا البررة أعلام الهدى. وقد علِمتم يا معشر أوليائنا ودعاتنا ما حكمنا به من قطع دابر

(١) في الأصل: «البصرية» وهو تحريف.
والنصيرية: هم أتباع نصير، غلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ويدّعون ألوهية عليّ. ويزعمون أن مسكن عليّ السحاب، وإذا مرّ بهم السحاب قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن. وهم يقولون إن سلمان الفارسي رسوله، ويحبون ابن ملجم ويقولون إنه خلّص اللاهوت من الناسوت. ولهم خطاب بينهم، من خاطبوه به لا يعود يرجع عنهم. وهم طائفة مجوسيّة المعتقد، لا تحرم البنات ولا الأخوات، ولهم اعتقاد في تعظيم الخمر. (صبح الأعشى: ٢٥٣/١٣، والتعريف بالمصطلح الشريف: ١٩٧ ـ طبعة دار الكتب العلمية). والظاهر أن النصيرية يرجعون في الأصل إلى نفس الدعوة السرّية التي اشتق منها مذهب الدروز. وما يزال منهم اليوم بقية في اللاذقية وطرابلس وحماة ودمشق. وهذا النصّ الوثيقة الذي بين أيدينا يلقي الضوء على بعض معتقداتهم وأصولها.
(٢) في الأصل: «إلى العلوية ففي أبينا...».
(٣) في الأصل: «الضالة». وما أثبتناه من طبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.
(٤) في الأصل: «وتطويل» والتصحيح عما سبق.

هؤلاء الكفرة الفُسّاق، والفجرة المُرّاق؛ وتفريقنا لهم في البلاد كل مفرَّق؛ فظعَنوا في الآفاق هاربين، وشردوا مطرودين خائفين. وكان من جملة من دعاه الخوف منهم إلى الانتزاح رجل من أهل البصرة أهوج أثْوَل[١]، ضالّ مضلّ، سار مع الحجيج إلى مكّة ــ حرسها الله ــ فَرَقاً[٢] من وقع الحسام، وتستّر بالحجّ إلى بيت الله الحرام. فلمّا حصل في البيت المفضّل المعظّم، والمحل المقدّس[٣] المكرّم، أعلن بالكفر، وما كان يُخفيه من المكر، وحمله [لَمَمٌ في عقله][٤] على قصد الحجر الأسود حتّى قصده وضربه بدُبُّوس ضربات متواليات، أطارت منه شظايا وُصِلت بعد ذلك. ثم إنّ هذا الكافر عُوجل بالقتل على أسوإِ حاله وأضلّ أعماله، وأُلحق بأمثاله من الكفرة الواردين موارد ضلاله؛ ذلك لهم خِزْي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم. ولعمري إنّ هذه لمصيبة في الإسلام قادحة، ونكاية فادحة؛ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون. لقد آرتقى هذا الملعون مُرْتقًى عظيماً، ومقاماً جسيماً، أذكر به ما كان أقدم عليه غلام ثَقِيف المعروف بالحجّاج ــ لعنه الله ــ من إحراق البيت وهدمه، وإزالة بنيانه وردمه». ثم ذكر كلاماً طويلاً في هذا المعنى يطول الشرح في ذكره». انتهى كلام ابن الصابىء.

وروَى ابن ناصر بإسناد إلى أبي عبد الله محمد بن عليّ العلويّ، قال: «وفي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة كُسِر الحجر الأسود لمّا صُلّيت الجمعة يوم النَّفْر الأوّل بِمنًى، ولم يكن رجع الناس بعدُ من مِنًى؛ قام رجل ممن ورد من ناحية مصر بيده سيف مسلول وبالأخرى دُبُّوس، بعدما قضى الإمام الصلاة، فقصد الحجر الأسود ليستلمه على الرسم، فضرب وجه الحجر ثلاث ضربات متواليات بالدبّوس، وقال: «إلى متى يعبد الحجر! ولا محمد ولا عليّ يقدِران على منعي عما أفعله، إني أريد أن أهدم هذا البيت وأرفعه». فآتّقاه الحاضرون وتراجعوا عنه، وكاد يفلت. وكان

(١) أي عليه بوادر الجنون.
(٢) في الأصل: «من قاصد وقع الحسام وسير الحج» والتصحيح عما سبق.
(٣) في الأصل: «المقدم» وما أثبتناه عن طبعة دار الكتب.
(٤) زيادة من المرجع السابق.

رجلًا تامّ القامة أحمر اللون أشقر الشعر سميناً، وكان على باب المسجد عشرة فرسان على أن ينصروه؛ فآحتسب رجل من أهل اليمن أو من أهل مكّة أو غيرها نفسَه، فوَجَأه بخنجر واحتوشه[١] الناس فقتلوه، وقطّعوه وأحرقوه بالنار، وثارت الفتنة؛ فكان الظاهر من القتلى أكثر من عشرين غير ما أُخفي منهم. وتقشّر بعض وجه الحجر في وسطه من تلك الضربات وتخشّن. وزعم بعض الحجّاج أنه سقط منه ثلاث قطع، وكأنه ثقب ثلاثة ثقوب، وتساقطت منه شظايا مثل الأظفار؛ وموضع الكسر أسمر يضرب إلى صفرة، محبّب مثل الخشخاش. فجمع بنو شيبة ما تفرّق منه وعجنوه بالمسك، وحشَوْا تلك المواضع وطلوها بطِلاء من اللُّك[٢]، فهو بيّن لمن تأمّله، وهو على حاله إلى اليوم». انتهى.

ثم بعد هذه الواقعة بلغ الظاهرَ هذا أنّ السلطان يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكين عظُم أمره، فأحبّ أن يكتب إليه كتاباً يدعوه إلى طاعته؛ فكتب إليه وأرسل إليه بالخلَع، وأن يُخطب باسمه بتلك البلاد. وكان أبوه الحاكم بأمر الله أرسل إليه قبل ذلك، فخرق محمود بن سُبُكْتِكين كتاب الحاكم وبصَق فيه؛ ومات الحاكم وفي قلبه من ذلك أمور، وقد ذكرنا ذلك في ترجمته. فلما علِم الظاهر هذا بما كان والده الحاكم عزم عليه من أمر محمود المذكور أخذ هو أيضاً في ذلك، وكاتب السلطان محموداً؛ فلم يلتفت محمود لكتابه، وبعث به وبالخِلَع إلى الخليفة القادر العباسيّ، وتبرأ من الظاهر هذا. فجمع القادر القضاة والأشراف والجند وغيرهم ببغداد، وأخرج الخلع إلى باب النوبيّ، وكانت سبع جبب وفرجّية ومركَب ذهب، وأُضرمت النار وأُلقيت الثياب فيها، وسبك المركَب الذهب، فظهر منه أربعون ألف دينار وخمسمائة، وقيل: أخرج منه دراهم هذا العدد؛ فتصدّق بها الخليفة القادر على ضُعفاء بني هاشم. وبلغ الظاهر فقامت قيامته، وآنكفّ عن مكاتبة محمود بعدها.

---

(١) احتوشه الناس: أي أحاطوا به وجعلوه وسطهم. ووجأ: ضرب.

(٢) اللُّك: صبغ أحمر تفرزه بعض الحشرات على بعض الأشجار ــ خاصة في جزر الهند الشرقية ــ ويذاب في الكحول فيكون منه دهان للخشب. (المعجم الوسيط) ويعرف اللُّك في التجارة باسم: جملكة. ويستعمل لتغطية سطوح الخشب، وورنيشاً كحولياً، وللتَّقْسية، وفي العوازل الكهربائية. (الموسوعة العربية الميسّرة).

وكان الظاهر ينظر في مصالح الرعيّة بنفسه وفي إصلاح البلاد. فلمّا وقع الفناء في ذوات[١] الأربع في سنة سبع عشرة وأربعمائة، منع الظاهر من ذبح البقر السليمة من العيوب التي تصلح للحَرْث وغيره، وكُتب على لسانه كتاب قرىء على الناس، فمنه: «إن الله تعالى بتتابع نعمته وبالغ حكمته، خلق ضروب الأنعام، وعمِل فيها منافع الأنام؛ فوجب أن تُحمى البقر المخصوصة بعمارة الأرض، المذلّلة لمصالح الخلق؛ فإنّ في ذبحها غاية الفساد، وإضراراً للعباد والبلاد». وأباح ذبح ما لا يصلح للعمل ولا يحصُل به النفع. فمنع الناس ذبح البقر. وحصل بذلك النفع التام.

ومات في أيّام الظاهر المذكور مبارك الأنماطيّ البغداديّ التاجر؛ وكان له مال عظيم، وكان قد خرج من بغداد إلى مصر فتُوفِيّ بها في سنة سبع عشرة وأربعمائة، وكان معه ثلاثمائة ألف دينار. فقال الظاهر: هل له وارث؟ فقيل: ما له سوى بنت ببغداد؛ فترك الظاهر المال كلّه للبنت ولم يأخذ منه شيئاً.

وفي سنة عشرين وأربعمائة خرج على الظاهر بالبلاد الشاميّة صالح[٢] بن مِرْداس أسد الدولة وحسّان[٣] بن المفرّج بن الجرّاح، وجمعا الجموع وآستوليا على الأعمال، وآنتهيا إلى غَزّة. فجهز الظاهر لحربهما جيشاً عليه القائد أَنُوشْتَكين منتخَب الدولة التركيّ أمير الجيوش المعروف بالدِّزبِري[٤]، فالتقى معهما؛ فانهزم

---

(١) في الأصل: «في ذوي الأربع».

(٢) صالح بن مرداس الكلابي، أول ملوك بني مرداس المتملكين لحلب.

(٣) حسان بن المفرج بن الجرّاح الطائي. أحد أسرة بني جرّاح من قبيلة طيىء اليَمنية الذين استقروا في فلسطين. كان لهم دور في الحياة السياسية في الشام في نهاية القرن الرابع الهجري وأوائل القرن الخامس، ولكنهم لم يستطيعوا إطلاقاً أن يؤسسوا دولة ولا أن تكون لهم عاصمة إلا لفترة قصيرة جداً في الرملة. وتولى حسان بن الجراح في سنة ٤٠٤هـ، وكوّن بالاشتراك مع صالح بن مرداس وسنان بن البنّا حلفاً ليستقلوا بالشام عن الدولة الفاطمية، فتكون حلب لابن مرداس، ودمشق لسنان بن البنّا، وفلسطين لابن الجراح. وطلبوا معاونة الامبراطور البيزنطي فلم يسعفهم. (أخبار مصر للمسبّحي: ص ٣٥، وتاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي: ص ٢٤٤).

(٤) الدزبري: (بكسر الدال المهملة والباء الموحدة وبينهما زاي وفي الآخر راء) نسبة إلى دزبر بن أوتيم الديلمي. (ابن خلكان: ٢/٤٨٧).

حسّان بن المفرّج، وقُتِل صالح وآبنه الأصغر. وبعَث الدِّزبريّ برأس صالح إلى الظاهر بمصر، وأفلت نصر بن صالح الأكبر إلى حلب. وآستولى الدّزبريّ على الشام ونزل على دِمشق، وكتب إلى الظاهر كتاباً مضمونه النصر، ويعرّفه فيه بما جرى؛ وكان بينه وبينهما ملحمة هائلة. ولما فرغ الدّزبريّ من القتال مدحه مظفر[1] الدولة بن حيّوس بأبيات بسبب هذه الواقعة، أوّلها: [الكامل]

هل للخليط المستقلّ إيابُ ... أم هل لأيّام مضت أعقابُ
يا مَيُّ هل لدنوّ دارك رجعةٌ ... أم للعتاب لديكمُ إعتابُ
لا أرتجي يوماً سلوًّا عنكُم ... هيهات سُدّت دونه الأبواب
أو صاب جسمي من جناية بعدكُمْ ... والصبر صبرٌ بعدكم أو صابُ
ولمصطفى الملك[2] آعتزامُ المصطفى ... لمّا أحاط بيثربَ الأحزابُ
يومان للإسلام عزّ لديهما ... دين الإله وذلّت الأعرابُ
طلبوا العِقابَ ليسلَموا بنفوسهم ... فآبتزهم دون العِقاب عُقاب
وآستشعروا نصراً فكان عليهمُ ... وتقطّعت دون المراد رقاب
كانوا حديداً في الورى[3] لكنّهمْ ... لما آصطَلَوْا نارَ المظفّر ذابوا

والقصيدة أطول من هذا، وكلّها على هذا النَّمُوذَج. ولمّا آنهزم شِبل الدولة نصر بن صالح المذكور إلى حلب وملَكها، طمع صاحب أنطاكية الروميّ في حلب، وجمع الروم وسار إليها وأحاط بها وقاتل أهلها؛ فكبسه شبل الدولة نصر المذكور من داخلها ومعه أهل البلد فقتلوا معظم أصحابه؛ وآنهزم ملكهم صاحب

---

(١) في ابن خلكان وشذرات الذهب: «مصطفى الدولة». وذكر حسن الباشا في الألقاب الإسلامية أن «المظفر» كان لقباً للدزبري في ابتداء حكمه للشام.
وابن حيُّوس: هو أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيّوس، أحد الشعراء الشاميين المحسنين ومن فحولهم المجيدين. كان منقطعاً إلى بني مرداس أصحاب حلب، وله فيهم القصائد الأنيقة. توفي بحلب سنة ٤٧٣هـ. (وفيات الأعيان: ٤/٤٣٨).

(٢) مصطفى الملك: من الألقاب التي زادها أنوشتكين الدزبري إلى ألقابه أثناء حكمه للشام في عهد الفاطميين. (الألقاب الإسلامية: ٤٧٢).

(٣) كذا بالأصل. وفي طبعة دار الكتب عن ديوانه: «في الوغى».

أنطاكيَة إليها في نفر يسير من أصحابه، وغنِم نصر أموالهم وعساكرهم. وقيل: كبسه نصر المذكور على أعزاز[١] فغنم منه أموالاً عظيمة. وسرّ الظاهر هذا بنُصْرة نَصْر لكون الإسلام يجمع بينهما.

وكان المتغلّبون على البلاد في أيّام الظاهر كثيرين جداً، وذلك لصغر سنّه وضعف بدنه. ووقع له في أيّامه خطوب قاساها إلى أن تُوُفّي بالقاهرة في يوم الأحد النصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة، وعمره إحدى وثلاثون سنة. وكانت ولايته على مصر ستّ عشرة سنة وتسعة أشهر. تولّى الملك بعده آبنه أبو تميم مَعدّ، ولقب بالمستنصر وسنه ثماني سنين؛ وقام عليّ بن أحمد الجَرْجَرَائِيّ الوزير بالأمر، وأخذ له البيعة، وقرّر للجند أرزاقهم، واستقامت الأحوال. وكانت وفاة الظاهر بعلّة الاستسقاء، طالت به نيّفاً وعشرين سنة من عمره.

قلت: ولهذا أشرنا أنه كان كثرةٌ من تغلب عليه لضعف بدنه وصغر سنه.

وكان الظاهر جواداً ممدّحاً سَمْحاً حليماً محبباً للرعيّة، ولا بأس به بالنسبة لآبائه وأجداده. وهو الذي بنى قصر اللؤلؤة[٢] عند باب القنطرة، وهو من القصور المعدودة بالقاهرة، وصار يتنزّه به هو ومن جاء بعده من خلفاء مصر من ذرّيته وأقاربه، وكان التوصل إلى القصر من باب مراد[٣]، وصار الخلفاء يقيمون به في أيّام النيل. ودام أمر هذا القصر مستقيماً إلى أن وقع الغلاء بالديّار المصريّة في زمن المستنصر، وذهب من محاسن القاهرة شيء كثير من عظم الغلاء والوباء؛ كما سيأتي ذكره إن شاء الله في محلّه.

* * *

(١) راجع ص ١٢٣ من هذا الجزء، حاشية (٤).

(٢) راجع ص ٤٩ من هذا الجزء، حاشية (٣).

(٣) باب مراد: كان من أبواب القصر الصغير في سوره الغربي المشرف على البستان الكافوري، وهو من أبواب القصر الخاصة لا يفتح إلا للخليفة وأهله عند خروجهم إلى البستان الكافوري وإلى قصر اللؤلؤة. وكان موضع هذا الباب في عرض مدخل شارع سوق السمك الذي بالخرنفش لجهة الشرق من مدخل شارع خان أبو طاقية بقسم الجمالية. (م. رمزي). وانظر خطط المقريزي: ٤٦٧/١.

السنة الأولى من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة آثنتي عشرة وأربعمائة:

فيها وُقِّع بين سلطان الدولة وبين مشرّف الدولة بن بُوَيْه، وآستفحل في الآخر أمرُ مشرّف الدولة، وخطب له ببغداد في المحرّم، وخُوطب بشاهنشاه مولى أمير المؤمنين، وقُطعت الخطبة لسلطان الدولة من بغداد.

وفيها لم يحجّ أحد من العراقيّين ولا في الماضية. فقصد الناس يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكين وقالوا له: أنت سلطان الإسلام وأعظم ملوك الأرض، وفي كلّ سنة تفتح من بلاد الكفر ما تحبّه، والثواب في فتح طريق الحجّ أعظم، وقد كان الأمير بدر بن حسنويه، وما في أمرائك إلّا من هو أكبر منه [شأناً][1]، يسيّر الحاجّ بماله وتدبيره عشرين سنة. فتقدّم آبن سُبُكْتِكين إلى قاضيه أبي محمد الناصحيّ[2] بالتأهب للحجّ ونادى في أعمال خُرَاسان بالحجّ، وأطلق للعرب ثلاثين ألف دينار سلّمها إلى الناصحيّ المذكور غير ما للصدقات؛ فحجّ بالناس أبو الحسن الأَقْسَاسِيّ. فلمّا بلغوا فَيْد[3] حاصرتهم العرب؛ فبذل لهم القاضي الناصحيّ خمسة آلاف دينار؛ فلم يقنعوا وصمّموا على أخذ الحاجّ؛ فركب رأسهم جماز[4] بن عُدَي وقد آنضم عليه ألفا رجل من بني نَبْهان، وأخذ بيده رمحاً وجال حول الحاجّ، وكان في السَّمَرْقَنْديّين غلام يعرف بآبن عفّان، فرماه بسهم فسقط منه ميتاً وهرب جمعُه، وعاد الحاجّ في سلامة.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن أحمد، أبو سَعْد[5] المالِينيّ الصوفيّ الحافظ؛

---

(١) زيادة عن المنتظم.

(٢) هو القاضي عبد الله بن الحسين، أبو محمد النيسابوري، قاضي القضاة بخراسان، وشيخ الحنفية في عصره. توفي سنة ٤٤٧هـ . (الأعلام: ٤/ ٧٩).

(٣) فَيْد: بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة (معجم البلدان).

(٤) كذا في الأصل والبداية والنهاية. وفي المنتظم وعقد الجمان: «جمار». وفي ابن الأثير: «حمار».

(٥) في الأصل والمنتظم وعقد الجمان: «أبو سعيد». وما أثبتناه عن ابن الأثير والبداية والنهاية والسمعاني وشذرات الذهب وتذكرة الحفاظ ومعجم البلدان. والماليني: نسبة إلى مالين، من قرى هراة.

سافر إلى الأقطار، وسمِع خلقاً كثيراً، وصنّف وصحِب المشايخ؛ وكان يقال له طاوس الفقراء[١].

وفيها توفّي الحسن بن عليّ، أبو عليّ الدقّاق النيسابوريّ، أحد المشايخ؛ كان صاحب حال ومقال. قال القُشَيْرِيّ: سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقّاق يقول في قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «من تواضع لغنيّ لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه» قال: لأنّ المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فإذا خدمه بأركانه وتواضع له بلسانه ذهب ثلثا دينه، فإن خدمه بقلبه ذهب الكلّ.

وفيها توفّي محمد بن أحمد بن محمد، أبو الحسن بن رَزْقويه البغداديّ البزّاز؛ وُلد سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، ودرس الفقه، وسمع الحديث فأكثر؛ وكان ثقة صدوقاً كثير السماع حسنَ الاعتقاد جميلَ المذهب.

وفيها توفّي محمد بن الحسين بن محمد بن موسى، أبو عبد الرحمن السُّلَمِيّ النيسابوريّ، الحافظ الكبير، شيخ شيوخ الدنيا في زمانه؛ طاف الدنيا شرقاً وغرباً، ولَقِي الشيوخ الأبدال؛ وإليه المرجع في علوم الحقائق والسير وغيرها، وله المصنفات الحسان.

وفيها توفّي محمد بن عمر، أبو بكر العنبرِيّ الشاعر؛ مات يوم الخميس ثاني عشر جُمادى الأولى ببغداد.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم خمس أذرع وستّ عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وثلاث أصابع.

* * *

(١) في الأصل: «الفقهاء». وما أثبتناه عن شذرات الذهب وتذكرة الحفاظ.

السنة الثانية من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة:

فيها وقع الصلح بين سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن بويه وبين أخيه مشرّف الدولة على يد الأوحد[١] أبي محمد وزير سلطان الدولة، وخطب لسلطان الدولة ببغداد كما كان أوّلاً قبل الخلاف.

وفيها توفّي عليّ بن عيسى بن سليمان، أبو الحسن القاضي المعروف بالسكريّ الفارسيّ؛ مولده في صفر ببغداد سنة سبع وثلاثمائة، كان فاضلاً عالماً. مات في شعبان رحمه الله.

وفيها توفّي عليّ بن هلال، الإمام الأستاذ أبو الحسن، صاحب الخطّ المنسوب الفائق المعروف بابن البوّاب. كان أبوه بوّاباً لبني بويه، وقرأ هو القرآن وتفقّه وفاق أهل عصره في الخطّ المنسوب، حتى شاع ذكره شرقاً وغرباً. ومن شعر أبي العلاء المعرّي من قصيدة: [الطويل]

ولاح هلالٌ مثلُ نون أجادها بماء النُّضار الكاتبُ آبن هلالِ

يعني بآبن هلال آبن البوّاب هذا. وقال هلال بن الصابيء: دخل أبو الحسن البَتّيّ[٢] دار فخر الملك[٣]، فوجد آبن البوّاب هذا جالساً على عتبة الباب ينتظر خروج فخر الملك، فقال له: جلوس الأستاذ في العَتَب، رعاية للنسب[٤]. فغضِب آبن البواب وقال: لو كان لي الأمر ما مكنت مثلك من الدخول؛ فقال البَتّيّ: حتى لا يترك الشيخُ صنعته. انتهى. وقد قال فيه بعضهم: [البسيط]

---

(١) عبارة ابن الأثير: «وكان الصلح بسعي من أبي محمد بن مكرم، ومؤيد الملك الرخجي وزير مشرف الدولة» أضاف: على أن يكون العراق جميعه لمشرف الدولة، وفارس وكرمان لسلطان الدولة.

(٢) في الأصل: «الكبتي». والتصحيح عن ابن الأثير والمنتظم ومعجم البلدان وأنساب السمعاني. وهو أحمد بن علي، أبو الحسن البتّي. كان كاتباً للقادر بالله العباسي. وتوفي سنة ٤٠٥هـ. ونسبته إلى البتّ، من أعمال بغداد.

(٣) في الأصل: «فخر الدولة». والتصحيح عن المنتظم.

(٤) في الأصل: «رعاية للمكسب» وهو تحريف. والتصحيح عن المنتظم. وهو هنا يعرّض بأن أباه كان بوّاباً.

هـذا وأنت آبن بوّابٍ وذو عـدمٍ فكيف لو كنتَ ربَّ الدار والمالِ

وفيها توفّي محمد بن [محمد بن](١) النعمان، أبو عبد الله، فقيه الشيعة وشيخ الرافضة وعالمها ومصنّف الكتب في مذهبها. قرأ عليه الرضي والمرتضى وغيرهما من الرافضة؛ وكان له منزلة عند بني بويه وعند ملوك الأطراف الرافضة. قلت: كان ضالاً مُضلاً هو ومن قرأ عليه ومن رفـع منزلته؛ فإن الجميـع كانوا يقعون في حقّ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين؛ عليهم من الله ما يستحقّونه. ورثاه الشريف المرتضى(٢)؛ ولو عاش أخوه لكان أمعن في ذلك، فإنّهما كانا أيضاً من كبار الرافضة. وقد تُكلّم أيضاً في بني بويه أنّهم كانوا يميلون إلى هذا المذهب الخبيث؛ ولهذا نفرت القلوب منهم، وزال ملكهم بعد تشييده.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربـع أذرع وعشرون إصبعاً. مبلـغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وثماني عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثالثة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة أربـع عشرة وأربعمائة:

فيها دخل مشرّف الدولة بن بهاء الدولة إلى بغداد، وتلقّاه الخليفة في زَبْزَب بأُبّهة الخلافة؛ ولم يكن القادر لقِي أحداً من الملوك قبله.

وفيها ورد كتاب السلطان يمين الدولة محمود بن سُبُكْتِكِين على الخليفة القادر أنه أوغل في بلاد الهند. وعنوان الكتاب: «عبد مولانا أمير المؤمنين وصنيعته محمود بن سبكتكين».

---

(١) زيادة عن المنتظم وعقد الجمان وتاريخ بغداد وشذرات الذهب.

(٢) في الأصل: «الرضي» وقد توفي الشريف الرضي سنة ٤٠٦هـ، فلا يصح ذلك. والشريف المرتضى هو الذي صلى عليه بميدان الأشنان ـ بالكرخ ـ ودفن بداره ببغداد، ثم نقل إلى الكاظمية فدفن بمقابر قريش. وقبره الآن معروف في وسط الرواق الشرقي من المشهد الكاظمي. وهو المعروف بالشيخ المفيد وابن المعلم. (انظر ترجمته بإسهاب في أعيان الشيعة: ٩/ ٤٢٠).

وفيها عادت دولة بني أميّة إلى الأندلس بعد أن آنقطعت سبع سنين(١).

وفيها توفّي الحسن بن الفضل بن سهلان، أبو محمد وزير سلطان الدولة؛ وهو الذي بنَى [سور](٢) الحائر بمشهد الحسين بكَرْبَلاء؛ وكان من كبار الشيعة؛ كان رافضيّاً خبيثاً، قُبض عليه وصُودر وسُمِل وحُبس حتى مات.

وفيها توفّي محمد بن أحمد، أبو جعفر النَّسَفيّ الفقيه الحنفيّ العلاّمة، صاحب التصانيف ومصنّف كتاب «التعليقة»(٣) المشهورة وغيره. كان عالماً فاضلاً ورعاً زاهداً مفتناً في علوم؛ وكانت وفاته في شعبان.

وفيها توفي محمد بن الخضر بن عمر، أبو الحسين الحِمصيّ القاضي الفَرَضيّ؛ ولي القضاء بدمشق نيابةً عن أبي عبد الله محمد بن الحسين النَّصِيبيّ؛ وكان نَزِهاً عفيفاً. مات بدمشق في جمادى الأولى.

وفيها توفّي تمّام بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد، الحافظ أبو القاسم ابن الحافظ أبي الحسين الرازيّ ثم الدمشقيّ المحدّث. وُلد بدمشق سنة ثلاثين وثلاثمائة، وسمِع الكثير وحدّث. قال أبو بكر الحدّاد: «ما لقينا مثل تمام في الحفظ والخير». مات في المحرّم.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرُع وثماني أصابع. مبلغ الزيادة أربع عشرة ذراعاً وأربع عشرة إصبعاً(٤).

* * *

(١) كان حكم بني أمية على الأندلس قد توقّف سنة ٤٠٧هـ بمقتل سليمان بن الحكم، المستعين بالله، واستيلاء بني حمود العلويين على السلطة. وقد استمرت سلطة بني حمود إلى هذه السنة، فعاد حكم الأمويين بعبد الرحمن بن هشام، أبو المطرف المستظهر بالله. ولم تستمر دولة الأمويين بعد هذا طويلاً، إذ أسقطت نهائياً حين خلع آخر الخلفاء الأمويين هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر سنة ٤٢٢هـ، وابتدأت دويلات ملوك الطوائف. (انظر الحلة السيراء: ٢/٥ ــ ١٧، والبيان المغرب: ٣/١١٧ ــ ١٥٠، ونفح الطيب: ١/٣٠٠، ٣٠١، وطبقات سلاطين الإسلام لستانلي لي بول: ٢٦ ــ ٢٩).

(٢) زيادة عن المنتظم والبداية والنهاية.

(٣) هو كتاب «التعليقة في الخلاف» كما في كشف الظنون.

(٤) في أخبار مصر للمسبّحي: «١٤ ذراعاً وإصبع واحد» قال المسبّحي: وفي يوم الأحد والاثنين والثلاثاء =

السنة الرابعة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة خمس عشرة وأربعمائة:

فيها حجّ من العراقيين أبو الحسن الأقْسَاسِيّ ومعه حَسَنك صاحب محمود بن سُبُكْتِكين؛ فأرسل إليه الظاهر صاحب مصر خِلَعاً وصلة، فقبِلها حسنك ثم خاف من القادر فلم يدخل بغداد؛ وكاتب القادر آبن سبكتِكين فيما فعل حسنك؛ فأرسل إليه حسنك بالخِلَع المصريّة، فأحرقها القادر. وكان حسنك أمير خُراسان من قِبَل آبن سبكتكين.

وفيها وَلِي وزارة مصر للظاهر صاحب الترجمة نجيب الدولة عليّ بن أحمد الجَرْجَرَائِيّ(١) بعد موت ستّ الملك عمّة الظاهر.

وفيها مُنِع الرافضة من النوْح في يوم عاشوراء؛ ووقع بسبب ذلك فتنة بين الشيعة وأهل السنّة قُتل فيها خلق كثير؛ ومنع الرافضة من النوح وعيد الغدير؛ وأيّد الله أهل السنة، ولله الحمد.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن، أبو الفرج العدل البغداديّ الفقيه الحنفيّ، ويعرف بآبن المسلمة؛ مولدُه سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وسمِع

= سلخ جمادى الآخرة من هذه السنة انصرف ماء النيل انصرافاً متداركاً فاحشاً، ولم تُرْوَ منه الضياع ولا زكت الأرضون، فكثر ضجيج الناس بمصر واستغاثتهم، وخرج أكثر أهل البلد من الرجال والأطفال ومعهم المصاحف المنشورة إلى الجبل يستغيثون بالله تعالى. وتعذّرت الأخباز في الأسواق ووقع الازدحام على الغلّات، وليس يجسر أحد يزيد على دينار التلّيس شيئاً... ثم إن دوّاس بن يعقوب الكتامي، متقلّد الحسبة، أحضر الخبازين والدقّاقين يوم الأحد لخمس خلون من رجب، وضرب قوماً منهم وشهرهم، فظهرت الأخباز واستقامت أحوال الناس. (أخبار مصر للمسبّحي: ١٢، ١٤).

(١) تذكر المصادر أنه تولى الوزارة رسمياً في سنة ٤١٨هـ. (راجع ص ٢٤٨ من هذا الجزء، حاشية ٤) ولكن تبعاً لما يذكره المسبّحي يبدو أنه كان يتولاها بالفعل منذ سنة ٤١٥هـ. فبعد وفاة ست الملك سنة ٤١٥هـ ازداد نفوذ الجرجرائي وأصبح رابع أربعة يسيطرون على الظاهر سيطرة تامة. ثم استطاع أن ينفرد بالسلطان بعد ذلك إذ أصبح وزير الظاهر، وكتب له سجل التعيين من إنشاء علي بن خيران متولي ديوان الإنشاء في ١٢ ذي الحجة سنة ٤١٨هـ. وممن كانوا يشاركونه السيطرة قبل هذا القائد معضاد الخادم الأسود أبو الفوارس، ومحسن بن بدوس صاحب بيت المال. (انظر الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ٢٥٣، وأخبار مصر للمسبحي: ٣٢).

الحديث، وكان إماماً عالماً فاضلاً صدوقاً ثِقة كثير المعروف؛ وداره مأوى لأهل العلم.

وفيها توفّي سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة بويه ابن ركن الدولة الحسن بن بويه بن فَنّاخُسْرو الديلميّ بشِيراز. وكان مدّة ملكه آثنتي عشرة سنة وأشهراً، وتولّى الملك صبيّاً؛ ومات وله ثلاث وعشرون سنة. وقال صاحب مرآة الزمان: مات عن اثنتين وثلاثين سنة. انتهى. قلت: وكان في مدّة ملكه وقع له حروب كثيرة مع أخيه مشرّف الدولة وخُطب له ببغداد ثم آصطلحا، حسب ما ذكرناه؛ وخُطب لمشرّف الدولة على عادته إلى أن تُوُفّي سلطان الدولة هذا.

وفيها توفّي عبد الله بن عبد الله بن الحسين، أبو القاسم الخفّاف؛ كان يُعْرَف بآبن النقيب البغداديّ؛ رأى الشِّبْليّ وغيرَه، وسمِع الكثير، وكان سماعه صحيحاً؛ وكان شديداً في السنّة؛ ولما مات آبن المعلم فقيه الشيعة جلس، رضي الله عنه، للتهنئة؛ وقال: ما أبالي أيّ وقت متّ بعد أن شاهدت موته. وأقام عدّة سنين يصلّي الفجر بوضوء العشاء الآخرة. قلت: ومما يدلّ على دينه وحسن اعتقاده بغضه للشيعة عليهم الخزيّ. ولو لم يكن من حسناته إلّا ذلك لكفاه عند الله[1].

وفيها توفّي محمد بن الحسن، الشريف أبو الحسن الأقساسيّ العلويّ. هو من ولد زيد بن عليّ بن الحسين رضي الله عنه. حجّ بالناس من العراق سنين كثيرة نيابة عن المرتضى؛ وكان فاضلاً شاعراً فصيحاً؛ وهو أيضاً من كِبار الشيعة.

(١) هذا النوع من التدخل من قبل المؤلف يفتقد إلى الرصانة العلمية والدقة التاريخية. وهو جنوح نحو موقف «النواصب» الذين هم في اعتقادنا المعادل الموضوعي التعصبي «للروافض الغلاة». علماً أن ابن المعلم، الفقيه الشيعي المذكور (الشيخ المفيد) كان إمامياً اثني عشرياً. وهؤلاء معروفون ــ لدى العارفين ــ باعتدالهم العقائدي، والتزامهم بأصول ومبادىء الدين الحنيف. وقد استطاع عدد كبير من الباحثين الإسلاميين المحدثين ومن أئمة السنة والجماعة استدراك ذلك الخلط التاريخي الغوغائي ــ والمقصود في كثير من الأحيان ــ بين مختلف الفرق التي انضوت ــ أو هكذا قدّمها المؤرخون ــ تحت اسم الشيعة أو العلوية أو الرافضة. وأعيد بالتالي الاعتبار إلى المذهب الإمامي الاثني عشري (الجعفري: نسبة إلى جعفر الصادق) كواحد من المذاهب الإسلامية الأصيلة إلى جانب المذاهب الأربعة المعروفة.

وفيها توفّي الأمير أبو طاهر بن دِمْنَة[١]، صاحب آمِد من ديار بكر. كان قَتل آبن مَرْوان[٢] صاحب مَيّا فَارِقِين وقتَل عبد البر[٣] شيخ آمِد واستولى عليهما من سنة سبع وثمانين وثلاثمائة إلى هذه السنة. وكان يصانع مُمهِّد الدولة بن مروان، وأيضاً يصانع شروة[٤]. فلمّا قتل شروةُ ممهدَ الدولة ووَلِي أخوه أبو منصور، طمع هذا في البلاد وآستفحل أمره.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل الضبّي، [أبو الحسن][٥] المَحامِليّ الفقيه الشافعيّ؛ كان تفقّه بأبي حامد الاسفرايني وغيره، وكان إماماً فقيهاً مصنّفاً، مات في شهر ربيع الأول.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ذراعان وخمس أصابع. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً سواء.

* * *

السنة الخامسة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة ستّ عشرة وأربعمائة:

فيها توفي في شهر ربيع الآخر السلطان مشرِّف الدولة، أبو علي الحسن ابن السلطان أبي نصر فيروز بهاء الدولة ابن السلطان عضد الدولة بويه ابن السلطان ركن الدولة الحسن بن بويه الديلميّ. وآستقر الأمر بعد موته على تولية جلال الدولة

(١) هو أبو طاهر يوسف بن دمنة، صاحب آمد من ديار بكر. عمل حمالاً في أول أمره، ثم استولى على ميافارقين وآمد، واستفحل أمره فيها. قتل بمؤامرة دبّرها عليه صهره القائد مرتجّ. (انظر تاريخ الفارقي: ٤٤ ــ ٤٥، والأعلاق الخطيرة: ٣/٣٥٦، ٣٥٧).

(٢) هو الأمير نصر الدولة، أبو نصر، أحمد بن مروان بن لكك الحاربختي، كما في تاريخ الفارقي.

(٣) عبد البرّ: شيخ البلد في آمد. كان المقدم على أهل مدينته، وشيخ سوق الطعام فيها؛ وكان ذا نجادة وحلاوة وشهامة. كان يجلس كل يوم للقضاء والشهود وأرباب الدين ووجوه البلد. ضربه ابن دمنة أبو طاهر، وهو عند ابنته بسيف كان بيده فقتله وحزّ رأسه. (تاريخ الفارقي: ٧٥ ــ ٨١).

(٤) هو أبو شجاع شروة بن ممّ، متولي أمور ممهد الدولة سعيد بن مروان الكردي في ميافارقين والمتآمر على قتله (المصدر السابق: ٧٤).

(٥) زيادة عن ابن الأثير وشذرات الذهب.

أبـي طـاهـر، فخُـطب لـه على منـابـر بغـداد وهـو بـالبصـرة، وخلـع على شرفِ الملك[١]أبـي سعيد[٢] بن ماكولا وزيره، ولقّبه علم الدين سعد الدولة أمين الملة شرف الملك. قلت: وهذا ثاني لقب سمعناه من آسم مضاف إلى الدين. وأوّل ما سمعنا من هذه الألقاب لقب بهاء الدولة بن بويه «ركن الدين». قلنا: لعل ذلك كان تعظيماً في حقّه لكونه سلطاناً، فيكون هذا على هذا الحكم هو أوّل[٣] لقب لقّب به في الإسلام؛ والله أعلم. ومن يومئذ ظهرت الألقاب وتغالت فيها الأعاجم، حتّى إنّهم لم يدعوا شيئاً إلا وأضافوا الدين له، حتى آشتهر ذلك وشاع وسمّي به كلّ أحد حتى الأسالمة[٤]، فمنهم من يسمى جلال الدين، وسعد الدين، وجمال الدين، فلا قوة إلا بالله. وحقّ المغاربة في حَنقهم ممن يلقّب بهذه الألقاب. وأنا بالله أحلِف لو ملكت أمري ما لُقِّبت بجمال الدين[٥] ولا غيره، وأكره من يسميني

---

(١) في الأصل هنا: «شرف الدولة» والتصحيح عما يأتي في السطر التالي، والمنتظم.

(٢) في ابن الأثير: «أبو سعد».

(٣) يتفق كثير من المؤرخين على أن أول من تلقب بهذا النوع من الألقاب (الإضافة إلى الدين) هو بهاء الدولة ابن عضد الدولة. إلا أنهم يختلفون في اللقب نفسه، فيجعله المقريزي في السلوك: قوام الدين، وأبو المحاسن هنا: ركن الدين، والقلقشندي في صبح الأعشى وضوء الصبح: نظام الدين. على أن الذهبي يعتقد أنه قد ابتدئ التلقيب بهذا اللقب للوزير ابن ماكولا سنة ٤١٥هـ (بعكس إشارة أبـي المحاسن أعلاه إلى أنه الثاني).
واتخاذ رجال الدولة لهذا النوع من التلقيب يشير إلى مشاركتهم للخلفاء في شؤون الدين بعد استئثارهم بأمور الدولة شأنه في ذلك شأن الألقاب المضافة إلى «الملة» التي ربما تعتبر مقدمة لظهور اللقب المضاف إلى الدين. وظهور هذا اللقب في الوقت نفسه رمز لاضمحلال الخلافة كقوة ذات أثر فعال في حماية الدين وإقامة صرحه. (انظر الألقاب الإسلامية لحسن الباشا: ص ١٤١ ــ ١٥٦).

(٤) يريد بذلك الذين يدخلون في الإسلام من أهل الذمة، خاصة الكتّاب والصيارف ومن في معناهم من اليهود والنصارى. قال القلقشندي (صبح الأعشى: ٥/٤٩٠): وقد اصطلحوا ــ أي أهل الذمة من الكتاب وغيرهم ــ على ألقاب يتلقبون بها غالبها مصدرة بالشيخ. ثم منهم من يجري على الرسم الأول في التلقيب بالإضافة إلى الدولة فيتلقب بولي الدولة [وشمس الدولة] ونحوه. ومنهم من يحذف المضاف إليه فيقول: الشيخ الشمسي، والشيخ الصفي... فإذا أسلم أحدهم أسقطت الألف واللام من أول لقبه وأضيف إلى الدين، فيقال في الشيخ الشمسي: شمس الدين، وفي الصفيّ: صفي الدين وما أشبه.

(٥) عُرف هذا اللقب في عصر المماليك بين العسكريين من الترك، والمدنيين من القضاة والعلماء. وكان في حالة الطائفة الأولى يختصّ ببعض الأسماء مثل أقوش؛ وفي حالة الطائفة الثانية كان في أول الأمر يختص =

بذلك ولا أقدر على تغيير الاصطلاح. وهذا لا يكون إلاّ من وليّ أمر أو حاكم بلدة. وقد خرجنا عن المقصود فنعود إلى ذكر مشرّف الدولة.

ومات مشرّف الدولة وله ثلاث وعشرون سنة وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً. وكانت مدّة ملكه خمس سنين وشهراً وخمسة وعشرين يوماً. وكان شجاعاً مِقداماً جواداً، إلا أنّه كان يميل إلى الشيعة على عادة آبائه وأجداده ميلاً ليس بذاك، وينصر أهل السنة في بعض الأحيان. وكل ملوك بني بويه كانوا على ذلك، غير أنهم كانوا يميلون في الباطن للشيعة. والله أعلم بحالهم.

وفيها توفّي عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد، أبو محمد التُّجِيبيّ المصريّ البزّار، المعروف بآبن النحاس، مُسْنِد ديار مصر في وقته. مولدُه ليلة النحر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، ومات في عاشر صفر.

وفيها توفّي عليّ بن محمد، أبو الحسن التِّهاميّ الشاعر المشهور؛ كان من الشعراء المجيدين؛ وشعره في غاية الحسن. قدِم القاهرة مستخفياً ومعه كتب كثيرة من حسّان بن المفرّج البدويّ وهو متوجّه إلى بني قرّة، فظفِروا به فآعتقل بخزانة البنود[1] في سادس عشرين شهر ربيع الآخر، ثم قُتِل سرًّا في سجنه في تاسع جُمادى الأولى. والتهاميّ بكسر التاء المثناة من فوقها وفتح الهاء وبعد الألف ميم، هذه النسبة إلى تِهامة، وهي تطلق على مكّة حرسها الله. ومن شعر التهاميّ من جملة قصيدة: [السريع]

= بالاسم يوسف. ويلاحظ هنا الصلة بين اللقب واسم النبي يوسف الذي اشتهر بجماله. وأبو المحاسن كان يجمع الصفتين: انتسابه إلى العسكريين الأتراك وانتسابه إلى العلماء. (انظر صبح الأعشى: ٤٨٨/٥).

(١) المشهور أن هذه الخزانة وقع فيها حريق سنة ٤٦١هـ فجعلت بعد حريقها سجناً للأمراء والأعيان إلى أن انقرضت دولة الفاطميين. ولكن تبعاً لإشارة أبي المحاسن هنا، وتبعاً لإشارة للمسبحي (أخبار مصر، ص ٥) يبدو أنها استخدمت سجناً قبل حريقها. وعن خزانة البنود راجع ص ٥٠ من هذا الجزء، حاشية (٣).

قلتُ لخلّي وثغور الرُّبَا   مبتسماتٌ وثغورُ الملاحِ
أيّهما أحلى ترى منظراً   فقال لا أعلم كلٌّ أقاحِ

وله بيت بديع من جملة قصيدة: [الكامل]

وإذا جفاكَ الدهرُ وهو أبو الورى   طُرًّا فلا تَعْتُب على أولاده

وفيها توفّي محمد بن يحيى بن أحمد بن الحذّاء، أبوعبد الله القرطبيّ الحافظ المحدّث العلامة؛ سمع الكثير وروى الحديث، وكتب وصنّف؛ ومات في شهر رمضان.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ثلاث أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

السنة السادسة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة سبع عشرة وأربعمائة:

فيها عاد جلال الدولة إلى البصرة، وقبَض على وزيره أبي سعيد عبد الواحد بن أحمد بن جعفر بن ماكولا وعلى أبي[1] عليّ آبن عمه. ثمّ جرت أسباب آستوجبت إطلاق آبن عمه؛ وآستوزره جلال الدولة ولقّبه يمين الدولة وزير الوزراء، وخلَع عليه.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن عبد الله بن العباس بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، أبو الحسن القرشيّ الأمويّ قاضي القضاة، كان عفيفاً جليلاً. قال القاضي أبو العلاء[2]: ما رأينا مثله جلالةً وصِيانة وشرفاً.

---

(١) هو الحسن بن علي بن جعفر بن ماكولا. وسيأتي ذكر مقتله في حوادث سنة ٤٢٢هـ.

(٢) في الأصل: «أبو يعلى». وما أثبتناه عن المنتظم وتاريخ بغداد. وهو محمد بن علي الواسطي أبو العلاء المتوفى سنة ٤٣١هـ.

وفيها توفّي مُحَسِّن بن عبد الله بن محمد، أبو القاسم التنوخيّ اللغويّ القاضي الحنفيّ؛ وُلد يوم الأحد الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، وقدِم دمشق مجتازاً إلى الحجّ، فأدركه أجله في الطريق في ذي القعدة، فحُمِل إلى مدينة النبيّ صلى الله عليه وسلم ودُفن بالبقيع. وكان من أوعية العلم، وله مصنّفات كثيرة وشعر جيّد؛ من ذلك: [الطويل]

وكلٌّ أُداريه على حَسْب حاله سوى حاسدي فهي التي لا أنالها
وكيف يُدارِي المرء حاسد نعمةٍ إذا كان لا يرضيه إلا زوالُها

وفيها توفّي عبد الله بن أحمد، الإمام أبو بكر المروزِيّ القفّال شيخ الشافعيّة بخراسان؛ كان يعمل الأقفال وحذَق في عملها حتّى صنع قفلاً بآلاته ومفتاحه وزن أربع حبات[1]. فلما صار ابن ثلاثين سنة اشتغل بالعلم وتفقّه حتّى برع فيه وفاق أقرانه. ومات في جُمادى الآخرة وله تسعون سنة.

وفيها توفّي عليّ بن أحمد بن عمر بن حفص، أبو الحسن بن الحمّاميّ؛ كان إماماً محدّثاً كبير الشأن؛ سمِع وحدّث؛ ومات في شعبان عن تسع وثمانين سنة.

وفيها توفّي، في قول الذهبيّ، عمر بن أحمد بن إبراهيم بن عَبْدويه، أبو حازم الهذليّ العَبْدَوِيّ[2] الحافظ الكبير الرحّال؛ سمع الحديث وحدّث؛ وروَى عنه غير واحد، ومات بنيسابور.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وسبع أصابع.

* * *

(١) أي ما يعادل ٢٠/٤ من الغرام، باعتبار أن الحبّة الواحدة تساوي نصف عشر الغرام. (معجم متن اللغة).

(٢) في الأصل: «العدوي» وهو تحريف. والتصحيح عن تذكرة الحفاظ وأنساب السمعاني. والعبدوي: نسبة إلى عبدويه. وقيل في هذه النسبة: عبدُويي، بضم الدال وياءين في الأخير، على طريقة المحدّثين. والصيغة الأولى على طريقة النحويين.

السنة السابعة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة ثماني عشرة وأربعمائة:

فيها خُطب لجلال الدولة على المنابر ببغداد بعد أن مَنع الأتراك من ذلك وخطبوا لأبي كاليجار.

وفيها ورد كتاب السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين على الخليفة القادر يخبر بما فتح من البلاد من أرض الهند، وكسره الصنم المعروف بسُومَنات(١).

وفيها توفّي الحسين بن عليّ بن الحسين، أبو القاسم الوزير المغربيّ؛ وُلد بمصر في ذي الحجّة سنة سبعين وثلاثمائة، وهرب منها لمّا قتل الحاكم أباه عليًّا وعمّه محمداً. وقيل: إن أباه وزَر للعزيز بمصر ثم للحاكم آبنه. وهرب الحسين هذا للعراق، وخدم بني بُوَيه(٢)، ووقع له بالشرق أمور، ووزَر لغير واحد من ملوك الشرق. وكان فاضلاً عاقلاً شاعراً شَهْماً شجاعاً كافياً في فنّه، حتى قيل: إنّه لم يل الوزارة لخليفة ولا ملكٍ أكفى منه. ومن شعره قوله: [المجتثّ]

الدهر سهلٌ وصعبُ ... والعيش مرٌّ وعذبُ
فآكسِبْ بمالك حَمْداً ... فليس للحمد كسبُ
وما يدوم سرورٌ ... فآختم وطِينُك رطبُ

(وفيها توفّي عبد الرحمن بن هشام القرشيّ الأمويّ صاحب الأندلس، الذي كان لقّب نفسه في سنة أربع عشرة وأربعمائة بالمستظهر والمستكفي والمعتمد؛ وعاد ملك بني أميّة إلى الأندلس بسببه؛ فلما كان في هذه السنة وثب الجند عليه

---

(١) كذا أيضاً في ابن خلكان وابن الأثير. والصحيح «سومنان» كما جاء في تاريخ الإسلام السياسي لحسن إبراهيم حسن. وكان الهنود يعتبرون هذا الصنم الملاذ الذي يحميهم من غزوات الغزنويين. وفي ابن الأثير وابن خلكان أن ذلك حدث سنة ٤١٦هـ.

(٢) استوزره مشرف الدولة البويهي ببغداد مدة عشرة أشهر وأياماً، ثم اضطرب أمره فلجأ إلى قرواش، فكتب الخليفة إلى قرواش بإبعاده، ففعل. فسار أبو القاسم المغربي إلى ابن مروان بديار بكر وأقام بميافارقين إلى أن توفي في هذه السنة. (الأعلام: ٢/٢٤٥، وتاريخ ميافارقين: ٤٦، ٤٧).

فقتلوه؛ وآنقطعت ولاية بني أمية عن الأندلس إلى سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة.)[١].

وكانت وُلاة الأندلس من بني أميّة أربعة[٢] عشر على عدد أسلافهم، ومدّة سِنِيهم مائتان وثمانون[٣] سنة، فأوّلهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مَرْوان بن الحكم أبو المطرّف الملقّب بالداخل، لكونه دخل المغرب؛ بويع سنة تسع[٤] وثلاثين ومائة في أيّام أبي جعفر المنصور العباسيّ. ثمّ ولي بعده آبنه هشام في سنة آثنتين وسبعين. ثم ولي بعده آبنه الحَكَم بن هشام بن عبد الرحمن في سنة ثمانين ومائة. ثم ولي بعده آبنه عبد الرحمن بن

(١) هذا الخبر ــ وضعناه بين هلالين من عندنا ــ يحتوي على غير خطأ تاريخي:
ــ أولاً: إن عبد الرحمن بن هشام الأموي توفي سنة ٤١٤هـ بعد أن حكم اسمياً مدة ٤٧ يوماً. والذي توفي هذه السنة هو محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله (المستكفي).
ــ ثانياً: إن «المستكفي والمعتمد» ليسا من ألقاب عبد الرحمن بن هشام، وإنما لقبه «المستظهر». والمستكفي هو محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله، وهو الذي حكم سنة ٤١٤هـ، بعد وفاة المستظهر، لمدة ١٦ شهراً. ثم استولى على الحكم بنو حمود إلى سنة ٤١٨هـ. أما «المعتمد» ــ وصوابه: «المعتدّ» ــ فهو لقب هشام بن محمد الذي حكم سنة ٤١٨هـ بعد المستكفي، ودام حكمه إلى أن خلع سنة ٤٢٢هـ؛ وبخلعه انقطعت الدولة الأموية بالأندلس نهائياً. وقد توفي المعتدّ سنة ٤٢٨هـ.
ــ ثالثاً: إن أياً من المؤرخين لم يذكر عودة حكم بني أمية في سنة ٤٤٣هـ، كما يذكر المؤلف.
ولا ندري كيف تسنّى للمؤلف ــ أو ربما للناسخ ــ إثبات رواية على هذا النحو، فتأمّل!!
(انظر في ذلك: البيان المغرب، ونفح الطيب، والحلة السيراء، وأعمال الأعلام، وغيرها من مصادر تاريخ الأندلس والمغرب الموثوقة). راجع أيضاً ص ٢٥٩ من هذا الجزء، حاشية (١).

(٢) الصواب أن عددهم ستة عشر. وسوف يذكر منهم اثني عشر فقط. والولاة الأربعة الذين لم يذكرهم المؤلف هم على التوالي، بعد سليمان المستعين بن الحكم: المرتضى عبد الرحمن بن محمد، والمستظهر عبد الرحمن بن هشام، والمستكفي محمد بن عبد الرحمن، والمعتدّ هشام بن عبد الرحمن، وهو آخرهم: خلع سنة ٤٢٢هـ وتوفي سنة ٤٢٨هـ. (انظر معجم زامباور: ص ٢، وطبقات سلاطين الإسلام: ص ٢٦).

(٣) أحصى ابن الأبّار في الحلة السيراء: ٢/٨ مدة ولايتهم ابتداءً من يوم الأضحى سنة ١٣٨هـ وهو اليوم الذي حكم فيه عبد الرحمن الداخل إلى مقتل المستعين في المحرم سنة ٤٠٧هـ فكانت: ٢٦٨ سنة و٤٣ يوماً. أما الولاة الأربعة من الأمويين الذين جاؤوا بعد المستعين (انظر الحاشية أعلاه) فكانت مدة ولايتهم حوالى سبعة سنين. فتكون مدة حكم الأمويين في الأندلس ٢٧٥ سنة وبضعة شهور.

(٤) تذكر المصادر أن الأمر استقرّ له يوم الجمعة في العاشر من ذي الحجة سنة ١٣٨هـ. (الحلة السيراء: ١/٣٥).

الحكم في سنة ستّ وثمانين ومائة[١]. ثم ولي بعده آبنه محمد في سنة ثمانٍ وثلاثين ومائتين. ثم ولي بعده آبنه المنذر بن[٢] محمد سنة ثلاث وسبعين ومائتين ومات سنة خمس وسبعين، ولم يكن له ولد؛ فولي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل [سنة ٢٧٥هـ][٣]. ثم ولي بعده آبنه عبد الرحمن سنة ثلاثمائة. ثم ولي بعده الحكم بن عبد الرحمن سنة ثمان[٤] وخمسين وثلاثمائة. ثم ولي بعده آبنه هشام سنة سبعين[٥] وثلاثمائة ومات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة[٦] بعد أن تغلّب عليه محمد بن هشام بن عبد الجبّار الملقّب بالناصر لدين الله [سنة ٣٩٩هـ][٣] ثم غلب عليه [المستعين][٣] سليمان بن الحكم [[٧] سنة ٤٠٠هـ. ثم غلب محمد بن هشام بن عبد الجبار للمرة الثانية في شوال سنة ٤٠٠هـ. ثم هشام بن الحكم للمرة الثانية في ذي الحجة سنة ٤٠٠هـ. ثم ولي سليمان المستعين للمرة الثانية من شوال سنة ٤٠٣هـ إلى المحرم من سنة ٤٠٧هـ. (ثم تغلّب علي بن حمود إلى شهر رمضان سنة ٤٠٨هـ). ثم ولي المرتضى عبد الرحمن بن محمد في شهر رمضان سنة ٤٠٨هـ (ثم تغلّب القاسم بن محمود في نفس السنة. ثم يحيى بن علي بن حمود في سنة ٤١٢هـ، ثم القاسم بن حمود للمرة الثانية في سنة ٤١٣هـ). ثم ولي المستظهر عبد الرحمن بن هشام في شهر رمضان سنة ٤١٤هـ. ثم ولي المستكفي محمد بن عبد الرحمن في ذي القعدة سنة ٤١٤هـ. (ثم تغلّب يحيى بن علي بن حمود للمرة الثانية في ربيع الأول سنة ٤١٦هـ). ثم ولي المعتدّ هشام بن عبد الرحمن من ربيع الأول سنة ٤١٨هـ إلى سنة ٤٢٢هـ. وهو آخرهم.]

---

(١) الصواب: سنة ٢٠٦هـ.

(٢) في الأصل: «المنذر أبو محمد» وهو تحريف.

(٣) زيادة عن معجم زامباور وطبقات سلاطين الإسلام.

(٤) الصواب: سنة ٣٥٠هـ.

(٥) الصواب: سنة ٣٦٦هـ.

(٦) الصواب: سنة ٤٠٣هـ.

(٧) هذه الفقرة الموضوعة بين معقوفين زدناها للتوضيح استناداً إلى المصادر. وعبارة الأصل مكانها كانت: «ثم ولي هشام بن الحكم بن عبد الرحمن، ثم وقع خباط كبير، على ما يأتي ذكره في محله إن شاء الله». وما وضعناه بين هلالين ضمن هذه الزيادة إشارة إلى الذين حكموا من بني حمود غير الأمويين.

وفيها توفي الشريف أبو الحسن علي بن طَبَاطَبَا العلويّ. كان فاضلاً شاعراً فصيحاً. مات ببغداد في ذي القعدة، وكان على مذهب القوم.

وفيها توفي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق الأسفرايينيّ الأصوليّ المتكلّم الفقيه الشافعيّ، إمام أهل خراسان، ركن الدين. وهو أول من لُقِّب من الفقهاء. كان إماماً مفتنّاً له التصانيف المشهورة، وكانت وفاته يوم عاشوراء بنيسابور. وقد تقدّم أن الألقاب ما تداول تسميتها إلّا من الأعاجم لحبّهم للرياسة[١] والتعظيم كما هي عادتهم.

وفيها توفّي معمر بن أحمد بن محمد بن زياد، أبو منصور الأصبهانيّ الزاهد؛ كان من كبار المشايخ؛ وله قدم هائلة[٢] في الفقه والصلاح.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً وثلاث عشرة إصبعاً.

* * *

السنة الثامنة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة تسع عشرة وأربعمائة:

فيها ولّى الظاهر أمر دمشق لأمير الجيوش الدِّزْبِريّ؛ وكان شجاعاً شهماً؛ وآسمه أبو منصور أنوشتكين التركيّ.

وفيها توفّي محمد بن عمر بن يوسف، أبو عبد الله بن الفخّار القرطبيّ المالكيّ الحافظ عالم الأندلس في عصره؛ سمع الحديث وحدّث وحجّ وجاور بالمدينة وأفتى بها؛ وكان إماماً عالماً زاهداً وَرِعاً متقشّفاً عارفاً بمذاهب الأئمة وأقوال العلماء، يحفظ «المدوّنة»[٣] حفظاً جيداً.

---

(١) في الأصل: «لحبّهم إلى الرياسة».

(٢) في الأصل: «قدم هائل».

(٣) عبارة المقرّي في نفح الطيب: ٢/٦١: «يحفظ (المدوّنة) و(النوادر) لابن أبي زيد، ويوردها من صدره دون كتاب». وابن أبي زيد هو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقي المصري المتوفى سنة ١٩١هـ. وكتابه «المدوّنة» من أجلّ كتب المالكية، رواها عن الإمام مالك.

وفيها[1] توفّي حمزة بن إبراهيم، أبو الخطّاب؛ كان بلغ من بهاء الدولة بن بويه منزلة عظيمة لم يبلغها غيره؛ كان يعلّمه النجوم. وكان حاكماً على الدولة والوزراء؛ والقوّاد يخافونه؛ وما كان يقنع من الوزراء بالقليل. ولما فتحَ فخر الملك قلعة سابور حمل إليه مائة ألف دينار فاستقلّها؛ وما كان بهاء الدولة يخالفه أبداً.

وفيها توفّي عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب بن غَلْبُون، أبو محمد الصُّوريّ الشاعر المشهور. كان أبو الفِتْيان بن حَيُّوس مُغرًى بشعره، ويفضله على أبي تمّام والبُحْتَرِيّ والمتنبي؛ فقال أبو العلاء المعرّي: «الأمراء لا يناظرون» (يعني أنّه ليس في هذا المقام). وكان أبو الفتيان يقول: إن أغزل ما قيل قول جرير: [البسيط]

إنّ العيون التي في طَرْفها حَوَرٌ ... قَتَلْننا ثم لم يُحْيِين قَتْلانَا
يَصْرَعْن ذا اللّب حتّى لا حَراك به ... وهنَّ أضعف خلق الله إنسانا

وقال الصوريّ أغزل منهما، وهو قوله: [الرمل مجزوء]

بالذي ألهمَ تعذيـ ... ـبي ثناياك العِذابَا
ما الذي قالته عينا ... ك لقلبي فأجابا

قلت: وقال غير ابن حيّوس: إن أرقَّ ما قيل قول القائل: [الطويل]

عيونٌ عن السحر المبين تُبين ... لها عند تحريك القلوب سكونُ
إذا أبصرتْ قلباً خليّاً من الهوى ... تقول له كن مُغرماً فيكون

ومن شعره أيضاً: [المتقارب]

صددتَ فكنتَ مليح الصدودِ ... وأعرضت أفديك من مُعرِضِ
ومن كان في سُخْطه مُحسناً ... فكيف يكون إذا ما رضِي

وله أيضاً: [الكامل]

(١) في ابن الأثير أنه توفي سنة ٤١٨هـ.

تُريك نفسُك في معاندة الورَى رَشَداً ولستَ إذا فعلت براشدِ
شغلتك عن أفعالها أفعالُهُمْ هلّا آقتصرتَ على عدوّ واحدِ

وفيها توفّي محمد بن محمد بن إبراهيم بن مَخْلَد، الفقيه أبو الحسن البغداديّ الحنفيّ؛ ولد سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وسمِع الكثير ورواه؛ وكان يتّجر وله مال عظيم؛ صادره ملوك بني بويه حتى آفتقر، ومات فلم يكفّن حتّى بعث إليه الخليفة كفناً. ومات ولم يكن في زمانه أعلى سنداً منه. وكان صدوقاً صالحاً ثِقة فقيهاً فاضلاً عالماً.

وفيها توفّي أبو الفوارس قِوَام الدولة بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة بويه بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلميّ. كان عزم على نقض الصلح بينه وبين أخيه أبي كاليجار فعاجلته منيّته فمات في ذي القعدة؛ وحمل تابوته إلى شِيراز فدُفن في تربة عِماد الدولة بن بويه.

وفيها هلَك قسطنطين أخو بسيل ملك الروم؛ وبعد موته آنتقل المُلْك إلى بنتٍ له وزوجها[١]، وهو آبن خالها، يسمى أرمانوس[١]، ولم يكن من بيت الملك[٢]، وجعلت ولاية العهد في أرمانوس المذكور، ولبِس الخفّ الأحمر، وتسمّى قيصراً.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم سبع أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

(١) في تاريخ الزمان لابن العبري: «كان قسطنطين أوصى بالمملكة حين احتضاره لابن أخيه رومانُس، وفي بعض النسخ صهره زوج ابنته» وقد حكم قسطنطين المذكور ثلاث سنوات. وكانت مدة حكم باسيل خمساً وخمسين سنة.

(٢) في تاريخ مختصر الدول لابن العبري: ص ١٨٣، أن الذي لم يكن من بيت الملك هو خليفة رومانُس هذا، وليس رومانس نفسه. قال: وملك بعد رومانوس رجلٌ صيرفيّ ليس من بيت الملك، وإنما ابنة قسطنطين اختارته وتزوجته. وقال ابن العبري أيضاً في تاريخ الزمان: ص ٨٤: وتوفي رومانوس بغتة، وخلفه ميخائيل، فناهضه قلفاط أحد أنسبائه، وظل خمسة أشهر يعانده حتى قبض عليه وفقئت عيناه.

السنة التاسعة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة عشرين وأربعمائة:

فيها وقع بالعراق بَرَد في الواحدة مائة وخمسون رِطلاً كانت كالثور النائم، ونزلت في الأرض مقدار ذراع؛ قاله أبو المظفر في مرآة الزمان [!؟]

وفيها فسد الأمر بين قِرْوَاش صاحب المَوْصِل وبين أبي نَصْر بن مروان صاحب ميّافارقين. وسببه أن قِرْوَاشاً كان تزوّج ببنت أبي نصر المذكور فأقامت عنده مدّة، ثمّ هجرها؛ فطلبها أبو نصر فنقلها إليه، وهذا أوّل الشر.

وفيها توفّي علي بن عيسىٰ بن الفَرَج[١]، أبو الحسن الرَّبَعيّ صاحب أبي عليّ الفارسيّ؛ قرأ الأدب ببغداد على السِّيرافيّ، وخرج إلى شيراز ودرس بها النحو على الفارسيّ عشرين سنة، ثم عاد إلى بغداد وأقام بها باقي عمره. خرج يوماً يمشي على جانب الشطّ، فرأى الشريف الرضي والمرتضى في سفينة ومعهما عثمان بن جنّيّ النحويّ، فصاح أبو الحسن: من أعجب أحوال الشريفين أن يكون «عثمان» جالساً في صدر السفينة «وعلي»[٢] يمشي على الحافَة؛ فضحكا وقالا: بآسم الله. قلت: وهذا مما يدل على أن الرضي والمرتضى كانا يصرّحان بالرفض.

وفيها توفّي الأستاذ الأمير المختار عزّ الملك، محمد بن أبي القاسم عبيد[٣] الله بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز، المعروف بالمُسَبِّحِيّ الكاتب، الحرانيّ الأصل المصريّ المولد والمنشأ، صاحب التاريخ المشهور وغيره من المصنّفات. قال ابن خلكان: «كانت فيه فضائل ولديه معارف، ورُزِق حظوة في التصانيف، وآتصل بخدمة الحاكم العبيديّ. قال: وتاريخه ثلاثة عشر ألف ورقة». انتهى. قلت: وله عدّة تصانيف أُخر. مات في شهر ربيع الآخر. والمسبحي:

(١) في الأصل: «ابن المفرّج» والتصحيح عن المنتظم وعقد الجمان وشذرات الذهب.
(٢) هو اسم الشريف المرتضى.
(٣) في الأصل: «عبد الله». وما أثبتناه عن ترجمة المسبحي في مقدمة «أخبار مصر» للمسبّحي.

بضم[١] الميم وفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة ثانية الحروف وفي آخرها حاء مهملة. قال السمعانيّ: هذه النسبة إلى الجدّ.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعاً سواء.

* * *

السنة العاشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة إحدى وعشرين وأربعمائة.

فيها عملت الرافضة النَّوْح في يوم عاشوراء بالكَرْخ، ووقع بينهم وبين أهل السنّة وقعة قُتل فيها جماعة من الفريقين.

وفيها خُطب للأمير أبي سعيد مسعود بن محمود بن سُبُكتِكِين بعد موت أبيه بأرمينيَة والأطراف.

وفيها عاد جلال الدولة إلى بغداد من واسط. ولم يحجّ أحد من العراقيّين في هذه السنة؛ وحجّ الناس من مصر وغيرها.

وفيها توفّي أحمد بن عبد الله بن أحمد، أبو الحسن، ويعرف بآبن الدان[٢]؛ أصله من الجزيرة وسكن دِمشق؛ وكان يعظ؛ وكان صاحب مقالات وكرامات؛ وهو معدود من المشايخ.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن العاص بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن درّاج، أبو عمر القَسْطَلّيّ الشاعر المشهور. قال آبن حزم: «كان عالماً بنقد الشعر؛ لو قلت إنه لم يكن بالأندلس أشعر من آبن درّاج لم أُبعِد». وهو من مدينة قَسْطَلَّة

(١) في الأصل: «بفتح الميم» وهو سبق قلم من الناسخ.

(٢) في الأصل: «ابن المؤاز» ، وفي عقد الجمان: «ابن الدابي». وما أثبتناه من البداية والنهاية، وطبعة دار الكتب عن مرآة الزمان.

درّاج، وقيل هو آسم ناحية. وكان من كتّاب الإنشاء في أيّام المنصور بن أبـي عامر. ومن شعره من جملة قصيدة طويلة: [الطويل]

أضاء لها فجر النُّهى فنهاها عن المُدْنَف المُضْنَى بحرّ هواهَا
وضلّلها صبحٌ جلا ليلَهُ الدجَى[1] وقد كان يَهْدِيها إليّ دُجاها

وفيها توفي السلطان يمين الدولة، أبو القاسم، محمود بن سُبُكتِكِين [ابن] الأمير ناصر الدولة أبـي منصور صاحب غَزْنة وغيرها. كان السلطان محمود هذا يلقّب قبل السلطنة بسيف الدولة، وكان من عظماء ملوك الدنيا، وفتح عدّة بلاد من الهند وغيرها، وآتسعت مملكته (حتّى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية، وآمتلأت خزائنه من أصناف الأموال والجواهر)[2]؛ وكان ديّناً خيّراً متعبّداً فقيهاً على مذهب أبـي حنيفة.

وما حكاه آبن خلكان من قصّة القفّال في صلاة الحنفيّة بين يدي آبن سُبُكتِكين المذكور ليس لها صحّة؛ يعرِف ذلك من له أدنى ذوق من وجوه عديدة؛ فإنّ محموداً المذكور كان قد قرأ في آبتداء أمره وبرَع في الفقه والخلاف وصار معدوداً من العلماء، وصنّف كتاباً في فقه الحنفيّة قبل سلطنته بمدّة سنين، وذلك قبل أن يشتهر القفّال. فمن يكون بهذه المثابة لا يحتاج إلى من يعرّفه الصلاة على المذاهب الأربعة بل ولا غيرها؛ وأصاغر الفقهاء من طلبة العلم يعرفون الخلاف في مثل هذه المسألة. وأيضاً حاشا القفّال من أن يقع في مثل هذه القبائح من كشف العورة والضراط في الملأ وتحكيم رجل نصرانيّ في قراءة كتب المذهبيين والافتراء على مذهب الإمام الأعظم أبـي حنيفة؛ وما ثَمَّ أمر يحتاج إلى ذلك ولا ألجأت الضرورة إلى أن يفعل بعض ما قيل عنه. وإنما محمود بن سبكتكين رجل

---

(١) الدجى: سواد الليل. وهو هنا وصف وصف به. وهو مصدر، فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث. يقال: ليلة دجى، وليال دجى، بالإفراد والتذكير.

(٢) هذه الجملة التي وضعناها بين هلالين، ذكرها ابن خلكان في وفيات الأعيان (في ترجمة محمود بن سبكتكين) أثناء الكلام على الصنم المعروف بسومنات، وأن هذا الصنم كانت له منزلة عظيمة عند الهنود حتى أوقفوا عليه هذه الأوقاف. والأرجح أن إثباتها هنا جاء على سبيل السهو.

من المسلمين لا يزيد في الحنفيّة ولا ينقص من الشافعيّة؛ ولعلّ بعض الفقراء يكون أفضل منه عند الله تعالى. وها أنا لم أكن مثل القفّال في كثرة علومه بل ولا أصاغر تلامذته، لو قيل لي: آفعل بين يدي السلطان بعض ما قيل عن القفّال لا أرضى بذلك، ولا ألتفت إلى السلطان ولا إلى غيره، ولا أهزأ بصَلاة مسلم كائن من كان. فهذا كله موضوعٌ على القفّال من أهل التحامل والتعصّب(١). فنعوذ بالله من الاستخفاف بالعلماء والوقوع في حقّهم، ونسأل الله السلامة في الدين. وكانت وفاة السلطان محمود في جمادى الأولى من هذه السنة، رحمه الله تعالى. وتولّى بعده الملك آبنه مسعود بن محمود الآتي ذكره.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وثلاث وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وستّ أصابع.

* * *

السنة الحادية عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة آثنتين وعشرين وأربعمائة.

فيها قُتِل أبو [عليّ](٢) الحسن [بن](٢) عليّ بن ماكولا بالأهواز؛ قتله غلام له يُعرف بعدنان، كان يجتمع مع آمرأة في داره، ففطِن بهما، فعلما بذلك فخافا منه؛ وساعدهما فرّاش كان في داره، فغمُّوْه بشيء وعصروا خُصَاه حتّى مات، وأظهروا أنه مات فجأة؛ فأُخذ الغلام والفرّاش وضُربا فأقرّا بما وقع من أمره، فصُلبا وحبست المرأة في دار.

وفيها أخذ ملك الروم(٣) مدينة الرُّهَا.

---

(١) رواية ابن خلكان نقلها عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني في كتابه «مغيث الخلق في اختيار الأحق».

(٢) زيادة عن عقد الجمان والمنتظم وابن الأثير.

(٣) هو ميخائيل ملك الروم، كما في تاريخ الزمان لابن العبري (راجع أيضاً ص ٢٧٢ من هذا الجزء، =

وفيها ولد بمدينة إسْكَاف(١) ولد له رأس وبقيّة بدنه كالحيّة، فنطق ساعة مولده وقال: الناس تحت غضب منذ أربع سنين، والواجب أن يخرجوا فيستسقوا ليُكشف عنهم البلاء. فكتب قاضي(٢) إسْكاف للخليفة بذلك، فآجتمع الناس وآستسقوا فلم يُسْقَوا(٣).

وفيها توفّي الخليفة القادر بالله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد آبن الأمير أبـي أحمد إسحاق آبن الخليفة جعفر المقتدر ابن الخليفة المعتضد أحمد آبن الأمير أبـي أحمد طلحة الموفق آبن الخليفة جعفر المتوكّل آبن الخليفة محمد المعتصم آبن الخليفة الرشيد هارون آبن الخليفة المهديّ محمد آبن الخليفة أبـي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس بن عبد المطّلب الهاشميّ العباسيّ البغداديّ. بويع بالخلافة بعد القبض على الطائع عبد الكريم في حادي عشر شهر رمضان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، ومولدُه في سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة. وأمّه أمّ ولد تسمى يمنى(٤)، ماتت في خلافته. وتوفّي ليلة الاثنين حادي عشر ذي الحجّة، ودُفن ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء. وكانت خلافته إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر؛ وهو أطول الخلفاء العبّاسيّة مدّة، لا نعلم خليفة أقام في الخلافة هذه المدّة من بني العبّاس ولا غيرهم إلا المستنصر مَعدّاً العُبيديّ الآتي ذكره، فإنه أقام في خلافة مصر ستّين سنة. وتخلّف بعد القادر آبنه أحمد ولقّب بالقائم بأمر الله. وكان القادر ــ رحمه الله ــ أبيض كثّ اللحية يخضِب؛ وكان ديّناً خيّراً حسن الاعتقاد أمّاراً بالمعروف فاضلاً. صنّف كتباً كثيرة في فنون من العلم،

= حاشية ٢). وسمّاه ابن الأثير: أرمانوس. وهو خطأ. وفيها بين روايتي ابن الأثير وابن العبري بخصوص استيلاء الروم على مدينة الرها أكثر من اختلاف، فيستحسن العودة إليهما. ونحن نرى أن رواية ابن العبري أكثر دقة وتماسكاً.

(١) في تاريخ الزمان: «مدينة بغداد». وإسكاف: اسم مدينتين، إحداهما إسكاف العليا من نواحي النهروان بين بغداد وواسط، والأخرى إسكاف السفلى وهي بالنهروان أيضاً. (معجم البلدان).

(٢) هو أبو إسحاق محمد بن عبد المؤمن، كما في المنتظم.

(٣) عبارة ابن العبري في تاريخ الزمان: «فخرج القليلون وظل الكثيرون ممن لم يصدّقوا الخبر».

(٤) كذا أيضاً في تاريخ بغداد. وفي ابن الأثير وتاريخ الخلفاء للسيوطي: «وأمه أمة اسمها تمنى، وقيل: دمنة».

منها كتاب في أصول[1] الدين، وكتاب في فضائل الصحابة وعمر بن عبد العزيز، وكتاب كَفّر فيه القائلين بخلق القرآن. وكان كثير الصيام والصدقات، رحمه الله تعالى.

وفيها توفّي عبد الوهاب بن عليّ بن نصر بن أحمد، القاضي أبو محمد البغداديّ المالكيّ الفقيه؛ سمِع الحديث وروَى عنه غير واحد؛ وكان شيخ المالكيّة في عصره وعالمهم؛ وصنّف كتاب «التلقين» وشرح الرسالة وغير ذلك.

وفيها توفّي يحيى بن نَجَاح، أبو الحسين بن القَلّاس الأُمويّ مولاهم القرطبيّ. رحل إلى البلاد وسمع الكثير وحجّ وآستوطن مصر. وكان عالماً وَرِعاً ديّناً.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم ثلاث أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعاً وستّ أصابع.

* * *

السنة الثانية عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة.

فيها بعث الظاهر صاحب الترجمة بكسوة الكعبة فكُسِيت.

وفيها لم يحجّ أحد من العراق ولا من خُراسان وحجّ الناس من مصر.

وفيها رأى رجل من أهل أصبهان في النوم أن شخصاً وقف على منارة أصبهان وقال: «سكت نطق، نطق سكت». فآنتبه وحكى للناس، فما عرف أحد معناه؛ فقال رجل: يا أهل أصبهان، احذروا فإن أبا العتاهية الشاعر يقول: [الرمل]

(١) قال السيوطي في تاريخ الخلفاء: وقد عدّه الشيخ تقي الدين بن الصلاح من الفقهاء الشافعية، وأورده في طبقاتهم.

سكَت الـدهـر زمـانـاً عنهمُ ثم أبكـاهم دمـاً حين نَـطَقْ

فما كان بعد ذلك إلا قليل، ودخل عسكر مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكين ونهب البلد وقتل عالَماً لا يُحصى.

وفيها توفّي عليّ بن أحمد بن الحسن بن محمد بن نُعَيم، أبو الحسن البصريّ، الحافظ الشاعر. قال محمد بن عليّ الصوريّ: لم أر ببغداد أكمل منه. وجمع بين معرفة الحديث وعلم الكلام والأدب والفقه والشعر. ومن شعره وأجاد: [المتقارب]

إذا عـطّشتـكَ أكفّ اللئـام كفتك القناعـة شِبْعاً وريّـا
فكن رجـلاً رِجلُه في الثرى وهِمّـة هـامتـه في الثـريّـا

وفيها توفّي محمد بن الطيب بن سعيد[1] بن موسى، أبو بكر الصبّاغ البغداديّ؛ وُلد سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وسمع الكثير. قال أبو بكر الخطيب: كتبت عنه، وكان صدوقاً ثِقة. وقال رئيس الرؤساء أبو القاسم عليّ بن الحسن: تزوّج محمد بن الطيب زيادة على تسعمائة آمرأة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الحربيّ الحُرْفِيّ في شوّال وله سبع وثمانون سنة، وأبو الحسن عليّ بن أحمد النُّعَيْميّ المحدّث الأديب، وأبو الفضل منصور بن منصور بن نصر بن عبد الرحيم آبن بنت السَّمَرْقَنْدِيّ الكاغديّ في ذي القعدة، وقد قارب المائة. انتهى كلام الذهبي.

وفيها كان الطاعون ببلاد الهند والعجم وعظُم إلى الغاية؛ وكان أكثره بغَزْنة وخُراسان وجُرجان والريّ وأصبهان ونواحي الجبل إلى حُلوان، وآمتدّ إلى الموصل والجزيرة وبغداد، حتى قيل: إنّه خرج من أصبهان وحدها أربعون ألف جنازة، ثم آمتدّ إلى شيراز.

(١) في الأصل: «ابن سعد». وما أثبتناه عن تاريخ بغداد والمنتظم وعقد الجمان.

أمر النيل في هذه السنة:
الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وأربع أصابع.

* * *

السنة الثالثة عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة أربع وعشرين وأربعمائة.

فيها عمِلت الرافضة المأتم ببغداد في يوم عاشوراء على العادة، فأقام(١) بذلك العيّارون، أعني عن(٢) الزعران الذين كانوا غلبوا على بغداد، وعجزت الحكّام عنهم(٣).

وفيها توفّي أحمد بن الحسين بن أحمد، أبو الحسين المعروف بآبن السمّاك الواعظ البغداديّ، مولده سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة؛ وكان يعظ بجامع المنصور والمهديّ ويتكلم على طريق الصوفية، وكان لكلامه رونق، غير أنهم تكلموا فيه؛ وكانت وفاته ببغداد في ذي الحجة من السنة.

وفيها في المحرّم خرجوا ببغداد للاستسقاء بسبب القحط.

---

(١) عبارة المنتظم وعقد الجمان: «وتولى ذلك العيّارون».

(٢) كذا في الأصل. ولعله يريد: «أعني الزعران». والزعران والزعّار والزعر: جمع أزعر، وهو اللص الخاطف المارد. والزعارة: شراسة الخلق. والمواد: زعر، ودعر، وذعر تؤدي نفس المعنى. وهذه التعابير (الزعران ــ الزعّار ــ الزعر) إلى جانب تعابير أخرى (الشطّار ــ العيارون ــ الفتيان ــ الحرافيش ــ العيّاق. . .» أطلقت في النصوص التاريخية والأدبية التراثية على مجموعات من الناس ينتمون إلى دائرة اجتماعية منبوذة طبقياً واجتماعياً من الفئات الأعلى والسلطات الحاكمة، ويتخذون من اللصوصية والشغب وسيلة لإظهار تمردهم. وكان مسرح حركتهم بغداد ــ الشام ــ القاهرة. (انظر حكايات الشطار والعيّارين في التراث العربي للدكتور محمد رجب النجار ــ سلسلة عالم المعرفة).

(٣) ومن أمثلة ذلك ما حكاه ابن الأثير في حوادث هذه السنة من أن بعض القوّاد الكبار أخذ أربعة من العيّارين، فجاء عقيدهم وأخذ من أصحاب القائد أربعة، وحضر باب داره ودق عليه الباب، فكلمه من داخل، فقال العقيد: قد أخذت من أصحابك أربعة، فإن أطلقت من عندك أطلقت أنا من عندي، وإلا قتلتهم وأحرقت دارك، فأطلقهم القائد.

وفيها ثار أهل الكرخ بالعيّارين فهربوا، وكبسوا دورهم ونهبوا سلاحهم، وطلبوا من السلطان المعاونة. وسبب ذلك أن العيّارين نهبوا تاجراً فغضب له أهل سوقه، فرد العيّارون بعض ما أخذوا؛ ثم كبسوا دار آبن العلواء[1] الواعظ وأخذوا ماله، ثمّ فعلوا ذلك بجماعة كثيرة، حتّى قام عليهم أهل الكَرْخ، ووقع بينهم بسبب ذلك قتال وحروب يطول شرحها.

وفيها توفي أبو بكر بن محمد بن إبراهيم الأردسْتانِيّ[2]؛ كان إماماً زاهداً فاضلاً معدوداً من كبار المشايخ؛ وله كرامات وأحوال.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وعشر أصابع. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وإصبعان.

* * *

السنة الرابعة عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة خمس وعشرين وأربعمائة.

فيها هبّت بنَصِيبين ريح سوداء قلعت معظم شجرها؛ وكان بين البساتين قصر عظيم فرمته من أصله.

وفيها زُلْزِلت الرملة زلزلة هدمت ثلث مدينة الرملة، ونزل البحر مقدار ثلاثة فراسخ، فنزل الناس يصيدون السمك، فرجع عليهم فغرِق من لم يحسن السباحة.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، أبو العبّاس القاضي الأبِيوَرْدِيّ؛ وُلد سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وتولّى القضاء بالجانبين ببغداد، وسمع الحديث

(١) في المنتظم والذهبي: «ابن الغلواء» بالغين المعجمة.

(٢) الأردستاني: نسبة إلى أردستان، مدينة بين قاشان وأصبهان. وضبطها صاحبا الأنساب والشذرات بفتح الهمزة والدال. وفي معجم البلدان بفتح الهمزة وكسر الدال. وقال السمعاني: ورأيت بخط والدي رحمه الله وكان ضبطها عن الحافظ الدقّاق بكسر الألف والدال.

ورواه؛ وكان عالماً ورعاً مُفتناً، يصوم الدهر ويفطر على الخبز والملح؛ وكان فقيراً ويظهر الثروة(١)، ومات في جمادى الأولى، ودفن بباب(٢) حرب.

وفيها توفّي أحمد بن محمد [بن أحمد](٣) بن غالب، الحافظ أبو بكر الخُوَارَزْميّ؛ وُلد سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة، ورحل [إلى] البلاد وسمع الكثير وحدّث؛ وكان إماماً في اللغة والفقه والحديث؛ ومات في يوم الأربعاء غرّة شهر رجب.

وفيها توفّي عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث، أبو الفرج التميميّ الفقيه الحنبليّ الواعظ؛ وُلد سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، وسمع الحديث ورواه؛ وكان فقيهاً محدّثاً واعظاً؛ وكانت وفاته في شهر ربيع الأوّل ببغداد؛ ودُفن عند قبر(٤) الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

وفيها توفّي محمد بن عبد الله، أبو عبد الله بن باكُوْيَه الشيرازيّ، أحد مشايخ الصوفية؛ كان أوحد زمانه، وله كرامات وإشارات؛ ولقي خلقاً من المشايخ وحكى عنهم وسمع الحديث الكثير وروى عنه خلق كثير.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب البرقَانِيّ الحافظ في رجب وله تسع وثمانون سنة، وأبو عليّ الحسن بن أبي بكر أحمد(٥) بن إبراهيم بن شاذان البزاز(٦) في آخر يوم

---

(١) في عقد الجمان والمنتظم: «ويظهر المروءة».

(٢) مقبرة باب حرب: خارج مدينة بغداد وراء الخندق مما يلي طريق قطربل. وهي مقبرة للحنابلة منذ أواسط القرن الثالث للهجرة. (انظر معجم البلدان في الكلام على الحربية، وفي التراث العربي لمصطفى جواد: ١/٢٤٥).

(٣) زيادة عن المنتظم وما سيأتي للمؤلف.

(٤) أي في مقبرة باب حرب.

(٥) كذا أيضاً في شذرات الذهب والبداية والنهاية والمنتظم. وفي تاريخ بغداد: «الحسن بن إبراهيم بن أحمد».

(٦) كذا أيضاً في الذهبي والبداية والنهاية وتاريخ بغداد. وفي المنتظم والشذرات: «البزار» بالراء المهملة في آخره.

من السنة، وولد في ربيع الأوّل عام تسعة وثلاثين وثلاثمائة، وأبو سعيد عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الله بن بندار بن شبانة[1] الهمذاني وأبو الحسن عبد الله بن عمر المُريّ الدمشقيّ، وأبو الفضل عمر بن أبي سعد إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى الجوبري[2] في صفر، وأبو نصر عبد الوهاب بن إسماعيل الهَرَويّ الزاهد، وأبو بكر محمد بن عليّ بن إبراهيم بن مصعب الأصبهانيّ التاجر. انتهى كلام الذهبيّ.

وفيها وقع الطاعون بشِيراز، فكانت الأبواب تسدّ على الموتى؛ ثم انتقل إلى واسط وبغداد والبصرة والأهواز وغيرها.

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم أربع أذرع وخمس عشرة إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وإحدى وعشرون إصبعاً.

* * *

السنة الخامسة عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة ست وعشرين وأربعمائة.

فيها ٱستولى العيّارون على بغداد وملكوا الجانبينَ (أعني الحراميّة)[3] قال: ولم يبق للخليفة ولا لجلال الدولة معهم حكم. وكان العيّارون في دور الأتراك والحواشي يُقيمون نهاراً ويخرجون ليلاً، والأتراك والحواشي تقوم معهم في الباطن؛ فكانوا يخرجون ليلاً ويعملون العملات، وأفسدوا وفعلوا أفعالاً قبيحة، وأظهروا الإفطار في شهر رمضان نهاراً، وكان ذلك كلّه بمواطأة الأتراك.

وفيها ورد كتاب مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكِين على الخليفة أنّه ٱفتتح جُرجان وطَبَرسْتان، وغزا الهند وٱفتتح بلاداً كثيرة.

---

(١) في الأصل: «شبابة». وما أثبتناه عن شذرات الذهب والمشتبه للذهبي.

(٢) في الأصل: «الجوهري». وما أثبتناه عن معجم البلدان والمشتبه وشذرات الذهب. والجوبري: نسبة إلى «جوبر» قرية بالغوطة من دمشق.

(٣) هذه العبارة كان يجب وضعها بعد كلمة «العيّارون».

وفيها توفّي أحمد بن كُلَيب الشاعر المغربيّ. قال أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحُمَيْدِيّ[١] في تاريخه «كان أحمد هذا يهوَى أسلم بن حمد[٢] بن سعيد قاضي قضاة [٣]الأندلس؛ وكان أسلم من أحسن أهل زمانه؛ فٱفتُتن به وقال فيه الأشعار الرائقة». ثم سكت الحُمَيْديّ ولم يذكر ما قاله في أسلم المذكور من الأشعار[٤].

وفيها توفّي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان، أبو عليّ البزّاز[٥]؛ إمام محدّث مشهور من أهل بغداد؛ وُلد سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة؛ سمِع خلقاً كثيراً؛ وكان صالحاً ثقة صدوقاً.

وفيها توفّي الحسن بن عثمان بن أحمد بن الحسين بن سَوْرَةَ، أبو عمر الواعظ البغداديّ؛ سمِع الحديث وتفقه؛ وكان شيخاً، له لسان حُلو في الوعظ؛ وكان له شعر على طريق القوم؛ فمنه قوله: [الطويل]

دخلتُ على السلطان في دار عِزِّه ... بفقرٍ ولم أجْلِب بخيلٍ ولا رَجْلِ
فقلتُ ٱنظروا ما بين فقري وملككمْ ... بمقدار ما بين الولاية والعزل

أمر النيل في هذه السنة:

---

(١) في الأصل: «الجندي» وهو تحريف.
(٢) في ابن الأثير: «أسلم بن أحمد بن سعيد». وفي البداية والنهاية: «أسلم بن أبي الجعد».
(٣) في البداية والنهاية أن أسلم هذا كان غلاماً يطلب العلم في مجالس الشيوخ. وكان من بني خلد، وكانوا وزراء للملوك وحجاباً.
(٤) روى ابن الأثير (حوادث سنة ٤٢٦هـ) شعره فيه كما يلي:

أسلمني في هوىً أسلمُ هذا الرَّشَا
غزالٌ له مقلةٌ يصيب بها من يَشَا
وشى بيننا حاسدٌ سيُسأل عما وشَى
ولو شاء أن يرتَشي على الوصل روحي ارتَشَى

وروى له ابن كثير في البداية والنهاية، في نفس الموضوع:

أسلمُ يا راحةَ العليلِ رفقاً على الهائم النحيلِ
وصلك أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالق الجليلِ

(٥) في الأصل هنا: «الرازي» وهو تحريف. وقد ذكره المؤلف عن وفيات الذهبي في السنة الماضية.

الماء القديم ثلاث أذرع وعشرون إصبعاً. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً.

* * *

السنة السادسة عشرة من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله على مصر

وهي سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

وفيها كانت وفاته، حسب ما تقدّم في ترجمته.

فيها (أعني سنة سبع وعشرين) أرسل الظاهر قبل موته خمسة آلاف دينار، فصُلِّح بها نهر ينتهي إلى الكوفة ويرِد إليه ماء الفرات؛ وجاء أهل الكوفة يستأذنون القائم بأمر الله في ذلك، فثقُل عليه وسأل الفقهاء؛ فقالوا: هذا مال تغلّب عليه من فيء المسلمين، فصرفه في هذا الوجه؛ فأذن لهم القائم في ذلك.

وفيها لم يحجّ أحد من العراق، وحجّوا من الشام ومصر.

وفيها توفّي أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق الثعلبيّ صاحب التفسير المشهور. قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزيّ: «ليس فيه ما يُعاب به إلا ما ضمّنه من الأحاديث الواهية، التي هي في الضعف متناهية، خصوصاً في أوائل السور».

وفيها توفّي الحسن بن وهب، أبو عليّ الكاتب المجوّد؛ كان فاضلاً إماماً مجوّداً؛ وخطّه معروف مشهور بالحسن.

وفيها توفّي حمزة بن يوسف بن إبراهيم الجُرْجَانيّ الحافظ؛ هو من ولد هشام بن العاص بن وائل السهميّ؛ وكان عالماً فاضلاً؛ رحل في طلب العلم، وسمِع الحديث الكثير، وقال أنبأنا الحسين بن عمر الضرّاب، أنشدنا شعبان الصَّيْرَفِيّ: [مخلّع البسيط]

أشدّ من فاقة الزمانِ وقوفُ حُرّ على هوانِ
فاَسترزق اللّهَ واَستعنه فإنّه خيرُ مستعان

وإن نـأى منـزلٌ بحـرٌ[1] فمن مكـان إلى مكـان

أمر النيل في هذه السنة:

الماء القديم ستّ أذرع وعشرون إصبعاً. مبلـغ الزيادة ستّ عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصبعاً.

انتهى الجزء الرابع من النجوم الزاهرة
ويليه الجزء الخامس
وأوّله: ذكر ولاية المستنصر بالله على مصر

(١) في الأصل: «بجد». والتصحيح من طبعة دار الكتب المصرية عن مرآة الزمان.

ثبت المصادر والمراجع
المستعملة في حواشي الجزء الرابع

١ ــ الإبانة عن سرقات المتنبي، للعميدي ــ تحقيق إبراهيم الدسوقي البساطي ــ دار المعارف بمصر ١٩٦١.

٢ ــ اتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، للمقريزي ــ تحقيق جمال الدين الشيّال ومحمد حلمي محمد أحمد ــ القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٧ ــ ١٩٧٣.

٣ ــ أخبار الدول المنقطعة، لابن ظافر الأزدي ــ المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٧٢.

٤ ــ أخبار مصر، لابن المأمون ــ تحقيق أيمن فؤاد سيّد ــ المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٨٣.

٥ ــ أخبار مصر، للمسبّحي ــ تحقيق أيمن فؤاد سيّد وتياري بيانكي ــ المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٧٨.

٦ ــ أخبار مصر، لابن ميسّر ــ تحقيق أيمن فؤاد سيّد ــ المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٨١.

٧ ــ الإشارة إلى من نال الوزارة، لابن منجب الصيرفي ــ تحقيق عبد الله مخلص ــ المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة ١٩٢٤.

٨ ــ أعمال الأعلام، للسان الدين ابن الخطيب. تحقيق ليفي بروفنسال ــ دار المكشوف، بيروت ١٩٥٦.

٩ ــ الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، لابن شدّاد. تحقيق يحيى عبّارة ــ وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٨.

١٠ ــ الأعلام، لخير الدين الزركلي ــ دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٦.

١١ ــ أعيان الشيعة، للسيّد محسن الأمين العاملي ــ دار التعارف، بيروت ١٩٨٦.

١٢ ــ إغاثة الأمة بكشف الغمّة، للمقريزي ــ مؤسسة ناصر الثقافية، بيروت.

١٣ ــ الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ــ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦ ــ وطبعة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ــ وطبعة المؤسسة المصرية العامة، مصورة عن طبعة دار الكتب.

١٤ ــ الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، لحسن الباشا ــ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧.

١٥ ــ الانتصار لواسطة عقد الأمصار، لابن دقماق ــ دار الآفاق الجديدة، بيروت.
١٦ ــ الأنساب، للسمعاني ــ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.
١٧ ــ بدائع الزهور في وقائع الدهور، لابن إياس ــ سلسلة النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية، فيسبادن ١٩٦٠ ــ ١٩٦٣.
١٨ ــ البداية والنهاية، لابن كثير ــ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.
١٩ ــ بلدان الخلافة الشرقية، لسترانج ــ ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٥٤.
٢٠ ــ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري المراكشي ــ تحقيق كولان وبروفنسال، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣.
٢١ ــ تاج العروس، للزبيدي ــ مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦١.
٢٢ ــ تاريخ ابن الأثير (الكامل في التاريخ) ــ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.
٢٣ ــ تاريخ الإسلام، للذهبي (١ ــ ٦) ــ مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٦٧ ــ ١٣٦٩هـ
٢٤ ــ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، لحسن إبراهيم حسن ــ مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧.
٢٥ ــ تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي ــ دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٦ ــ تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر) ــ نسخة مصورة عن طبعة بولاق.
٢٧ ــ تاريخ الخلفاء، للسيوطي ــ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ــ القاهرة ١٩٦٩.
٢٨ ــ تاريخ دمشق، لابن عساكر ــ تحقيق صلاح الدين المنجد ــ دمشق ١٩٥١ ــ ١٩٥٤.
٢٩ ــ تاريخ دول الإسلام، لرزق الله منقريوس ــ الدار العلمية، بيروت ١٩٨٧.
٣٠ ــ تاريخ الدولة الفاطمية، لحسن إبراهيم حسن ــ القاهرة ١٩٦٤.
٣١ ــ تاريخ الزمان، لابن العبري ــ نقله إلى العربية الأب إسحاق أرملة، دار المشرق ١٩٨٦.
٣٢ ــ تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ــ دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٣ ــ تاريخ مختصر الدول، لابن العبري ــ طبعة مصورة عن طبعة بيروت ١٨٩٠.
٣٤ ــ تاريخ يحيى الأنطاكي ــ نشره لويس شيخو، بيروت ١٩٠٩.
٣٥ ــ تاريخ ميافارقين، لابن الأزرق الفارقي ــ دار الفكر الحديث، بيروت ١٩٨٨.
٣٦ ــ تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، لأحمد السعيد سليمان ــ دار المعارف بمصر، ١٩٧٩.
٣٧ ــ تجارب الأمم، لمسكويه ــ تحقيق آمدروز، القاهرة ١٩١٤.
٣٨ ــ تذكرة الحفاظ، للذهبي ــ دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٩ ــ تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، لمحيي الدين بن عبد الظاهر ــ تحقيق مراد كامل ومحمد علي النجار ــ وزارة الثقافة والإرشاد القومي بالجمهورية العربية المتحدة، القاهرة.

٤٠ــ التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، لمحمد قنديل البقلي ــ الهيئة المصرية العامة ١٩٨٤.
٤١ــ التعريف بالمصطلح الشريف، لابن فضل الله العمري ــ تحقيق محمد حسين شمس الدين ــ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.
٤٢ــ تقويم البلدان، لأبي الفداء إسماعيل صاحب حماة ــ باريس ١٨٤٠.
٤٣ــ التنبيه والإشراف، للمسعودي ــ طبعة مصورة عن الطبعة الأوروبية، مكتبة خياط، بيروت ١٩٦٥.
٤٤ــ تهذيب تاريخ ابن عساكر، للشيخ عبد القادر بدران ــ دمشق ١٣٥١هـ
٤٥ــ تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني ــ دار صادر، بيروت.
٤٦ــ الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، لعبد المنعم ماجد ــ مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٩.
٤٧ــ الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية؛ محمد عبد الله عنان؛ القاهرة ١٩٣٧.
٤٨ــ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، للسيوطي ــ مطبعة إدارة الوطن، القاهرة ١٢٩٩هـ
٤٩ــ حكايات الشطّار والعيّارين في التراث العربي، للدكتور محمد رجب النجّار ــ سلسلة عالم المعرفة، العدد ٤٥، الكويت.
٥٠ــ الحلّة السيراء، لابن الأبّار ــ تحقيق الدكتور حسين مؤنس ــ الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٣.
٥١ــ الخطط التوفيقية الجديدة، لعلي باشا مبارك ــ الهيئة المصرية العامة، القاهرة.
٥٢ــ الخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار)، للمقريزي ــ دار صادر، بيروت.
٥٣ــ دائرة المعارف الإسلامية (النسخة العربية) ــ إصدار كتاب الشعب، القاهرة.
٥٤ــ دراسات في التاريخ الإسلامي؛ جمال الدين الشيال؛ دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤.
٥٥ــ الدرّ المنتخب في تاريخ مملكة حلب، لابن الشحنة ــ دار الكتاب العربي، دمشق ١٩٨٤.
٥٦ــ ديوان ابن هانىء الأندلسي؛ تحقيق كرم البستاني؛ بيروت ١٩٥٢.
٥٧ــ ديوان السريّ الرفّاء؛ طبعة القدسي، القاهرة.
٥٨ــ ديوان المتنبي؛ تحقيق عبد الوهاب عزام؛ القاهرة ١٩٤٤.
٥٩ــ الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري ــ تحقيق إحسان عبّاس ــ مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٤.
٦٠ــ زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك؛ خليل بن شاهين الظاهري؛ باريس ١٨٩٤م.
٦١ــ سفرنامة، لناصر خسرو ــ تحقيق يحيى الخشاب ــ دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٢.
٦٢ــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي ــ دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٣ــ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي ــ المؤسسة العامة للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٣ ــ ودار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.

٦٤ــ الصبح المنبي عن حيثية المتنبّي، للشيخ يوسف البديعي ــ تحقيق مصطفى السقّا ومحمد شتا وعبده زيادة عبده ــ دار المعارف بمصر ١٩٦٣.
٦٥ــ طبقات الأطباء (عيون الأنباء) لابن أبي أصيبعة ــ تحقيق نزار رضا ــ دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٥.
٦٦ــ طبقات سلاطين الإسلام، ستانلي لين بول ــ ترجمه إلى الفارسية عباس إقبال، وترجمه عن الفارسية إلى العربية مكي طاهر الكعبي ــ تحقيق علي البصري ــ بغداد ١٩٦٨.
٦٧ــ طبقات القراء (غاية النهاية)، لابن الجزري ــ تحقيق برجشتراسر، القاهرة ١٩٣٣.
٦٨ــ عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية، لحسن إبراهيم حسن وطه شرف ــ القاهرة ١٩٤٧.
٦٩ــ عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، لبدر الدين العيني ــ الهيئة المصرية العامة، القاهرة.
٧٠ــ الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، لابن الطقطقي ــ دار صادر، بيروت.
٧١ــ الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي ــ دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٠.
٧٢ــ فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي ــ تحقيق إحسان عباس ــ دار صادر، بيروت ١٩٧٣.
٧٣ــ في التراث العربي، للدكتور مصطفى جواد ــ وزارة الإعلام العراقية، بغداد ١٩٧٥.
٧٤ــ قوانين الدواوين، لابن ممّاتي ــ تحقيق عزيز سوريال عطية ــ القاهرة ١٩٤٣.
٧٥ــ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة ــ دار الفكر، بيروت ١٩٨٢.
٧٦ــ كنز الدرر وجامع الغرر (ج٦)، لابن أيبك الدواداري ــ تحقيق صلاح الدين المنجد ــ المعهد الألماني للآثار، القاهرة ١٩٦١.
٧٧ــ اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير الجزري ــ القاهرة ١٣٥٦ ــ ١٣٦٩هـ
٧٨ــ لسان العرب، لابن منظور ــ دار صادر، بيروت.
٧٩ــ مآثر الإنافة في عالم الخلافة، للقلقشندي ــ تحقيق عبد الستّار أحمد فراج ــ عالم الكتب، بيروت.
٨٠ــ محيط المحيط، لبطرس البستاني؛ مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٧.
٨١ــ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لعبد المؤمن البغدادي ــ تحقيق علي محمد البجاوي ــ دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٤.
٨٢ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي ــ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ــ دار المعرفة، بيروت.
٨٣ــ المسالك والممالك، لابن خرداذبة؛ دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨.
٨٤ــ المشتبه في الرجال وأسمائهم وأنسابهم، للذهبي ــ تحقيق علي البجاوي ــ دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٢.
٨٥ــ المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، لياقوت الحموي ــ تحقيق وستنفيلد ــ جوتنجن ١٨٤٦.
٨٦ــ معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، لمحمد إسماعيل إبراهيم ــ دار الفكر العربي، القاهرة.

٨٧ـ معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، للمستشرق زامباور ـ أخرجه زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود ـ مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة ١٩٥١ .
٨٨ـ معجم البلدان، لياقوت الحموي ـ دار صادر بيروت ١٩٨٤ .
٨٩ـ معجم دوزي؛ انظر المراجع الأجنبية.
٩٠ـ معجم متن اللغة، للشيخ أحمد رضا ـ دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٨ .
٩١ـ المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية، القاهرة.
٩٢ـ المعز لدين الله؛ حسن إبراهيم حسن وطه شرف؛ القاهرة ١٩٤٧ .
٩٣ـ المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد الأندلسي ـ قسم مصر ـ تحقيق زكي محمد حسن وشوقي ضيف وسيدة كاشف ـ جامعة فؤاد الأول، القاهرة ١٩٥٣ .
٩٤ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي ـ (٥ـ١٠) مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٣٥٩ هـ
٩٥ـ الموسوعة العربية الميسرة؛ بإشراف محمد شفيق غربال؛ دار الشعب ومؤسسة فرنكلين، القاهرة.
٩٦ـ الموسوعة الفلسطينية، القسم العام؛ أحمد المرعشلي ـ عبد الهادي هاشم ـ أنيس صايغ؛ دمشق ١٩٨٤ .
٩٧ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي:
(أ) طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٨ـ ١٩٧٢م.
(ب) طبعة ليدن ١٨٥٢ـ ١٨٥٧م (منذ الفتح إلى سنة ٣٦٥هـ).
(ج) طبعة كاليفورنيا للمستشرق وليم بوبر.
٩٨ـ نظم الفاطميين ورسومهم بمصر، لعبد المنعم ماجد ـ القاهرة ١٩٥٣ـ ١٩٥٥، مكتبة الأنجلو المصرية.
٩٩ـ نفح الطيب، للمقّري ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار صادر، بيروت.
١٠٠ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري ـ دار الكتب المصرية ١٩٥٥ .
١٠١ـ الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي؛ محمد حمدي المناوي؛ دار المعارف بمصر ١٩٧٠ .
١٠٢ـ وفيات الأعيان، لابن خلكان ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار الثقافة، بيروت ١٩٧٢ .
١٠٣ـ ولاة مصر، للكندي ـ تحقيق حسين نصّار ـ دار صادر، بيروت.
١٠٤ـ يتيمة الدهر، للثعالبي ـ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩ .
١٠٥ـ Gaudefroy Demombynes: La Syrie à L'époque des Mamlouks, Paris 1923
١٠٦ـ Dozy: Supplément aux Dictionnaires arabes Leyden 1881

فهرس الموضوعات
الجزء الرابع

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة